العلاقات بين الشام ومصر

في العهدين الطولوني والإخشيدي

٢٥٤ - ٣٥٨هـ / ٨٦٨ - ٩٦٨م

تأليف
الدكتور محمد أحمد زيود

دار حسان للطباعة والنشر

العلاقات بين الشام ومصر

في العهدين الطولوني والإخشيدي

(٢٥٤ - ٣٥٨هـ)

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار حسان
للطباعة والنشر
دمشق - ص.ب ٣٢١٨
عبد الهادي حرصوني

العلاقات بين الشام ومصر

في العهدين الطولوني والاخشيدي (٢٥٤ - ٣٥٨هـ)

تأليف
الدكتور محمد أحمد زيود

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

المتتبع لأخبار العصر المرواني من تاريخ الدولـــة الاموية يلاحظ وجود محاولات جادة لتعريب شعوب الدولة العربية المترامية الاطراف، ولقد قيض لهذه المحاولات الاخفاق بسبب قيام الثورة العباسية التي تفجرت بخراسان ، وكان من جملة نتائج هذه الثورة انشطار العالـــم الاسلامي الى قسمين رئيســـين : عربي وأعجمي ، فمـــع نجاح الثورة العباسية ظهرت ملامح الوطن العربي ، ووقعت بلدان هذا الوطن فيما وراء الدجلة .

وظلت الدولة العباسية التي أنشأتها أيدي المشارقة طوال حياتها مشغولة بمشاكل المشرق ، وحين سقطت سقطت على أيدي غزاة قدموا من المشرق ، ونجم عن انشغال الدولة العباسية هذا فيما نجم إهمـــال لبلدان الوطن العربي الامر الذي أتاح الفرصة أمام ظهور مصر لتأخـــذ دور القلب بالنسبة لهذا الوطن ، وما أن ظهرت بوادر الضعف على الدولة العباسية حتى استقلت مصر وظهرت فيها حكومات خاصة بها .

ومن المعروف أن مصر عبارة عن سهل واسع هو وان وقع في القارة الافريقية مفتوح على البر الشامي ، وعبر جميع مراحل التاريخ تعرضت مصر للغزاة والمخاطر عبر بلاد الشام ، لذا سعى حكام مصر في فترات الاستقلال والقوة لتأمين عمق استراتيجي في بلاد الشام ، وقد ولّدت السيطرة على بلاد الشام الرغبة في اقامة امبراطورية •

وقاد هذا عبر مراحل التاريخ الى تمازج قوي بين سكان مصر وسكان بلاد الشام وقيام حضارة واحدة واقتصاد متفاعل ، وترسخ هذا بقيام الاسلام حيث أصبح الشعبان جزء لا يتجزأ من أمة واحدة•

ومنذ قيام دولة مصر الاسلامية المستقلة ارتبطت بلاد الشام بهذه الدولة ارتباطا وثيقا وبات أمن الشام مرتبطا بأمن مصر وغدت عساكر الشام وعساكر مصر شيئا واحداً ، وقفت ضد المطامع البيزنطية ، ثم ظهرت فاعليتها خلال الحروب الصليبية ، فبوحدة الشام ومصر أمكن تحقيق النصر في حطين ، وعساكر مصر والشام هي التي صدت الغزاة المغول في أكثر من معركة وهي التي حررت عكا سنة ١٢٩١ م وطردت بقايا الفرنجة من المشرق •

لقد ترسخ عبر مراحل التاريخ أن أي مشروع لوحدة الوطن العربي اذا لم تشكل مصر والشام نواة له كتب له الاخفاق ، وأن العرب مهما سعوا لتوحيد الصفوف اذا لم تكن الامور على وفاق بين مصر والشام فلن يكتب لمساعيهم النجاح •

على هذا ان البحث في تاريخ العلاقات الشامية المصرية ، لا سيما في الفترات التي شكلت فيها مصر مع الشام دولة واحدة من أهم الابحاث وهي مطلوبـــة دوما •

لقد تناول عدد من الكتاب هذه العلاقات بالبحث لا سيما مـــن الجامعيين المصريين ، لكن من المؤسف أن معظمهم تناول القضية من منظار نفوذ مصري في بلاد الشام ، وتناولها بالتالي بسرعة ودون تعمق ، ولذلك اقتضت الحاجة تناول هذه الناحية منذ قيام الدولة الطولونية في القرن الثالث للهجرة ، بشكل معمق بعيداً عن نظرة النفوذ وانطلاقا من الواقع الوحدوي بين القطرين الشامي والمصري ، وخير من فعل ذلك منـــذ سنوات طوال الاخ الدكتور محمد زيود في رسالة أعدها لنيل شهـــادة الماجستـــير •

وتعود معرفتي بالدكتور زيود الى أكثر من عقدين مـــن الزمن ، وقـــد خبرته خلقياً وسلوكياً ، وعلميا حين عمل معي أثناء تحضيره لرسالة الدكتوراه فوجدت فيه الاستقامة والاهلية والكفاءة والروح الوحدوية المتحررة الاصيلة ، ووجدت ما كتبه في كتابه الذي أكتب هـــذه العجالة مقدمـــة لـــه ـــ يصلح كقاعدة يمكن توسيعها وتعميقها واكمالهابمزيد من الابحاث التي تغطي الجوانب غير السياسية من اقتصادية واجتماعية وحضارية ، فهذه الجوانب هي الاهم وهي الفاعلة وهي التي لم تنقطع أبدا حتى عندما أريد لها الانقطاع في العصر الحديث ، وتناول الدكتور زيود الجوانب الاقتصادية برسالة الدكتوراه ولكم أتمنى عليه مـــد فترة

البحث الى ما بعد العصر الفاطمي ، وجعله بالوقت نفسه يتناول جوانب أخرى مثل حركة العلماء بين مصر والشام والتمازج الحرفي والاجتماعي والعسكري الى غير ذلك مما نحن بأمس الحاجة اليه •

ان ما كتبه الدكتور زيود في كتابه هو الآن بين يدي القارىء العربي ، والامل كبير في أن يجد فيه الفائدة العلمية والمتعة الادبية، والله الموفق للسداد وبه نستعين والحمد له والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين •

دمشق في ٢٠/١٢/١٩٨٨

الدكتور سهيل زكار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تأتي اهمية دراسة هذا الموضوع من اهمية الفكرة التي يناقشها وهي العلاقات بين الشام ومصر في هذه الفترة المحددة. ذلك ان العلاقات بينهما قديمة، ولها اهمية كبرى ليس على البلدين فحسب، وانما على الوطن العربي بكامله. فنحن لانعرف بلدين ربطت بينهما اواصر الصداقة والتعاون مثل الشام ومصر ولا غرابة في ذلك فاتصال البلدين وملاصقة الارض للأرض سهلت عملية الانتقال بينهما وأسهمت في تبادل الآراء، وامتزاج الحضارة منذ العصور القديمة.

ولقد كان لهذا الوضع الجغرافي والروابط الاقليمية بين القطرين نتائج هامة وكبيرة أدت الى التعاون بينهما في جميع المجالات. وقد ادرك قيمة هذه الحقيقة كل من حكم الشام ومصر، فحرص على ابقاء العلاقات الطيبة واسباب حسن الجوار القائمة بينهما وبرزت هذه الظاهرة منذ عهد الفراعنة في مصر والفينيقيين في الشام حيث كانت الشام ومصر دائما وفي كل عصور قوتهما تشكلان دولة واحدة، ولقد حدث هذا في العصر الفرعوني وفي اثناء حكم التحامسة والرعامسة. ولقد كان التعاون يظهر اكثر وضوحاً اثناء اشتداد الخطوب والازمات والكوارث التي حلت بالبلدين، وظهر هذا في فترات متعاقبة، وبرز ذلك اثناء الغزو الأجنبي لكل من البلدين.

وليس غريبا ان تكون العلاقات قوية ومتينة بين القطرين اذا ما اخذنا في نظر الاعتبار العناصر التي تؤلف بين قلوب الشعوب وتعمل على توحيد مثلها وقيمها ونظرتها للحياة. فمنذ الايام البعيدة الموغلة انتشرت اللغة العربية في ارجاء الشام ومصر. كما كان لهجرات القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية واستقرارها في الشام ومصر آثارها الهامة على وحدة البلدين وتاريخهما المشترك.

وبعد الفتح العربي الاسلامي للشام ومصر، وصل هذا التعاون والارتباط بين القطرين الى الاوج والازدهار، واصبحت المنطقة تخضع لسلطة مركزية وقيادة واحدة في دمشق عاصمة الدولة العربية في العصر الاموي.

وفي العصر العباسي تعرض البلدان لمصير واحد ومعاملة مشتركة وسيطرت عليهما احداث متشابهة.

وفي الفترة الطولونية والاخشيدية يعود البلدان ويشكلان دولة واحدة، وبذلك تتكرر التجربة ويعيد التاريخ نفسه في هذه المنطقة.

وتتدعم وحدة البلدين في ظل الطولونيين، حتى شعر الشاميون والمصريون بقوتهم في ظل هذا الاتحاد، وشعروا بكرامتهم واتضح لهم انهم اذا ما استمروا في وحدتهم هذه، صنعوا قوة تمكنهم من تأسيس دولة مستقلة خاصة كما تمكنهم الاستغناء عن الحكم العباسي المتداعي نتيجة التسلط التركي، واصبح وضعهم أفضل بكثير في ظل هذه الخلافة العباسية التي ملوا العيش في ظلها، غير أن هذا الاستقلال اوقع البلدين في حلبة الصراع السياسي بين العباسيين وقواهم، وهذه الدول التي تشكلت في البلدين، ولم يترك العباسيون فرصة الا واستغلوها لضرب هذه القوى النامية في الشام ومصر شعورا منهم بخطورتها عليهم، حتى تمكنوا اخيرا من انهاء الطولونيين وغيرهم من القوى التي حاولت اعادة دولتهم وتجربتهم، والانفصال عن جسم الدولة العباسية الأم.

وسار العباسيون بعد ذلك في سياستهم القائمة على محاربة القوى المستقلة في البلدين، وضرب اي فكرة جديدة تحاول أن تستند على دعم القطرين، وتستغل ذلك لتأسيس ممالك خاصة تخدم مصالحها الذاتية وعلى الرغم من ذلك فقد فرض هذا الواقع وجوده عليهم، فقامت الدولة الاخشيدية استجابة ملحة

لواقع المنطقة والظروف المحيطة بمصر والشام ، ولم يتوان العباسيون لحظة في خلق المتاعب للاخشيديين في الشام ومصر على الرغم مما قدمه هؤلاء من اعمال تخدم المصالح العباسية وبذلك مهدوا لاسقاط دولتهم في مصر والشام ، كما حدث اثناء التجربة الطولونية .

ويتناول هذا الموضوع العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والاخشيدي ، ولايخفى على أي مؤرخ اوباحث العقبات والصعوبات التي تعترض كل من يتصدى لدراسة العلاقات أيا كان نوعها ومايتطلبه ذلك من جهد ومعرفة واسعة واطلاع عميق ودراسة كاملة لجوانب الموضوع ، لذلك كان عليَّ أن أدرس الشام في هذه الفترة دراسة مفصلة لأصل الى الحوادث وأسبابها ، وأقف على نتائجها ومكنوناتها ، كما كنت مضطرا لأن أقوم في الوقت نفسه بدراسة لتاريخ مصر . ولقد ساعدتني الظروف في معرفة تاريخ مصر في هذه الفترة لكثرة من أرخ لها من المؤرخين القدامى والمحدثين ، حيث افدت منها الكثير ، غير أن هؤلاء المؤرخين جميعا القدامى والمحدثين ركزوا في دراستهم وتاريخهم على مصر واسهبوا كثيرا في تاريخها ، ولهذا لم اكن محظوظا فيما يهمني وفي النقاط الرئيسة والهامة في موضوعي واقصد بذلك تاريخ بلاد الشام ، وذلك للاهمال فيها وفي تاريخها في هذه الفترة وقبلها. لهذا كان عليَّ ان اظهر قدر الامكان تاريخ الشام في هذه الفترة وعلاقتها بمصر في ظل الدولتين الطولونية والاخشيدية ، فثابرت على عملي محاولا الوصول الى الحقائق او الاقتراب منها وركزت في بحثي على تاريخ الشام ودورها في مسيرة الأحداث الطولونية والاخشيدية ، وأوضحت الدور الفعال والأساسي للشام في تاريخ الدولتين في مصر والشام ، وبينت أن قوة هذه الدول كانت في احكام سيطرتها على البلدين ، وفي توحيد القطرين وشدة الارتباط بينهما وتوصلت الى ان سقوط كل من الطولونيين والاخشيديين كان يحدث اثر اضطراب الاحوال العامة في الشام . وفقدان هذه الدول لها والقوة الكامنة فيها . وركزت على حقيقة كانت تراود السياسيين والباحثين منذ القديم والقائلة بأن الخطر المحدق بمصر وحكوماتها يأتي دوما من الشام ، ولذلك كان على كل سلطة تود البقاء والاستمرار في مصر أن تحمي نفسها من الشرق وتضم اليها بلاد الشام ، وتعتبر ذلك من ضرورات الأمن لها وسلامة وجودها ، وظهر هذا جليا وواضحا في هذه الفترة فكانت نهاية الدولتين

الطولونية والاخشيدية في بلاد الشام ، ومن هنا تأتي اهمية هذا الموضوع وهذه الدراسة .

ولقد واجهت صعوبات كبيرة في دراستي كان على رأسها قلة المصادر وندرتها والخاصة بتاريخ بلاد الشام ، وبخاصة بعد العصر الاموي ، وبعد ان اصبحت بلاد الشام تابعة في اكثر الاوقات لغيرها ، وصارت من المناطق المهملة تاريخيا ، وزاد امرها سوءاً انقسامها بعد الامويين الى أجناد ومدن متفرقة لكل منها وال يدير شؤونها وافتقدت وحدتها السياسية وعمت فيها الفوضى ، فكان هذا من العوامل التي أدت الى تخلف فكري قاد بالضرورة لاهمال تاريخي واصبح الكثير من حوادثها وامورها في طي الكتمان ، وابتعد المؤرخون عنها الى العواصم ومراكز الحكومات ، حيث أصبحت الشام تابعة في هذه الفترة لغيرها في بغداد والفسطاط .

ومما يؤسف له أيضاً أن المؤرخين الذين اهتموا كثيرا بالحكومات وارخوا لقادتها وسلطاتها ، واهتموا بتفاصيل الأمور والحوادث ، لم يعيروا اطراف الدولة اهتمامهم الكافي ، فبينما كتبوا كل شيء عن احمد بن طولون وغيره في مصر واسهبوا في الحديث عن اعماله وحوادثه الخاصة فيها ، قصروا في التحدث عن أعماله وسياسته في الشام واتجاهاته هناك ، ولاشك أنها كانت كثيرة على الرغم من أننا لم نتعرف الا على القليل منها والضئيل ، ولو قدر لهؤلاء المؤرخين ان يهتموا ويوردوا ما قام به احمد بن طولون وغيره ممن جاء بعده من الطولونيين والاخشيديين لكنا توصلنا الى معلومات اوثق وأدق ، وتمكنا من أعطاء صورة أشمل وأعم . ففي الوقت الذي أسهب فيه هؤلاء المؤرخون عن العاصمة في مصر واحوالها السياسية والحضارية اهملوا الحديث عن الاطراف والاقاليم الاخرى ، وهذا ماوجدته فعلا حيث اكثر المؤرخون في الكتابة عن الطولونيين والاخشيديين في مصر وعلاقتهم مع السلطة المركزية في بغداد وذلك على حساب تاريخهم في بلاد الشام واهمالها .

ومن ناحية أخرى ، فان أكثر المصادر والمراجع الحديثة لم تعط اهمية كبرى لموضوع العلاقات واهميتها ، ولم تعرها الاعتبارات الكبيرة اللائقة بها والكافية لاظهارها وايضاحها ، وهي ان اوردت شيئا فانما تورده بشكل عرضي وهامشي في زواياها ، مما يعوز الباحث الى الفطنة والذكاء لاستنباطه ، وقد لايوفق كثيرا في

العثور على معلومات كافية تساعده على تقصي الحقيقة او الاقتراب منها ، ولهذا كان عليّ ان أقوم بدراسة مطولة معتمداً فيها على كتب التاريخ العام اولاً وكان على أن اعود للكثيرمنها حيث قلت المعلومات التي ترد فيها او تشير الى تاريخ بلاد الشام في هذه الفترة ، فكان الحصول على معلومات منها في غاية الصعوبة .

ولقد قمت في هذا البحث بدراسة العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والاخشيدي ، وقسمت هذا الموضوع الى أربعة أبواب :

١ ـ الباب الاول :

وبحثت فيه قيام الدولة الطولونية في مصر والشام ، ونشأة احمد بن طولون ودور بلاد الشام وثغورها في تكوينه الى ان ولي امرة مصر ، متطلعا بعد ذلك الى بلاد الشام وتحقيق ولايته عليها ، وسياسته وابنه خمارويه في مصر والشام ، وأشرت الى مبدأ الجهاد الذي أعلنه احمد بن طولون كهدف كبير جعله مقدمة لكل اعماله ، وتمكن به وبتبنيه لمطالب الشعبين في مصر والشام من اظهار نفسه بمظهر القائد المجرب والسياسي المحنك ، وتمكن من ايجاد قوة من البلدين ساعدته على تحقيق مشاريعه فيهما .

٢ ـ الباب الثاني :

اما في هذا الباب فقد خصصته للجهود الطولونية التي بذلت للاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الشام ، ومراحل النزاع الطولوني العباسي واهداف كل منهما في الشام في عهدي احمد بن طولون وابنه خمارويه وأوضحت ان العباسيين لم يكونوا مخلصين ابدا لهذه الدولة الطولونية ، ولم يشعروا بالراحة لقيامها ، ولذلك لم يحترموا المواثيق والوعود ، وعملوا دائما على اثارة الشعب في الشام وضرب الطولونيين بمختلف السبل ، حتى تحقق لهم ذلك ، كما كان لظهور القرامطة في بلاد الشام أثر في انتهاء البقية الباقية للطولونيين في الشام ، كما اعطى للعباسيين فرصة مكنتهم من اسقاط الدولة الطولونية وتدمير معالم هذه الدولة ، وقد تأكدت النظرة الطولونية وتخوفهم الدائم من ان الخطر الداهم بهم لايمكن ان يأتي الا من الشام .

كما افردت فصلا خاصا عن الانتفاضة التي قادها احد الضباط الطولونيين ، وهو ابن الخلنجي ، ضد العباسيين ومواقفهم حيال الطولونيين ومحاولته بعث الدولة الطولونية .

٣ ـ الباب الثالث :

فقد خصصته للاوضاع العامة للشام ومصر بعد سقوط الطولونيين وحتى قيام الدولة الاخشيدية ، وتطرقت للاوضاع الداخلية في كل من مصر والشام ، وما آلت اليه امورهما بعد الطولونيين ، وبحثت في النشاط القرمطي في الشام واثره على مجرى الاحداث السياسية وغيرها في الشام ومصر في هذه الفترة ، كما تكلمت عن النشاط الفاطمي في الشام ومصر خاصة واثر هذا النشاط على مجرى السياسة والاحداث في البلدين ، وتطلع الفاطميون نحو الشام ومصر ، وبينت مدى الارتباط والعلاقات بين القرامطة في الشرق والفاطميين في الغرب ، وما كان لذلك من نتائج على البلدين .

٤ ـ الباب الرابع :

اما في هذا الباب ، فقد تكلمت عن الشام ومصر في العهد الاخشيدي ، والعلاقات بين القطرين في هذه الحقبة والتي انتهت بسيطرة الفاطميين وفتحهم لمصر والشام .

واستعرضت لاستقلال الاخشيديين في مصر والشام ، ودور الشام في تكوين محمد بن طغج وتدعيمه للوصول الى امارة مصر . كما تطرقت للسياسة العامة للاخشيديين في الشام ومصر والتي سارت على نهج السياسة الطولونية والاقتداء بها .

وافردت فصلا للقوى الكثيرة في الشام وعلاقتها بالاخشيديين ، واطماع هذه القوى وصراعها السياسي في بلاد الشام ، وأثر هذا الصراع عليها وعلى حركة الجهاد ضد العدو المشترك .

لقد بذلت الجهد الممكن وكابدت الكثير حتى اكملت هذا البحث وآمل أن أكون قد وفقت والله ولي الأمر وله الحمد والشكر .

☆☆

بحث في المصادر

ولقد اعتمدت في بحثي على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة اخص منها بالذكر اهمها :

١ ـ المصادر المخطوطة :

ـ بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم المتوفي سنة ٦٦٠ هـ ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر عن الأشخاص والولاه والحكام والافراد الذين دخلوا حلب او كان لهم تاريخ وتأثير فيها أو كان لهم فيها صلة ، ولذلك ففيه المعلومات القيمة عن هؤلاء الاشخاص والحوادث المرتبطة في هذا الموضوع خلال هذه الفترة ، وقد فادني الكثير وبخاصة فيما يتعلق بتاريخ احمد بن طولون وابنه خمارويه ومحمد بن طغج الاخشيدي ، والحروب الحمدانية الاخشيدية وتاريخ الحمدانيين في حلب وعلاقاتهم مع غيرهم وخاصة البيزنطيين.

ـ «الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة» لابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤هـ.

وقد اسهب هذا المؤرخ في ايراد المعلومات الهامة في تاريخ منطقة الثغور والعلاقات العسكرية مع بيزنطة والحروب في هذه الفترة والصوائف والشواتي واسماء قادتها ، لذلك ففيه المعلومات المفيدة لكل باحث عن احوال الثغور الشامية ، وقد اخذت منه بعض اعمال احمد بن طولون في هذه الثغور ، وعلاقته بامرائها وجميع الاعمال الطولونية وسير سياستهم فيها .

ـ «المقفى الكبير للمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ»

ويعتبر هذا المخطوط كذلك من المصادر الهامة التي استفدت منها وبخاصة فيما يتعلق بتاريخ كل من الطولونيين والاخشيديين وتحركات العلماء والافراد بين

الشام ومصر في هذه الفترة والتي استفدت الكثير من تراجمهم وحصلت على بعض المعلومات والامور التي قدمت لي بعض الاستفسارات حول مدى ارتباط القطرين وعلاقتهما ببعضهما ببعض .

٢ ـ اما المصادر العربية المطبوعة فهي : حسب أهميتها :

ـ الولاة والقضاة للكندي ، المتوفى سنة ٣٥٠هـ : ونظرا لما يتمتع به الكندي من ثقة واصالة في معرفة احوال مصر واهلها واعمالها وثغورها ، فقد قدم لي معلومات قيمة وحقائق تاريخية ثابتة وكنت أشعر بالراحة والاطمئنان كلما عدت الى هذا المصدر ، فهو يعتبر حجة لكل مؤرخ لمصر والشام في عهده ، والحقيقة اني افدت من هذا المصدر في جميع مراحل دراستي لهذا الموضوع وفي جميع ابوابه وفصوله ، كما كنت اعود اليه لاثبت المعلومات التي اختلفت الآراء حولها .

ـ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الاندلسي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ .

ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر التي ارخت للطولونيين والاخشيديين في مصر وبخاصة للطولونيين ، لكونه يعتمد كثيرا على ابن الداية المتوفى سنة ٣٣٩هـ . وقد قدم لي ابن سعيد معلومات كثيرة ومفيدة عن تاريخ احمد بن طولون وتطلعاته نحو الشام وخططه في الثغور وغيرها ، وعلاقاته مع الخلافة العباسية ، وجهاده في الثغور ، كما قدم لي الدلائل الهامة وخاصة عند اشارته في بعض الأحيان للتفاصيل مصورا احاسيس ابن طولون وشعوره وغيره من الاشخاص ممن لهم صلة في هذا البحث .

ـ سيرة احمد بن طولون للبلوى : وهو يعتبر ايضا من اهم المصادر في تاريخ الدولة الطولونية ومؤسسها احمد بن طولون وسياسته واتجاهاته ، حيث يصور عواطفه ونزعاته ، والبلوى وان اظهر ميولا عاطفية نحو ابن طولون وضحت في اخباره عنه مما يضعف من قيمة تاريخه ، الا انه من ناحية أخرى يمكن الركون لما يورده باعتباره اخذ الكثير عن ابن الداية المعاصر لهذه الفترة، ولقد افادني البلوى كثيرا وبخاصة عن سياسة احمد بن طولون تجاه بلاد الشام وحكمه لها وموقفه من الجهاد في ثغورها ، كما قدم الدليل لكثير من الحوادث التاريخية المرتبطة في هذه الفترة .

ـ اما كتاب «زبدة الحلب في تاريخ حلب» لابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ ، فهو أيضاً من الكتب الهامة لكل باحث في تاريخ بلاد الشام وبخاصة منطقة حلب ، حيث يعتبر ابن العديم مؤرخاً اصيلا لها ، وقد افدت منه الكثير وبخاصة عن الحمدانيين وعلاقتهم بالاخشيديين وغيرهم من القوى في بلاد الشام ونشاط الحمدانيين في الشام ، كما يسهب في العلاقات الحمدانية البيزنطية .

ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردى المتوفى سنة ٨٨٤هـ . هو من المصادر الهامة عن هذه الحقبة، كما وقدم لي صورة مستفيضة عن أحوال الشام ومصر والمشاكل التي اثارتها القوى المختلفة وخاصة الاعراب والقرامطة والحملات الفاطمية على مصر ، كما أورد أبو المحاسن كثيرا من التعليقات اعتمدت عليها لأهميتها ، واعتمادا على المعلومات التي اخذتها منه يمكن ان اعتبره من اهم المصادر لموضوع بحثي .

ـ تاريخ الرسل والملوك للطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، فهو يعتبر الوعاء الكبير لكافة الحوادث التاريخية التي ارخ لها الطبري والتي اعتمد عليها الكثيرون ممن اتوا بعده ، وقدم لي الكثير من المعلومات المرتبطة بالاحداث التاريخية الهامة .

ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ :

وهو أيضاً من المصادر الهامة التي قدمت لي المعلومات المفصلة عن كثير من الحوادث التي ارخت لها ، ويعتبر من المصادر الهامة في التاريخ الاسلامي .

ـ اما تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، فهو مليء بحوادث هذه الفترة ، ويأتي على ذكر معظمها ، ومن الكتب العامة التي اطلعت عليها وافادني الكثير لما احتوى على حوادث مفصلة في هذه الفترة ، وقد افادني الكثير وخاصة فيما يتعلق بالدولة الاخشيدية وسياستها في الشام وعلاقتها بالقوى الكثيرة هناك من قرامطة وحمدانيين وغيرهم .

ولقد عدت الى عدد كبير من المراجع الحديثة اشرت إليها في الحواشي واثبتها في قائمة المصادر والمراجع في آخر الكتاب .

☆☆

الباب الأول

الدولة الطولونية في مصر والشام

١ ـ حياة احمد بن طولون قبل ولايته مصر
٢ ـ استقلال ابن طولون في مصر
٣ ـ ولايته على بلاد الشام والثغور
٤ ـ سياسة الطولونيين في حكم بلاد الشام

١ - حياة أحمد بن طولون قبل ولايته مصر :

أحمد بن طولون ، مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام ، التي حكمت حوالي ثمانية وثلاثين عاما ، وهي تنسب الى طولون والد أحمد . وطولون هذا تركي من الأتراك الذين كانوا يقيمون في بلاد التركستان ، ومن أسرة تقيم في «بخاري» ، جيء به أسيراً الى واليها العباسي نوح بن أسد الساماني ، أثناء الحروب بين أهالي تلك المنطقة وبين الولاة العباسيين هناك . وقد أرسله هذا بدوره هدية الى الخليفة العباسي المأمون سنة ٢٠٠هـ مع من أرسل من المماليك الأتراك[١] ويقال الى الرشيد سنة ١٩٠هـ[٢].

ولقد أعجب الخليفة العباسي المأمون كثيرا بهذا المملوك التركي وحظى عنده كغيره من الأتراك الذين زاد عددهم ، بعد أن فقدت الخلافة العباسية ثقتها بالعرب والفرس جميعاً ، وبدأت تبحث عن عنصر جديد يقوم بحفظ التوازن بين القوى المتصارعة في بغداد .

زادت مكانة طولون لدى الخليفة العباسي المأمون وأسند اليه الوظائف المتعددة حتى أصبح رئيساً للحرس ، وتلقب بلقب أمير الستر[٣] . واستمر طولون مدة عشرين عاما يتمتع بهذا المنصب الهام في عهدي المأمون والمعتصم ، ولهذا دلالة قاطعة على ثقة المأمون بأمانة طولون وأخلاقه .

أنجب طولون بهذه الفترة عددا من الأولاد من بينهم أحمد الذي يكنى بابي العباس ، والذي يرجع اليه الفضل في تأسيس أول دولة مستقلة بعد الفتح العربي الاسلامي[٤] في مصر والشام .

ولد احمد بن طولون في ٢٣ رمضان سنة ٢٢٠هـ في بغداد ، وقيل في سامراء ، من جارية تسمى هاشم[٥] أو قاسم ، وقيل ولد سنة ٢١٤هـ[٦] والارجح

أن تكون ولادته في بغداد ، وذلك لأن المعتصم لم يقم ببناء سامراء الا في سنة ٢٢١هـ اي بعد ولادته على ماروواه ابن خلدون وغيره[٧] . ورغم الاختلاف بين المؤرخين بصحة نسبه الى طولون حيث ينسبه بعضهم الى يلبخ[٨] التركي وامه قاسم جارية طولون ، فالارجح أنه ابن طولون ، ودليلنا على ذلك أن الموفق احمد لم يكن ليتوانى أو يقصر لحظة في الحط من مكانة احمد بن طولون اثناء خلافه معه الذي وصل الى اللعن على المنابر في كافة ارجاء الدولة الاسلامية . وكم كان الموفق يتشوق لأن ينسبه الى يلبخ وكان هذا مصدر سخرية وضحك وطولون معروف بالستر والكرم ، ووصل الى أعلى المناصب وأعظمها[٩] واذا كان هناك من شك ضئيل في نسبه ، لم يكن من المعقول أن يزوج الزعيم التركي (يارجوخ) ابنته لو كان نسبه الى يلبخ صحيحا[١٠].

ثم لو كان في نسب ابن طولون من شك لما توانى شعراء الموفق من ذكر ذلك محاولين الانتقاص من قدره[١١].

نشأ أحمد بن طولون في كنف ابيه ورعايته ، وتلقى منه كل اهتمام ، فكان منذ صغره قويم الخلق ، متصفا بالرزانة والذكاء ، وأكثر من الدرس ، فحفظ القرآن والحديث وطلب العلم ، وتعلم الفقه وتعمق به على مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة[١٢] . •

وكان أحمد بن طولون خير مثل لهذه الطبقة الممتازة من الاتراك التي أخذت بقسط كبير من اللغة العربية والدين الاسلامي الحنيف ، فنشأ نشأة جميلة على عكس نشأة الكثرة الساحقة من أولاد الاتراك ووصف بعلو الهمة ، وحسن الأدب ، والذهاب عما كان عليه أهل طبقته[١٣] ، وتلقى اكثر علومه الادبية في بغداد والعسكرية في سامراء وطرسوس[١٤] .

وقد حرص ابن طولون منذ نشأته المبكرة أن يبتعد عن الاتراك الأثمين ، كما يصفهم بقوله (كم نقيم على هذا الاثم مع هؤلاء الموالى (الاتراك) لايطئون موطئا الا كتب الخطأ والأثم) والصواب ان نسأل الوزير أن يكتب ارزاقنا الى الثغر[١٥] ، وتم لابن طولون ما اراد ، وخرج الى ثغر طرسوس[١٦] ، وأعجبه المقام بها لما رأى ما الناس عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسر بذلك ، وقام هناك مدة

وأخذ العلم والحديث عن كبار المحدثين فيها ، فظهر فضله ، واشتهر عند الاولياء وتميز عن هؤلاء الأتراك[١٧].

خرج ابن طولون مرارا الى طرسوس ولقي بها شيوخ المحدثين وسمع منهم كما ألف بها جماعة من الزهاد وأهل الدين والورع ، فأدبوه بآدابهم[١٨] فحسنت طريقته ، وظهر فضله على وجوه الأتراك ، وصار موثوقاً عندهم على الاموال والاسرار والفروج ، فخطب الى يارجوخ ابنته خاتون فزوجه اياها وقد قدر لهذا الزواج أن يكون ذا أثر واضح على حياة ابن طولون السياسية ، كما انجب منها ابنه العباس وابنته فاطمة[١٩].

وأهم شيء افاد منه ابن طولون من اقامته بالثغر بالاضافة لتلقيه العلم والأدب ابتعاده عن مجتمع الاتراك في بغداد وسامراء وعن جوهم القاتم الحافل بالمآسي والمؤامرات . وبذلك قضى ابن طولون سنوات شبابه الباكر بعيداً عن ذلك الوسط كله ، وعاد من طرسوس فارسا مكتمل الادوات[٢٠] ، كما تطلع وهو بطرسوس يشارك في جهاد العدو الى السلطة والحكم ، وتعرف عن قرب على بلاد الشام وما كانت تمتاز به من الاهمية ، وربما كانت هذه الأيام الأولى ، موقظاً ومنارا لعمله فيما بعد وتطلعاته القادمة ، وطموحه في ولاية الشام ومصر ، وذلك لما عرف عن هذا الثغر من أهمية عسكرية واستراتيجية تعود لتاريخ طويل[٢١].

ولقد عاش ابن طولون في ثغر طرسوس ، أهم الثغور الاسلامية على الاطلاق ، فهي تقع على الحدود بين آسيا الصغرى وبلاد الشام ، وامتازت بصفات قل أن تتفق لمدينة أخرى ، ففيها انتعشت المدنية الهلنستيه وتعايشت مع الحضارة العربية ، ونتج عن هذا الامتزاج والتعايش نشاط في الحركة العلمية[٢٢] . وكانت هذه المنطقة محط الوافدين من طلبة البحث والتأليف وملاذاً لكثير من فلاسفة الروم (البيزنطيين) الذين جاؤوا اليها فرارا من الاضطهاد الديني الذي ساد أوروبا في العصور الوسطى . كما كان لموقعها في نقطة الالتقاء بين بلاد الروم والثغور الشامية ، واشرافها على الطريق الواصل بين آسيا الصغرى وبلاد الشام ، الاثر في جعلها ذات موقع حربي فريد وهام[٢٣] لذلك يمكن أن نقرر بأن ابن طولون افاد من اقامته في أهم منطقة في مناطق الجهاد من الدولة الاسلامية فوائد

هامة وكبيرة منها الادبية : حيث اشبع رغبته في تلقي العلم والأدب ، والحربية ، اذ أن أهمية طرسوس الحربية كانت ذا أثر فعال في تكوينه تكوينا حربيا ممتازا(٢٤).

كما أعطته الفرصة الكافية للتعرف على البيئة الاجتماعية للمنطقة وعقد الصلات والصداقات ببعض رجالها الذين سيعتمد عليهم فيما بعد لتحقيق اهدافه وتطلعاته في بلاد الشام وتوحيدها مع مصر تحت امرته .

وهكذا نشأ ابن طولون نشأة دينية وعسكرية وأخذ بقسط واف من التدريب العسكري والتمرينات الكثيرة ، التي كفلت له القوة الجسمية ، ونمت عنده الشجاعة والقدرة والاعتماد على النفس اثناء الملمات والاخطار ، وساعدته في التصدي للمصاعب التي اعترضت سبيله . كان لهذه الصفات المكتسبة الأثر الكبير في حياته السياسية واتجاهاته العسكرية ونجاحاته الكبيرة(٢٥).

كما عرف عنه أيضاً تمسكه باصول الدين وولعه بالجهاد والاشمئزاز من تصرفات الاتراك والبعد عن اخلاقياتهم(٢٦) ، ومهدت هذه النشأة الاولى التي ظهر عليها ابن طولون ، له سبيل النجاح والتقدم السريع ، ودفعته لاستلام المناصب العالية ، إذ ماكاد يبلغ العشرين من عمره حتى خطا خطواته الأولى في خضم الحياة السياسية في بغداد وسامراء ، وما أن توفي أبوه سنة ٢٤٠ هـ حتى فوض اليه المتوكل ماكان لأبيه من الاعمال العسكرية المختلفة . وسرعان ما تنقلت به الامور فتولى امرة الثغور ، وامرة دمشق ، ثم ديار مصر(٢٧) . وهكذا دخل ابن طولون في خضم الحياة السياسية والصراعات الكبيرة التي كانت تتلاطم بها أمواج السياسة العباسية في العراق ، ويظهر أنه كان منذ البداية يتمتع باحترام هؤلاء الاتراك ، فاختلط معهم وقادهم ولقي تأييد الجند وزعمائهم من اصدقاء ابيه واصحابه(٢٨) وحظي بثقة البلاط واحترامه أيضاً .

وكما كانت علاقة ابن طولون وطيدة بالخليفة المتوكل ، كذلك كانت علاقته حسنة مع الخليفة المستعين(٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ) . وبدأت صلته بالأخير ، عندما كان ابن طولون عائدا من طرسوس ، وكان الخليفة المستعين مولعا بالطرائف الرومية ، وصدف أن انضمت لابن طولون قافلة تجارية عائدة لبغداد ومن ضمنها متاع

الخليفة الثمين[٢٩] وفي الطريق تعرضت القافلة لقطاع الطرق من الاعراب في منطقة الرّها ، وابدى ابن طولون شجاعة فائقة في التصدي للصوص وخلص القافلة من عبثهم . فما كان من الخليفة بعد ذلك ، الا أن احتفظ له بالجميل ، وبعث اليه بألف دينار . وكان ابن طولون بعد ذلك اذا دخل على الخليفة المستعين أومأ اليه بالسلام محبة وتقديرا[٣٠] ، ثم ازدادت علاقة ابن طولون بالخليفة واعجب به المستعين فاهداه جارية تسمى مياس أنجب منها ابنه خمارويه سنة ٢٥٠هـ ٨٦٤م[٣١] سيشغل هذا الابن دوراً هاماً في السياسة الطولونية وتوطيد حكمها على بلاد الشام ومصر .

ولم يكن من قبيل المصادفات اذاً أن يختار المستعين ابن طولون ليكون رفيقه وحارسه في منفاه بعد أن خاب أمله عند الاتراك وسقطت اسهمه وقرروا الخلاص منه حيث سمحوا له باختيار واسط لتكون مقره ، وابن طولون رفيقه في معتقله . ولا شك بأن هذا الاختيار وقبول الاتراك بابن طولون يعود للثقة التي حصل بها عند الجميع[٣٢].

ولقد أثبت ابن طولون أنه جدير بهذه الثقة ، فعامل الخليفة بالحسنى[٣٣] ، وأخيرا لم يرض ابن طولون أن يدنس يده بقتل المستعين ، عندما اقتضت مصلحة القائمين في بغداد ذلك ، ورفض عروض قبيحة أم الخليفة الجديد المعتز (٢٥٢ ـ٢٥٥هـ) عندما طلبت منه شراء رأس الخليفة المستعين بولاية واسط فكان جوابه (لا أرى الله وانا قد قتلت خليفة بايعته أبدا)[٣٤].

وفي رواية أخرى حزن ابن طولون حزناً شديداً ورد مخاطباً الخلافة على طلبها «لايراني الله عز وجل اقتل خليفة له في رقبتي بيعة وايمان مغلظة ابدا»[٣٥] . وانتهت مأساة الخليفة المستعين بقتله بعد أن أرسل جلاد بني هاشم سعيد بن صالح فقام باستلامه وقطع رأسه[٣٦].

وكان لهذا الموقف الجليل الذي وقفه احمد بن طولون من الخليفة العباسي الاثر العظيم عند الاتراك ، فاعظموا فيه دينه وعقله ، وكبر في نظرهم وباتوا يتطلعون لهذا الشاب ليستلم زعامتهم اذا ساعدته الظروف[٣٧].

كما خرج ابن طولون منتصراً في موقفه هذا ، فهو لم يتدخل في قتل خليفة له بذمته بيعة ، وبذلك ارضى ضميره وسلوكه ، كما أنه لم يجرح الاتراك ، ولا ولاء اصحاب النفوذ في بغداد وسامراء فسلم الخليفة المسكين لمن تولى قتله وهو يدرك مصيره المحتوم . والواقع كان لموقف ابن طولون هذا الاثر الواضح في الرأي العام في بغداد وغيرها ، فقد عظم عنده أن يرى ضابطاً من الاتراك يمتنع عن سفك دم خليفة سابق ويخلع على الخلافة هذه القدسية وهذا الاحترام ، في وقت أهينت فيه الخلافة واهين أهلها المتقلدون لها(٣٨).

٢ ـ استقلال احمد بن طولون في مصر :

على اثر الفتنة التي انتهت بمقتل المستعين واستخلاف القادة الاتراك للمعتز سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م ظهر بايكباك أو باكباك في مقدمة قواد الاتراك مع بغا ووصيف وسيما الطويل(٣٩) ، وتقاسم هؤلاء الأعمال والنواحي فاقطع المعتز باكباك اعمال مصر ونواحيها .

وآثر باكباك كالعادة البقاء في الحضرة قريباً من مركز السلطة خوفا من العزل والتشريد ، وطلبا لما تجود به العاصمة من الرفاه والنعيم(٤٠) واستشار باكباك اصحابه فيمن ينيبه أمر مصر ، ولم يطل به التفكير فاختير لهذا المنصب احمد بن طولون لما عرف عنه من حسن السيرة(٤١) ، ولقرابة كانت تجمعه بالقائد التركي باكباك فهو زوج أمه(٤٢) .

سار ابن طولون على رأس جيش الى مصر يرافقه احمد بن محمد الواسطى فدخلها في (٢٣ رمضان سنة ٢٥٤هـ ـ ١٥سبتمبر ٨٦٨م) متقلدا على حاضرتها (الفسطاط) دون غيرها(٤٣).

كانت السياسة السائدة آنذاك أن لايتولى مصر شخص واحد ، وانما كانت السلطة في هذا الاقليم موزعة على عدة قوى لتكون كل قوة عينا ورقيباً على الاخرى(٤٤) .

وعندما دخل ابن طولون مصر كانت الزعامة فيها موزعة على قوى مختلفة منها ، عامل الخراج ، ابن المدبر ، وكانت سيرته في مصر سيئة جداً ، حيث عامل

اهلها بالشدة والقسوة[45] . وعامل البريد شقير الخادم غلام قبيحة ام المعتز ، يراقب التصرفات ويعلم الخلافة بكل كبيرة وصغيرة ، وهو دائما يعمل للدس بين هذه القوى ، وقد شغل الدور نفسه بين ابن المدبر وابن طولون . وكان على القضاء بكار بن قتيبة . وعلى الاسكندرية اسحاق ابن دنيار . وعلى برقة احمد بن عيسى الصعيدي[46] .

وما ان وصل ابن طولون مصر ، حتى اصطدمت مصالحه مع هذه القوى فساءت علاقته مع ابن المدبر الذي قدم له هدية تقدر بعشرة آلاف دينار بقصد استمالة عواطفه[47] . غير ان ابن المدبر اخطأ الهدف ، فابن طولون دخل مصر وتطلعاته لايمكن أن تقف عند حد ، فرد الهدية . وتنبه ابن المدبر منذ اللحظة الاولى لاتساع آمال ابن طولون فكتب للخليفة مبينا ان مثل هذا الرجل يجب ألا يكون بعيداً عن الحضرة وأوضح ان ابن طولون لايؤتمن على ولاية مصر ولا على طرف من الاطراف[48] واتهمه بانه جاد في الاستقلال بمصر[49] .

وعمل ابن طولون منذ دخوله مصر على التقليل من هيبة خصمه ابن المدبر امام الشعب المصري ، فكانت الخطوة التالية طلبه المائة غلام من مولدي الغور[50] من ابن المدبر وهم اذ ذاك مصدر هيبته وبأسه فقال ابن المدبر هذه أخرى قد ظهرت من هذا الرجل كيف آمنه اذا كان يرد الاعراض والاموال ويستهدي الرجال[51] ، ولم يجد ابن المدبر بدا من تلبية الطلب ، لكنه زاد حنقا ووشاية ضده لدى الخلافة في بغداد[52] .

وهكذا بدأت حلقة طويلة من الصراع بين ابن المدبر وابن طولون وأدرك هذا أن استمراره في ولاية مصر مرهون برضى القوى المسيطرة في بغداد وسامراء ومدى دعمها له ، ولذلك عمل منذ اللحظة الاولى على ايجاد قوة هناك تقف الى جانبه وتدعمه في تحقيق تطلعاته ، وبالفعل كانت هذه القوى عونا له لا على القضاء على ابن المدبر هذا ، بل مكنته وساعدته في التصدي لاكبر قوة في الحضرة وهي قوة الموفق الذي تزعم واستبد بالسلطة في بغداد .

وتمكن ابن طولون من استمالة بعض التجار في مصر والعراق[53] وعمل بوساطة هؤلاء وغيرهم بتقديم العطاء والهدايا وكسب الضمائر في البلاط العباسي ،

واسرف بهذا الامر ، فعملت هذه السياسة فعلها لصالحه ومكنته من الاستمرار في مصر برغم كثرة الوشاة والكتب المتلاحقة من ابن المدبر وشقير الحاجب عامل البريد[٥٤] ، وكانت سياسته هذه دعماً آخر له اضافة لدعم علاقته وصلاته الطيبة مع بعض القادة الاتراك المتسلطين على الخلافة كباكباك ويارجوخ من بعده .

ووصل ابن طولون الى الوزير الحسن بن مخلد بوساطة أنصاره واجزل له العطاء فأرسل له صورا عن الكتب التي كان ابن المدبر وابن شقير يرسلانها ضده[٥٥] وبهذا وقف ابن طولون على حقيقة اعدائه ، فأمر باستدعاء شقير الخادم عامل البريد واعتقاله ، ويظهر ان هذا الرجل انهارت قواه منذ البداية ، ومات من هول المفاجأة ، وبذلك تخلص ابن طولون من أكبر عين رقيبة عليه[٥٦] ، ورغم دفاع ابن سعيد والبلوى عن ابن طولون ، لابد أنه كان لشرطته الدور المباشر في هذه الوفاة ، فلا يستبعد ان تكون شرطته قد ضربته فمات على اثر ذلك[٥٧].

ولم يتوان ابن طولون لحظة في التخلص من ابن المدبر لشعوره بخطره عليه ولوقوفه امام تحقيق مشاريعه الكبرى في مصر ، لذلك عمل على ازاحته واستلام خراج البلاد ، فكاتب الخليفة المهدي (٢٥٦هـ) يسأله صرف ابن المدبر عن خراج مصر ، وتعيين محمد بن هلال احد اصدقائه ، وكان باكباك الغالب على أمر الخلافة ، فأجيب ابن طولون الى طلبه[٥٨] .

وتلكأ ابن المدبر في تسليم مابيده من الاعمال ، ورأى ابن طولون ذلك فرصة لاعتقاله وتعذيبه واودعه السجن ، حيث ظل الى ان ولي المعتمد الخلافة ، بعد مقتل المهدي في ١٣ رجب سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م ، حيث أمر باعادته الى عمله[٥٩] .

وفي هذه الفترة من الصراع قتل باكباك . وظهر القائد التركي يارجوخ على مسرح السلطة في سامراء وهو ختن احمد بن طولون فتدعم موقف احمد بهذا القائد الجديد الذي ولي امرة مصر ، فكتب اليه (تسلم من نفسك لنفسك)[٦٠] وبهذا أشارة واضحة لتسليمه مصر كلها لابن طولون ، ورغم عودة ابن المدبر لخراج مصر ، ومع أنه تعايش بهذه الفترة مع ابن طولون الا أنه بقي محدود السلطة معه

الأمر ، الذي أطلق له العنان بمصر وزاد نفوذه ، فكتب ابن المدبر الى اخيه ابراهيم في بغداد ، وكان على خراج الاهواز[٦١] ونجحت مساعيه لدى الخلافة العباسية في توليه خراج مصر وفلسطين وخرج من مصر لاستلام عمله الجديد في سنة ٢٥٨هـ بعد أن تلطف لابن طولون ووهب له ضياعه في مصر وزوج احدى بناته لابنه ابي الجيش ، وخرج ابن طولون في وداعه من مصر[٦٢] .

ورغم هذا التقارب لم ينس ابن المدبر ماحل له في مصر على يد ابن طولون ، فما أن وصل دار الخلافة حتى بدأ بالكيد لابن طولون ، وانضم الى القوى الكثيرة في بلاد الشام ، والتي عملت ضده واستغلها الموفق اكبر استغلال كما سنرى[٦٣] .

وسار ابن طولون بخطى وطيدة لاستلام كافة الامور في مصر ، فعندما ورد كتاب يارجوخ اليه بتسلم الاعمال الخارجة عن يده من ارض مصر ، خرج ابن طولون على رأس قوة الى الاسكندرية واستخلف على الفسطاط (طغلغ) وجعل على شرطتها طخشي بن يلبرد ، ولما وصل الاسكندرية في رمضان سنة ٢٥٧هـ أحسن اسحاق بن دينار استقباله فأقره عليها ، كما انه استلم من احمد بن عيسى الصعيدي برقه[٦٤].

ونظم ابن طولون أمور البلاد وبدأت مرحلة جديدة في تاريخه بمصر . ففي عام ٢٥٩هـ مات يارجوخ صاحب اقطاع مصر الذي كان ابن طولون يحكمها نيابة عنه ، ويدعو له على منابرها بعد الخليفة ، فتوطدت سلطته في هذه البلاد حيث اصبح واليا عليها من قبل الخليفة مباشرة[٦٥].

وفي سنة ٢٦٣هـ ورد كتاب المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) الى احمد ابن طولون يطلب منه ارسال الخراج . فرد عليه ابن طولون قائلاً : «لست اطيق ذلك والخراج بيد غيري» فما كان من المعتمد عندئذ الا ان قلده خراج مصر ، وولاه امرة الثغور الشامية على اثر اضطرابها وسوء الادارة فيها[٦٦].

فأقر ابن طولون احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليها ، وبذلك اصبح ابن طولون سيد البلاد المصرية والمشرف العام على جميع اعمالها

العسكرية والادارية والقضائية والمالية(٦٧) ، وقام بضرب الدينار الاحمدي رمزا لهذا الاستقلال .

ولايسعنا عند استعراض اهم احداث ابن طولون في مصر وشروعه في الاستقلال فيها ، الا ان نشير للاعمال العمرانية الكبيرة التي اشادها ، فهي شاهد كبير على مدى اهتمامه بمصر واستكمال شرعيته عليها ، فتطلع لان يكون هذا البلد مركزا لحكمه لذلك هدف الى اظهاره واخذ يعمل جادا للارتقاء بالفسطاط ليضاهي بها مركز الخلافة في بغداد . ففي سنة ٢٥٧هـ - ٨٧٠م قام ابن طولون واختار المكان الواقع الى اقصى الشمال الشرقي من العسكر بين جبل يشكر وسفح المقطم قرب دار الامارة واسس ضاحية جديدة تسمى القطائع على مساحة قدرت ميل في ميل ، وقد اشتملت المدينة الجديدة على منازل واسواق ، وحمامات ودواوين للحكومة(٦٨) .

وفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م أتم ابن طولون بناء مسجده ، الذي كان قد بدأ في بنائه في صفر سنة ٢٥٩هـ(٦٩) وقد انفق* ابن طولون على بناء هذا الجامع مائة وعشرين الف دينار، مما دفع الكثيرين للقول بأنه عثر على كنز به مليون دينار وهو يحفر فيه(٧٠) . كما اقام بجواره بناء دعاه «دار الامارة» يستطرق الى الجامع من نافذة في جداره القبلي بجوار المحراب والمنبر(٧١) .

وفي السنة نفسها (٢٥٩هـ) أمر ابن طولون ببناء المارستان للمرضى كان يحضر اليها كل يوم جمعة طبيب يعالج الفقراء مجانا(٧٢) ، واشترط أن لايعالج به جندي او مملوك حتى يكون خالصا لعامة الشعب(٧٣) . وانفق على بنائه ٦٠،٠٠٠ دينار غير نفقته اليومية ، ويعتبر اول مشفى عام في مصر العربية الاسلامية ، وكان مقسما اقساما بحسب الامراض ، وفيه الأطباء والكحالون والممرضون وكانت الادوية والاغذية تصرف للمرضى مجانا(٧٤) .

أما قصره الجديد الذي اتقن بناءه فقد أشاده تحت قبة الهواء القديمة وجعل له حديقة غناء وميدانا فسيحا لعرض العساكر والضرب فيه بالصوالجة ، وقد اقام القادة والضباط دورهم حول هذا القصر ، وانشأ هذا القصر الكبير على طراز قصور خلفاء بغداد ، واقام فيه المظلات وكلفه ذلك ٥٠،٠٠٠ دينار(٧٥) .

وهكذا نهض ابن طولون في مصر وسار قدما في بناء هذا الاقليم ، كما قضى على كافة القوى والحركات واخمد كل تمرد فيها . ويجدر بنا أن نشير أنه لم يخل قطر من حركات وتمردات داخلية اتخذت صبغة دينية في اكثر الاحيان ، وذلك نتيجة طبيعية لسوء الادارة والسياسة بهذه الفترة ، ولقد تصدى ابن طولون لحركتين من هذا القبيل ، فمنذ السنين الاولى لدخوله مصر خرج عليه بغا الاصغر(٧٦) (وهو احمد بن حمد ابن عبد الله بن طباطبا) فيما بين برقه والاسكندرية فتصدت له الجيوش الطولونية وقتلته وحُمل رأسه إلىٰ مصر سنة ٢٥٥هـ(٧٧) ، ولم تستقر الامور في منطقة برقة والجبهة الغربية الا بعد ان قام ابن طولون بارسال الجيوش البرية مدعمة بالاسطول البحري في القضاء على كافة المتمردين والخارجين ، وقد اشترك في هذه الحملة اكفأ قادة ابن طولون كأبي الاسود الغطريف ، ويزبك الفرغاني ، وغلامه لؤلؤ حتى استقام له الامر وامن حدود جبهته الغربية(٧٨) ، كما تصدى ابن طولون لحركة شيعية ثانية قادها ابن الصوفي العلوي(٧٩) قبل وصول ابن طولون الى مصر وهو ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن ابي طالب ، وسار هذا في صعيد مصر ، وتمكنت القوات الطولونية من اخراجه نهائيا من هذه المنطقة الى عيذاب ثم فر الى الحجاز، ولاحقت القوات الطولونية احد اتباعه وهو اباروح فيما بعد وقضت عليه(٨٠).

ورغم ان حركة العمري(٨١) في الصعيد الاقصى ، لم تكن موجهة مباشرة ضد الطولونيين ، وانما قامت ضد البجة(٨٢) ، الا ان احمد ابن طولون لم يكن يقبل بوجود اي قوة مهما كان نوعها ، ويمكن ان تشغل اي دور منافس لسلطته ولوجوده الشخصي في مصر ، وانتهت حركة العمري بقتله(٨٣) ، وبذلك استقامت الجبهة الداخلية لابن طولون .

وكان لهذه الحروب التي خاضتها الجيوش الطولونية ضد هؤلاء المتمردين في مصر الاثر الكبير على شخصية ابن طولون واظهاره كزعيم بارز على مسرح الاحداث السياسية في مصر وخارجها ، كقائد حازم وسياسي محنك ، كما أن الجيش الطولوني الفتي اكتسب خبرة قتالية وكفاءة عسكرية لعبت دورها في ميادين اخرى استغلها ابن طولون في مشاريعه التوسعية في بلاد الشام والثغور فيما بعد ،

ومهد بذلك لعمله الاستقلالي(٨٤) فاصبح يحكم مصر مباشرة فهو واليها الشرعي اعتبارا من سنة ٢٥٩هـ بعد موت يارجوخ ويدعى له على منابرها بعد الخليفة فتوطدت قدماه في هذا البلد واصبح السيد المؤتمن على الصلات والخراج والشرطة والقضاء والاقاليم(٨٥) وأخذ على عاتقه نشر الامن والاستقرار ، فضرب كل خارج على حكمه وأنزل به أشد العقوبة حتى على اقرب الناس اليه ، ومن أجل السيطرة على الامن اكثر من الشرطة لاقامة العدل وتوطيد الامن بين الناس(٨٦) . وتشدد في فرض الامن والنظام حتى قيل ان من قتل صبرا او مات في سجنه يزيد على ١٨ الف رجل ، وزاد المراقبة على القادة والغلمان(٨٧).

ولم يكن ابن طولون الا العسكري الطموح الذي يعرف دور الجيش واثره في تحقيق مايصبو اليه لذلك نراه منذ اللحظات الاولى يعمل جادا لايجاد جيش مدرب اهتم به ابن طولون وتلطف بافراده واعطاهم حبه ودعمه واهتم بمشاكلهم الخاصة(٨٨) ، ولم يترك فرصة الا واستغلها للاكثار من هذا الجند الذي اصبح عدده يقدر في عهده بمائة الف مقاتل يتألفون من عناصر مختلفة من السودان والاغريق والترك ، والعرب(٨٩) ، وزاد هذا الجيش في عهد ابنه خمارويه حتى بلغ ٤٠٠ر٠٠٠ مقاتل ، وكان ينفق عليه سنويا تسعمائة الف دينار(٩٠) ، وكان لهذا الجيش الدور الكبير والفعال في فرض الوجود الطولوني وايجاد الدولة الطولونية وتصديها لكافة الصعوبات التي واجهتها داخليا وخارجيا ، كما كان أيضاً عامل ضغط على الخلافة العباسية فهابتهم واعترفت بوجودهم في مصر والشام، كما كان لهذا الجيش الدور الفعال في دفع ابن طولون للتوسع والبحث عن مجال حيوي يحقق لافراده رغباتهم وابعادهم عن صراعاتهم . والقيام بالفوضى والاضطرابات والمشاكل الداخلية ، ولذلك نراه يتبنى فكرة التوسع.

ولهذا وجه ابن طولون قوته الى المتنفس الطبيعي لها فاتجه الى بلاد الشام واعلن الجهاد ضد العدو البيزنطي واتخذ من الثغور الشامية نقطة عبور للأطباق على بلاد الشام ولاقت دعوته هذه نجاحاً كبيراً وحقق وحدة القطرين مصر والشام وبذل مابوسعه دفاعا عن هذه الاهداف(٩١).

٣ ـ ولاية أحمد بن طولون على بلاد الشام والثغور :

آ ـ تطلع ابن طولون نحو الشام والعوامل التي ساعدته :

يمكن ان نرد اطماع ابن طولون وتطلعاته لبلاد الشام للفترة السابقة لتوليه على مصر سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م . وبالتحديد للايام التي قضاها ابن طولون في اهم ثغر من ثغورها وهو ثغر طرسوس ، وقد رأينا ما كان لطرسوس من اهمية عسكرية ودينية ، وما كان لهذا الثغر من اثر على نشأة هذا الشاب الطموح وتكوينه وعلى مستقبل حياته السياسية والعسكرية(٩٢) ولا يمكن ان نرد رغبة ابن طولون في الابتعاد عن الاتراك وسامراء ، وطلبه اللجوء الى الثغور(٩٣) الى مجرد شعور ديني فقط وحب في الجهاد ، اذ لا يمكننا ان نجرده من مطامحه الشخصية التي عمل على الوصول اليها بطرق مختلفة(٩٤) ووفق الظروف المناسبة .

ويمكن أن نقرر بأن هذه البيئة الجديدة ذات الموقع الهام العلمي والعسكري ، نمت عنده طموحاته وايقظت عواطفه الكامنة في نفسه حيث تفتحت آماله لتحقيق اكبر وأول عمل في تاريخ مصر العربية الاسلامية ، الا وهو الاستقلال بهذا القطر واستغلال ظروفه الخاصة الى حد بعيد ، وايجاد اول دولة في تاريخ العرب والاسلام تضم اهم اقليمين من أقاليم الدولة العربية العباسية(٩٥) .

لم يكد ابن طولون يصل ارض مصر سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م ، وهو اذذاك نائب عليها ، خلفا للقائد التركي باكباك ، ثم ليارجوخ من بعده ، حتى اتته فرصة مواتية للتدخل في بلاد الشام ، وتفتح آماله افاقا جديدة حين ثار ابن الشيخ في فلسطين والأردن(٩٦) متمرداً على سلطة الخلافة ، ولم يجد الخليفة العباسي بداً من الطلب لابن طولون للتصدي لهذا الخارج الذي طمع بالشام ومصر أيضاً .

واذا كانت جهود ابن طولون لم تكلل بالنجاح في هذه المناسبة نظرا لتدخل الوشاة ضده ، فان هذه الحركة نبهته لاهمية بلاد الشام ، وما يمكن أن يأتيه منها ، ومدى تأثيرها السياسي والعسكري على مشاريعه في مصر . كما أنها أفادته بأن هيأت له الجو الملائم لتشكيل وحدة عسكرية مقاتلة ، حيث استغل هذه الحركة

أبعد استغلال ، وأكثر من الجند مما جعل أعداءه يرتابون منه منذ اللحظة الاولى[٩٧] .

وبعد أن مهدت الظروف لابن طولون أن يستقل في مصر ، ويؤسس دولته فيها . لم يكن ليقبل هذا الطامح بحدود مصر الاقليمية بعد أن تمكن من مصر واتخذها قاعدة لتحقيق آماله فاتجه غربا الى برقة وكان عليه أن يتسع شرقا في بلاد الشام[٩٨] قاصدا الوصول الى حدود العراق ، ومتاخماً للبيزنطيين .

وهو ان اتبع سياسة هادفة معينة[٩٩] اعتمدها لتحقيق تطلعاته في بلاد الشام ، الا ان هناك اعتبارات كثيرة وهامة لعبت دورها الفعال في هذه السياسة وتحقيق هذه الآمال ، منها :

أولاً : الضرورات العسكرية والاستراتيجية، والدفاع عن نفوذه وأمن دولته في مصر نفسها[١٠٠] فرض عليه ان يسلك سلوكا معينا ويتجه الى بلاد الشام المتاخمة والمتصلة لأرض مصر، هذه الضرورة العسكرية فرضت وجودها خلال مراحل التاريخ القديم والوسيط والحديث[١٠١] ، حيث اعتبرت الشام مفتاح مصر وأمن الشام من أمن مصر . ولهذا عمل ابن طولون لضم بلاد الشام واعتبارها خط دفاعه الاول عن سلطته في مصر[١٠٢] . وبذلك يكون قد مهد لمن جاء بعده من الاخشيديين والفاطميين وغيرهم وسبقهم جميعا من جوهر الصقلي الى محمد علي باشا . وهو في سبيل حماية حدوده الشرقية لم يكتف بالدفاع بوسائله المختلفة ، انما اعتبر ابن طولون ومن جاء بعده، وخاصة ابنه خمارويه، الهجوم في أكثر الأحيان أحسن وسائل الدفاع[١٠٣] ، لهذا كان ابن طولون ينتظر الفرصة المواتية متأهبا لاخضاع الشام ، ووضعها تحت نفوذه وسلطانه ، ولم يتوان لحظة واحدة في سبيل هذا الهدف[١٠٤] .

ثانياً : أهمية بلاد الشام الاقتصادية بالنسبة لمصر وحاجتها لخيراتها وبعض موادها الأولية وخاصة الأخشاب لصناعة السفن بالاضافة لبعض الموارد الأخرى الكثيرة التي يحتاجها ابن طولون في مشروعه التوسعي ودولته المستقلة .

ثالثا : رأى ابن طولون ان قيام دولته في مصر وتطلعه نحو الشام وايجاد قوة شبه مستقلة له في مصر لا يمكن ان ينظر اليها بعين الرضى والارتياح من أصحاب النفوذ في بغداد ، وان يقفوا منه الموقف اللامبالي . ولهذا رأى بالضرورة ان يكون قريباً من مركز الخلافة العباسية ومسرح الأحداث فيها[١٠٥]، مشاركاً في الصراع، مؤثراً في الاتجاه في بغداد تمهيداً للقيام بدور بارز في الحياة الاسلامية المعاصرة[١٠٦] ، ولهذا نراه يزج نفسه في الصراعات في بلاد الشام في وقت كانت تنقصه القوة العسكرية اثناء ثورة - ابن الشيخ - الذي رأى هذا ان أمنه ومصلحته تفرض عليه ان يتطلع الى مصر[١٠٧] ، ولم تكن احلامه باقل من احلام ابن طولون بالشام ، ولذا كانت غاية ابن طولون وامنيته ان ينهي هذه الحركة المجاورة والمزعجة له .

رابعا : أدرك ابن طولون وخلفاؤه ، ان الخطر الذي سيهدد وجودهم وقوتهم في مصر لابد أنه آت من بلاد الشام سواء أكان من الروم في الشمال والشرق (الذين ناصبوا الدولة الاسلامة العداء التقليدي منذ ان تم للعرب المسلمين فتح الشام ومصر هذا العداء ادخل المنطقة كلها في حلبة الصراع المستمر مع هؤلاء الروم الذين كانوا حربا لكل قوة متحدة في المنطقة)[١٠٨] من جهة ومن ناحية أخرى كانوا ينتظرون اللحظات المواتية للانقضاض على ممتلكات الدولة العباسية متى دب الوهن فيها[١٠٩] . أو كان هذا الخطر من بلاد الشام نفسها فهي منطقة من اهم اقاليم الخلافة العباسية ثورات وغليانا وموقع خصب لكل طامح او ثائر ، هذا الوضع التي كانت عليه هذه البلاد ابان الفترة الطولونية مصدر قلق لكل سياسة استقلالية في مصر ، كما أن الخلافة العباسية استغلته الى حد بعيد في صراعها ضد النفوذ الطولوني في مصر[١١٠] وهذا ما حدث فعلا كما سنرى ، فقد كانت الخلافة توعز لجميع العناصر في الشام للتصدي للطولونيين ، ولم تزل تعمل حتى تمكنت في عام ٢٩٢ هـ من انهائهم عن مسرح الاحداث[١١١] في مصر والشام .

وبالفعل لقد تحققت ظنون الطولونيين وأحاسيسهم من انبعاث الخطر على دولتهم من الشام وظهرت فتن في الشام هزت كيانهم منذ بداية عهدهم فما ان اختفى ابن عيسى الشيخ من على المسرح السياسي في بلاد الشام حتى ظهر طامع

جديد ظهر على اشلاء ابن الشيخ وهو اماجور التركي وهو الذي كلف بالقضاء على حركة ابن الشيخ(١١٢) ، فلقد تطلع هذا لاقصاء ابن طولون عن بلاد الشام والثغور ، بل كان يتوق لضم مصر نفسها(١١٣) ، ولولا القوة الكبيرة لابن طولون لطويت صفحتهم في مهدها أمام أطماع هذا القائد التركي الجديد في بلاد الشام ، لكنه راح يطوي آثار خيبته في السيطرة على بلاد الشام والقضاء على الطولونيين في مصر . ولذلك عمل ابن طولون وابنه خمارويه من بعده طيلة حياته لتدعيم سياسته في بلاد الشام والدفاع عن ثغورها ، وقضى هذا حياته في الدفاع عن مصالحه فيها حتى اعتبر ابن طولون شهيد الدفاع عن المصالح الطولونية في بلاد الشام والثغور(١١٤) .

ولهذا كان على الطولونيين ان يعملوا منذ الأيام الاولى لحماية دولتهم والصمود في وجه الخلافة العباسية من السيطرة الفعلية هناك . وبذلك دخل هؤلاء في صراع مستمر مع القوى المسيطرة على الخلافة طيلة الحكم الطولوني ، ولم ينته الا بانتهاء هذه الدولة الفتية(١١٥) .

خامسا : لا بد لكل دولة او حركة في التاريخ من مقومات تستند عليها وتستمر بوجودها وقوتها من اداة واهداف ومبادىء ، واذا كان أحمد بن طولون حقق الاداة في مصر بايجاد اول قوة عسكرية قوية في مصر الاسلامية(١١٦) ، وسار على خطى وطيدة لتحقيق دولته في مصر والشام والثغور ورسم طريق عمله في مصر ، فكيف له ان لا يتذكر الثغور الاسلامية ومبدأ الدفاع عنها والجهاد في سبيلها وهي المعيار السليم لتقييم كل حركة او دولة في العالم الاسلامي ، وكسب تأييد رأيه العام هذه السياسة التي سيقتفي أثرها كل من سيأتي بعده على مسرح الاحداث السياسة في مصر والشام من الاخشيديين والحمدانيين ثم الفاطميين(١١٧) .

ولقد كانت هذه الغاية أجل ما يطلبه ابن طولون وأفضل ما يصبو اليه ، هذا اذا لم نقل ان ابن طولون كان متأثرا بذكريات شبابه الاولى في هذه الثغور(١١٨) .

ولقد تحققت آمال ابن طولون فتولى امر الثغور الشامية في الوقت الذي اكتمل سلطانه على مصر وتولى امر الخراج في سنة ٢٦٣ هـ(١١٩) حيث اتبع الخليفة

العباسي لابن طولون امر خراج الثغور الشامية(١٢٠) وبهذا أصبح ابن طولون من أهم العاملين في رسم السياسة في بلاد الشام والمقررين لمصير هذا الاقليم الهام ، وأدرك قيمة الخطر الذي يمكن أن يأتي له من هذه المنطقة اذ لم تكن سيادته عليها كاملة . ولم يكن ابن طولون مخطئاً عندما قرر هذا المبدأ فقد نبعت قوة الطولونيين في عهده وعهد ابنه خمارويه من وحدة مصر والشام(١٢١) تلك الوحدة التي مكنتهم من حماية وضعهم الداخلي في كلا القطرين وضرب كافة القوى الخارجة على سلطتهم ، ومهدت لهم الوقوف والصمود لتحديات الخلافة العباسية والصراع معها والتي امتدت الى خارج حدود الشام ومصر حيث وصلت مكة(١٢٢) وغيرها ، وانفذ كل من الموفق وابن طولون كل ما في جعبته .

هذا من جهة ومن ناحية اخرى ، فقد كان لوحدة القطرين نتيجتها الحاسمة في ايجاد جبهة قوية متحدة تحت سيطرة الطولونيين وقفت وقفة مشرفة ضد الروم وقامت بحلقة من حلقات الجهاد ضدهم(١٢٣) وأرغمت هؤلاء على طلب الهدنة والتخوف من الطولونيين في وقت كانت الخلافة تئن تحت ضربات صاحب الزنج وحركته(١٢٤) . وكما كانت وحدة القطرين عاملاً قوياً للدولة الطولونية كان انفصال الشام عنها عامل ضعف(١٢٥) للطولونيين وسقوطهم كما سنرى . وكما ستؤيده الأحداث التاريخية المتلاحقة .

كلمة أخيرة نقولها ، كان لا بد لابن طولون وهو يعمل جادا لحكم مصر ان يتوج سلطته بضم بلاد الشام وبخاصة دمشق لمركزها الاستراتيجي الهام في الدولة العربية الاسلامية ، لكي يستطيع أن يتخذها مقراً وقاعدة يوجه منها أعماله ضد السياسة في بغداد من جهة ونقطة لانطلاق حملاته العسكرية ضد الروم من جهة أخرى .

ب ـ ابن طولون يحقق سيطرته على بلاد الشام :

كانت هناك عوامل كثيرة رافقت نجاح ابن طولون في طموحاته واحتلاله لبلاد الشام ، ولعبت دورا بارزا لتحقيق سياسته الاستقلالية الهادفة لجعل مصر قاعدة انطلاق لاطماعه التوسعية في بلاد الشام والثغور ، والدخول في الصراعات السياسية في العراق وتسييرها لصالحه ، وفق اهدافه ورغباته قدر المستطاع ، فهو

لا يقل عن موسى بن بغا ، وابن كنداج وغيرهم ممن لهم اليد الطولى في تحريك السياسة العامة في بغداد .

وكانت حالة الخلافة العباسية في هذه الفترة ومن ثم الاوضاع السياسية والاقتصادية لبلاد الشام ومصر وغيرهما من العوامل المشجعة لبعث روح التمرد والاستقلال وبروز موجة السخط وظهور بعض النزعات الاقليمية في العالم الاسلامي(١٢٧) كما أنه لا يفوتنا أن نتذكر وندرك ان بلاد الشام كانت في عداء تقليدي للعباسيين وكان الشاميون يعلقون الآمال لعودة الامويين الى الحكم(١٢٨) ، فلم تنقطع ثورات مدن الشام المختلفة .

ولم يتمكن الولاة العباسيون من زرع روح الثقة عند عامة الشعب في بلاد الشام والسيطرة على سكان المدن ، كما لم يتمكن هؤلاء من اقامة الوفاق بين القبائل العربية في الشام أيضا وكان لذلك نتائج بارزة على مسيرة الاحداث في بلاد الشام عامة . وهكذا بقيت هذه البلاد تحركها ثورات مختلفة وحركات تمرد كثيرة(١٢٩) قبيل الفترة الطولونية ، وبقيتْ كذلك الى أن قدر لابن طولون الاستقلال بمصر ثم التطلع لضم بلاد الشام ، ولقد كان لهذا الوضع الاثر الواضح في نجاح ابن طولون بالشام ، اذ لم يتعرض اثناء فتحه لأمهات المدن لمقاومة كبيرة تذكر اللهم إلا في انطاكية على يد متمرد طامع بالاستقلال نظيره وهو سيما الطويل(١٣٠) بالاضافة لما سبق يمكن ان نجد عوامل مباشرة كثيرة لعبت هي الاخرى الدور الهام والمساعد في نجاح الطولونيين وسيطرتهم على هذه البلاد منها :

أولا : حركة الزنج ، وغيرها من الثورات الاخرى التي انهكت الخلافة العباسية واظهرتها بمظهر الضعيف امام حكام الولايات والاقاليم فاعلنوا العصيان والتمرد(١٣١) .

ثانيا : التحركات البيزنطية والضغط على الثغور الاسلامية في الشام وخاصة بعد خلافة المتوكل العباسي(١٣٢)، ففي هذه الفترة وقبيل الحملة الطولونية عجزت قوات الخلافة عن التصدي للهجمات البيزنطية في الثغور الشامية وسقطت اهم الحصون في سنة ٢٦٣ وهو حصن اللؤلؤ نتيجة لضعف السلطة ، ولسوء ادارة الولاة فيها ، ولم تجد سياسة الموفق العدائية ضد ابن طولون ، وظهر واضحا ان

الثغور لن تستقر ، ولن يقدر احد على حمايتها الا حارسها وحاميها ابن طولون[١٣٣] .

فما كان من الخليفة المعتمد الا ان اعادها له[١٣٤] ، وتم لابن طولون ما كان يتمناه ويصبو اليه دائما وارسل لهذه الثغور نائبه وهو طخشي بن يلبرد وأوصاه بحسن معاملة الأهالي والتلطف بهم بهذه المنطقة العزيزة عليه والهامة أيضا[١٣٥] .

ثالثا : عوامل تعود لابن طولون نفسه وهي ظهوره كأقوى قوة في المنطقة حيث أصبح يضم تحت سلطته جيشا جرارا قدر بمائة الف عنان من الاتراك والسودانيين، ومن العرب فقد استخدم منهم نحو من ٧٠٠٠ من المطوعة[١٣٦] وبعد ان تمكن ابن طولون من الاستقلال بمصر وضم برقة من جهة الغرب ، وامن حدود دولته هناك ، اتجه بحكم الضرورة الى الشرق وهي المنطقة المفتوحة امامه والمجال الحيوي لقيام دولته فحدوده الجنوبية كانت دائما تتلقى ضربات النوبيين الذين ظلوا مصدر قلق وازعاج له ، ولولا تصديه لهم بقوة وحملات موفقة لما توانوا لحظة في السيطرة على كافة اقليم الصعيد واستطاع بذلك أن يوقف تقدمهم عن بلاده مستخدماً معهم اسلوب الدفاع[١٣٧] .

لذلك كانت الضرورات تفرض عليه ان يتابع توسعاته ويبحث عن مجال حيوي يشبع رغبات عساكره ، ويشغلها بالفتوحات ومتابعة النصر ويؤمن مصالحه . وهو بذلك أيضا يأمن على نفسه فلا يعطى لهذا الجيش المتنافر التشكيل فرصة الانشغال بمشاكله الداخلية، ولذلك عزم على التوجه لهذه المنطقة وأعلن أنه قائم على الجهاد ومصمم على تحقيق النصر على البيزنطيين[١٣٨] ، وضرب الخطر الذي كان سيهدد دولته من جهة الشام ولهذا اتجه نحوها وتطلع لمد سيطرته عليها . وتبني ابن طولون لمبدأ الجهاد ينم عن شخصيته ومحاولته استغلال شعور المسلمين ويعطينا فكرة عن سمة العصر الذي نشأ فيه هذا القائد الطموح حيث عرف رغبات الناس وتبنى أحلامهم وقيمهم . فاعلانه الجهاد في الثغور اعطاه تعاطف الناس لما لهذه الفكرة من قدسية ، وقدمت له الدعم في طلب المتطوعين الكثيرين الذين انضموا تحت لوائه ، فما ان وصل فلسطين حتى جاءته الوفود الكثيرة منهم[١٣٩]، وبذلك تمكن من صبغ حملته لبلاد الشام لبوساً دينية وحرص على

ان تكون المصالح العامة في مقدمة سياسته في بلاد الشام وبذلك اكتسب ود الاهالي منذ اللحظات الاولى ، وتقدمت الوفود الشعبية في مدن بلاد الشام لاستقباله يتقدمهم حكام هذه المدن معلنة رضاها ، ومطالبة بتنفيذ مصالحها واصلاح أحوالها(١٤٠) .

ثم ان اعلانه هذا المبدأ ، فيه تجريد لاعدائه من أكبر سلاح بأيديهم ضده ، فقد وضع من يتصدى له في موضع التهمة والعمل لصالح الاعداء ، هذا اذا أضفنا انه لم يحرك ساكنا الا بعد ان حصل ـ من الخليفة العباسي المعتمد بفضل علاقته الحسنة معه ، وبغمرة صراعه مع الموفق ـ على تقليد الخلافة له لبلاد الشام بالاضافة لثغورها(١٤١) .

وهكذا تحقق لابن طولون حرصه على ان لا يظهر بمظهر المعتدي فكسب بذلك ود الجماهير حيث لم يدخر وسعا للعمل على رضاها وبهذا دليل على سعة اطلاعه ، وكان لسياسته هذه اثرها العملي على استمراريته ونمو دولته وطوع هذه الجماهير للعمل لمصالحه وأهدافه(١٤٢) .

ولم يكن ابن طولون يتسرع الامور ، فهو لم يكن يقدم على خطوة الا بعد ان يثق بنجاحها ، وينتظر الفرص المواتية والضامنة لتحقيق النصر فقبيل حملته على الشام زال من طريقه اعداء كبار كان لهم دور هام في مسار حياته السياسية ، فلقد مات كل من عبد الله بن يحيى بن خاكان ، وموسى بن بغا ، وأماجور الذين لم يتوانوا للعمل ضده ورسم الخطط لضرب سياسته وهلاكه(١٤٣) .

وقبل ان ينطلق لبلاد الشام ، كان القادة والمتنفذون فيها قد رفعوا علي بن اماجور واليا على الشام خلفا لابيه ، وتولى تدبير الامور له كالعادة أحدهم وهو أحمد بن دوغباش(١٤٤) وكان هذا الامير صبيا، لم يكتسب بعد التجربة والحنكة، لذلك استغل ابن طولون الفرصة ، فلم يعترف بعلي هذا ، واستكتب اليه ابا الضحاك محبوب بن رجاء بكتاب يعزيه بأبيه ، ويدعي ان امير المؤمنين قلده الشام كله وانه اليه في اثر كتابه هذا(١٤٥) . ويطلب فيه ان يقدم ما يحتاج له جيشه من الميره والعلف والتسهيلات الاخرى اللازمة ، وأعلن أنه سائر في طريقه الى الثغور

الشامية معلنا الجهاد ضد الروم(١٤٦) مستغلاً بذلك وضع الموفق ووقوعه تحت ضغط الثورة الزنجية التي أنهكت قواه .

واستجاب ابن أماجور لرغبات ابن طولون فقام بتأمين ما طلب منه ودخل هذا وانصاره في تبعيته ، واتضح ان أمر تولية ابن طولون على بلاد الشام امر واضح، وإلا لما تأخر هؤلاء عن إعلان التمرد والعصيان ضده أو رفض تقديم التسهيلات اللازمة له ، فاستجابتهم على هذه الصورة تؤكد أن ابن طولون اصبح صاحب الحق الشرعي في بلاد الشام كلها ، واقيمت الدعوة له فيها على منابرها(١٤٧) في حين تذكر بعض المراجع ان علي بن أماجور هذا استعد للتصدي لابن طولون ، ورفض ما طلب منه واستعد لقتاله(١٤٨) ، وقبل ان ينطلق ابن طولون لبلاد الشام نظم امور دولته في مصر فاستخلف ابنه العباس عليها وامده بكاتبه أحمد بن محمد الواسطي وأوصى ابنه بالسمع والطاعة والاقتداء به والامتثال لرأيه(١٤٩) .

سار ابن طولون في شوال سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٨ م ، وعسكر في منية الاصبغ(١٥٠) ، وجد في السير باتجاه بلاد الشام ، فلما ان وصل الى الرملة حتى وافاه فيها محمد بن أبي رافع(١٥١) مستقبلا ، ومقدما له الميرة والعلف ، وكان قد أقام الدعوة له ، فلم يجد ابن طولون بدا من اقراره على هذه المدينة نيابه عنه ، وهذه السياسة سيتبعها ابن طولون كما سنلاحظ في كافة المدن الشامية تقريبا(١٥٢) ، فاقراره لهؤلاء الولاة سيكون له الاثر البعيد في جذب القوى المسيطرة وتقريب أصحاب النفوذ منه وعدم تصديهم له ، اذا استثنينا سيما الطويل في انطاكية ومازيان في طرسوس(١٥٣) .

وما ان اقترب ابن طولون في فلسطين حتى اظهر انه مقيم للجهاد فجمع العساكر والمتطوعة وضمها الى جيشه الجرار(١٥٤) ، وبهذا تأكيد ثابت على سلطته في بلاد الشام .

وتقدم ابن طولون إلى دمشق وفيها تلقاه بالترحيب والاكرام علي بن أماجور واحمد بن دوغباش . وجميع قادتهم واصحابهم ، كما خرج معهم أحمد بن وصيف(١٥٥) ، وكان قد نفاه المهدي الى دمشق ، والتحق منذ ذلك الوقت باحمد بن طولون ، وأصبح من القوى التي عملت معه وأيدته في بلاد الشام واشترك بالحملة

التي وجهها ابن طولون لاخضاع ابنه العباس في برقة[١٥٦] ، وقدم له هؤلاء جميع فروض الطاعة وزوده بالميره والعلف وكل التسهيلات الممكنة .

ومكث ابن طولون أياما في دمشق ، عمل خلالها على تسوية الأمور فيها فانضم إليه جميع القادة والجند ، وأخذ الأموال والخزائن منها ، ودُعي له على منابرها[١٥٧] وقبل أن يغادرها استخلف أحمد بن دوغباش عليها .

ورحل بعد ذلك الى حمص يرافقه جمع كبير من القادة الذين انضموا اليه في دمشق ، وهناك تلقاه بكل ترحيب واكرام واليها عيسى الكرخي ورغب ابن طولون ان يقره على حمص ، لكن هذه المدينة التي عرفت بالتمرد على الولاة القساة ، وعدم الرضوخ للظلم ، ضج أهلها أمام ابن طولون وشكوا له تصرفات الكرخي فيهم وسوء سيرته ، ولم يظهر ابن طولون في سياسته لبلاد الشام الوقوف ضد مطالب الشعب ، ولذلك قرر عزل عيسى الكرخي تلبية لمطالب شعب حمص واسند ولايتها ليمن التركي[١٥٨] ، وبهذا دليل ثابت على حسن سياسة ابن طولون تجاه الاهالي واهتمامه بمطالبهم وكسب ودهم ودفعهم للوقوف لجانبه .

ومن حمص اتجه ابن طولون صوب حماة فملكها ومنها سار الى حلب أيضا[١٥٩]، ويظهر انه لم يواجه مقاومة تذكر في حلب ، حيث لم تذكر المصادر اية اشارة الى هذه المسألة .

وفي حلب بدأ ابن طولون يضع الخطط للسيطرة الفعلية على الثغور ، فقد كان عليها طخشي بن يلبرد نائباً عنه ، ورغم انه قام ببعض الخدمات وتحسنت أحوالها في عهده ووجه عدة ضربات للبيزنطيين مما اضطرهم لطلب الصلح والهدنة ، إلا ان سيده تخوف منهم وحذره ، وكتب له موضحاً أن الروم لم يطلبوا الهدنة إلا ابتغاء الراحة المؤقتة ، وأمره أن يستمر في تحسين الثغور والاشراف الفعال عليها والاهتمام بأمر الغزو ودفع الأرزاق ومناهضة البيزنطيين[١٦٠] ، ورغم هذا فان موقف الموفق وتصديه لابن طولون أثار هناك الشغب وعجر طخشي في التحكم الكامل بوضع الثغور[١٦١] ، ولم تكن سلطته آنذاك تسمح لدخول ابن طولون لهذه الثغور لنفوذ سيما الطويل والي انطاكية ، فكاتبه يدعوه الى طاعته ويقره هو بدوره على ولايته فامتنع سيما وعاود ابن طولون وكاتبه ثانية[١٦٢] قائلا «لست أسومك شيئا غير اقامتك

الدعوة ، وانصرف عنك ويكون البلد لك تديره كما سترى ، فامتنع سيما من ذلك» .

وقصة ابن طولون مع سيما هذا تعطينا صورة حية لاصرار ابن طولون على السلام ، وعدم التصدي لأية قوة في بلاد الشام وخاصة في منطقة الثغور واعتماد العنف الذي لم يكن يلجأ إليه إلا مضطراً .

وبهذه السياسة التي تبناها ابن طولون ظهر بأنه بعيد النظر وسياسي محنك ، عرف كيف يقود الرجال وتساس الرعية . فهو قد انتظر على سيما الطويل وقتاً عله يستطيع أن يعيده إلى جادة الصواب فلما لم يتمكن من ذلك ، خرج متجها لحربه ودخل معه مكرهاً بعمليات عسكرية ابتدأت عند وصوله لجند قنسرين والعواصم من أرض الشام(١٦٣) .

واتجه بعد ذلك الى انطاكية ووصلت مقدمة جيوشه الى بلاد الاسكندرونة على البحر المتوسط ، ووصل الامير الى الموضع المعروف ببغراس من جبل اللكام(١٦٤) ثم عطف راجعاً الى انطاكية ، وهناك خاطب سيما للمرة الاخيرة(١٦٥) . وعندما يئس ابن طولون من سيما أعلن حصاره للمدينة ولم يكن سيما هذا حسن السيرة والمعاملة عند اهالي انطاكية ، بل كان ذا سمعة سيئة اخذ الناس بالظلم ، وعم أذاه وزاد في بطشه وأخذه لأموال الناس بدون حق(١٦٦) ، ولذلك خذله هذا الشعب ولم يقف معه اثناء مأساته التي انتهت بقتله .

وكان نزول عسكر ابن طولون انطاكية بالقرب من الباب المعروف بباب فارس ، كما كان غلامه لؤلؤ على باب من ابوابها يعرف بباب البحر ، وذلك في نهاية سنة ٢٦٤ هـ(١٦٧) . وشدد ابن طولون حصاره على المدينة ونصبت المنجنيقات ورميت بالحجارة والنفط ، ولم يحتمل شعبها هذا الحصار ونتائجه ، ولعدم ايمانهم بمن يدافعون من اجله ومن عرف عندهم بسوء الادارة والسلطة ، لذلك تخلوا عنه وخذلوه عندما كان بأمس الحاجة اليهم ، وقدم اهل انطاكية درساً لكل قيادة متجبرة لا ترعى مصالح رعيتها واتصلوا ليلاً بأحمد بن طولون وهيؤوا له السبيل لدخول حصن المدينة المنيع في الليل ، والذي عرف عن هذا الحصن أنه لم يفتح عنوة قط(١٦٨) .

ودخلت قواته الحصن ، وحدثت معركة رهيبة ، واشعل سيما النار بباب فارس ليشغلهم بها وليمكن لنفسه من النجاة، وطلب ابن طولون من أصحابه بأن يبقوا على حياة سيما ولا يقتلوه ، لكن نقمة الشعب لا يمكن ان يقيدها حاكم ، لذلك جاء قتله على يد شعب أنطاكية ، لما كانوا يكنون له من حقد وكراهية ، وجاء قتله على يد امرأة انطاكية(١٦٩) ، وعندما رأى ابن طولون رأس خصمه قال (قد علم الله جل اسمه اني كنت احب لك غير هذا فأبيت ، فأنا بريء من ذلك ، والله ما امرت بقتلك ولقد نهيت عنه)(١٧٠) وكان ذلك في المحرم سنة ٢٦٥ هـ .

وهذا دليل آخر على حسن سياسة ابن طولون واتباعه سلوكاً معيناً أفاده في حكم هذا البلد المشتت الاطراف ، واستطاع ان يفرض سلطته عليه ويقود حكامه المختلفي الاهواء والنزعات .

وبانطاكية قبض ابن طولون على جميع ما كان لسيما من مال وعتاد وغير ذلك ونظم أمور هذه المدينة الهامة(١٧١) .

ثم اتجه بعد ذلك قاصداً لبقية الثغور الشامية فأتى المصيصة ودخلها وأذنه ، ومنها سار باتجاه طرسوس المدينة المحببة الى قلبه ، وكان عليها يازمان الخادم ، وامتنع هذا عن استقباله وتسليم البلد إليه ، وذلك بتحريض من عدو ابن طولون الموفق احمد ، فلم ير هذا بداً من فتحها بالقوة(١٧٢) في حين تذكر بعض المصادر ان ابن طولون دخلها في جمع عظيم دون ان تشير لامتناع(١٧٣) يازمان ووقوفه ضده .

وبقي ابن طولون في ثغر طرسوس فترة وشعر بالراحة والسرور في هذا الثغر الذي نشأ به وكان له فيه ذكريات شبابه وتطلعاته الاولى وهنا لا بد من الاشارة الى ان حكمة ابن طولون وسياسته فاقت رجال عصره وزمانه فنتيجة لكثرة عساكره وما لاقى الناس بهذا الثغر منهم ونزول الفاقة والضيق الاقتصادي ، وغلاء الاسعار ، فاستاء الاهالي وقامت حركة ضده تطالبه بالجلاء عن هذا الثغر ، وتكلموا معه بلهجة الثورة(١٧٤) والتمرد ولم يظهر استياءه منهم بل على العكس امر قواته بالرحيل متظاهراً الهزيمة امام القوة العسكرية في طرسوس ليظهر ذلك للناس والعدو خاصة ان ابن طولون على بعد صيته وكثرة عساكره وقوته لم يتمكن من هذا الثغر وانهزم عنهم ليكون اهيب لهم في قلب العدو والمتربص لحركاتهم جميعاً(١٧٥) .

وخرج ابن طولون بعد التفاتة طيبة لاهل هذا الثغر ، فقدم المساعدة لكل محتاج ، وتصدق بجملة من الاموال ، وتركهم بعد ذلك مودعاً فخرجوا جميعاً مشيعين له يدعون له[١٧٦] ، وترك عليهم طخشي بن يلبرد وبلغ ملك الروم ما كان من أهل طرسوس وابن طولون فازداد تخوفاً وعظمت هيبة هذا الثغر العظيم في قلب هذا العدو والمترقب لتحركات اعدائه[١٧٧] .

وابن طولون بعد أن استقرت له الامور في الثغور ودانت لها امهاتها لم ينس الهدف السامي الذي تذرع به قبل دخوله بلاد الشام واعلان الجهاد ، فأخذ يتحفز للقيام بغزو الروم قبل ان ينصرف من الثغر[١٧٨] ، لكن الحوادث السياسية في مصر وخروج ابنه العباس عليه ، والاخبار المزعجة التي وصلته ، وخاصة وان هذا الخارج ابنه ومن كان يكنى به واستخلفه على مصر ، وترك معه اخلص المقربين له وهم احمد بن محمد الواسطي ، وايمن الاسود[١٧٩] ، وعندما خرج العباس اخذ هؤلاء معه مقيدين وحمل معه كل ما وجد من المال والسلاح ، وقدره الفي دينار[١٨٠] واستلف كذلك من التجار مائتي الف دينار ، وفي رواية اخرى اقترض ٣٠٠ الف دينار وامر صاحب الخراج ابي ايوب ان يضمنها لهم ويتكفل بتسديدها ، ففعل ذلك خوفاً على نفسه . ووضع يده على الخزينة وكان بها مليون دينار[١٨١] فأخذها . ولهذا فان ابن طولون تريث في أمر الغزو الا انه نظم وضع الثغور وتركها وهو مطمئن عليها .

ولم يطمئن ابن طولون ان يعود الى مصر وشمال شرق بلاد الشام يعيش فيه بعض المتسلطين الذين رأى فيهم خطراً يهدده ، لذلك ورغم ما وصلته من أنباء مزعجة في مصر ، ورغم سوء الاحوال فيها ، قرر أن يتوج عمله في هذه المنطقة بضرب كل هذه القوى ، وهنا تظهر عبقرية ابن طولون العسكرية وصحة تقديره للموقف العام والخاص وادراكه بنظر ثابت لمصلحته العليا ، فرأى أن لا يترك اطراف مملكته مضطربة تسودها الاهواء والرغبات ، وتقع تحت قادة طموحين سيجلبون له المتاعب ويعملون على زعزعة الثقة في بلاد الشام بعد رحيله عنها ، ولذلك صمم على القضاء على هؤلاء بحس قوي وقرار سليم دفاعاً عن مشروعه الكبير الذي جاء من مصر لأجله[١٨٢] .

ولذلك سير جيشاً الى الرقة تحت قيادة غلامه لؤلؤ ، وجيشاً آخر تحت امرة احد قواده احمد بن جيفويه[١٨٣] وكان على حران محمد ابن أتامش [١٨٤] ويظهر أن محمداً هذا انهزم اقبح هزيمة منذ لقائه الاول مع الجيوش الطولونية ، وعندما سمع اخوه موسى وكان من الفرسان المعدودين استعد لقتال جيفويه الذي خاف لقائه وتهيبه ووقف في موقف حرج نتيجة هذا الوضع ، فهو لا يعد من انداده ولا يمكنه مقارعة موسى بن أتامش ، كما لا يمكنه العودة الى سيده حيث يعرض نفسه لسخطه وغضبه وبينما هو على هذا الحال من الحيرة ، نظر اليه بعض اصحابه من الاعراب الذين انضموا الى القوات الطولونية في المنطقة ويكنى ابا الاغر[١٨٥] فقال مخاطباً جيفويه مالي أراك مغموماً مفكراً ، فما لهذا وزن وكان يقصد ابن أتامش ، وانه لطياش قلق ، ولو شاء الامير ان امضي فآتي به اليه اسيراً لفعلت ، فضم الى عشرة رجال[١٨٦] ، وبالفعل تمكن أبو الأغر وهو الاعرابي العارف لاسرار هؤلاء الاعراب ، وتمكن بحيلة بسيطة بعد أن عمل كميناً خارج مضرب ابن أتامش ، وتمكن من اسر موسى ولم تنفعه الفروسية المصحوبة بالطيش والتسرع ، وصدق من قال الحرب خدعة . وبأسر موسى تكوّن حران اصبحت ضمن منطقة نفوذ الطولونيين وتظهر فروسية ابن طولون العسكرية عندما وصله موسى حيث اعتقله في حجرة فرشها خصيصاً له ، وفك قيده وخلع عليه[١٨٧] .

وفي الوقت نفسه كانت الطولونية بقيادة لؤلؤ تتقدم في منطقة الرقة تستولي عليها وتضمها للنفوذ الطولوني[١٨٨] ، وبذلك حقق ابن طولون امنيته واصبحت مناطق نفوذه ملاصقة تماماً لحدود العراق ، وجعل الرقة مقراً لحكمه الجديد في بلاد الشام . وذلك ليكون على مقربة من بغداد .

اما بالنسبة لمدن ساحل بلاد الشام واهمها طرابلس وعكا ، ويافا فانه ابتداء من عام ٢٦٤ هـ ، وبعد ان تم لابن طولون السيطرة على دمشق ويظهر ان طرابلس وغيرها كانت تتبع الحاكم العام بدمشق ، لذلك فإن سيطرته على هذه المدن رافقت فتحه لدمشق واصبحت منذ ذلك التاريخ تابعة للحكم الطولوني ، وبدأ ابن طولون عمله الاصلاحي فيها ، فحصن عكا وارادها ان تكون امنع مدينة على البحر المتوسط[١٨٩] ، كما انه قام بتحصين قلعة يافا[١٩٠] ، وهكذا ادخلت

مدن سواحل بلاد الشام مرحلة جديدة في تاريخ علاقتها البحرية مع المدن الساحلية في مصر ، اذ اصبحتا تابعة لقيادة واحدة ، تقوم بوقت واحد بتحريك الاساطيل وقيادتها وتنسيق الاعمال فيما بينهما ، وطبعاً كان لهذه الوحدة البحرية العسكرية بين مصر والشام تحت ظل السيادة الطولونية الاثر الكبير ، حيث بدأ الاسطول المصري بنشاطه من قواعده بالشام ، بعد أن تمكن ابن طولون من نقل بعض قطع اسطوله الحربي لساحل بلاد الشام ومنطقة الثغور وخاصة الى طرسوس[١٩١] ، وهجمت هذه القوة البحرية على جزر بحر ايجه ومدن اليونان كما أن هذه القوة البحرية التجأت اليها الدولة العباسية ، حيث اسندت لاحمد بن طولون رغم كراهيتها له وعملها ضده ليدافع عن حدود بلادها المجاورة للروم ، وكلفته بمهمة الدفاع عن منطقة الثغور والعواصم طمعاً منها في حماية هذه المنطقة الهامة على امن الخلافة تجاه هجمات الروم على شمال العراق[١٩٢] .

وهكذا انضمت مصر والشام لسلطة واحدة ، وبدا وكأن هذا التركي الغريب سار في آثار الفراعنة الاقدمين في ضم الشام ومصر تحت راية واحدة ولم يكن ذلك من وحي المصادفة ، وانما هي ظاهرة تاريخية لا تزال تظهر على طول تاريخ هذين القطرين ، اذا قامت في مصر حكومة محلية قوية لم تلبث ان ضمت الشام اليها ، او لم يلبث الشام ان انضم اليها ، حدث هذا في تاريخ مصر القديمة ابتداء من ايام الاسرة السابعة ، ثم ظهر عندما قام بمصر ملك البطالمة وان لم يوفقوا الى الاحتفاظ بالشام وكان ذلك من اقوى اسباب ضعف دولتهم[١٩٣] . ثم ظهر هذا في ايام ابن طولون والاخشيديين والفاطميين والايوبيين والمماليك وفي ايام محمد علي باشا ، وتجدد على ايامنا هذه ، وكأنما وحدة هذين البلدين ضرورة تاريخية تستلزمها سلامتهما وسلامة الشرق العربي كله[١٩٤] .

وبعد أن اطمأن ابن طولون على الوضع في بلاد الشام ، قفل راجعاً الى مصر ليرتب اموره هناك ، وليضرب بيد من حديد على الخارجين عليه ، ولكنه قبل ان يترك بلاد الشام رتب امورها ، وجعل على قيادتها حاجبه لؤلؤ الذي اشترك معه في فتح اكثر مناطق بلاد الشام وجعل له الكلمة العليا ، فاتسع سلطانه وخطب له على منابرها بعد الخليفة وابن طولون وكتب اسمه على السكة وخاصة بعد عام ٢٦٨ هـ عندما بدأ يفكر في التمرد على سيده[١٩٥] .

كما أن ابن طولون ترك في بلاد الشام قوات عسكرية كبيرة تعمل على حفظ الامن بها ، فقد اسند للؤلؤ حاميات عسكرية وجعل مركزها في كل من حران والرقة ودمشق ، وكانت غايته في ذلك تثبيت مركزه الجديد ، والمحافظة على الاوضاع الراهنة(١٩٦) وعلى املاكه وتثبيت سيادته على القطرين الشام ومصر .

وكلمة اخيرة ، ان ابن طولون كانت تحدوه نفسه لغزو بلاد الروم ، ولم يقبل المهادنة مع ملك الروم الا تحت اجبار الظروف وذلك لعدم ثقته بهذه العروض من عدو لا يؤتمن ، لكن الطعنة التي وجهها له ابنه العباس جعله يطوي فكرة الجهاد ولو مؤقتاً ويرجع الى مصر سنة ٢٦٥ هـ(١٩٧) ليقضي على هذه الثورة ، كما كان لموقف الموفق منه الاثر الكبير في قبول هذه الهدنة مع العدو ، وهكذا فرضت الظروف الخارجة عن ارادة ابن طولون وقبل عروض الدولة البيزنطية ، وتمكن بذلك من اطلاق سراح عدد من الاسرى المسلمين مقابل اطلاق سراح الاسرى البيزنطيين(١٩٨) ، غير ان العلاقات بين القوتين الطولونية والبيزنطية لم تستمر ، اذ ما لبث الفريقان ان استأنفا الاغارات المتبادلة(١٩٩) .

٤ ـ سياسة الطولونيين في حكم بلاد الشام :

آ ـ سياسة أحمد بن طولون في حكم الشام :

عند البحث في الحكم الطولوني لبلاد الشام لابد من أن نركز الاهتمام على أحمد بن طولون وسياسته في هذه المنطقة ، لأن تاريخه يعتبر تاريخ هذه الدولة وعصرها الذهبي ، ففي عهده وصلت لاقصى ما وصلت اليه الدولة من القوة السياسية والازدهار الاقتصادي ، كما أن هذه الحركة الاستقلالية التي قامت بمصر ، وامتدت الى الشام ترتبط ارتباطاً وثيقاً به ، فهو الذي عمل على ايجادها ورسم لها معالم المستقبل(٢٠٠) .

وكان لهذا الطريق الذي اختطه ابن طولون ودعم اركانه واحكم أسسه الاثر الكبير على الدولة الطولونية فاعطاها الدعم المستمر في عهد ابنه خمارويه ، ولم يكن من المنطق التاريخي أن تزول هذه الدولة بشكل مفاجىء لذلك حصد خمارويه

ما زرع أبوه ، وعاشت الدولة طيلة حياته كلها تستقي من إلهامه(٢٠١) ، وتنفق من تركته وخيراته ، فقد خلَّف ابن طولون في خزانته من الذهب النقدي عشرة آلاف ألف دينار ، ومن المماليك سبعة آلاف مملوك ، ومن الغلمان على أربعة وعشرين ألف غلام ومن الخيل الميدانية على سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال على الفين وسبعمائة جمل ، ومن المراكب الحربية مائة مركب (وفي رواية اخرى مائتي مركب حربي كباراً بآلاتها) وكان يحمل لصدقات الثغور في كل شهر خمسمائة دينار ، ويدخل إلى خزانته في كل سنة بعد مصاريفه أربعة ألف ألف دينار(٢٠٢) .

ورأينا أن ابن طولون قرن دخوله لبلاد الشام ، باعلانه مبدأ الجهاد ضد العدو البيزنطي(٢٠٣) ، واتخذ هذا الجهاد شعاراً يخفى وراءه طموحاته وأهدافه في بلاد الشام ، حيث جعله الخطوة الأولى في طريق عمله السياسي لهذه المنطقة ، وأبدى رغبة كبيرة في الحصول على الثغور ورشح أخاه موسى بن طولون لتقليده ثغر طرسوس ، بدلاً من الاسكندرية عندما قام هذا مطالباً فيها ، حيث رد عليه ابن طولون قائلاً انه يريد أن يشرفه بولايته على هذا الثغر العظيم ، ولم يكن قد وصله كتاب التقليد بعد، حيث كان ينتظره بفارغ الصبر(٢٠٤). وهكذا استبق ابن طولون الحوادث ، وأراد أن يحصل على ولاية الثغور لكي يجعل من نفسه المدافع عن حدود الشام والمتولي لأمر الجهاد فيها ومتخذاً بذلك ذريعة وهدفاً للسيطرة على بلاد الشام كلها من ناحية ، ومن جهة أخرى فان جهاده هذا يعطيه كلمة مسموعة ، وترفع من قدره وخاصة في الشام ومصر ، حيث كانت الثغور مركزاً لاستقطاب المسلمين والمجاهدين في مختلف الأقطار .

وسار ابن طولون بكل احتراس ، ووفق خطة هادفة(٢٠٥) ، محاولاً الحصول على رضى الخليفة العباسي وصبغ أعماله وتصرفاته بالشرعية محدداً هدفه ، يخطو اليه الخطوة تلو الاخرى ، مترقباً مستعيناً بعنصر الوقت مستغلاً الظروف وانسجاماً مع هذه السياسة ، لم ينطلق الى بلاد الشام إلا بعد أن تأكد من النجاح وحصل من الخلافة العباسية على ولاية أمرها(٢٠٦) .

كان أسلوب ابن طولون في بلاد الشام وسياسته في تثبيت قواعد حكمه في الشام تقوم :

أولاً : على أساس تأليف القلوب بالأموال والصدقات ، فكان يغدق الأموال ويتصدق كل يوم بمائة دينار ، وينفق على مطبخه في اليوم ألف دينار أيضاً ، وكان يبعث بالصدقات الى دمشق والعراق ، والجزيرة والثغور وبغداد وسامراء والكوفه والبصره[٢٠٧] وما يحمله الى الثغر في كل شهر خمسماية دينار ، بالاضافة لصدقاته على أهل الستر والمتجملين وأولاد النعيم والشعراء وأهل الأدب والدين .

ثانياً : اعتمد ابن طولون سياسة متوازنة بين الرعية والولاة تقوم على تثبيت هؤلاء الحكام والمتربصين على المدن شرط الطاعة والاعتراف به ، كما راعى مصلحة الشعب وأخذ برأيه ، وبذلك سار على القاعدة الاسلامية الكبيرة القائمة على التشاور وأخذ الرأي ، فقد رأينا استقبال ولاة مدن الشام له في الرملة ودمشق وبقاءهم في مناصبهم ينفذون سياسته[٢٠٨] ، وعندما وصل حمص واستقبله واليها عيسى الكرخي أحسن استقبال ورغب ابن طولون أن يثبته على هذه المدينة لكن الأهالي ضجوا لسوء سيرة الكرخي فيهم وطلبوا من أحمد بن طولون عزله عنهم ، فما كان منه إلا أن استجاب لرغباتهم وعين يمن التركي بدلاً منه[٢٠٩] .

ثالثاً : وكانت خططه الحربية مبنية على التخفيف من الصدام المسلح بقدر الامكان وعدم اللجوء الى القوة العسكرية ، بل يمكن لنا أن نقرر انه لم يرغب في استعمال السلاح ، واذا ما استعمل الشدة فكان مرده لتعنت اعدائه ، وكان يضطر للقائهم للمحافظة على سلطانه[٢١٠] .

وأعظم دليل على ذلك موقفه مع سيما الطويل في انطاكية عندما يئس ابن طولون من الكتابة له في حملته الأولى سنة ٢٦٤ هـ الى بلاد الشام ، فلم يثنه ذلك عن تصميمه ومخاطبته فركب اليه ليخاطبه مشافهة ، واشرف عليه سيما من برج من أبراج الحصن ، وجرت بينهما مخاطبات ، ولاطفه ابن طولون بكل لطف وحيلة ، وحلف له بكل يمين ، فأجابه سيما «لأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد ، آثر عندي وأحب الى قلبي من أن تلعب أنت بروحي»[٢١١] .

وما أن رأى أحمد بن طولون رأس سيما بعد أن اقتحمت قواته حصن انطاكية المنيع ، حتى قال : «قد علم الله جل اسمه أني كنت أحب لك غير هذا فأبيت ،

فأنا بريء من دمك والله ما أمرت بقتلك ، ولقد نهيت عنه فأحب الله جل ذكره فيك ما أحب فأمضاه»[٢١٢] .

وقصة دخوله طرسوس ورجوعه عنها بعد أن ضج أهلها بكثرة عساكره لنزول الضيق والفاقه وغلاء الأسعار ، ورغم أنهم ثاروا عليه[٢١٣] ، إلا أنه لاطفهم وأمر عساكره بالجلاء عن المدينة العظيمة متظاهرين بالهزيمة رغم ما في ذلك من إهانة لكرامة جيشه وعناصره ، لكنه عمل ذلك حرصاً منه على المصلحة العليا للعمليات العسكرية في الثغور ولايمانه الصادق في الجهاد[٢١٤] .

وموقفه مع يازمان الخادم في خروجه الثاني لبلاد الشام سنة ٢٦٩ هـ للمرة الثانية لضرب لؤلؤ وحركته ، ولقاء الخليفة المعتمد[٢١٥] ولفساد الأمر في الثغور بعد وفاة أخيه موسى بن طولون وعاملها طخشي واستبداد يازمان هذا وسياسته التعسفية ضد الأهالي فخشي ابن طولون على الثغور وطمع العدو بها ، فما أن وصل دمشق حتى بدأ يراسل هذا العاصي ويلاطفه ، ويدعوه الى الطاعة والدعاء له ويعطيه الأمان ، وبعث اليه بخيرة الوجوه ممن معه فلم يجبه يازمان الى طلبه[٢١٦] .

فما كان منه الا أن اتجه صوب طرسوس وهو يخفي الألم الدفين في نفسه لأنه لا يريد قتال هذه المدينة ، وكان تقاعسه عن الهجوم وانتظاره عله يحظى بعودة هذا العاصي لجادة الصواب ، من الأسباب التي أدت لطمع يازمان به ، وجرأته على اطلاق مياه نهر البردان ، وما أدى بعد ذلك من نتائج هامة أودت بحياة امير مصر[٢١٧] .

هذه السياسة القائمة على اغداق الأموال والعطاء والتوازن بين الحاكم والمحكوم والوصول الى الغاية بمختلف الطرق ، والابتعاد عن القوة العسكرية قدر المستطاع واختيار الوقت المناسب لتحقيق الهدف ، كانت السياسة العامة لابن طولون في بلاد الشام ، وكذلك في مصر وهو أن استعمل القوة لضرب اعدائه في ظل ظروف خاصة ، فمرد ذلك لموقف هؤلاء ودفاعه عن حقوقه المشروعة[٢١٨] .

وابن طولون في سبيل تحقيق أهدافه كان يعمل على عدة جبهات وفي إتجاهات مختلفة ، وكلها تسير لهدف واحد هو تحقيق استقلالية دولته في مصر وحماية

هذا الاستقلال في الداخل والخارج ، ولذا بدأت انظاره تتجه لبلاد الشام كما رأينا[٢١٩] .

وقد رأينا فيما سبق أن سكان بلاد الشام كانوا في عداء تقليدي للعباسيين وهم يميلون بل يعملون للتخلص من الحكم العباسي ويعادونه ولهذا لم يستهجن الشعب في بلاد الشام الحركة الاستقلالية الطولونية ، وأن لم نقل هللوا لها وظهر هذا الشعور الشامي في أكثر من مناسبة ، ففي مدينة دمشق عقد ابن طولون مؤتمره الشهير[٢٢٠] في سنة ٢٦٩هـ وقرر فيه خلع الموفق من ولاية العهد، وحضره الفقهاء والقضاة من مصر والشام ، وكان ابو زرعة محمد بن عثمان أحد أئمة الفقهاء ممن خلع الموفق ولعنه ووقف قائماً عند المنبر بدمشق . . وقال : (نحن أهل صفين وأهل دمشق ، وكان فينا من حضر الجمل ، ونحن القائمون على من عاند أهل الشام ، وأنا اشهد الله واشهدكم أني قد خلعت أبا أحمق «يريد أبا أحمد» كما يخلع الخاتم من الأصبع «والعنه» لعنة الله)[٢٢١] .

وعندما عاد ابو العباس أحمد بن الموفق من الشام بعد معركة الطواحين ، وكان يرأس القوات العباسية التي دفعها أبوه لمحاربة خمارويه وأبعاده عن بلاد الشام ، نظر لأبي عبد الله أحمد بن محمد الواسطي وكان هذا قد خان العهد الطولوني[٢٢٢] ، فقال له انظر لمن انتهى اليك ممن كان يبغض دولتنا من أهل دمشق فليحمل الى الحضره ، فقبض الواسطي على عدد كبير من الفقهاء ووجوه القوم وأخذهم مقيدين وكان منهم يزيد بن محمد بن عبد الصمد ، وأبوزرعة عبد الرحمن بن عمرو وأبوزرعة محمد بن عثمان القاضي[٢٢٣]، وعندما وصلوا بغداد قال لهم المعتضد (أبو العباس أحمد بن الموفق) ايكم القائل «قد خلعت أبا أحمق من هذا الأمر كنزعي خاتمي هذا من أصبعي» فخافوا جميعاً وشعروا بالتهلكة ، فتقدم ابوزرعة محمد بن عثمان ، وأورد أحاديث كثيرة في السمع والطاعة والعفو والاحسان ، ثم قال : «أنا أشهدكم أن نسائي طوالق ، وعبيدي أحرار ومالي عليّ حرام أن كان في هؤلاء من قال هذه الكلمة» وطلب العفو فقال المعتضد للواسطي أطلقهم لا أكثر الله أمثالهم[٢٢٤] .

والمآسي التي أصابت بلاد الشام على أيدي العباسيين كثيرة ، ولقد قام العباسيون بنقض معالم الأمويين وحضارتهم ، ولم ينس الشعب الشامي المآسي

الهامة في تاريخهم[٢٢٥] الطويل ، وكانّ هذا الوضع من العوامل والظروف التي ساعدت ابن طولون وخدمت أهدافه وساعدته بالاستمرار في بلاد الشام ، وقبيل دخوله بلاد الشام كانت حلب قد خضعت لسيما الطويل حيث ولاه الموفق حلب والعواصم[٢٢٦] ، وأراد هذا السيطرة على الثغور بكاملها فدخل في صراع مع ولاتها . وأساء السيرة في حلب وغيرها ، فصادر الأموال وظلم الرعية ، وقصد حتى الاشراف من بني صالح ابن علي ، وقام بمصادرة أملاكهم وأودع بعضهم السجون وعاملهم بالقسوة والعنف[٢٢٧] ، فتطلع الأهالي نحو الخلاص منه ، لذلك ما أن طل ابن طولون حتى استقبله وجوه البلد واشرافها بالترحيب والتهليل كمنقذ لهم ، الذي عرفوه وسمعوا عن سيرته الحسنة ، فما أن دخل ابن طولون البلد حتى امر برد المظالم ورفع الحيف والظلم عن الأهالي ، ولقد صور لنا الشاعر صالح بن محمد بن اسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي الحلبي[٢٢٨] بقصيدة مطولة يمدح بها ابن طولون مبيناً الرضى لسياسته فيهم ، ذاكراً ظفره بسيما ، وفضله على العباسيين ، بما قام لهم على يديه من تحقيق النصر والمجد[٢٢٩] .

وهو في سبيل تدعيم مركزه في الشام والمحافظة على استقلاله ودولته فيها اعتمد نفس الاسلوب الذي سار عليه في مصر ، فكان يتقرب الى الاهالي بمختلف الوسائل ، ولم يترك مناسبة او فرصة الا واستغلها لارضائهم وهذا دليل على بعد نظره ، وشعوره ان تدعيم حكمه واستمراريته لا يكون الا بحب اهل البلد والتقرب منهم[٢٣٠] ، هذه السياسة رافقت اعماله الاستقلالية في مصر ، فلقد سار خطوات كبيرة في كسب ود المسلمين ورضائهم والتقرب من المصريين ، فكان يفضلهم في تولي الوظائف واستكتب الكثيرين منهم ، ومنهاجه في هذا يوضح بقوله «ان أصلح الأشياء لمن ملك بلداً أن يكون كاتبه منه وأن يكون شمل الكاتب فيه[٢٣١]» .

كما أنه لم يكتف اسناد الوظائف الحكومية لهم ، بل استخدمهم في الجيش فشكل منهم فيلقاً من سبعة آلاف مقاتل ، واستخدم أيضاً العرب في جيشه وهؤلاء تمصروا باتخاذهم البلاد داراً ومقاماً منذ اكثر من مائتي عام . وبالغ في التقرب من المصريين فتزوج منهم من فتاة اسمها اسماء[٢٣٢] ، واغدق العطاء والصدقات عليهم

حتى جرت مجرى الامثال ، وكان يقول هذه صدقات الشكر على تجديد النعم[٢٣٣] ، ولم يكن خمارويه باقل اعتماداً على المصريين من ابيه ان لم نقل انه قد سبقه في هذا المجال ، فقد اكثر في جيشه من المصريين[٢٣٤] وهكذا عمل على زيادة العنصر الوطني في الجيش ومضاعفته ، كما انه شكل من العنصر العربي الخالص فرقة خاصة تعرف بالمختارة[٢٣٥] ممن امتاز بالشجاعة والقوة واهتم بتدريبهم والعناية بهم ، وشكل هؤلاء قوة كبيرة متماسكة اشبه ما تكون بحرسه الخاص ، وكانوا يقاتلون امام جنده بجرأة واقدام اضعاف ما تقاتل بقية العناصر من الجيش ، وكانوا يندفعون كقوات اقتحام او اشبه بقوات الصاعقة[٢٣٦] .

وهذا الاتجاه ظهر واضحاً بجلاء في بلاد الشام ، ففي كل مدينة دخلها ابن طولون ترك بها اثراً حسناً ، يعطي تصوراً كاملاً لسياسته القائمة على التودد والتقرب من الاهالي والاعتماد على دعمهم له للمحافظة على كيانه والوقوف بوجه اعدائه والقوى الكثيرة التي واجهته ، فما ان وصل دمشق في حملته الاولى سنة ٢٦٤ هـ حتى وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، وركب ابن طولون فوراً في اتجاهه ومعه ابو زرعة عبد الرحمن[٢٣٧] بن عمرو الحافظ الدمشقي ، وابو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه ، وعندما سأل ابن طولون ابا زرعة ما يسمى هذا الموقع قال : كنيسة مريم ، فرد عليه ابو عبد الله ، متسائلاً أكان لمريم كنيسة ؟ فأجابه ابو زرعة ما هي من بناء مريم ، وانما بنيت على اسمها ، وعندها تدخل ابن طولون وكأنه كان يود الا يعترض على قول الشيخ وتضايق من كاتبه الواسطي وقال له مالك وللاعتراض على الشيخ[٢٣٨] ويظهر ان هدفه كان أن لا يعترض على أي شيء يقال له في دمشق ، ويستجيب لرغبات الدمشقيين ، وابن طولون لا بد انه ادرك قيمة هذه المدينة ومكانتها الهامة على مسرح الاحداث في المنطقة ، فهي قلبها النابض وعصبها الحساس ، ولا شك بأنه أفاد من عطاء التاريخ وتجاربه ، وادرك سيرة معاوية وتكوينه الدولة الاموية وهي من غرر الدول الاسلامية ومركزها هذه المدينة العظيمة .

لذلك استغل ابن طولون هذا الحادث البسيط ، وما كان منه الا ان امر بسبعين الف دينار من ماله توزع على المتضررين من جراء هذا الحريق ، وتقبل اقوالهم بدون يمين ولا حلفان او القسم على ذلك[٢٣٩] واراد ان يعطي الشعب ثقته

وهو يطمع بدوره لكي يعطيه هذا الشعب حبه وثقته ايضاً . وبهذا الدليل الاكيد على مدى اهتمامه لكسب ود هذه الجماهير الدمشقية .

ولم يكتف ابن طولون بذلك ، بل انه امر بمال كبير ايضاً وزعه على الفقراء من اهل دمشق والغوطة ، حتى اصاب الواحد من هؤلاء المستورين ديناراً على الاقل[٢٤٠] ، ولم يبق من لم يأخذ .

ولم يترك دمشق الا بعد ان احسن الى اهلها احساناً بالغاً فزاد تعلقهم به وتفضيلهم له على الولاة العباسيين ، حتى قيل ان ابن طولون لعدله وحسن سياسته في بلاد الشام فضله الناس على بعض الخلفاء[٢٤١] .

وقصته مع اهالي حمص معروفة ايضاً ، وكيف انه استجاب لرغبات شعبها واخذ بمشورتهم ورأيهم عندما لم يرضوا بعيسى الكرخي والياً عليهم ، وكان هذا قد استقبل ابن طولون احسن استقبال ، ورغب ان يتركه نائباً عنه في حمص انسجاماً مع السياسة التي رسمها في الابقاء على الولاة شرط الطاعة له ، الا انه وازن بين هذا الوالي وما يمكن ان يستفيد منه مقابل نقمة شعب حمص في فرضه عليهم ، وما يمكن ان تثار عليه من مشاكل لذلك اتخذ قراره المتعقل المستند على الادراك السليم والبصيرة الصادقة وانحاز نحو الشعب وعزل عيسى الكرخي وعين بدلاً عنه فيها يمن التركي[٢٤٢] .

وسياسته في كسب ود الاهالي لم تقتصر على المسلمين ، بل تعداها لكافة أفراد الشعب وفئاته الدينية المختلفة ، وحتى الاقليات منه . فلقد كان حظ اليهود جيداً ايضاً نتيجة لهذا الاتجاه العام ، حيث سيطر هؤلاء على سوق العملة وعلى الحركة التجارية في المنطقة واصاب يهود مصر والشام ثراء عظيم من جراء اشتغالهم بالتجارة والصيرفة . في اسواق الفسطاط والقطائع ودمشق وغيرها[٢٤٣] ، وهكذا لم ينس ابن طولون أية طبقة في المجتمع حتى النصارى واليهود ، ورغم انهم كانوا قلة فقد تلقوا كل عناية واهتمام[٢٤٤] ، ولعبوا ادواراً هامة في الحضارة الطولونية ومشاريعها العامة[٢٤٥] .

وفي غمرة صراع ابن طولون مع الموفق ، وعندما عاد للمرة الثانية من مصر الى الشام في سنة ٢٦٩ هـ لضرب تمرد خادمه لؤلؤ ، وللوقوف عن قرب من مسرح

الاحداث[٢٤٦] ، وفي دمشق أقام أحمد بن طولون أثناء ذلك في بناء أربعة أروقة على قبر معاوية بن أبي سفيان ، ورتب عند القبر أناساً يقرؤون القرآن ويوقدون الشموع[٢٤٧] ، وإذا كان ابن طولون عمل ذلك تقرباً من أهل الشام والدمشقيين خاصة وكسب ودهم ، إلا أنه بسياسته هذه كان هو الرابح فشد هؤلاء إزره في صراعه مع الموفق ، وساعدوه ضد منافس خطر . وتمكن بفضل القوة التي أوجدها من ضم البلدين مصر والشام تحت سيطرته للتصدي للقوى العباسية ممثلة في شخص الموفق ، ولم يتمكن هذا من النيل منه[٢٤٨] وفشلت كل مخططاته ضده ، واعترف بوجوده كأمر واقع ومفروض ولم تجد نفعاً تحريضات لؤلؤ ومحاولته إقناع الموفق لحرب مولاه ، بل على العكس أخذ يتصل به ، وتبدأ بعد ذلك عمليات الغزل السياسي بين العملاقين الكبيرين .

ب ـ اهتمام ابن طولون بتحصين المدن الساحلية في الشام والثغور وعنايته بالقوة البحرية فيهما :

لم يكتف ابن طولون باستمالة الناس وتأليف القلوب نحوه وخلق التوازن بين القوى والاستفادة منها جميعاً ، وانما قام ايضاً بخطى ايجابية وبناءة في النهضة العمرانية والحضارية في بلاد الشام ، وخاصة التي تخدم مشروعاته وضمان حماية دولته في مصر والشام واستقلالها[٢٤٩] ورغم ان المصادر الاسلامية لم تزودنا بالادلة الشافية لاهتماماته واعماله بهذه المنطقة ، غير انها على قلتها وندرتها فهي تقدم لنا لوحة صادقة لنشاطاته العمرانية والحضارية ، فهو في سبيل حماية كيانه عمل بكل جهد لتقوية الشام عسكرياً رغم الظروف السيئة التي تلت ضمه لها وموقف القوى الكثيرة بزعامة الموفق ضده . ولهذا دعت ضروراته العسكرية لايجاد قوة بحرية تقوم بحماية السواحل الشامية والمصرية ، والوقوف في وجه الموفق احمد ، ومن ثم التصدي للهجوم البيزنطي المستمر ، والمحافظة على طرق الاتصال البحري بين الشام ومصر[٢٥٠] ، فاهتم بتحصين المدن الساحلية في الشام والثغور وامر نوابه عليها ببذل كل الجهود لتحصينها والاشراف الدقيق لتنفيذ هذه الخطة الدفاعية[٢٥١] ، وفي سبيل ذلك قام بتحصين مدينة عكا وجعل منها اكبر قاعدة بحرية اتخذها كقاعدة انطلاق لقواته البرية والبحرية ، واولاها هذا الأمير جانباً كبيراً من عنايته[٢٥٢] .

ومن المعلوم ان هذه المدينة لم تكن على هذه الحصانة حتى زارها ابن طولون فحين لاحظ (صور) ومنعتها ، واستدارة الحائط على مينائها ، رغب ان يجعل لعكا مثل ذلك الميناء، وجمع مهرة صناع الأقاليم لهذه الغاية[٢٥٣]، وعرض عليهم مشروعه ، فأظهروا العجز عن التنفيذ ، الى ان ذكر له أبو بكر البنا (جد المقدسي) وكوتب صاحب بيت المقدس لارسال هذا البناء العظيم ، وعندما وصل الى ابن طولون وذكر له ذلك ،قال هذا امر هين : «علي بفلق الجميز الغليظ ، فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البري ، وربط بعضها ببعض واشاد لها باباً من الغرب عظيماً ، ثم بنى عليها بالحجارة والشيد ، وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها باعمدة غلاظ ليشتد البناء ، وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت حتى اذا انها قد جلست على الرمل تركها حولاً كاملاً ، حتى اخذت قرارها ، ثم عاد فبنى من حيث ترك ، كلما بلغ البناء الى الحائط القديم داخله فيه وخيطه به ، ثم جعل على الباب قنطرة ، فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة مثل صور ، قال فدفع اليه الف دينار سوى الخلع وغيرها من المركوب واسمه عليه مكتوب ، وقد كان العدو قبل ذلك يغير على المراكب[٢٥٤]» .

وقد ظلت مدينة عكا بعد ذلك فترة طويلة تتمتع بدور بارز في الحياة البحرية والتجارية في المنطقة ، وتصدت لاكبر القوى الغازية التي غزت المنطقة طيلة زمن طويل وصمد سورها بعد ذلك بثلاثة قرون في وجه ملكين من ملوك الصليبيين مدة سنتين كما شهد بمناعتها في العصر الحديث صمودها سنة ١٧٩٩ م لمدفعية نابليون البرية[٢٥٥] .

كما اتجه اهتمامه بعد ذلك ليافا ، فقام ببناء أول قلعة بها لعبتدوراً هاماً في تحصين هذه المدينة خلال مراحل تاريخها العسكري والبحري[٢٥٦] ، كما سار ابن طولون في نفس الطريق واهتم ببقية الموانىء الشامية ، التي سبق ان دب الانحلال اليها بسبب اهمال الخلافة العباسية والقائمين في بغداد لشواطىء البحر المتوسط وموانيه[٢٥٧] ، واصبحت هذه الموانىء وغيرها قواعد لقواته البحرية تقوم بدورها الفعال في الذود عن سلطته في مصر ، كما أنها لعبت دوراً بارزاً في النشاط البحري في حوض البحر المتوسط وقامت بمساعدة اسطول اقريطش والتصدي المشترك للبيزنطيين[٢٥٨] .

كذلك استفاد الطولونيون من الموانىء الاخرى في الشام والتي لا تقل عن عكا ويافا في الاهمية ، فقد استخدموا هذه الموانىء لرسو المراكب الحربية ، كما رست بها المراكب التجارية أيضاً ، فلقد كانت صور مدينة محكمة التحصين على ساحل البحر المتوسط ومنها استقى ابن طولون اسس تحصين مدينة عكا كما رأينا ، وكان بها دار لصناعة السفن ، وكانت المراكب تخرج منها لغزو البيزنطيين[٢٥٩] ، ولم تكن طرابلس بأقل اهمية منها فقد كان ميناؤها في تلك الفترة يحتمل لألف مركب[٢٦٠] ، ونتيجة لجهود احمد بن طولون ومتابعة ابنه خمارويه الطريق الذي بدأه ابوه في هذا المجال زادت فعالية الاسطول المصري والشامي ، فلقد قيل ان الاسطول الشامي في القرن الثالث الهجري وبداية الرابع الهجري كان في مقدمة الاساطيل الاسلامية ، وكان اكثر كفاءة من الاسطول الفاطمي[٢٦١] .

وكانت هذه المراكب العربية تقطع البحر المتوسط عرضاً في سنة وثلاثين يوماً من بدايته في الغرب الى آخره شرقاً حيث انطاكية التي كانت من اهم الموانى التجارية في الشام خلال القرن الثالث الهجري ، رغم ما كان يؤذيها وجود شعاب نباتية تحت الماء يسمى السفالة ، يعيق نشاط السفن بها وكانت معظمها تتحطم عليها[٢٦٢] .

هذه القوة البحرية في بلاد الشام ، لم تنهض قطعاً بفضل جهود الخلافة العباسية المتداعية في تلك الفترة ، ولا بد ان السياسة الطولونية لعبت دورها في هذا المجال نتيجة لاحساسها الشديد بقيمة الاسطول في استكمال الاستعدادات العسكرية والحربية والتفاني في تقوية السفن وصناعتها ، فقد التفت احمد بن طولون لصاحب دار الصناعة قائلاً له : «كل ما تعمل لي من العدة يكتفي فيه بالقليل مع تقدم هيبتي في صدور الناس الا المراكب ، فان البحر لا يهابني ولا يخاف سورتي وليس يعمل في البحر الا الوثائق والجودة في الصنعة وتقديم الاحسان . . .»[٢٦٣] ، كما ان الطولونيين ادركوا امكانيات القطرين (مصر والشام) فسخروا هذه الامكانيات لهذه الغاية فاستفادوا من أخشاب الشام في بناء السفن ومن المواقع الهامة لهذه المدن والموانىء ، وجعلوها قواعد واحدة تتنقل الوحدات الطولونية بينها[٢٦٤] .

فلقد قام ابن طولون بنقل وحدات اسطوله الى طرسوس ، وجعل من هذا الثغر قاعدة حربية بحرية وبرية ، تخرج منها السفن لتدعيم القوات البرية الاسلامية الغازية والتي كانت في صراع مستمر وصدام متواصل مع المعاقل البيزنطية في آسيا الصغرى(٢٦٥) .

جـ - جهود الطولونيين في مجال العمران والحضارة في الشام :

واذا كانت الجهود الطولونية في بلاد الشام انصبت على النواحي العسكرية ، فانهم لم يهملوا النواحي الحضارية الاخرى ، وساهموا بدور فعال في كافة النواحي ، واذا كانت المصادر الاسلامية قد اسهبت في ابراز جهود الطولونيين في هذا المجال في مصر ، واوجزت فيه بالنسبة للشام . فاننا نستطيع اعتماداً على بعض نتف متفرقة وردت في ثنايا السطور فيما ذكرته المصادر الاسلامية في ان نوضح جانباً من جهودهم في الشام في هذا الصدد .

فلقد قام خمارويه وهو الذي عرف عنه ولعه بالترف والاسراف والبذخ لحد انهك الدولة ، وساهم في اسقاطها في بناء القصور الكثيرة في الشام ، حيث اقام على كل مرحلة من مراحل انتقال ابنته قطر الندى من مصر الى العراق قصراً جعله مقراً لها ، واستراحة لموكبها اثناء سفرها للخليفة المعتضد ، وقيل انه كان بكل قصر من هذه القصور كل ما كان بقصور ابيها في القطائع(٢٦٦) ، وكانوا يسيرون بها سير الطفل المدلل ، فاذا وافت الاستراحة المخصصة وجدت قصراً قد فرش فيه كل ما تحتاج اليه ، وعلقت فيه الستور وأعد به كل ما هو لائق بها حتى انها كانت في مسيرها من مصر الى بغداد وكأنها في قصر ابيها ، الى ان دخلت بغداد في المحرم سنة ٢٨٢ هـ وزفت الى الخليفة المعتضد(٢٦٧) .

كما أشاد خمارويه قصراً فخماً في دمشق على سفح جبل قاسيون بالقرب من دير مران ، لما عرف عن خمارويه من ولع في ارتياد الاديرة ، وفي هذا القصر قتل خمارويه في سنة ٢٨٢ هـ حيث ذبحه بعض خدمه لعبثه كما قيل ، وكان معه طغج بن جف حيث قام بمعاقبة الجناة رغم ما كان من خلاف بينهم قبل مأساة خمارويه(٢٦٨) مما جعله في موضع الشك بهذه الجريمة .

د ـ سياسة الطولونيين ازاء الثغور والجهاد ضد الروم :

اما موقف ابن طولون من الثغور الشامية فيتضح من اعلانه الجهاد وتبنيه لهذه الفكرة التي ربما تكون قد نمت عنده منذ السنوات الاولى التي قضاها في ثغر طرسوس واشترك فيها في الجهاد والغزو والتي ترجع ايضاً لاحساسه الديني العميق الذي نشأ عليه ابن طولون(٢٦٩) ووضحت رغبة ابن طولون هذه في الجهاد في السنوات الاولى من حكمه في مصر ، ويتجلى هذا في حرصه الشديد على الفوز بولاية الثغور ، واعداد أخيه موسى وترشيحه لقيادة المجاهدين هناك نائباً عنه ، وانتظاره بفارغ الصبر كتاب يارجوخ له بالعقد له على هذه الثغور لأنها أجل وأعظم ما يصبو اليه ، ويظهر ان ابن طولون استبق الحوادث هنا حيث سمح لاخيه في سنة ٢٥٨ وأذن له بالتوجه الى ثغر طرسوس(٢٧٠) .

وتابع ابن طولون جهوده في هذا الصدد حتى حصل اخيراً في سنة ٢٦٣ هـ على ما اراد وولاه المعتمد ولاية هذه الثغور ، كما رأينا رغم العراقيل التي اثارها الموفق ضده(٢٧١) .

وجعل ابن طولون من توليه على هذه الثغور وتبنيه لفكرة الجهاد مقدمة وسبباً مشروعاً لدخوله وحملته الاولى على بلاد الشام ، فرغم انه حصل على ولاية الشام سنة ٢٦٤ هـ من الخليفة المعتمد نفسه ، الا انه اعلن اثناء تحركه وكتابه الى علي بن أماجور أنه في طريقه إلى الثغور طالباً الميرة والعلف ، وما أن وصل الى فلسطين حتى اعلن عن حاجته لمتطوعين لاجل هذا الهدف ، فانضم اليه الكثيرون(٢٧٢) وخرج على قيادة هذا الجيش الجرار .

ثم انه لمّا أن استقرت له الامور في مدن الشام ، حتى تابع سيره منطلقاً نحو الثغور لاشباع رغباته في الجهاد ، متبعاً اسلوب الحكمة والأناة في معالجة الامور والتصدي للقوى فيها ، فهو لم يشهر السلاح ضد سيما الطويل كما رأينا الا بعد أن فشلت كل مساعي الصلح والسلام(٢٧٣) .

وتوج ابن طولون انتصاراته بهذه الثغور بوصوله الى الثغر الخالد ثغر طرسوس حيث اعاد فيه ذكريات شبابه ، وبهذا الثغر العظيم تتجلى عظمة ابن

طولون وسياسته الرشيدة في هذا البلد ، حيث انتقل لناسك متعبد[٢٧٤] ولمحسن كريم يجود بما عنده لهؤلاء المجاهدين . وجلس لقضاء حاجة كل محتاج واسرف في العطاء ، وقضى حاجة كل من سأله وطلب عونه ، «فكان يجلس لقضاء الحوائج ويفرق المال على الأهلين ، وكان يطوي أياماً ويحيي الليل بالصلاة الى الصباح»[٢٧٥] .

وهكذا قضى ايامه في طرسوس بين العطاء والصلاة ، فما أن قرر الخروج عنهم حتى كثر الدعاء له ، وحدثت ضجة كبيرة اثناء تشييعه في الجامع والطرقات وخرج اهل البلد قاطبة في وداعه ، فبلغ ذلك ملك الروم ، وما كان من اهل طرسوس معه ، فعظمت هيبة الثغر في قلبه[٢٧٦] .

واذا كان ابن طولون اضطر للعودة الى مصر على اثر حركة ابنه العباس ، الا أنه لم يعد الا بعد ان نظم الثغور واطمأن لوضعه فيها . وكلف قيادة هذه الثغور بتنفيذ خططه في الجهاد ضد العدو واوصاهم بالحيطة والحذر ، وبالرد على الهجوم بهجوم مماثل ، والقبول بالسلام اذا جنح العدو له . وانسجاماً مع سياسته هذه فانه أجاب الامبراطور البيزنطي باسيل الأول على طلبه الهدنة ، وكتب لنائبه طخشي «مبيناً له ان ملك الروم سألنا السلام» موضحاً له ان هذا لم يقم بذلك اشفاقاً في سفك دماء المسلمين ولا رأفة بهم ، انما دفعته مصلحته وظروفه والضغوط الكبيرة التي تعرض لها من جراء الغزو وغيره ، فوجد مصلحته بهذا الطلب قائلاً ان من الخسارة الكبيرة ان تكون هذه الهدنة مربحة للعدو وخاسرة للمسلمين ، وطلب منه قبولها مع الاهتمام الزائد في اصلاح الحصون وتجديدها وزيادة الحرص حتى لا تكون الهدنة خدعة يعقبها الهجوم المفاجىء للعدو[٢٧٧] .

وفي سنة ٢٦٩ هـ عاد ابن طولون لبلاد الشام وضرب بيد من حديد على الحركة الانفصالية التي قادها لؤلؤ خادمه[٢٧٨] ونائبه عليها ، وكانت امنيته ان يلحق به قبل فراره الى بغداد ، ولم يتريث ابن طولون لحظة واحدة كي لا تفوته الفرصة ويهدد كيان دولته وخاصة وأن الموفق أحمد كان على وشك القضاء على ثورة الزنج ، وبدأ يتفرد للعمل ضده ، وقد تمكن من احكام السيطرة على الخلافة العباسية[٢٧٩] وضيق الخناق على المعتمد ، مما اجبره لقبول عروض ابن طولون ومغادرته العراق

الى مصر ، فكان خروج ابن طولون ايضاً للقاء الخليفة العباسي وانتظره في دمشق ، مترقباً للنبأ العظيم واللحظة الحاسمة التي كانت ستهز العالم الاسلامي ، ولكن الامنية الطولونية لم تتحقق[٢٨٠] نتيجة لعمل الموفق والقائمين على الامور في العراق ، ورغم الصدمة التي اصابت ابن طولون وقرار الموفق بخلعه ولعنه على المنابر ، وكبر الاحداث وتلاحقها السريع خلال وجوده في دمشق ، فما ان انتهى من عقد مؤتمره الشهير بدمشق الذي اعلن فيه خلع الموفق ولعنه ايضاً على المنابر ، رغم هذا لم ينس ابن طولون ان يلتفت الى الثغور ويعنى بها ويعيدها لسيطرته ، بعد ان استبد بها يازمان[٢٨١] خادم الفتح بن خاقان ، حيث خلا الجو له بوفاة موسى بن طولون ، وطخشي ، وتمكن من طرسوس واعلن العصيان على الطولونيين ، وبتحريض من الموفق ، وأخذ يعمل لاستمالة بعض الأنصار له والتضييق على الأهالي ، فخاف ابن طولون عاقبة الأمور ، وطمع العدو ، لذلك ما إن وصل دمشق للمرة الثانية حتى بدأ يراسل هذا المتمرد ، ويدعوه لطاعته وبنفس الوقت يكلف نائبه خلف الفرغاني ـ الذي استخلفه طخشي قبل وفاته وأقره ابن طولون وطلب منه القيام بالغزو[٢٨٢] .

ولم يستجب يازمان هذا لرسائل ابن طولون فما كان منه ، الا ان طلب من خلف الفرغاني القبض عليه ، غير ان انصاره بطرسوس طردوا خلف منها وولوا عليهم يازمان[٢٨٣] وقاموا بلعن ابن طولون على المنابر ، لذلك قرر ابن طولون المضي الى طرسوس وتأديب هذا الناكص ، وعندما صار بالمصيصة بعث بوجوه من معه الى يازمان يدعوه للطاعة والدعاء له ويعطيه الامان دون جدوى ، وتابع ابن طولون سيره وهو يخفي الالم الدفين في نفسه لانه لا يود قتال هذه المدينة ، فما ان وصلها حتى رأى يازمان قد تحصن فيها[٢٨٤] .

ولما لم يستجب يازمان لنداءات ابن طولون المتكررة حيث حرص كعادته الا يشهر سيفاً الا مضطراً ، ولهذا لم يجد بداً من انهاء هذه الفتنة ، وانتظر كثيراً ثم حاصر المدينة فكان تريثه على هذا النحو هو الذي أطمع فيه يازمان ، فما كان منه الا ان امر باطلاق مياه نهر البردان[٢٨٥] وكان الوقت شتاء والبرد شديداً وكثرة الامطار والثلوج كل ذلك زاد من موقف ابن طولون حرجاً ، وخسر عناصر كثيرة من جيشه ومعسكره ، فما كان منه الا ان عزم على الرحيل[٢٨٦] . وفي طريقه اقام

بالمصيصة اياماً ، وبها ابتدأت به علته التي مات بسببها[٢٨٧] ، وما ان وصل انطاكية حتى زادت علته ومن هذه المدينة حمل ابن طولون الى مصر يسعى حثيثاً الى الموت[٢٨٨] ، وقبل عودته ولى على حلب عبد الله بن الفتح[٢٨٩] .

وبلغ من اهتمام ابن طولون في بلاد الشام ودفاعه عن مصالحه فيها ما زاد عن الحدود وكل تصور ، فهو لم تنسه هذه الكارثة التي حلت به وبجيشه في طرسوس في نهاية سنة ٢٦٩ هـ ، بل زاد بذلاً وعناية بهذا البلد ، ولم يقعده المرض عن العمل الدؤوب ، فما ان وصل مصر حتى طمع اسحق بن كنداج وابن ابي الساج في التوسع على حسابه في بلاد الشام بعد ان ادركا مرضه ، فما كان منه الا ان اصدر تعليماته لقادة جيوشه ببلاد الشام يطلب منهم توحيد الصفوف والتصدي للعدوان «وأمر على الفور بمضاربه فأخرجت الى منية الاصبغ كما انفذ عسكراً الى الشام فيه خاقان ويلبق[٢٩٠]» ، ومكث في معسكره شهراً كاملاً يتابع المعركة حتى أتته الأنباء بزوال الخطر .

ولم يعش ابن طولون كثيراً ، فقد كان تصميمه للانتقال والاشراف على المعركة تحت المرض ، مما سبب اجهاده ، وعجل بمنيته وكأنه قد استمات بالدفاع عن حقوقه في بلاد الشام ، لهذا يمكن ان نقول انه مات شهيد أطماعه واحلامه في الشام ، اصابه المرض وهو يدافع عن طرسوس ، وعاد بعد ان اعياه الالم ، ثم قضى عليه بعد ان انتقل الى منية الاصبغ وهو يقود العمليات حين كان على فراش الموت[٢٩١] ضد الطامعين في بلاد الشام .

وهكذا انتهت حياة هذا الامير الذي علا شأنه وارتفعت مكانته بوحدة هذين البلدين الهامين ، وخرجت مصر كلها داعية له اثناء اشتداد علته وودعته ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ وما ان بلغت وفاته الخليفة المعتمد حتى وجد عليه متأثراً وانشده راثياً بقصيدة :

الى الله أشكو أسى عراني كوقع الاسل[٢٩٢]

واذا اردنا ان ننصف ابن طولون جاز لنا ان نقول ان اطماعه في بلاد الشام ومشاريعه فيها كانت تحدوها رغبة صادقة في الجهاد واستطاع في فترة حرجة من تاريخ الاسلام ، وضعف الخلافة العباسية وانشغالها بالحركات والثورات الكثيرة

كالزنج وغيرها ، أن يقوم بالتصدي لحماية الديار الغربية الاسلامية ، ويعمل جاهداً لتأمين حدود الشام الشمالية ، ويجبر العدو لوقف تقدمه وطلبه للصلح ، وان يعتمد على مصر والشام ومواردهما في تحقيق هذا الهدف(٢٩٣) .

فهو في غمرة صراعاته المتشعبة مع الموفق ويازمان وغيرهم من القوى الكثيرة في بلاد الشام ومصر ، خشي ابن طولون ان يؤدي ذلك الى طمع العدو واستغلال هذه الظروف بالهجوم على الثغور الاسلامية ، لذلك لم يكتف بمبدأ الدفاع عنها ، بل اتخذ اسلوب الهجوم وهو احسن وسائل الدفاع ، ورغم خلافاته مع يازمان التي وصلت حد الصدام المسلح بين الطرفين ، ومع ذلك لم ينس الثغور وخاف من عامل المفاجأة للعدو ، ولم يدفعه العداء والتمرد الاقليمي عن اداء واجبه ، بل نراه يطلب من نوابه هناك الاستعداد والقيام بالغزو ، ففي سنة ست وستين قام عامله في الثغور الشامية وغزا في ثلثمائة من اهل طرسوس ورغم ان الروم اعترضوهم باربعة الاف غير ان النصر كان حليف القوة الاسلامية وغنموا منهم الكثير(٢٩٤) .

وفي سنة ٢٦٨ هـ قام خلف الفرغاني وغزا بالصائفة رداً على خروج الروم فاثخن وقتل من العدو بضعة عشر الفاً ، وغنم غنيمة عظيمة ، حتى بلغ السهم اربعين ديناراً(٢٩٥) ، كذلك قام خلف الفرغاني سنة ٢٦٩ هـ وغزا الصائفة فقتل من الروم بضعة عشر الفاً وغنم الناس الكثير(٢٩٦) ، ولم يكتف ابن طولون بهذا ، بل زاد اهتمامه بالثغور والانفاق عليها ، فقد كان يقوم بتخصيص قدر من أموال مصر وانتاج مقاطعاتها واوقافها واموالها لاصلاح الثغور ، فكان يحمل اليها «الاموال والسلاح والكراع والثياب ما لم يحمله اليها احد قط»(٢٩٧) .

ولم يكتف ابن طولون بارسال الصدقات الى الثغور ، بل كان يرسلها ايضاً الى دمشق والعراق والجزيرة وسامراء والكوفة والبصرة والحرمين وغيرها(٢٩٨) ، وذلك دعماً لسياسته وتثبيتاً لمركزه السياسي في حكم البلدين .

وهكذا تمكن ابن طولون من توسيع رقعة دولته حتى وصلت في آخر ايامه الى حدود العراق ، وجبال طرسوس ، وطرابلس في الغرب . وزاد نفوذه باعتماده على قوة القطرين البشرية والاقتصادية فلم يتوفر لعامل من عمال مصر مثل هذه

السلطة والقوة ، وهكذا جعل من مصر والشام حصن الاسلام وخط دفاعه الاول(٢٩٩) .

هـ ـ رأي التاريخ في ابن طولون وشخصيته :

ولقد اختلف المؤرخون في ابن طولون ، فبعضهم لا يرى فيه الا الرحمة والتقوى والاحسان ، وآخرون لا يرون فيه ، الا القسوة والعنف والتجسس ، وكلا الرأيين فيه شيء من الصحة(٣٠٠) ، وهو بجميع تصرفاته يقع فيها تحت مؤثرات تفرض عليه هذا السلوك أو ذاك ، وابن طولون اعطى صورة حية واضحة لخوف الحكام من كل فكر حر ، وكل ذي رأي ثاقب ، أو الى أي انسان تتسم فيه النجابة والعلو ، وكان صراعه مع امثال هؤلاء يتعدى صراعه مع الاعداء(٣٠١) ، وقيل عن ابن طولون ان جميع خصاله كانت محمودة الا انه كان حاد الخلق والمزاج ، فهو عندما ولى مصر والشام ، ظلم كثيراً ، وعسف وسفك الدماء ، ومات في سجنه ثمانية عشر الفاً(٣٠٢) ، وأنه رأى في منامه ان الحق سبحانه وتعالى قد مات في داره ، فعظم عنده ذلك ، وفاق مرتعداً . وجمع المعبرين ، فلم يعلم احد منهم بشيء ، حتى جاء بعضهم وقال : اقول ولى الامان قال نعم ، قال : «انت رجل ظالم قد أمت الحق في دارك فبكى»(٣٠٣) .

غير ان ظهور ابن طولون في مصر صحبه تطور بعيد المدى في تاريخ الشعبين المصري والشامي ، حيث اصبح العرب المسلمون في عهده في مصر والشام غالبية سكان البلاد ، واصطبغ الشعب المصري بالصبغة الدينية ، في نفس الوقت كانت هذه الغالبية الاسلامية تتخذ اللغة العربية لغة الحديث والعلم ، كما ان الاقلية المسيحية بدأت تنسى لغتها الاصلية بالتدريج واخذت العربية ، وهكذا اكتملت مظاهر التعريب فشملت كل شيء حتى دماء الشعب نفسه تسربت اليها المؤثرات العربية(٣٠٤) .

وابن طولون ادرك قيمة الشعب في مصر والشام واهميته بالنسبة لحكمه واستمراريته وصراعه مع القوى الداخلية والخارجية ، لذلك تفانى في كسب وده كما رأينا ، ولبس ثوب المدافع عن هذا الشعب وتبنى مصالحه وحقوقه ، وعبر عن أمانيه ورغباته واهدافه المقدسة في الجهاد وغيرها ، وتحدث باسمه ، فاستحق ان

يقدره هذا الشعب وخلده التاريخ وهو لو فعل غير ذلك لما قيل عنه بأنه قائد مجرب وسياسي محنك(٣٠٥) .

كما أن تجربة ابن طولون وتأسيسه للدولة في مصر والشام نبهت هؤلاء واعادت لخيالهم ذكريات تاريخهم القديم من العهدين الفرعوني والآشوري ، وعادت الصلات التي انقطعت الى سابق عهدها الوثيق ، ورغم ان هذا التحول كان لمصلحة بلاد النيل(٣٠٦) ، الا ان هؤلاء شعروا جميعاً ان وحدتهم تعطيهم القوة والمجد ، وانه في امكانهم اذا ما اتحدوا وشكلوا دولة واحدة ان يؤلفوا قوة كبيرة يهابها الاعداء والاصدقاء ، ويمكن لهذه القوة والدولة ان تلعب دوراً قيادياً وفعالاً في مسيرة الامة العربية والاسلامية ، كما يمكنهم بذلك من التخلص من التبعية لبغداد والاستقلال عن الدولة العباسية المتداعية(٣٠٧) .

وهكذا كانت الدولة الطولونية بداية لتطلعات جديدة في مصر والشام في العصر الاسلامي استغلتها حركات كثيرة افادت منها ، فلم تمض سنون على نهاية الدولة الطولونية حتى قام الاخشيديون وأسسوا دولتهم على غرار الطولونيين ثم انطلق الفاطميون والايوبيون فيما بعد نحو الشام ومصر متخذين من وحدة البلدين قوة لهم وقواعد اساسية لحكمهم وانتصاراتهم .

ثم ان ابن طولون لعدله وحسن سياسته ، فضله الناس على بعض الخلفاء ، وفي الحق انه كان على جانب من العدل ، وحسن السيرة والهمة ، وبعد النظر ، والتفكير في عمران دولته ، حتى زاد خراجها ، وكان هديه في ذلك هدي المعتصم العباسي(٣٠٨) .

وفي عهده استتب الامن ، وضرب كل خارج ونشر الطمأنينة ولم نسمع عن حدوث حركات كبيرة للاعراب ، وقطعهم طريق الحج وخاصة في الايام الاولى لحكمه ، ولولا تصدي الموفق له وسياسته العدائية معهم كما سنرى لعم الهدوء والامن ربوع الشام ومصر ، فهو لم يكن يسمع بأي حركة حتى يسارع للقضاء عليها ، ولم ينتظر طويلاً لكي يقطع دابر الفتنة من اولها ، فما ان سمع بتحرك بعض الاعراب في سنة ٢٦٩ هـ وقدومهم من الحجاز الى حوران من بلاد الشام

حتى قام على الفور وارسل الى صحراء اذرعات نحو خمسين الفاً من المقاتلين وكسرهم واخمد حركتهم[٣٠٩] .

و ـ سياسة خمارويه في حكم بلاد الشام :

وسار خمارويه على سياسة أبيه في بلاد الشام من التقرب للأهالي ، وكسب ودهم ، وتبني فكرة الجهاد في الثغور الشامية ، وقام بنشر الأمن والطمأنينة ، وعمل دائباً على حماية طريق الحج ، وأسرف في توزيع الأموال على الفقراء والمساكين والمستورين وأهل العلم[٣١٠] .

وتميزت الفترة منذ موت أبيه سنة ٢٧٠ وحتى نهاية عام ٢٧٢ هـ في بلاد الشام بفوضى سياسية وحروب طاحنة قادتها القوى وعلى رأسها الموفق وابنه العباس ، كما لعبت الاطماع الشخصية دورها هي الأخرى ، فكانت عاملاً مساعداً للموفق في استمالة بعض القادة الطولونيين وخيانتهم لهم ، وعلى رأس هؤلاء أكبر قواده في بلاد الشام وهو أحمد بن دوغباش الذي ولاه خمارويه قيادة منطقة شمال حلب لأهميتها ، بالاضافة لحكمه مدينة دمشق نيابة عنه[٣١١] وكذلك الواسطي (أحد قادة الجيوش الطولونية الذي أرسله خمارويه لفرض الوجود الطولوني في الشام واجبار الخلافة للاعتراف بهم واعادة تقليدهم ولاية الشام ومصر بعد ان نجح الموفق في اسنادها الى اسحاق بن كنداج حاكم منطقة الموصل والجزيرة[٣١٢] .

في هذا الوضع السياسي المضطرب والصدام المسلح بين هذه القوى ـ وعدم وجود القيادة الشرعية في هذه المنطقة ، وخلافة عباسية تحرض الجميع وتنتظر المنتصر لتعطيه التقليد والثقة ـ ظهر سعد الأيسر القائد الطولوني الذي كلف أيضاً بقيادة أحد الجيوش التي سيرها خمارويه[٣١٣] سنة ٢٧٠ في ذي الحجة ، وسير مع هذه الجيوش المراكب البحرية داعمة للجيوش البرية وراصدة للقوى التي قد تأتي من البحر ضد الطولونيين .

وقد شغل سعد الأيسر هذا دوراً بارزاً في الحروب الطولونية وقلب هزيمة خمارويه الى نصر[٣١٤] ، وتابع انتصاراته على القوات العباسية ونظم أمور الطولونيين فرفع أبا العشائر بن أحمد بن طولون وولاه رئاسة الجيش حرصاً منه على جمع الشمل وعدم تفرق الكلمة ، ووزع العطاء على العسكر ، وبذلك أبعدهم عن الشغب ، ثم قادهم الى دمشق فدخلها[٣١٥] وملكها ودعوا فيها لخمارويه .

وبقى سعد الأيسر في دمشق هذه المدة ينظم أمور بلاد الشام ويشرف على تنفيذ السياسة الطولونية فيها ، وخلال هذه الفترة قام بعمل مشرف حيث أعاد فتح طريق الحج وكان قد توقف طيلة السنوات الثلاث الأخيرة التي شهدت أعنف مراحل الصراع بين الطولونيين والقوى العباسية ، وخرج سعد هذا الى الاعراب وواقعهم في القسطل وقتل منهم خلقاً عظيماً ، وفتح السبيل أمام مكة المكرمة وأعاد طريق الحج لذلك أحبه أهل دمشق وتعلقوا بأميرهم المظفر[٣١٦] .

وكان خمارويه يثق بقائده سعد ولذلك قفل عائداً من فلسطين في شهر رمضان سنة ٢٧١ هـ الى الفسطاط (دون أن يصل الى دمشق بعد معركة الطواحين) وبقى مدة سنة تقريباً لم يتردد على بلاد الشام ، غير أن سعداً هذا ظل يعيش في نشوة انتصاراته ، وأخذ يضعف من مكانة سيده خمارويه ويقول لأصحابه «هذا الصبي مشغول باللهو وأنا أكابد الشدائد» ويبدو أنه بدأ يعمل لحسابه الخاص ويفكر في الاستقلال[٣١٧] وكانت تصرفاته تصل خمارويه تباعاً ، لذلك قرر التخلص منه .

وخرج خمارويه الى الشام في ذي القعدة سنة ٢٧٢ هـ ، وعند وصوله الرمله استدعاه وقتله في قصر نخلة[٣١٨] فيما بين الرملة وبيت المقدس ، وعندما سمع أهل دمشق النبأ غضبوا لقتل أميرهم المحبوب ولعنوا خمارويه واضطربت الأحوال هناك[٣١٩] ، واغتموا لهذا العمل ، وعلى أثر ذلك اضطر خمارويه للحضور الى دمشق فدخلها في يوم الثلاثاء من المحرم سنة ٢٧٣ هـ ، وعمل على تهدئة الفتنة ، وبقي فترة فيها حتى استتبت أمورها وهدأت أحوالها .

وفي أثناء وجوده في دمشق ، قام بتفريق الأموال الكثيرة على الفقراء والمساكين والمستورين وأهل العلم والمحتاجين ، فاستمال اليه أهل دمشق وأحبوه[٣٢٠] ، كما انه بعث الى طريق الحج من أشرف عليها ونشر الأمن فيها . وقضى على تغلب الأعراب ببعض النواحي فوجه اليهم طباره جي وقتل منهم الخلق الكثير[٣٢١] .

وهكذا لم تمض سنة ٢٧٢ هـ حتى خلى الجو صافياً لخماورويه في بلاد الشام وقضى على معظم القوى والصعوبات الداخلية والخارجية التي اعترضته في الشام ، ولم يكن من المعقول ان ينسى خماورويه الثغور الشامية بعد هذا الاستقرار ووصول الحدود الطولونية الى اقليم الجزيرة ، وتفاني ابيه في الجهاد ضد العدو[٣٢٢] ، ولقد مر بنا أن يازمان عصى على الطولونيين .

وفي الفترة التي اعقبت وفاة أحمد بن طولون وحتى سنة ٢٧٧ هـ برز على مسرح الجهاد في الثغور الشامية يازمان هذا ، وتقلد أمر طرسوس في أواخر أيام أحمد ابن طولون ، وبذلك انتقل امر الجهاد له فقام بدور مشرف وقاد بعض الحملات العسكرية الناجحة في آسيا الصغرى ففي سنة ٢٧٣ هـ غزا الصائفة وتوغل في أرض الروم وقتل وغنم وأسر وسلب وعاد الى طرسوس[٣٢٣] ، كما قام بغارات مماثلة خلال الأعوام ٢٧٤ ، ٢٧٥ هـ[٣٢٤] ، وبحملات بحرية أخرى على الجزر البيزنطية القريبة من ساحل الشام ، وعلى شواطىء آسيا الصغرى .

وقد شارك الاسطول الطولوني رغم موقف يازمان هذا ، وادى واجبه بمؤازرة يازمان وتصدى للقوى البحرية البيزنطية في حوض البحر المتوسط ، اذ لم يكن من المعقول أن يتخلى خمارويه عن هذا الواجب المقدس ، الذي يخدم مصالحهم ، فالارجح أن الأسطول الذي أرسله خمارويه سنة ٢٧١ هـ لتدعيم موقفه وقواته البرية في بلاد الشام ، لعب دوراً هاماً في حماية الثغور البرية ، وقام بدور فعال ضد البيزنطيين في البحر[٣٢٥] مع القوى البحرية الاسلامية في الثغور .

وتمكن الأسطول الطولوني برغم المصاعب الكثيرة التي صادفت الدولة الطولونية ان يحد من قوة الاغارات الرومية البحرية ، التي أخذت تزداد حدة

بسبب ضعف الخلافة العباسية(٣٢٦) ، وكانت هذه الجهود الطولونية دافعاً ومعيناً للأسطول العربي في اقريطش (كريت) .

كما كان هذا التعاون أيضاً دافعاً لردود الفعل البيزنطية للتصدي وقطع أسباب الاتصال بين اسطول طرسوس واقريطش والعمل المستمر على بث الرعب في مدن الشام بواسطة الحملات المستمرة والمفاجئة(٣٢٧) .

وعلى أثر الانتصار الذي حققته القوات الطولونية في بلاد الشام وانهزام ابن ابي الساج وابن كنداج ، وفرض الوجود الطولوني في منطقة الجزيرة واعتراف الخلافة بخمارويه له ولابنائه على الشام ومصر ولمدة ثلاثين سنة(٣٢٨) ، تم التقارب بين خمارويه وبين يازمان الخادم في الثغور ، ولقد جاء هذا التقارب من طرف خمارويه اداركاً منه لواجبه وللمصلحة العليا ، وتجنباً للصدام معه الذي لا يخدم إلا العدو المتربص ، فأرسل خمارويه الهدايا والصلات ليازمان ومنها ثلاثون ألف دينار وخمسماية ثوب وخمسون ومائة دابة وخمسون ومائة ممطر سلاح(٣٢٩) «ولم تكن هذه المساعدات هبة بقدر ما كانت عوناً لهؤلاء المدافعين واشتراكاً منه في هذا العمل الجليل» ، ولم يكن من المعقول ان يرفض يازمان هذا التقرب من هذا الأمير الذي اخضع المنطقة بكاملها ودانت له بقوة السلاح ، فما كان منه الا ان دعا له على منابر الثغور سنة ٢٧٧ هـ(٣٣٠) ، فرد خمارويه على ذلك اعترافاً منه بسيادته على هذه المنطقة بخمسين ألف دينار لعلها ما يستحق على بلاده من خراج(٣٣١) .

وهكذا استطاع خمارويه ان يفرض شرعية الدولية في بلاد الشام وأعاد الثغور واعترفت القوى المختلفة بالوجود الطولوني .

ولقد ظلت العلاقة وثيقة بين الطولونيين ويازمان واشتركت القوتان معاً للتصدي للبيزنطيين ، وكانت نهايتها في عام ٢٧٨ هـ عندما وصل أحمد الجعيفي الطولوني طرسوس وغزا مع يازمان بالصائفة وحاصروا (سلندو) أصيب يازمان بحجر منجنيق فرجع مثقلاً بدمائه ومات في طريقه ودفن بطرسوس(٣٣٢) .

وعلى أثر وفاته عين خمارويه نائباً عنه في الثغور وهو محمد بن موسى الملقب بالأعرج(٣٣٣) ، ورغم تدخل الموفق واثارته للفتنة هناك كما سنرى والشغب الذي

حدث اثر اعتقال خمارويه لراغب مولى الموفق فقد انهى خمارويه الفتنة بان أطلق راغباً وعين على الثغور أحمد بن طغان من قبله ، على أن يقوم بمساعدته راغب وذلك استجابة لرغبات أهل طرسوس[٣٣٤] .

وهكذا استقرت الأمور في الثغور لفترة وأخذ خمارويه يمدها بالمال والرجال ، كما وعهد لطغج بن جف والى دمشق وطبريه[٣٣٥] بأن يقوم بمساعدة أحمد بن طغان ، وأتت هذه السياسة ثمارها حيث قامت الصوائف بقيادة طغج بن جف في آسيا الصغرى وغزت طرابيزون على البحر الأسود في سنة ٢٨١هـ ، كما قام هذا بفتح مدينة ملورية[٣٣٦] ورافق هذا النشاط البري نشاط بحري ، مما دفع البيزنطيين لطلب الصلح في سنة ٢٨٣هـ وعقب ذلك ثم تبادل الفداء بين المسلمين والبيزنطيين على يد أحمد بن طغان هذا[٣٣٧] .

ولم يعش خمارويه ليرى نتائج جهوده الواسعة في هذا المجال فقد قامت القوات البحرية العربية بردود فعل ضد الحملات البحرية البيزنطية التي قادها الاميرال الرومي هيمريوس على أقريطش وعمل جاهداً لقطع أسباب الاتصال بينها وبين طرسوس وبث الرعب في مدن الشام الساحلية[٣٣٨] ، وعلى أثر ذلك قامت القوات البحرية في الشام ومصر واقريطش في سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٤م بمفاجأة أهم القواعد العسكرية الرومية الحصينة في بلاد اليونان وهي سالونيكا ، وكان لبحارة الاسطول المصري الدور الفعال في اقتحام معاقل هذه القاعدة الهامة ، وتم لهذه القوات فتح هذه المدينة ووقعت حاميتها اسيرة الأساطيل العربية ، ودمرت استعداداتها الحربية ، وعجزت فيما بعد من مد الأسطول البيزنطي في الصراع العربي في البحر المتوسط . وعادت الأساطيل مجتمعة إلى اقريطش (كريت) وقامت باقتسام الغنائم ثم عادت بعد ذلك الأساطيل الشامية المصرية الموحدة الى قواعدها في طرسوس والاسكندرية[٣٣٩] .

ولكن النشاط العربي في شرق البحر المتوسط ما لبث ان توقف فجأة وذلك بسبب تجدد الصراع بين الخلافة العباسية والبيت الطولوني في مصر وانهاء الحكم الطولوني في الشام ومصر في نهاية عام ٢٩٢ هـ[٣٤٠] .

وهكذا نجد أن اتحاد القطرين وتعاونهما كان دائماً قوة لهما كما كانت ترافقه انتصارات برية وبحرية ، وعلى العكس كان انفصال القطرين وابتعادهما نتيجة لأسباب كثير خارجة عن ارادة البلدين يرافقه طمع العدو في هذه المنطقة وبث الفوضى وعدم الاستقرار .

ولقد ادرك الطولونيين هذه الحقيقة فتفانوا في وحدة القطرين والسيطرة عليهما فتمكنوا من حماية موقفهم الداخلي والصمود في وجه الخلافة العباسية ، والنهوض بحلقة من حلقات الجهاد من ناحية أخرى .

لكن انحلال الدولة الطولونية بعد خمارويه ترتب عليه تمزق تلك الوحدة بين مصر والشام ، مما أدى الى ضعف الطولونيين وسقوط دولتهم .

☆☆

حواشي الباب الأول :

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتاب ، جـ٣ ، ص١ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ٣ ص١٢٦، ط٨، مكتبة النهضة سنة ١٩٧٣ .

(٢) مصطفى طه بدر : مصر الاسلامية جـ١ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩ ص ١١٤ .

(٣) (وهو الشخص الذي يكلف بالقيام في المحافظة على حياة الخليفة) . ـ علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ـ ص ٦٦ .

(٤) المقريزي : الخطط جـ١ ص٥٨٩ عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ .

(٥) ابن تغري بردى : النجوم جـ٣ ص١ . دائرة المعارف الاسلامية جـ٢ ص٢٥٦ طبعة دار الشعب .

(٦) طه بدر : مصر الاسلامية : جـ١ ص١١٤ .

(٧) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص٦٦ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١ ص١٥٦ ، مكتبة النهضة العربية بمصر سنة ١٩٤٨ .
حسن احمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص١٧ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٠ .
«ورغم ان طولون ويلبخ من اصل واحد غير ان هناك فوارق كبيرة بين الاثنين فيلبخ كان من طبقة متدنية في المجتمع العباسي ولم يحصل على اي منصب وكان مصدر سخرية لخفة في عقله ، أما طولون فقد وصل الى اعلى المناصب الهامة» .

(٩) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٣ .

(١٠) حسن احمد محمود : المرجع السابق ص١٨ .

(١١) الكندي : الولاة وكتاب القضاة : ص٢٢٩ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، سنة ١٩٠٨ .

(١٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٤ .

(١٣) احمد امين : ظهر الاسلام جـ١ ص٤٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط٥ ١٩٦٩ .
ـ محمود مصطفى : الادب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الايوبي ، ص١٠٧ .

(١٤) احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية جـ٥ ص٧٧ . ـ دائرة المعارف الاسلامية جـ١ ، ص٣٥٩ . ـ مصطفى طه بدر : مصر الاسلامية جـ١ ص١١٤ .

(١٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٤ . ـ البلوى : سيرة احمد بن طولون ـ ص٣٥ ، ٣٦ : تحقيق محمد كرد علي ـ المكتبة العربية دمشق سنة ١٣٥٨هـ .

(١٦) المصدر السابق والصفحة .

(١٧) أحمد امين : ظهر الاسلام جـ١ ص٤٥ . ـ البلوي : سيرة ابن طولون ص٣٥ . ـ المقريزي : الخطط جـ١ ص٥٨٩ وما بعدها .

(١٨) Lane Poole: A.Hist OF Egyptin The TheMidde Ages PP.60- 61 (London 1900).
- طه بدر : مصر الاسلامية ص١١٥ .

(١٩) النجوم الزاهرة : جـ٣ ص٥ـ البلوي : سيرة ابن طولون ص ٣٥ .

(٢٠) حسين مؤنس : الحضارة المصرية ، مكتبة مصر ص٣٩٠.

(٢١) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص٦٧.

(٢٢) ابن سعيد الاندلسي : المغرب في حلى المغرب ، ص٧٤ تحقيق زكي محمد حسن جـ١ من القسم الخاص بمصر ، مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٣ . ـ علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص ٦٧ .

(٢٣) علي ابراهيم حسن : المرجع السابق ص٦٧.

(٢٤) حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٨٨ . ـ دائرة المعارف الاسلامية : جـ١ ـ ص ٣٥٩ .

(٢٥) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص٣٤ ـ ٣٥ . ـ حسن احمد محمود: مصر في العصر الطولوني ـ ص١٣ .

(٢٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ـ ص٤ . ـ ابن سعيد : المغرب ـ ص٧٤.

(٢٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ـ ص٤ . ـ طه بدر : مصر الاسلامية جـ١ ـ ص١١٥ .

(٢٨) حسن احمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ـ ص١٧ .

(٢٩) ابن سعيد : المغرب ـ ص٧٤. ـ البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص٣٦.

(٣٠) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص١٤.

(٣١) ابن سعيد : المغرب ـ ص٧٥. ـ حسين مؤنس: تاريخ الحضارة المصرية ـ ص٣٩٠.

(٣٢) البلوي : المصدر السابق ـ ص٤٠ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٧٥ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٦ .

(٣٣) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٦ . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص١٥ . ـ علي ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ ص٦٨.

(٣٤) ابى الفدا : تاريخ الملك المؤيد ابى الفدا جـ٢ ـ ص٤٦ . ـ ابن سعيد : المغرب ـ ص٧٥.

(٣٥) البلوي : المصدر السابق ـ ص٤٠.

(٣٦) ابن تغري بردي : المصدر السابق جـ٣ ـ ص٦ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٤٠ .

(٣٧) Zaky Hasan: Les tulunides: P.33.

(٣٨) حسن احمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص١٦ .

(٣٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ جـ٣ ـ ص٢٩٥ . ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ـ المجلد الثاني ـ ص٥٠١ ـ دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

(٤٠) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ـ جـ٥ ـ ص٣٣٩ ـ بيروت ١٩٦٧ . ـ اليعقوبي : المصدر السابق ـ ص٥٠٢ .

(٤١) ابن خلدون : العبر جـ٣ ـ ص٢٩٥ . ـ حسن احمد محمود: حضارة مصر في العصر الطولوني ـ ص٢٥ ، ٢٦ .

(٤٢) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ـ ص٧٦ . ـ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ـ طبعة ١٩٦٨ ـ ص٦٨ .

(٤٣) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص٤٢ .

(٤٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي جـ٣ ـ ص١٢٧ .

(٤٥) ابن الاثير: الكامل ـ جـ٥ ـ ص٣٣٩ . ـ علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ـ ص٧٠ .

(٤٦) ابن سعيد : المصدر السابق ص٧٧ . ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ ص١٢٧ .

(٤٧) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٧٧ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٤٤ .

(٤٨) اليعقوبي: المصدر السابق ـ جـ٢ ـ ص٥٠٢ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ص٧٧ .

(٤٩) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ـ ص٧٠ .

(٥٠) الغور بضم الغين : اقليم جبلي بين هراة وباميان وحدود كابل وغزنه انظر ياقوت معجم البلدان . ـ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ـ ص١٧ .

(٥١) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص٤٥ .

(٥٢) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٧٨ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٤٥ .

(٥٣) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٧٨ . ـ البلوي : المصدز السابق ـ ص٦٠ .

(٥٤) ابن الداية : سيرة ابن طولون ـ ص١١ . ـ طه بدر : مصر الاسلامية ـ جـ١ ـ ص١١٦ .

(٥٥) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٧٩ .

(٥٦) البلوي : المصدر السابق ـ ص٥٨ .

(٥٧) طه بدر : مصر الاسلامية ـ ص١١٧ جـ١ .Zaky Hassan: Lestunides, p.44

(٥٨) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٧٩ . ـ علي ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ ص٧٠ .

(٥٩) العيقوبي : تاريخه ـ المجلد الثاني ـ ص٥٠٢ .

(٦٠) الكندي : الولاة ـ ص٢١٦ . ـ ابن خلدون : العبر جـ٣ ـ ص٢٩٥ .

(٦١) علي ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص٧١ .

(٦٢) اتربي ابو العز : الدر المنتخب ـ ص١٣٣ مطبعة التأليف بمصر سنة ١٨٩٤ . ـ علي ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ ص٧١ .

(٦٣) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ـ ص٧١ .

(٦٤) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٨٠ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص٢١٦ .

(٦٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي جـ٣ ـ ص١٢٨ .

(٦٦) الكندي : الولاة ـ ص٢١٧ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٧ . ـ انظر ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب : تحقيق سامي الدهان ، نشر المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ـ ص٧٤ . (حيث يورد ان الخليفة ولاه الشام مع انطاكية وطرسوس وغيرها من البلاد).

(٦٧) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢١٧ . ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ جـ٣ ـ ص١٢٨ .

(٦٨) لينبول : سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ص٨٢ طبعة ١٩٥٠م .

(٦٩) اتربي ابو العز : الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ص ١٣٤ . ـ الكندي : الولاة ـ ص ٢١٦ .

(٧٠) اتربي ابو العز : المصدر السابق ـ ص١٣٤ . ـ احمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ـ ص٤٨٢ .

(٧١) اتربي ابو العز : المصدر السابق ـ ص١٣٤ .

(٧٢) الكندي : الولاة ـ ص٢١٦ . ـ اتربي ابو العز : المصدر السابق ـ ص١٣٤ .

(٧٣) احمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ـ ص٤٨٣ .

(٧٤) حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ـ ص٣٩٧ .

(٧٥) ستانلي لينبول : سيرة القاهرة ـ ص٨٣ .

(٧٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٦ .

(٧٧) الكندي : الولاه ـ ص٢١٤ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٦٢ .

(٧٨) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٧٠ . ـ حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص ٣٥ .

(٧٩) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢١٣ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٣٠٥ . ـ ابن الاثير : الكامل جـ٥ ـ ص٣٥٩ .

(٨٠) البلوي : المصدر السابق ـ ص٦٧ . ـ ابن الاثير : المصدر السايق ـ جـ٥ ـ ص٣٦٩ .

(٨١) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٦٤ «هو عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ويكنى ابا عبد الرحمن» . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٥ ـ ص٣٦٩ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص٢١٤ .

(٨٢) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٤ «هم اقوام اشتهرت مناطقهم بمعدن الزمرد ، سكنوا المناطق المتاخمة للثغور الجنوبية لمصر ، وكانوا يغيرون دوماً عليها» .

(٨٣) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٦٥ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢١٤ .

(٨٤) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق جـ٣ ـ ص١٢٨ . ـ محمود مصطفى : الادب العربي في مصر منذ الفتح ص١٠٧ .

(٨٥) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ جـ٣ ص١٢٨ . ـ حسن محمود: المرجع السابق ـ ص٣٤ .

(٨٦) الكندي : الولاة - ص٢٢٣ . - ابن الداية : المكافأة ص١٧ .
(٨٧) ابن الداية : المكافأة - ص١٧ . - اتربي ابو العز : المصدر السابق - ص١٤٠ .
(٨٨) ابن سعيد : المغرب - ص٩٤ . - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ - ص٥٩ .
(٨٩) المقريزي : الخطط جـ١ - ص١٥٠ . Zaky Hassan: les.T.PP.167,168.
(٩٠) طه بدر : المرجع السابق جـ١ ص١٥٠ ، ١٥١ .
(٩١) ابن سعيد : المصدر السابق - ص١٢٩ . - حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص٨٨ .
(٩٢) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى - ص ٦٧ . - انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٩٣) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٧٤ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٣٥ .
(٩٤) حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص ٤٥ .
(٩٥) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني ص ٦٧ . البلوي : المصدر السابق - ص ٥٠ . ابو الفدا : تاريخه جـ٢ - ص ٤٦ .
(٩٦) ابن الاثير : الكامل - جـ٥ - ص ٣٩٥ . - سيدة كاشف : احمد بن طولون - ص ٦٤ ، ٦٥ المؤسسة المصرية العامة للتأليف - سنة ١٩٦٥ . - البلوي : سيرة ابن طولون - ص ٥٠ ، ٥١ .
(٩٧) انظر المصادر السابقة والصفحات .
(٩٨) حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني - ص ٤٥ . - اتربي أبو العز : الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ص ١٣٧ .
(٩٩) حسن محمود : المرجع السابق والصفحة .
(١٠٠) ابراهيم احمد العدوى : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ص ١٠٨ «مكتبة نهضة مصر بالفجالة» . - الرافعي وعاشور : مصر في العصور الوسطى - ص ١١٨ .
(١٠١) حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية - ص ٣٩٢ . - العدوي : المرجع السابق - ص ١٠٨ .
(١٠٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ دولة الفاطميين في المغرب ومصر والشام وبلاد العرب - ص ١٥١ - «مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ ١٩٥٨»
(١٠٣) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ٤٦ .
(١٠٤) اتربي ابو العز : الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب - ص ١٣٧ .
(١٠٥) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في مصر والمغرب وبلاد العرب ص ١٥١ . - العدوي : الاساطيل العربية - ص ١٠٨ .
(١٠٦) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ٤٦ . - سعيد عبد الفتاح عاشور : والرافعي : مصر في العصور الوسطى - ص ١١١ دار النهضة العربية ط ١ القاهرة ١٩٧٠ .
(١٠٧) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٨٠ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٥٠ .
(١٠٨) ابراهيم احمد العدوي : الاساطيل العربية في حوض البحر المتوسط - ص ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١١ .

(١٠٩) نفس المرجع السابق : ص ١٠٥ . ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر والشام ص ١٥٢ .

(١١٠) حسن احمد محمود : مصر في عصر الطولونيين الاخشيديين ص ٤٧ . ـ انظر : الباب الثاني من هذا البحث .

(١١١) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٨٥ . ـ حسن احمد محمود : مصر في عصر الطولونيين و الاخشيديين ص ٤٧ .

(١١٢) الطبري : الرسل والملوك جـ٩ ـ ص ٤٧٤ .

(١١٣) اتربي ابو العز : الدر المنتخب ـ ص ١٣٣ . ـ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٤٧ .

(١١٤) ابن سعيد : المغرب ـ ص ١٢٩ . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٧ ، ٨٨ .

(١١٥) الرافعي وعاشور : مصر في العصور الوسطى ـ ص ١١١ .

(١١٦) ابن سعيد : المغرب ـ ص ٩٤ . ـ حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ـ ص ٣٩٠ .

(١١٧) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وبلاد العرب والشام ـ ص ١٥٢ .

(١١٨) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص ٤٧ . ـ حسين مؤنس : الحضارة المصرية ـ ص ٣٩٤ .

(١١٩) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ١٥ .

(١٢٠) ابن سعيد : المغرب ـ ص ٩٢ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ٧٢ .

(١٢١) الرافعي وعاشور : مصر في العصور الوسطى ـ ص ١١١ .

(١٢٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ـ ص ٤٩ . ـ الرافعي وعاشور : المرجع السابق ـ ص ١١١ .

(١٢٣) ابن سعيد : المغرب ـ ص :١١٨ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ١١٠

(١٢٤) ابن سعيد : المغرب ـ ص ٩٨ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ١٠٩ .

(١٢٥) عاشور والرافعي : نفس المرجع ـ ص ١١١ .

(١٢٦) حامد غنيم ابو سعيد : عصر الدولة الاقليمية جـ ٣ ص ٢٣٤ وما بعدها «الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٩٧٠» .

(١٢٧) حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص ٣ . ـ حامد غنيم : عصر الدولة الاقليمية ـ ص ١٦ وما بعدها .

(١٢٨) حتي : مختصر تاريخ لبنان ـ ص ١٢٤ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٨ م» .

(١٢٩) حتي : تاريخ سورية ـ ص ١٢٤ ، ١٢٥ . ـ أمينة بيطار : رسالة دكتوراة لم تطبع ـ ص ١١٠ .

(١٣٠) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٧ . ـ الكندي : الولاة ـ ص ٢١٩ .

(١٣١) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٢٨ .

(١٣٢) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٩ ـ ص ١٩٤ وما بعدها . ـ العدوي : الاساطيل البحرية ـ ص ١٠٥ .

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ١٥ . ـ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٦٩ .

(١٣٤) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ ـ جـ ٢ ص ٢٩٩ .ـ امنية بيطار : رسالة دكتوراة ـ ص ١١٨.

(١٣٥) ابن تغري بردى : النجوم - جـ ٣ - ص ٧ . - ابن سعيد : المغرب - ص ٩٢ .
(١٣٦) حسن محمود : المرجع السابق - ص ٤٤ .
(١٣٧) Zaky Hassan: OP. cit. P. 64.
(١٣٨) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ . - Zaky Hassan: OP. cit. P. P. 64, 65.
(١٣٩) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٦ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٩٢ . - المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ .
(١٤٠) البلوي : المصدر السابق - ص ٩٣ . - ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٦ .
(١٤١) اتربي أبو العز : المصدر السابق - ص ١٣٧ . - ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ . - ابن خلدون : العبر جـ ٣ - ص ٣١٧ .
(١٤٢) البلوي : المصدر السابق - ص ٧٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٦ . - حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ٨٣ ، ٨٤ .
(١٤٣) البلوي : المصدر السابق - ص ٩١ . - ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٥ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ٨٤ .
(١٤٤) البلوي : المصدر السابق «في الاصل عباس . وفي الكندي ، دوغباش» - الكندي : الولاة - ص ٢٢٠ .
(١٤٥) ابن الأثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ . - اتربي ابو العز : المصدر السابق - ص ١٣٧ . - ابن خلدون : العبر - جـ ٣ - ص ٣١٧ .
(١٤٦) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ . - ابن سعيد : المغرب - ص ١١٦ .
(١٤٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والثقافي جـ ٣ ، ص ١٢٨ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ٨٤ .
(١٤٨) Zaky Hassan: OP. cit P. 65.
(١٤٩) البلوي : سيرة ابن طولون - ص ٩١ . - ابن سعيد : المغرب - ص ١١٦ .
(١٥٠) تقع شمال القاهرة على مقربة من ضاحية الدمرداش منسوبة الى الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان . - ابن سعيد : المغرب - ص ١١٦ .
(١٥١) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٦ . - في حين سماه الكندي في الولاة - ص ٢١٩ ، والبلوي في السيرة ص ٩٢ (محمد بن رافع) .
(١٥٢) ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ .
(١٥٣) Lane Poole. OP. cit. P. 60.
(١٥٤) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ . - ابن سعيد : المغرب - ص ١١٦ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٩٢ .
(١٥٥) هو ابن وصيف التركي القائد المشهور (انظر الطبري جـ ١١ ، ص ٦٥ ، ٢١٢ ، ابن سعيد - ص ١١٦ .

(١٥٦) الكندي : الولاة - ص ٢٢٣ .
(١٥٧) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٦ . - المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ .
(١٥٨) البلوي : المصدر السابق - ص ٩٣ . - ابن سعيد : المغرب - ص ١١٦ . في حين يشير الكندي انه سلمها اليه يعني عيسى الكرخي انظر ص ٢٢٠ .
(١٥٩) ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ .
(١٦٠) ابن خلدون : العبر جـ ٣ - ص ٣١٠ .
(١٦١) انظر الباب الثاني من هذا البحث .
(١٦٢) ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٩٤ .
(١٦٣) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ .
(١٦٤) المسعودي : نفس المصدر السابق - جـ ٤ - ص ١٢٣ .
(١٦٥) ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ . - البلوي : المصدر السابق - ٩٤ ،
(١٦٦) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٣ . - البلوى : المصدر السابق - ص ٩٥ .
(١٦٧) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ - ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(١٦٨) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٢٥ . - البلوى : المصدر السابق - ص ٩٤ .
(١٦٩) المسعودي : المصدر السابق جـ ٤ - ص ١٢٥ . — انظر ابن العديم - زبده الحلب - جـ ١ - ص ٧٥ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٩٦ .
(١٧٠) البلوي : المصدر السابق - ص ٩٦ .
(١٧١) البلوي : سيرة ابن طولون - ص ٩٧ .
(١٧٢) المسعودي : المصدر السابق - ص ١٢٥ جـ ٤ .
(١٧٣) البلوى : المصدر السابق - ص ٩٧ .
(١٧٤) البلوى : المصدر السابق - ص ٩٨ .
(١٧٥) الكندي : الولاة - ص ٢٢٠ . — اتربى ابو العز : المصدر السابق - ص ١٣٧ . - يوسف الدبس : تاريخ سورية - ص ٣١٩ - جـ ٣ المجلد الخامس - المطبعة العمومية بيروت ١٩٠٠ .
(١٧٦) البلوي : المصدر السابق - ص ٩٨ . - الكندي : المصدر السابق - ص ٢٢٠ .
(١٧٧) البلوي : المصدر السابق - ص ٩٨ .
(١٧٨) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٨ . - البلوي : المصدر السابق - ص ٩٨ .
(١٧٩) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١١٨ .
(١٨٠) ابن سعيد : المغرب - ص ١١٨ . - طه بدر : مصر الاسلامية - ص ١١٩ .
(١٨١) اتربى ابو العز : المصدر السابق - ص ١٣٧ . - البلوى : المصدر السابق - ص ٢٤٩ .
(١٨٢) اتربى ابو العز : المصدر السابق - ص ١٣٨ .
(١٨٣) اتربى ابو العز : نفس المصدر - ص ١٢٨ . - ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١٨ . - ابن خلدون : العبر - جـ ٣ - ص ٣١٨ .

(١٨٤) ابن الاثير : الكامل ـ محمد بن أتامش وموسى بن أتامش جـ ٦ ـ ص ١٨ .
(١٨٥) هو غير ابا الاغر صاحب ابن الخليج .
(١٨٦) البلوي : المصدر السابق ـ ص ١٠٤ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ ص ٣١٩ جـ ٦ (فاضمم الى عشرين رجلاً اختارهم) وهو الاصح .
(١٨٧) البلوي : سيره ـ ص ١٠٦ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ١٨ . ـ ابن خلدون : جـ ٣ ـ ص ٣١٨ .
(١٨٨) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٤٨/٨٥ .
(١٨٩) المقريزي : الخطط ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٠ . ـ عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام جامعة بيروت العربية ـ ١٩٧٢ .
(١٩٠) اتربي ابو العز : المرجع السابق ـ ص ١٣٠ .
(١٩١) ابراهيم احمد العدوي : المرجع السابق ـ ص ١١٠ .
(١٩٢) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ١٥ . ـ العدوي : الاساطيل العربية في حوض البحر المتوسط ـ ص ١١٠ .
(١٩٣) حتي : تاريخ سورية ولبنان ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٦ . ـ حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ـ ص ٢٩٢ .
(١٩٤) حسين مؤنس : المرجع السابق ـ ص ٢٩٣ .
(١٩٥) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٦ .
(١٩٦) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٧ .
(١٩٧) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢١ . ـ ابو المحاسن : النجوم جـ ٣ ـ ص ٤٠ .
(١٩٨) ابراهيم العدوي : المرجع السابق ـ ص ١١٠ .
(١٩٩) نفس المرجع السابق والصفحة .
(٢٠٠) حامد غنيم أبو سعيد : عصر الدولة الاقليمية ـ جـ ١ ـ ص ٣٣٩ ، القاهرة ١٩٧٠ . ـ حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ـ ص ١٥ .
(٢٠١) حامد غنيم أبو سعيد : المرجع السابق ـ ص ٣٤٣ . ـ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ـ جـ ٥ ـ ص ٨٢ .
(٢٠٢) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١٣٢ . ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ٢١ . ـ البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص ٣٤٩ .
(٢٠٣) المسعودي : مروج الذهب ـ جـ ٤ ـ ص ١٢٣ .
(٢٠٤) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٤٦ ، ٥٧ .
(٢٠٥) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٨١ .
(٢٠٦) ابن خلدون : العبر ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٧ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ١٨ .

(٢٠٧) ابن تغري بردي : النجوم ـ جـ ٣ ـ ص ٨٠٧ . ـ البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص ٣٥١ . ـ طه بدر : مصر الاسلامية ـ جـ ١ ـ ص ١٢١ .

(٢٠٨) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١١٦ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢٠٩) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١١٦ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٠ .

(٢١٠) طه بدر : مصر الاسلامية : ص ١٢٣ .

(٢١١) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٩٤ .

(٢١٢) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٩٦ .

(٢١٣) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٩٧ .

(٢١٤) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٨ .

(٢١٥) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٤ .

(٢١٦) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٩ .

(٢١٧) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٩ . ـ ابن سعيد : المغرب ـ ص ١٢٨ . ـ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٩٠ .

(٢١٨) البلوي : المصدر السابق : ص ٥٦ ، ٥٨ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ٦٠ ، ٦١ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ٩٣ ، ٩٥ .

(٢١٩) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٢٢٠) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٦ . ـ المقريزي : الخطط ـ جـ ١ ـ ص ٣٠٦ طبعة بولاق (١٢٧٠ هـ) .

(٢٢١) الكندي : المصدر السابق ص ٥٢٠ .

(٢٢٢) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٤ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٨٣/٥٠ .

(٢٢٣) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٥٢٠ .

(٢٢٤) الكندي : الولاة والقضاة ـ ص ٥٢٠ .

(٢٢٥) ابن الشحنة : تاريخ ابن الشحنة ـ ص ٦٢ .

(٢٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ص ٧٥ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١١٦ .

(٢٢٧) ابن العديم : المصدر السابق ـ جـ ١ ص ٧٨ .

(٢٢٨) ابن العديم : المصدر السابق ـ جـ ١ ص ٧٨ .

(٢٢٩) ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ـ ص ٧٨ . (انظر القصيدة) .

(٢٣٠) حسن احمد محمود : المرجع السابع ـ ص ٥٧ .

(٢٣١) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٨٣ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ١٠٧ .

(٢٣٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٥٧/٣٣ .

(٢٣٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ٣ - ص ١٧ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ٥٧/٣٣ .

(٢٣٤) Zaky Hassan: Lestulunides P.170. - حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص ١٠٣ .

(٢٣٥) ابن تغرى بردى : النجوم - جـ ٣ - ص ٥٩ . - المقريزي : الخطط - جـ ١ - ص ٣١٥ وما بعدها .

(٢٣٦) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص ١٠٤ .

(٢٣٧) انظر ابو المحاسن : النجوم جـ ٣ - ص ١٣ «ابو زرعة البصري - في عقد الجمان ابو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي» . - ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١١ - ص ٤٦ «ابو زرعة الدمشقي» مكتبة المعارف - بيروت .

(٢٣٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ١٣ . - ابن كثير : البداية والنهاية - جـ ١١ - ص ٤٦ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ٢٢٢ .

(٢٣٩) ابو المحاسن : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٣ . - البلوى : المصدر السابق - ص ١١٧ .

(٢٤٠) ابن كثير : البداية والنهاية - جـ ١١ - ص ٤٠ - ابو المحاسن : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٤ .

(٢٤١) كرد علي : خطط الشام جـ ١ - ص ١٧٤ «بيروت ١٩٦٩» .

(٢٤٢) ابن سعيد : المغرب - ص ١١٦ . - البلوى : سيرة ابن طولون - ص ٩٣ .

(٢٤٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية - جـ ٢ - ص ٣٧٧ ، ط ٢ القاهرة - لجنة التأليف ١٩٤٧ . - المقدسي : احسن التقاسيم - ص ١٨٣ «مدينة ليدن - سنة ١٩٠٦» .

(٢٤٤) حسن احمد محمود : المصدر السابق - ص ٥٨ .

(٢٤٥) Zaky Hassan: Lestulunides PP. 216, 217, 219.

(٢٤٦) الكندي : الولاة - ص ٢٢٤ . - حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص ٧٤ .

(٢٤٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ٤٧ .

(٢٤٨) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص ٧٩/٧٨ .

(٢٤٩) انظر : المقدسي : احسن التقاسيم - ص ١٦٣ .

(٢٥٠) عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ص ٤٦ . - دراسة في تاريخ صيدا في العصر الاسلامي ص ١٦٢ . - سيدة كاشف وحسن محمود : مصر في العصرين الطولوني والاخشيدي ، ص ٤٧ .

(٢٥١) المقدسي : أحسن التقاسيم - ص ١٦٣ . - ابن سعيد : المغرب - ص ٩٨/٩٤ .

(٢٥٢) عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ص ٤٩ .

(٢٥٣) المقدسي : احسن التقاسيم - ص ١٦٣ .

(٢٥٤) المقدسي : المصدر السابق ـ ص ١٦٣ . ـ عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢٥٥) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٧ .

(٢٥٦) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٥٥ . ـ اتربى ابو العز : الدر المنتخب ـ ص ١٤ . وعبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ صيدا في العصر الاسلامي ص ٦٥ ، ٦٦ بيروت ١٩٧٠ .

(٢٥٧) العدوى : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ص ١٠٩ .

(٢٥٨) العدوى : المصدر السابق ـ ص ١٠٩ .

(٢٥٩) العدوى : المصدر السابق ـ ص ١٠٩ .

(٢٦٠) آدم متز : الحضارة الاسلامية ـ جـ ٢ ـ ص ٤٢٦ .

(٢٦١) آدم متز : المرجع السابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٢٦ .

(٢٦٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية ـ جـ ٢ ـ ص ٤٢٦ .

(٢٦٣) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٢٠٨ .

(٢٦٤) العدوى : المرجع السابق ـ ص ١١٠ .

(٢٦٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك : «تحقيق محمد ابو الفضل ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٨» . ج٩ ص ٥٤٥ ـ ابن الأثير : الكامل : ج٧ ص ١١٧ . ـ الذهبي : دول الاسلام ـ جـ ١ ص ١٦١ : تحقيق شلتوت الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤ . ـ العدوي : الاساطيل العربية ـ ص ١١٠ ، ١١١ .

(٢٦٦) ابو المحاسن : النجوم ـ جـ ٣ ـ ص ٦٢ . ـ احمد امين : ظهر الاسلام ـ جـ ١ ـ ص ١١٠ .

(٢٦٧) المقريزي : الخطط ـ جـ ١ ـ ص ٦٠٠ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٨٠ (الحاشية) .

(٢٦٨) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ـ ص ١٥٨ . ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ٦٣ ، ٦٤ . ـ حتي : تاريخ سورية ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٨ .

(٢٦٩) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ـ ص ٦٧ . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٨ .

(٢٧٠) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٤٨ «يقول وخرج الى الاسكندرية فرحاً بها في سنة ست وخمسين ومائتين» . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٨١ «حيث يقول في سنة ثمان وخمسين ومائتين اوقع فيها بأخيه موسى بن طولون ونفاه الى الثغر» .

(٢٧١) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٢٧٢) ابن خلدون : العبر ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٧ . ـ المسعودي : مروج الذهب ـ جـ ٤ ـ ص ١٢٣ . ـ الكندي : الولاة ـ ص ٢١٩ .

(٢٧٣) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ص ١٨ . ـ ابن خلدون : العبر ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٧ . ـ يوسف الدبس : تاريخ سورية ـ جـ ٣ ـ مجلد ٥ ص ٣١٩ .

(٢٧٤) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٨ .

(٢٧٥) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص ٩٨ . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٩ .
(٢٧٦) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص ٩٧ .
(٢٧٧) البلوي : المصدر السابق ـ ص ١٠٩ ، ١١٠ . ـ الطبري : تاريخ الرسل جـ ٩ ص ٥٤٥ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٩٨ . ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٧ ـ ص ٣٢٨ . ـ امينة بيطار : الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ص ٢٧٥ دمشق ١٩٨٠ .
(٢٧٨) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٤ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٩ ـ ص ٦١٤ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٤١ .
(٢٧٩) الذهبي : دول الاسلام ـ جـ ١ ـ ص ١٦٢ . ـ جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق حتى منتصف القرن الخامس الهجري ـ ص ٣٤ ـ ط ٢ دار الفكر العربي ـ ١٩٦٧ .
(٢٨٠) ابو الفدا : تاريخ الملك المؤيد ـ جـ ٢ ص ٥٦ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣٠ . ـ محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الاسلام ـ جـ ١ ـ ص ٥٥ ، دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠ م .
(٢٨١) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٥ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ٣١٠ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٥٠ .
(٢٨٢) الذهبي : دول الاسلام ـ ص ١٦١ . ـ ابن خلدون : العبر ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣٨ .
(٢٨٣) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٥ . ـ ابن تغرى بردى : النجوم ـ جـ ٣ ـ ص ٤٥ «يضيف ان اهل الثغور طردوا خلفاً ولعنوا احمد بن طولون على المنابر» .
(٢٨٤) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٩ . ـ ابن تغرى بردى : النجوم ـ جـ ٣ ـ ص ٤٥ «يقول ابن يازمان تحصن في اذنه» . ـ انظر نص كتاب ابن طولون الى يازمان من اذنه ـ البلوي ص ٣١١ .
(٢٨٥) الكندي : الولاة ـ ص ٢٢٩ .
(٢٨٦) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٥٥ «يشير ابن الاثير ان ابن طولون ارسل ليازمان كتاباً يقول فيه اني لم ارحل الا خوفاً ان تخترق حرمة هذا الثغر فيطمع فيه العدو» .
(٢٨٧) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ـ ص ١٢٩ .
(٢٨٨) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٣١١ . ـ ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨٠ .
(٢٨٩) محمود مصطفى : الادب العربي في مصر منذ الفتح حتى نهاية الدولة الايوبية ـ ص ١٢٢ .
(٢٩٠) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١٢٩ . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٧ (يذكر انه بقي مدة ستة اشهر يتابع سير المعارك) .
(٢٩١) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٨ .
(٢٩٢) الكندي : الولاة ـ ص ٢٣١ . ـ المقريزي : الخطط ـ جـ ١ ـ ص ٦٠٤ . ـ العيون والحدائق جـ ٤ ـ ص ٧١ .
(٢٩٣) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٨٨ . ـ فيليب حتى : تاريخ سورية ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٦ .
(٢٩٤) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٩ ـ ص ٥٥٣ . ـ ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٣٣٨ .

(٢٩٥) ابن تغرى بردى : النجوم ـ جـ ٣ ـ ص ٤٥ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٩ ـ ص ٦١٢ .
ـ الذهبي : دول الاسلام ـ جـ ١ ـ ص ١٦١ .

(٢٩٦) كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٦ ، ينفرد كرد علي بهذه الغزوة .

(٢٩٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ٧ . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٩٠ .

(٢٩٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ٧ .

(٢٩٩) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٩١ .

(٣٠٠) محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الاسلام ـ ص ٥٨ .

(٣٠١) انظر البلوى : سيرة ابن طولون ص ٣١٦ /٣١٧ /٣٣٤ /١٧٨ /٢٢٦ . ـ محمد حمدي المناوي : المرجع السابق ـ ص ٥٨ .

(٣٠٢) مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ـ جـ ٤ قسم ١ ، ص ٧١ ، تحقيق عمر السعيدي دمشق سنة ١٩٧٣ . ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٣ .

(٣٠٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ٣ ـ ص ١٣ .

(٣٠٤) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٥٤ . ـ محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ـ ص ١٧٨ ، «طبعة ١٩٦٨ ، القاهرة ، لجنة التأليف والنشر» .

(٣٠٥) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٥٥ .

(٣٠٦) فيليب حتى : تاريخ سورية ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٦ .

(٣٠٧) اسعد طلس : الشام ومصر ـ ص ١٦ ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٥ . ـ كردي علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٩ . ـ الرافعي وعاشور : مصر في العصور الوسطى ص ١١١ .

(٣٠٨) كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٤ .

(٣٠٩) كرد علي : المرجع السابق ـ جـ ١ ـ ص ١٧٦ .

(٣١٠) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ٥١ . ـ كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٧ .

(٣١١) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٥٥ . ـ ابن العديم : بغية الطلب ـ جـ ٢ ورقة (١٣٠ ظ) .

(٣١٢) ابن تغري بردي : النجوم ـ جـ ٣ ـ ص ٥٠ . ـ ابن العديم : بغية الطلب ـ جـ ٢ ـ (ورقة ٥٢ ظ) . Zaki Hassan: OP, cit P: III

(٣١٣) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٣ . ـ كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٧ ، يرد اسمه «سعد الأعسر» .

(٣١٤) ابن خلدون : العبر ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣٢ . ـ الكندي : الولاة ـ ص ٢٣٥ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٥٨ .

(٣١٥) ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة . ـ كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٧ .

(٣١٦) كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٧ .

(٣١٧) ابن تغري بردي : النجوم - جـ٣ - ص ٧١ ، ٧٢ . - الكندي : الولاة - ص ٢٣٦ . - ابن الاثير : الكامل - جـ٦ - ص ٦٥ .

(٣١٨) الكندي : الولاة - ص ٢٣٦ . - كرد علي : خطط الشام - جـ١ - ص ١٧٧ .

(٣١٩) ابو المحاسن : النجوم - جـ٣ - ص ٧٣ . - كرد علي : خطط الشام - جـ١ - ص ١٧٧ .

(٣٢٠) كرد علي : خطط الشام - جـ١ - ص ١٧٧ .

(٣٢١) كرد علي : المرجع السابق - ص ١٧٨ .

(٣٢٢) حسن محمود : المرجع السابق - ص ١١٦ .

(٣٢٣) ابن خلدون : العبر - جـ٣ - ص ٣٣٨ . - الطبري : تاريخ الرسل - جـ ١٠ - ص ١٢ ، ١٣ .

(٣٢٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ٣ - ص ٧١ ، ٧٢ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٣ ، ١٤ .

(٣٢٥) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١١٧ .

(٣٢٦) ابراهيم العدوي : المرجع السابق - ص ١١٠ .

(٣٢٧) العدوي : المرجع السابق - ص ١١١ .

(٣٢٨) الكندي : الولاة - ص ٢٣٨ . - انظر الباب الثاني .

(٣٢٩) ابن خلدون : العبر - جـ٣ - ص ٣٤٥ (يقول وخمسماية مطرف) . - ابن كثير : البداية - جـ١١ - ص ٦١ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٨ .

(٣٣٠) الكندي : الولاة : ص ٢٣٩ .

(٣٣١) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٨ . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ٣ - ص ٣٤٥ .

(٣٣٢) الطبري : المصدر السابق - جـ - ١٠ - ص ٢٧ (أحمد العجيفي ، وبلغا سلندو) . - ابن خلدون : العبر - جـ٣ - ص ٣٣٦ (ورد اسمها سكندا) .

(٣٣٣) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٢٦ .

(٣٣٤) الطبري : تاريخ الرسل - جـ ١٠ - ص ٢٨ ، ٢٩ . - ابن خلدون : العبر - جـ٣ - ص ٣٣٦ .

(٣٣٥) سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي - ص ٥٧ - دار النهضة العربية - ط ٢ القاهرة ١٩٧٠ .

(٣٣٦) ابن الاثير : الكامل - جـ٦ - ص ٧٨ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ١١٩ .

(٣٣٧) حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٢٠ .

(٣٣٨) العدوي : المرجع السابق - ص ١١١ .

(٣٣٩) العدوي : الأساطيل العربية في البحر المتوسط - ص ١١٢ .

(٣٤٠) العدوي : المرجع السابق والصفحة نفسها .

☆☆

الباب الثاني

جهود الطولونيين في الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الشام

١ ـ الصراع بين العباسيين والطولونيين في بلاد الشام
٢ ـ زوال السيادة الطولونية عن الشام

١ - الصراع بين العباسيين والطولونيين في بلاد الشام

أ - سياسة أحمد بن طولون الاستقلالية وموقفه من الخلافة العباسية :

رأينا أن ابن طولون كان يهدف الى سياسة استقلالية في مصر ، وتوسعية في الشام ، وأنه اتبع أسلوبا معينا لتحقيق هذا البرنامج .

كان ابن طولون قد أوفد الى مصر في رمضان سنة ٢٥٤ هـ ، نائبا عن واليها القائد التركي «بايكبال[١]» ، فلم تكن ولايته على مصر كاملة ، بل هي ناقصة في مختلف الجوانب ، فسلطته لم تكن تشمل سوى العاصمة وبعض النواحي ، فالخراج بيد ابن المدبر[٢] ، ولهذا أدرك ابن طولون ان ولايته على هذه الصورة لا تنبىء عن مستقبل مطمئن ، وكان عليه ان يتخلص من القيود الكثيرة ، التي كانت تشل حركته وتطلعاته السياسية ، فهو مجرد حاكم بالنيابة يمكن عزله في أي وقت . ثم أن ابن طولون يعرف الاتراك جيدا وكانت ثقته بهم ضئيلة ، ويدرك أنهم يسيرون وفق مصالحهم الذاتية ، وهم لا يتقيدون بالعهود ولا يحافظون على المواثيق وحرمة الدين عندهم منتهكة[٣] .

بدأت احلام ابن طولون قبل مجيئه الى مصر ولا بد أنه جاءها وهو يتطلع لايجاد مجد له ، اذ ليس من المعقول ان نتصور أنه جاء ينهج نهج الولاة السابقين وهو الذي تربى في بغداد وسامراء ، وعاش فترة في أهم مناطق العالم الاسلامي حضارة في الثغور ودمشق ونال الامارة هناك[٤] ، ورفض ولاية واسط مقابل قتل المستعين وكان اغتباطه كبيرا وحمد ربه لأنه عوض بأحسن منها وهي امرة مصر ، وشكره يدل على أنه حقق أملاً كان يصبو اليه[٥] . اذاً كانت احلام ابن طولون أبعد من التفكير بنيابة مصر ولذا بدأ يفكر بالاستقلال ، ولهذا كان عليه ان يزيل هذه القيود الكثيرة التي كانت تقف حائلا دون تحقيق احلامه في مصر ، لذلك جد

في تحطيم بعضها وساعدته الظروف في ازالة بعضها الآخر ، وسار في سبيل ذلك بعيدا عن الاغتصاب والثورة ، معتمدا على الخلافة وموافقتها في سبيل هذا الهدف ، قدر المستطاع[٦] ، ولهذا كان يعمل في ميدانين الأول خارج حدود مصر في عاصمة الخلافة ، فكان يرسم خططه ويكيف أعماله وفق الاحداث السياسية في بغداد وتقلباتها التي كانت تصله في حينها بواسطة عملائه وجواسيسه[٧] ، واستطاع بذلك ان يسير بسياسته الداخلية وفق خطة حكيمة وهادفة تقوم على استغلال الظروف والاستفادة من عامل الوقت ، والوصول الى الغاية بمختلف الطرق ، حتى تمكن من الاستقلال والقضاء على جميع الصعوبات التي واجهت سياسته[٨] .

وأسلوب ابن طولون في الاعتماد على الانصار والعيون ، واستمالة العواطف والتصدي لرغبات الغير ، يشكل فصلا طريفاً ، ينم على معرفته بسمات عصره وطبائع الناس بتلك الفترة .

ولقد نجح ابن طولون في توثيق صلته المباشرة مع الخليفة ، العباسي ومع بعض القوى بمركز الخلافة وذلك بالاعتماد على معاونين له ووكلاء عنه وعملاء اشتراهم باغداق الهدايا ، والأموال والعطاء المستمر ، كما استغلهم لشراء الناس وتسخيرهم وفق مصالحة وأهدافه ، فكانوا يقومون بالاتصال بذوي النفوذ والعناصر المسيطرة على الخلافة ، ويعملون على تحريك السياسة العباسية لخدمة أهداف ابن طولون ، ولقد تمكن هؤلاء من استمالة الكثيرين ممن كانوا يعملون داخل السلطة ومن الفاعلين بها ، وبفضلهم تمكن من كسب كبار الشخصيات بقصر الخلافة أمثال الحسن بن مخلد وزير المعتمد وغيره[٩] ، كما عمل لاستمالة كل من له تأثير وقدرة على العمل هن وراء الستار[١٠] .

كان على رأس أنصاره في الحضرة طيفور التركي وكان جلدا شهما وثقة عند ابن طولون[١١] ، ينقل له جميع اخبار البلاط في بغداد وسامراء ويعمل على كسب الأمراء وذوي الرأي ويستميلهم لصاحبه بالرشوة ، كما كان برجوازي[١٢] (وورد اسمه «ابن جوداي») ، خليفة لابن طولون هناك يقوم بالدور نفسه أيضاً .

ولقد عمل الموفق جاهدا لتوجيه جميع الاولياء وكل طامح في طلب الأموال والسلطة صوب مصر ، قائلا لهم بأنها خزانة السلطان ، وفيها امواله ، فليخرج اليها أحدكم وما ان يتشجع أحدهم للانطلاق تجاه مصر ، حتى يتجه اليه هؤلاء العملاء حاملين أموال ابن طولون الكثيرة المحفوظة عند تجار بغداد وسامراء والتي اوقفها لردع هؤلاء عن النهوض اليه (قائلين له ان أخاك ابن طولون كتب الينا وهو يقرئك السلام ، ويشكو شوقه اليك ووحشته لفراقك ويقول لك : «يا أخي وسيدي ، لبعد الطريق ، وخوف العوائق ، امتنعت ان احمل اليك من هدايا مصر» ويطلب منه المعذرة بتقديم بعض الأموال له كي ينفقها في حاجاته ، ويطلب منه ان يكاتبه عن جميع ما يحتاج . ويقدم لهؤلاء من الألف الى ثلاثة آلاف دينار وذلك حسب مكانة الرجل ومقدار[١٣] خطورته» .

وأكثر ابن طولون من اعتماده على عدد كبير من الرجال كانوا بمثابة عيون له في العاصمة وجواسيس ، يعملون بدأب في جميع اقاليم الشام والعراق ومصر وينقلون اليه جميع الأخبار ، وخاصة فيما يتعلق بالقائمين على رسم سياسة الدولة العليا . وأثبتت التجربة التي عاناها ابن طولون في اقامة دولته أن هذا العمل كان هاما للغاية في دولة تحاك فيها الخطط وتديرها المؤامرات[١٤] .

ولقد برع ابن طولون في استخدام هؤلاء الاتباع وفاق كل تصور في تطوير هذا العمل ، حتى قطع الطريق ، وتعذر على الموفق عدوه الكبير اكتشاف خططه رغم أنه ابتكر هو الآخر اسلوبا متقدما في التجسس ايضاً[١٥] . وتمكن بفطنته وتجسسه كسب ألد اعدائه وأشدهم قسوة عليه في بغداد وجعله ينقلب مخبرا وعينا له ينبئه بأدق الأمور وأخطرها عند الموفق والمعتمد وسائر البلد واستتر أمره لفترة طويلة عن أصحاب الموفق وجواسيسه ، حتى كشف اخيرا ، فضربه الموفق واعتقله ووضعه بالسجن فمات بعد ذلك . وبهذا استراح ابن طولون منه بأهون السبل ، وهذا ما كان يقصده[١٦] ، كما اظهر فراسة نادرة عندما استعمل الموفق أحد اصدقاء ابن طولون الخلص له في سامراء ، بأن أرسله اليه بعد ان كان ابن طولون راسله قبل ذلك لشوق اليه ولم يحضر واعتذر له . فما كان منه الا أن شك به بعد أن طلب منه بعد مدة يستأذنه بالخروج اليه وأنه يتحمل شقاء السفر

للقائه . فكاتب ابن طولون وكيله طيفور مستفسرا عن حالة هذا الرجل فعلم منه أن حالته تحسنت وأن علاقته بالموفق جيدة . فأذن ابن طولون له واستقبله أحسن استقبال وفي الليل اعتقله وأمر بمراقبته بعد ان علم من غلامين له تودد لهما ابن طولون فأعطياه سفطا فيه ثمانون كتابا من الموفق الى وجوه وقواد وخواص غلمان بنى طولون ، يعدهم فيها بأن من فتك بأحمد منهم قلده البلدان الخطيرة والعطاء الكثير فنال هذا جزاءه[١٧] .

ولم ينس ابن طولون أهم طبقة في المجتمع لها دور فعال في تحريك السياسة وتسخيرها ، واقصد بذلك طبقة التجار والرأسمالية الوطنية في مصر والشام والعراق فلقد اعتمد عليها ابن طولون وربط مصيره بها ، ويظهر أن هؤلاء ، رأوا به الشريك الصالح لهم ، في تلك الفترة المضطربة ، فابن طولون في سبيل دعم استقلاله كان عليه نشر الأستقرار ، وتشجيع الاقتصاد والنهوض بالبلد للانفاق على مشاريعه الكبيرة في مصر ، لذلك وقف على موارد الثروة ، وعرف كيف يستغلها لمصلحة دولته من غير ان يرهق الاهلين بالمكوس والضرائب ولهذا عمل على نشر الأمن والعدل ، فاستقرت الأمور ، وعم الرخاء في البلاد حتى بيعت عشرة الأرادب من القمح بدينار[١٨] ، كما شملت اصلاحاته الميدان التجاري واعاد اليه الثقة والنشاط فعدل عن احتكار التجارة[١٩] . وأصلح العملة وسك الدينار الأحمدي الجيد الوزن والموثوق ورفع الميزان التجاري ، واعاد الثقة لاقتصاد مصر ، وزاد الإقبال على أسواقها فما ان وصل مصر حتى استمال اليه معمر الجوهري (وهو معمر بن محمد الجوهري) وهو من الأثرياء وكان له وكلاء وعملاء في العراق ، وله محلات تجارية بمصر وبغداد أيضاً ، وأخذ من معمر هذا الكتب الى أخيه ببغداد والى حدري وحباب الجوهريين والى مجموعة كبيرة من وجوه التجار بها ، وطلب منهم جميعا بأن يقوموا بدفع الأموال الى خليفته بالحضرة ، ويجاب لأي طلب يرغب به ، وان احتاج الى ضماناتهم فعليهم أن يقوموا بذلك ، ويراسلوا أصحابهم بمصر ليأخذوا العوض عما دفعوه من ابن طولون[٢٠] .

وبواسطة هؤلاء التجار تمكن من الوصول للوزير الحسن بن مخلد ولغيره من شخصيات البلد ، وتمكن بواسطة العطاء السخي ان يزوده وكلاؤه بالكتب التي كان شقير الخادم صاحب البريد وابن المدبر عامل الخراج يوافيان بها الخلافة

ويتهمان فيها ابن طولون ، وأول ما وصله كتاب شقير الذي يدعي به أنه عازم على التغلب والعصيان بمصر[٢١] .

وكان هؤلاء التجار والعملاء يعملون على وصد السبل التي تثار ضده وسدها ، حيث كانوا يقومون باستمالة جميع القواد الذين كانت الخلافة ولاسيما الموفق تسيرهم وتعقد لهم لحرب ابن طولون ، فاذا تحرك قائد منهم قاصدا النيل منه ، هرع اليه هؤلاء التجار يخوفونه مغبة ما يقدم عليه ، ويطالبون برد ديونه ، قائلين «أنه لا يرجى قفول من حارب مائة ألف عنان»[٢٢] ، فاذا خاف تلطفوا معه ومنحوه من أموال ابن طولون التي خصصها لهذه الغاية واشتروا بذلك ذمته ، وأراحوا ابن طولون من شره .

وأخيرا فان حنكته السياسية جعلته لا يغفل الشعب والاعتماد عليه لتدعيم حكمه ، وخاصة الاعلام والشيوخ ، فسار على سياسة التودد له واستمالته بمختلف الطرق ، ولقد سخر عواطفه في سبيل مصالحه فلقد كان يقوم بدفع هؤلاء الى بغداد يشكرون حسن سيرته فيهم وضبطه لبلدهم ، وتعقله وعدله وأخلاقه . كما كان يقوم بارسال من يتجسس عليهم وينقل له أخبارهم جميعاً دون علمهم[٢٣] .

ولم يكتف بذلك بل استغل مشاكل الخلافة الى حد بعيد واستفاد منها لتمكين نفسه ، وكان من حسن حظه ان انشغلت الخلافة طوال عهده بالحركات الاستقلالية في الشرق ، وبثورات الزنج[٢٤] ، وبالمنازعات بين الخليفة المعتمد والموفق واستفاد من هذا كله ، كما استغل حركة ابن الشيخ استغلالا كبيرا[٢٥] ، وأخيرا استفاد من حاجة الخليفة الى الأموال لتقنين أخيه عليه وطلب منه أن يقلده الخراج بمصر وكان له ذلك كما رأينا[٢٦] .

وهكذا أصبح ابن طولون وهو في مصر على علم تام بكل دقائق الأمور التي كانت تجري في عاصمة الخلافة ، واستطاع ان يؤمن كيانه ضد العديد من المحاولات المعادية له . وبذلك تمكن من أن يلغي قرارا صدر عن الخلافة بنقله من ولاية مصر فأرسل كاتبه المخلص الواسطي محملا بالهدايا والهبات وتمكن بواسطة عملائه وأعوانه في بغداد من تثبيت سيده في ولاية مصر[٢٧] .

ولقد ازداد ابن طولون في حذره وتخوفه ، وتجسسه المكشوف على الخلافة واستطاع أن يعين أحد المقربين اليه عاملا للبريد في حاضرة الدولة العباسية ليكون عينا له يوافيه بما يجري في العراق ، وبما يحاك ضده ، وتمكن بواسطة هذا وغيره ان يكشف عن نيات اعدائه في مصر والعراق ، وبهذا احكم ابن طولون عمله ، واطمأن بفضل هذه الجاسوسية التي أقامها في بغداد أيضا على مركزه في مصر[٢٨] .

وهكذا برع ابن طولون في فن المناورات السياسية ونجح فيها ، ويكفي ان نقول أن تأثيره ، وهو في مصر على مجريات الأمور في العاصمة العباسية ، كان أقوى بكثير من تأثير منافسيه الذين كانوا مقيمين داخل العاصمة[٢٩] .

ووصلت به براعته الى استغلاله العداء والوحشة بين الموفق ، والخليفة المعتمد الى حد بعيد ، حتى ربط الخليفة مصيره به ، فكتب اليه يخبره بارسال الموفق «تحريرا» خادم المتوكل اليه عندما أوفده في طلب الاموال : قائلا «وأنه انفذ تحريرا عينا ورقيبا عليك ، ومعه الكتب الى سائر قوادك بالتضريب» (التحريض) . فما كان من ابن طولون الا أن احتال وأخذ الكتب من تحرير بعد أن ضيق عليه وعندما عاد ، تخلص ابن طولون من اعدائه وضربهم جميعاً[٣٠] .

وهناك طرق كثيرة وطريفة استنها ابن طولون من أجل تحقيق مآربه واستقلاله وسوف نتطرق اليها في سياق بحثنا لسير الاحداث ابتداء من تفكير ابن طولون بالاستقلال بمصر ، ومن ثم العمل على ان يشمل هذا الاستقلال بلاد الشام أيضا . ويجدر بنا ان نشير ان مفهوم الاستقلال في عهده يختلف كثيرا عن المفهوم الحاضر الذي يعني عدم التدخل في شؤون الدولة الداخلية والخارجية ولا يكون على الدولة الا سلطة أبنائها ، وهو الاستقلال التام الذي لا يشوبه انتقاص . في حين أن الاستقلال في العصور الوسطى كان يعني ان العالم الاسلامي وحدة روحية ووحدة سياسية برئاسة الخليفة إمام المسلمين وبرأي الفقهاء اذا انحلت الامامه انحل المجتمع[٣١] ، وكان الناس لا يفهمون حكما لا يعترف به خليفة ، وينظرون لصاحبه كخارج عن الجماعة .

وللأمير والوالي اعطاء نفسه من السلطات الداخلية ما شاء ، وله حق

التوريث وعليه ان يعترف بالخليفة اماما ، ويعترف به الخليفة حاكما شرعيا على البلاد التي تحت سيطرته[٣٢] ، مقابل اموال سنوية تدفع لمركز الخلافة .

والاستقلال في رأي ابن طولون لا يخالف هذه القاعدة الاسلامية العريضة الا أنه يستند على أسس منها :

اولا : أن يظل في مصر لا تعزله قوة ، وتكون أمورها خالصة له ، لا تتدخل الخلافة قيد أنملة في أموره ، ويدافع عن ذلك بقوة السلاح اي قوة تتصدى له .

ثانيا : اتخاذ مصر قاعدة له للتوسع خارجها لتحقيق دولته المنشودة والسيطرة على بلاد الشام لحماية امبراطوريته وللانطلاق منها للجهاد وبذلك يحقق ما يصبو اليه في حماية المسلمين وديار الاسلام والمجاهدين في سبيل الله .

ثالثا : أن تكون الامارة والدولة التي أوجدها وراثية لأبنائه وبرضى الخلافة وموافقتها[٣٣] .

وهو في سبيل تحقيق هذه الأهداف يتصدى لأكبر قوة في الدولة العباسية ولا نقصد بذلك الخليفة فقد ربطته به صداقات ومصالح مشتركة[٣٤] ، وانما نقصد قوة أبي احمد الموفق طلحة الذي قاد الحركة الاصلاحية للسلطة المركزية في بغداد وشدد قبضتها على الأقاليم بالاضافة إلى حرص القائمين في العراق على أن تبقى مصر والشام خالصتين لهم دون منافس لخيراتها واهميتها . والخلافة في سبيل ذلك حاربت أي قوة يمكن لها ان تنمو في هذين الاقليمين وانطلاقا من هذا المبدأ عمل العباسيون على انهاء القوة الطولونية في مصر والشام لا بل على سحق الطولونيين ، ولا يمكن تفسير الحقد العباسي ممثلا في تصرفات محمد بن سليمان الكاتب سنة ٢٩٢ هـ عندما اعاد مصر للسيطرة الفعلية في بغداد الا انطلاقا من هذا الهدف وهذه الاستراتيجية للعباسيين[٣٥] .

ب ـ مراحل النزاع بين الموفق أحمد وأحمد بن طولون :

ـ الموفق أحمد وسياسته الجديدة في الدولة العباسية :

اطلق الموفق يده في شؤون الدولة ، وانصرف للقضاء على حركة الزنج ، وتبنى مبدأ الأصلاح السياسي والاقتصادي محاولا اعادة القوة الى الدولة العباسية ، وقد عمل الموفق بهذا الاتجاه وسار خطوة ايجابية حتى وصف انه من أجل الملوك رأيا وأسمحهم نفسا ، وأحسنهم تدبيرا[٣٦]. ورسم سياسة واضحة تقوم على اعادة الهيبة والسلطة الفعلية للخلافة ، ولذلك عمل جادا في القضاء على ظاهرة الصراع التي كانت تتحكم وتسيطر على العلاقات بين السلطة الروحية (سلطة الخلافة) والسلطة الزمنية (سلطة العسكريين والقادة الاتراك) . كما عمل على انهاء ظاهرة التمزق التي كانت سائدة وأفسدت العلاقة بين أفراد البيت العباسي إبان سنوات الانهيار[٣٧].

وهو في سبيل ذلك عمل بكل جهد لابعاد الاتراك عن التدخل في شؤون السياسة والسيطرة على الخلافة . وقاد حركة اصلاحية تستند على ازاحتهم من مراكز القوة وتوجيههم الوجهة السليمة لخدمة الدولة . وحاول بكل قوته ان يعيد هؤلاء للوظيفة الأساسية التي فتحت امامهم أبواب هذه الدولة عندما دعوا لخدمتها منذ عهدي المأمون والمعتصم[٣٨] . وهكذا عمل الموفق للقضاء على معظم السلبيات التي كانت تهدد كيان الدولة العباسية فتصدى لكل الحركات الانفصالية والثورات الاجتماعية ضد العباسيين ، ولولا ثورة الزنج وما الحقت به من نتائج واستهلاكها للجزء الأكبر من طاقته لقدر له أن يحقق للدولة الكثير[٣٩].

وانطلاقا مما تقدم ومن الاهداف العامة للموفق ، كان لابد له أن يجمع كل السلطات في يده من جهة ، ومن ناحية أخرى كان عليه أن يقف ضد اطماع الدولة الطولونية التي استقلت هي الأخرى في مصر ، وبدأت تتطلع متجهة نحو الشام لتدعيم هذا الاستقلال ووضع يدها على أهم قطرين واستغلال خيرات البلدين الاقتصادية ، التي كان الموفق بأمس الحاجة اليها بعد الدمار الذي جاءت به ثورة الزنج في القسم الشرقي من الدولة العباسية الواقع تحت اشرافه المباشر[٤٠].

وأدرك ابن طولون السياسة العليا للموفق ، فاعتمد معه الكياسة والدبلوماسية فيما ان طلب منه الأموال حتى قدر الموقف وأرسل مليون (۱٫۲۰۰٫۰۰۰) ومائتي الف دينار مع الخادم تحرير رغم ماكان يحمل هذا من خيوط مؤامرة تهدف للاطاحة بابن طولون[١١] ، غير أن ذلك لم يعمل على تهدئة الموفق ، الذي كان يهدف لاعادة الشرعية والسيطرة على اقليمي مصر والشام ، ولذلك كان لابد لكلتا السياستين من التصدي للأخرى ، وبدأت سلسلة طويلة وطريفة بين الاتجاهين استعمل كل منهما كل وسائل الحنكة والدسائس والمؤامرات ضد الآخر.

ـ الموفق أحمد ينجح في ابعاد ابن طولون عن الشام أثناء ثورة ابن الشيخ :

تمكن الموفق من تجميع السلطات ومركزتها بيده ، واجتمع له هذا النفوذ الواسع في الوقت الذي توطدت فيه أقدام ابن طولون في مصر ، وسار خطا جريئة وناجحة في اقرار الأمور السياسية ، واصلاح الأحوال الاقتصادية كما أوجد جيشا موحد قوى الجانب يدين له بالولاء والعهد. ولم يكن من المعقول أن تسير الأمور بسهولة دون ان تنتشر السحب في الأجواء بين الموفق صاحب الأمر في بغداد والمتبني لفكرة الاصلاح ، وضرب التمرد والانفصال أي كان ، وبين ابن طولون صاحب هذا النفوذ المتقدم باضطراد والعامل على كسب الوقت وتدعيم الاستقلال والانفصال . وكان من الطبيعي نتيجة للمعطيات التي تقدمت أن يبدأ الصراع والصدام بين العملاقين الكبيرين .

ولم يكن النزاع وليد حينه ، بل ابتدأ ورافق وجود ابن طولون في مصر وبداية تطلعه نحو الشام ، وبروز السلطة المركزية وانتقالها على يد الموفق وقد انتصر هذا الاتجاه على ابن طولون في حركة عيسى ابن الشيخ ضد الخلافة ، وكان عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان قد عقد له الخليفة المعتز على الرملة في سنة ٢٥٢هـ ، واستغل هذا الأوضاع السياسية المضطربة في العراق وسوء ادارة الأتراك فتغلب على دمشق واعمالها واستبد بالأمر وقطع الأموال والخراج منها الى الخلافة[١٢].

ولم يكن ابن عيسى الذي خلف أباه مخلصا للخلافة العباسية ، فما كان منه الا أن استقل بهذه المنطقة ، وادعى أنها من أعماله ، ولم يكتف هذا الوالي الطامع بالسيطرة على مابيده من بلاد الشام ، بل طمع في أموال مصر التي كانت تحمل كل عام الى العاصمة العباسية فاستولى على نحو ٧٥٠ ألف دينار كان أحمد بن المدبر قد حملها الى الخليفة ، مدعيا أنه بحاجة اليها وصادرها واستغلها في تجهيز قوته العسكرية ، واعداد الرجال ، كما قام بتوزيع قسم منها على أصحابه ليكسب ودهم ورضاهم(٤٣).

ويبدو أن ابن الشيخ هذا كان طموحا وله مطامع توسعية واستقلالية فبدأ يفكر ويعمل للاستقلال والتغلب على جميع بلاد الشام ، ولذلك أخذ يبذل كل جهد مستغلا ظروف الخلافة العباسية الصعبة وتجربتها المرة مع القادة الأتراك وتسلط هؤلاء وتعديهم على شخص الخليفة فلماذا لايكون هو قوة تعمل لمصلحته في فترة أصبحت القوة هي الحكم والسند الشرعي للسلطة ، فلذلك بدأ يعمل على تقوية نفسه باعداد العساكر وشراء الرجال ومالبث ان أخذ حلمه يتعدى بلاد الشام ، وبدا من القوة بحيث أخذ يفكر ويطمح للسيطرة على مصر ايضا(٤٤).

وتابع ابن الشيخ سياسته الاستقلالية والعدائية للخلافة العباسية فلما ان مات الخليفة المهتدي (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) . وتمت مبايعة المعتمد حتى بلغ به اعتداده بنفسه ان امتنع عن البيعة للخليفة الجديد ، ولم يأمر بالدعاء له على منابر البلاد الواقعة تحت نفوذه(٤٥).

وبذلك تلاقت رغبة الخلافة واسترداد هيبتها ورغبة ابن طولون في وقف تيار ابن الشيخ المندفع من الشام والطامع في مصر(٤٦) ، فما كان من ابن طولون الا ان استجاب لرغبات الخليفة المعتمد الذي طلب منه التصدي لابن الشيخ وأطلق يده في تشكيل القوة الكفيلة بهذه المهمة وكتب الى ابن المدبر عامل الخراج بمصر بأن يمد ابن طولون بكل الأموال اللازمة لذلك(٤٧) ، ووجد ابن طولون الفرصة المواتية لتحقيق مطامعه وتطلعاته في بلاد الشام ، واستغل هذا الحادث استغلالا بعيدا فعمل على الاكثار من الجند ، واشترى العبيد الترك والسودان والروم والأحباش ، كما قام بشراء الأسلحة وجدد قديمها ، وجهز هذا الجيش بكل مايحتاج إليه(٤٨) ،

واسترسل ابن طولون بذلك حتى دفعت الكثيرين للشكوك بتصرفاته واتهمه أعداؤه وكاتبوا الخلافة ينبهونها منه ويتهمونه بالعمل لمصلحته والاستقلال بمصر(٤٩) ، موضحين أن أطماعه في مصر والشام وخطره يفوق ابن الشيخ وقوته .

ويبدو أن الموفق والقادة الأتراك في بغداد تخوفوا من هذه المحاولة التي بذلها ابن طولون في ايجاد قواته المسلحة ، وكانت من القوة بحيث اقلقتهم لذلك عملوا على ابعاد ابن طولون عن الاشتراك الفعلي بهذه المهمة وأوكلوا أمر قتال ابن الشيخ الى أماجور التركي ولم يكتف الموفق بذلك بل شرع في انهاء ابن طولون من مصر وتضييق الخناق عليه، وفي نفس الوقت أصدرت الخلافة الأوامر لأبن طولون بالعودة الى مصر ، وترك ذلك لجيشها الذي تولى امر قيادته احد غلمان بني العباس وهو أماجور (الأفرنجي)(٥٠).

كما تمكن الموفق وقواته في بغداد من أصدار أمر بتولي أمر الشام لهذا القائد أماجور كمقدمة لبداية تدخله في مصر ووقوفه في وجه ابن طولون وتصديه لأطماعه ومراقبته عن كثب ، وما ان أستقر أماجور في الشام حتى شرع يعمل وفق هذا الاتجاه مشيرا لقوة ابن طولون وعاملا ضده(٥١).

وجهد الموفق لاصدار امر من المعتمد الى أحمد ابن طولون يأمره برد أعمال الخراج الى عدوه أحمد بن المدبر ، وكان قد حصل على أمر سابق بتولي الخراج منها لمحمد بن هلال أحد انصاره ، فاخرج ابن المدبر هذا من معتقله وأعيد الى منصبه كعامل للخراج في مصر(٥٢) يوم السبت الثالث والعشرين من ذي العقدة سنة ٢٥٦هـ.

ولم تذهب أصداء هذا الحادث والتصدي لحركة ابن الشيخ وابعاد ابن طولون عنها دون آثار فلقد كانت الفرصة أمام ابن طولون كبيرة ليحقق اهدافه في بلاد الشام وباذن من الخليفة ، غير أن هذه الفرصة فاتته ، ولم يتمكن من تحقيق مايصبو اليه بسبب اجراءات الموفق ووشاية الاعداء في مصر والعراق غير أنها اعطته الفرصة لتشكيل جيش قوي اعتبر أفضل بل وأقوى قوة في المنطقة بلغ تعداده مائة الف مقاتل واتخذ عناصره من شعوب مختلفة ليحافظ بذلك على توازنه ، وساعده هذا الجيش على تحقيق طموحاته(٥٣) ، كما دفعه ذلك لليقظة

وترقب الأحداث وانتظار الفرصة المناسبة وكذلك أصبح امام طامع جديد يعلو على ابن الشيخ ويفوقه قوة لمساندة مراكز القوى ومعاضدتها في بغداد له وهذا الطامع هو الوالي الجديد للشام أماجور .

ـ اخفاق الموفق في النيل من ابن طولون في مصر :

وبدأ النزاع يتطور واتخذ ابن طولون احتياطات كافية حتى لايمكن خصمه منه ، وسار في سعيه الجاد المتواصل لكسب ود الخليفة واظهار نفسه أمام الرأي العام بالأمير والحاكم الحريص على المصلحة العامة الاسلامية ولذلك لم ينقطع عن ارسال الأموال الى الخليفة العباسي المعتمد ولم تذكر المصادر تقصيره في هذا السبيل وليس من المعقول ان لاتصل الى أسماع الموفق الأموال التي كانت ترسل من مصر وخاصة أن عيون الموفق وجواسيسه كانوا يجوبون في جميع أنحاء العالم الأسلامي(٥٤).

ورغم ذلك بدأ الموفق يعمل للتحرش بابن طولون وكما كانت حركة الزنج عاملاً مساعدا لخصمه في تحقيق مشروعاته الاستقلالية وعمله بغمرة انشغال السلطة المركزية في بغداد بها . كذلك اعطت هذه الحركة للموفق للتدخل وطلبه الأموال لينفق منها على حرب الزنج بعد أن قلت موارد القسم الشرقي الواقع تحت اشرافه بسبب هذه الحروب ، ونهب الثوار لهذه الأموال وتوقف البعض عن ارسالها خوفا من انتهابها في الطريق(٥٥).

ومع أن الخليفة المعتمد كتب لابن طولون يطلب منه عدم إرسال الأموال الى الموفق كي لايزداد سلطة بها ونفوذا ، ويطلب منه ارسالها اليه ، كما ويحذره من مؤامرة أعدها الموفق(٥٦) ، ولكن ذلك لم يمنع ابن طولون من ارسال الأموال ادراكا منه لحقيقة الحال في الجبهة الشرقية ، وأمر كذلك بارسال كل ماجرت العادة بحملة مع المال من رقيق وخيل وسلاح وشموع وطراز(٥٧).

وتضايق الموفق متذرعا بقلة الأموال رغم أنه ارسل مليونا ومائتي ألف دينار ومن المؤكد أنه استاء ليقظة ابن طولون واكتشافه المؤامرة وقضائه على ذيولها في مصر ، حيث قام ابن طولون بمراقبة تحرير ، واستولى على الكتب التي كان يحملها

لقواده ، فأمر بعد توديعه (تحريرا) بالقبض على من راسلهم الموفق ، وتخلص منهم جميعا[٥٨] ، وكان منهم ، بدر الحقيقي ، واحمد بن عيسى الصعيدي .

ولم يكن الموفق بعيد النظر فهو لم يجعل ابن طولون يقف لجانبه بهذه المحنة بل عمل على زيادة استفزازه له ، فأرسل اليه كتابا مطولا ، أظهر فيه الجفاء له يعلن محاسبته ، ويعرض به ويدل بقوته ومكانته وسيطرته ، ويهدده بالعزل[٥٩] .

ولم يعرف عن ابن طولون انه جبن او خاف ، فلما ان وصل كتاب الموفق الى مصر حتى أظهر رباطه جأش ، ورد على الموفق برسالة تعد من أعظم الوثائق وأهمها في تاريخ النضال ، والعلاقات ، بين القوتين المركزية في العراق وابن طولون في مصر ، ويمكن ان تستدل منها وبكل وضوح اهداف ابن طولون ودفاعه عن الحقوق التي اكتسبها بقوة السلاح مبينا مدى قوته ، ودفاعه عن الخلافة والمجد الذي عمله لها ، ويبين فضله وحسن سيرته ، واصلاحاته الكثيرة ايضا[٦٠] ، فهو لايستخدم لغة العامل المتواضع انما لغة صاحب الحق الذي اطمأن لقوته، ووقف يكافح من أجل حقوقه التي اكتسبها بقوة السلاح .

وهو من جهة أخرى يحط من قدر خصمه السياسي الموفق ، ويتهمه بالعجز ، والضعف والاخفاق في حربه ضد صاحب الزنج .

وينوه ايضا بوضع الموفق غير القانوني ، ويظهره بصورة الناقض لشروط البيعة والميثاق المعلق في جوف الكعبة ، والذي يتضمن تقسيم الدولة الاسلامية الى قسمين شرقي وعليه الموفق ، وغربي بما في ذلك مصر والشام تحت أمره المفوض ، ووصاية موسى بن بغا[٦١] وهو بذلك يقدم لما سيقوم عليه فيما بعد في دمشق ويعقد مؤتمره المشهور من العلماء والفقهاء وينتزع منهم قراراً بخلع الموفق ولعنه كما سنرى .

فلما ورد كتاب ابن طولون الى الموفق حفظه دون ان يطلع الخليفة المعتمد عليه ، وكظم غيظه ، وبدأ يعمل ويدبر الكيد لابن طولون ، وبدأ عمله باتجاهين ، وكلاهما يحمل الخطر لقوة ابن طولون في مصر وبلاد الشام .

الاتجاه الأول محاولة عزل احمد بن طولون عن ولاية مصر[٦٢] حيث أوعز لأماجور عامل الشام (من سنة٢٥٧هـ - ٢٦٣هـ) ، بالقيام بذلك لأنه وجد منه خير من يندبه لولاية مصر وتصديه لابن طولون، لأنه كان يرى بابن طولون خطر كبيراً يهدد وجوده بالشام ، وأدرك أماجور مطامع ابن طولون ورغبته في التوسع على حسابه في الشام ، لذلك بدأ يحيك المؤامرات ضده ، وساعده في ذلك منافسو ابن طولون في مصر أمثال ابن المدبر وشقير الخادم وغيرهما ، وبدأ أماجور يظهر ابن طولون وأنه تجمعت لديه القوة اكثر مما تجمع لابن الشيخ وان خطره أعظم منه اذا مافكر فعلا بالثورة والاستقلال بمصر وقد اتهم[٦٣] صراحة بذلك . ونجح ، الموفق واعداء ابن طولون كما نجحت وشاية أماجور في اقناع الخليفة وانتزاع أمر منه باستدعاء ابن طولون الى بغداد وإبعاده عن مصر ، ووضعه تحت مراقبة السلطة المباشرة في بغداد ، وعمل الخليفة دون اثارة الشكوك امامه ، حيث كتب اليه يأمره باستخلاف من يشاء نائبا عنه في مصر ، وان يحضر الى بغداد للحاجة اليه في تدبير أمر الخلافة . كما وعد بمنصب رفيع في الدولة ولم يكن ابن طولون بالرجل السهل الذي يخدع فأدرك ان ذلك بداية لضياع ولاية مصر[٦٤] ، ولم يجرأ مباشرة بمخالفة الأوامر وعمل بحنكة ودهاء وارسل كاتبه الواسطي الى عاصمة الخلافة يحمل الهدايا والاموال لأصحاب السلطة في البلاط لانهاء هذه الأزمة وتمكن هذا بمساعدة وكلاء ابن طولون في العراق وانصارهم وسياستهم المرنة من الحصول على تثبيت الخليفة له في مصر[٦٥] والتصريح له أيضاً بنقل عائلته جميعها اليه التي كانت حتى ذلك اليوم في سامراء ، فسر ابن طولون بهذا الظفر سنة ٢٦٢هـ.

وقد اعتمد الموفق على ضرب الأساس القانوني الذي يستند اليه ابن طولون في مصر وعزله عنها حيث تقدم الى موسى بن بغا ، واتفق معه على تكليف أماجور والى دمشق وقلداه أمرة مصر[٦٦] لأنه من المتحمسين ضده وممن عملوا لابعاده عن الأشتراك في القضاء على حركة ابن الشيخ في فلسطين ، كما كانت له اطماع أخرى في مصر ، هذا بالاضافة الى تخوفه من ابن طولون كما رأينا[٦٧].

وكان يدرك انه لن يقف مكتوف الايدي عن بلاد الشام ، وسوف يعمل عل مـد نفوذه عليها ، لذلك كان اماجور من المتحمسين القلائل الذين قبلوا فكرة التصدي لابن طولون لأن وكلاءه ، بمساعدة التجار والاموال التي كانت تغدق على

القادة بالعراق وأرباب المناصب ، منعوا الجميع من النهوض لمصر وابعاد كل من كان يرشحهم الموفق للتصدي لابن طولون[٦٨].

ولم يتمكن أماجور من الوقوف في وجه الطولونيين أو تقديم أي نصر ضدهم بل على العكس أظهر عجزه ، فما كان من الموفق الا أن طلب الى موسى بن بغا بالخروج اليه بعد ان لاح لهم الخطر جميعا يهدد وجودهم[٦٩] وخافوا من ازدياد نفوذه وقوته ومن ثم قبضته على بلاد الشام وبهذا تهديد لسلطة الخلافة والاتراك معا .

وما كان من موسى بن بغا الا ان خرج بالعساكر الى الرقة ، وأخذ يستعد لقتال الطولونيين ، غير أنه اظهر الجبن أمامهم ، ومل جنده البقاء والانتظار وشغبوا عليه، واضطربت أحوالهم وطالبوه بالأرزاق والأموال ولم يكن معه ما يدفعه لهم فعاد بعد عشرة أشهر دون ان يحقق اي شيء الا الفشل ورحل الى بغداد يحمل معه خيبة الأمل ويجر وراءه اذيال الموت حيث توفي سنة ٢٦٤هـ[٧٠].

أما ابن طولون فقد استفاد من هذه المنازعات العسكرية بأن حصن دفاعاته في مصر فأمر باشادة حصن الجزيرة وجعله معقلا لما له وحرمه وذلك سنة ٢٦٣هـ.

كما عمل بجد متواصل في اقامة المراكب الحربية ، وأسرع في تجهيز جيشه والاكثار منه وتأهيله ، وفي هذه الفترة اخذ يكثر من الاعتماد على القوى الموجودة في مصر من اتراك واعراب وموال وسودانيين وغيرهم ويضمهم لجنده[٧١].

ـ الموفق أحمد يفشل في ابعاد ابن طولون عن الثغور الشامية :

أما الاتجاه الثاني للموفق ضد أحمد بن طولون فكان يهدف لابعاده عن امرة الثغور ، فقد حرص هذا أشد الحرص على الحصول على أمرها وابقائها تحت سيطرته ونفوذه وكانت أهم الثغور والعواصم في تلك الفترة (طرسوس، وانطاكية، واذنه والمصيصة ، وعين زربة ، والكنيسة والهارونية ، وبياس ، ونقابلس[٧٢].

وكان على طرسوس سيما الطويل ، حيث كان قد ولاه الموفق على حلب والعواصم[٧٣] كما رأينا . وتطلع سيما هذا للسيطرة على الثغور بكاملها وبدأ يعمل لنفسه فيها وساعدته الظروف بانشغال الموفق بحرب الزنج من جهة ، وجهده

للاطاحة بابن طولون من جهة اخرى وعلى الرغم من اهتمام ابن طولون المبكر بالثغور الا أنه كان مشغولا في تثبيت أوضاعه الداخلية ، ورسم الخطط لتنفيذ مشروعاته في مصر كما كان يقف متربصاً لما يحيك له الموفق وجاهدا لتحصين مصر وتعزيز قواته[٧٤].

هذا بالاضافة الى أن الصورة بالثغور بهذه الفترة لم تكن واضحة حيث لم تذكر المصادر نص الوثيقة الرسمية التي اعطاها الخليفة لابن طولون وتوليه على الثغور ، كما أنها تختلف في تحديد المناطق التي أصبحت تابعة للطولونيين بعد أن كان قد تولاها سنة ٢٦٢هـ ، على ان يحمل في كل سنة أربعمائة الف دينار الى الخلافة[٧٥] ، وحيث تذكر بعضها انه تولى حلب وقنسرين والعواصم في هذه السنة يذكر آخرون بأنه تولى الثغور[٧٦] فقط.

هذا وان القوى المؤيدة لابن طولون بالثغور بهذه الفترة يبدو انها كانت تمر بأزمة داخلية هي الأخرى ويظهر أنها لم تكنْ على مستوى المسؤولية التي أوكلت لها هناك ، فقد تهرب موسى بن طولون عندما كتب اليه اخوه يقلده أمرها وامتنع من ذلك ، فكتب الى ابراهيم بن عبد الوهاب[٧٧] وكان هذا يعتبر من اشد انصاره في طرسوس[٧٨] فأبى هو الآخر . فما كان منه الا أن أنفذ اليها طخشي بن يلبرد [٧٩] فوصلها سنة ٢٦٤هـ . وأوصاه بحسن المعاملة وجميل السيرة ففعل وحسنت سيرته بطرسوس وبقي فيها حتى مات .

هذا الوضع افاد من جهة سيما الطويل وأعطاه حرية التحرك من ناحية ، ومن ناحية ثانية وجدت ثغرة استغلها الموفق ، وبدأ يعمل لاظهار ابن طولون بالعجز والتهاون في حماية الثغور وأمر الجهاد فيها، فما كان من الموفق إلا أن لجأ الى الخليفة ليضفي بالصبغة الشرعية عليه وذلك لأهمية الثغور ومكانتها وللوضع الديني بها وجعل الجهاد يستند على الشرعية والرضى ، واقنع المعتمد بحاجة الشغور لمن يقيم بها ويشرف مباشرة على أمر الجهاد فيها ، وأتهم الطولونيين بالتقصير عن حماية المنطقة وصد الاعداء قائلا أن الثغور تحتاج الى من يقيم فيها ومن يغزو بأهلها[٨٠].

واستقر الامر على أن ترسلَ ولاتها من قبل الخلافة مباشرة ، وأبلغ الموفق الخليفة ان الرأي استقر على ترشيح ، محمد بن هارون التغلبي[٨١] وكان يلي امرة الموصل غير ان الشراة ـ وهم أصحاب مساور الشاري ـ اعترضوه في طريقه على شاطىء دجلة فقبضوا عليه وقتلوه[٨٢] سنة ٢٦٠هـ.

ولهذا اختار الموفق للثغور بعده محمد بن علي بن يحيى الارمني[٨٣] وجعله واليا للعواصم والثغور واصطدم هذا مع سيما المتسلط في الثغور ، وعندما قام الارمني بمنع سيما من دخول طرسوس كتب هذا الى انصاره ومؤيديه فيها يؤلبهم عليه ودعاهم الى التمرد فما كان منهم الا أن وثبوا به وقبضوا عليه واعتقلوه وقتلوه ودفنوه في داره[٨٤] ، فاستاء الموفق من هذا العمل وزاد سخطا على سيما وأمر بتقليد أرجو ان بن أولغ طرخان[٨٥] ، امرة الثغور وكان هذا غرا جاهلا ، أساء السيرة فيها فأخر الميرة والارزاق والعطاء عن أهل لؤلؤة. فضجوا وكتبوا لأهل طرسوس يشكون أمرهم ويتوعدون بتسليم قلعتهم الى الروم اذا لم تصلهم اعطايتهم ، وخشى أهل طرسوس العاقبة وتبرعوا بالاموال وجمعوا من بينهم خمسة عشر ألف دينار وحملوها اليهم ، وسلمت لارخوز لكي يقوم بتوزيعها عليهم غير أنه أخذها لنفسه ولما أبطأ هذا عنهم سلموا القلعة الى الروم[٨٦] . ولقد أحدث هذا العمل ردة فعل عنيفة في طرسوس لأن هذه القلعة كانت شجى في حلق العدو وكانت نقطة إستطلاع ورصد قوية برية وبحرية ، لذلك شغب الأهالي في طرسوس وثاروا ، ولابد ان انصار ابن طولون استغلوا هذا الحادث المشؤوم وكان لهم اليد الطولى في هذا الاضطراب والشغب ، وأشاعوا أن الثغور لن تهدأ الا بحاميها ابن طولون .

ولما وصلت الأخبار الى الخليفة المعتمد تأثر كثيرا ولم يكن بد من تقليدها لأحمد ابن طولون حيث كلفه بتدبير امر الثغور وضبطها[٨٧] فأنفذ لهذه المهمة طخشي ابن يلبرد وذلك في سنة ٢٦٤هـ، كما رأينا واخفق الموفق وعادت الثغور لابن طولون يولي عليها من شاء ويأمرهم بحسن المعاملة والسيرة الحسنة والتصدي للاعداء ، ودخل هؤلاء الولاة الطولونيون في صراع مستمر مع القوى والانصار المؤيدة للموفق لم ينته طيلة الفترة الطولونية وحكمها لهذه المنطقة كما سنرى .

وهكذا خرج ابن طولون ظافرا منتصرا في هذه الجولة فطوى الموفق مشروعه في عزلة عن مصر ، وعاد موسى بن بغاثم مالبث ان توفى سنة ٢٦٤هـ ، كما فشل أماجور ولم يتمكن ان يحقق أي كسب ضد ابن طولون ، وتوفى هو الاخر بعد موسى بن بغا بنفس العام(٨٨) ، واستعاد ابن طولون الثغور تحت ضغط الحاجة لقوته ، كما لم يجد الموفق رجلا واحدا يقبل ان يقف في وجه ابن طولون(٨٩) ، كما أن انشغاله بحروب الزنج والحركات الأخرى في الشرق(٩٠) ، دفعه للانصراف عن ابن طولون عسكريا ولو مؤقتا معتمداً أسلوبا جديدا .

وهكذا ظهر ابن طولون كاقوى قوة في المنطقة ، وتمكن بغمرة هذا الانتصار ان ينتزع من الخلافة تقليده على بلاد الشام كلها بالاضافة الى ثغورها ، وخرج سنة ٢٦٥هـ من مصر الى الشام ، لكي يؤكد هذا النفوذ ، ويجعله حقيقة واقعة فدخل دمشق ودانت له امهات المدن الشامية ومضى الى الثغور لاشباع رغباته في الجهاد سنة ٢٦٥هـ ، ولم يعد الى مصر أثر حركة ابنه العباس في مصر الا بعد ان فرض وجوده واتسع نفوذه في الشام حتى بلغ غايته وامتدت سيطرته حتى وصلت حران والرقة ، وأصبح يطل على بغداد(٩١) .

- النزاع بين الموفق أحمد وأحمد بن طولون يمتد إلى الجبهة الداخلية في مصر والشام :

لم يكن بالإمكان أن ينتهي هذا الصراع بين القوتين المركزية في بغداد برئاسة الموفق والقوة الجديدة النامية في الشام ومصر بزعامة ابن طولون ، بعد أن تبلورت آراء الطرفين ، الا ان هذا الخصام اخذ يسلك سلوكا جديدا وطريقاً آخر استخدم الفريقان فيه كل وسائل الدبلوماسية والخداع والمكيدة والحروب الباردة . وسلك الموفق طريقا جديدا مبتعداًعن خوض المعارك وارسال الجيوش بعد فشل تجربة موسى بن بغا وأماجور أمام القوة الطولونية ، معتمدا أسلوبا جديدا يقوم على العمل ضمن صفوف ابن طولون ، وضرب جبهته الداخلية والخارجية بالعمل على اثارة الفتن في صفوفه وتشجيع الخارجين عليه واثارة ولاته ، وزرع روح التمرد والاستقلال عندهم ، وقطع الموفق شوطا في هذا المجال حتى أقلق ابن طولون وثار عليه الكثيرون وانفصلت عنه الثغور .

ومضى الموفق خطوات كبيرة وهامة على هذا الطريق حتى تمكن ان يؤلب قوى متعددة يرتكز عليها النظام الطولوني وأسس استمراره ونجاحه .

وبدأت اعمال الموفق بحركة العباس بن احمد بن طولون ففي سنة ٢٦٥هـ وعندما كان ابن طولون يحقق انتصاراته الباهرة في بلاد الشام ، والثغور ، وردته الأنباء بحركة العباس ابنه وتمرده مع بعض القادة الذين انضموا تحت لوائه وممن كانوا يتخوفون أباه ويعارضون سياسته ، وعلى رأسهم علي بن الحزور[٩٢] ، وأحمد بن صالح الرشيدي ، وأحمد بن القاسم بن أسلم وعبد الله بن طغيان ، حسنوا له التغلب على مصر والفتك بأحمد بن محمد الواسطي الذي خلفه أبوه معه في مصر أثناء غيابه في الشام ليسترشد برأيه ويلتزم بنصائحه والانصياع لأمره[٩٣] ، وجعله مدبراً ووزيراً .

ولم يستجب هؤلاء لوفد ابن طولون ورسائله عندما خاطبهم ولاطفهم وتخوفوا منه ، وتركوا مصر وأخذوا ماكان بخزينتها وبيت مالها من أموال وماكان فيها من آلات وغيرها واتجهوا الى برقة ومنها الى أفريقيا حيث راسل العباس ، ابراهيم بن الأغلب قائلا : «ان أمير المؤمنين قد قلدني أمر افريقيا وأعمالها»[٩٤] وسار العباس باتجاه حصن لبدة وأساء معاملة أهله ، وما يهمنا من هذه الحركة هو ان هناك قوى كانت موجودة ضمن صفوف ابن طولون وقفت ضده وتمكنت من تحريك اقرب انسان له على التمرد اثر أول خروج له من مصر[٩٥] ، ولاشك أنه كان للموفق أحمد دور مؤثر في هذه الحركة ولابد أن هؤلاء القادة الخارجين كانوا على اتصال بجواسيس الموفق ورسله كما لايستبعد ان يكونوا من ذيول المؤامرة التي حملها تحرير[٩٦] ولم يكشف أمرهم أو كان دورهم أقل فحافظ ابن طولون على بقائهم ولهذا كانوا يتخوفون منه واذا لم تشر المصادر صراحة لتدخل الموفق بهذه الحركة فمما لاشك فيه أنها كانت نتيجة من نتائج سياسته كما أنه اعطاهم الأمل والضوء الأخضر، ولابد لنا ان نقف قليلا عند ادعاء العباس بأن الخليفة قلدّه امر افريقيا[٩٧] فاذا صح هذا الخبر فلاريب ان الموفق هو صاحب الفكرة هدف بها اغراء العباس وضربه بأبيه في المنطقة الغربية وهذا منتهي الذكاء السياسي .

كما أن هذه الحركة جعلت من ابن طولون انسانا اخر وبدأ يشك بكل من حوله ، وأخذ سياسة جديدة تقوم على الأخذ[٩٨] بالظنة والتشدد والظلم ، حتى خافه قواده .

عاد ابن طولون من الشام الى مصر بعد ان انتهى من تنظيم أمورها وأمر عليها اخلص قواده وهو لؤلؤ غلامه وبسط يده فيها لوثوقه به فجعله على حمص وحلب وقنسرين وديار مضر كما أطلق يده في الثغور الشامية[٩٩].

ولقد كانت تلك الحركة التي قادها العباس عاملا مشجعا للؤلؤ على التمرد ايضا فلماذا لايحذو حذوه ، بعد ان ضايقه ابن طولون وشدد القبضة عليه وعلى جميع أصحابه ولم يترك المجال لهم لاظهار دورهم حيث التزم بسياسة تجميع كل السلطات في يده ، كما اتبع نظاما ماليا صارما يقضي بموجبه اشرافه التام على أموال الدولة وخراجها ، وربما يكون لهذا السبب الدور الرئيسي في تمرد لؤلؤ ، فبعد ان ترك احمد بلاد الشام جعل عليها نائباً عنه يقوم بأمر الخراج يأتمر بأمره ، ويعمل على غل وإبعاد يد لؤلؤ عن الأموال في المدن الواقعة تحت سيطرته في الشام[١٠٠] فما كان منه الا ان قام بالاستيلاء على شطر من هذه الأموال الواجبة لسيده أحمد ، فخاف لؤلؤ غضب سيده ولعب محمد بن سليمان دورا هاما في هذا التمرد وابعاد الشقة مابين الطرفين[١٠١] ، وحسن له الاستئمان والاتصال بالموفق ، لأن علاقة محمد بن سليمان الكاتب كانت سيئة بابن طولون وكان هذا من أشد الناس خوفا من ابن طولون كما كان ابن طولون يحمله مسؤولية جميع الاخطاء التي تقع في المناطق التي يتولاها[١٠٢].

كما أقدم ابن طولون على أعمال كثيرة تجاهل فيها لؤلؤ ووجوده في المنطقة ولم يستشره بأمور كبيرة اعتبرها لؤلؤ استصغارا لقدره فعين صهره محمد بن فتح خاقان على ديار مضر ، دون ان يأخذ رأي لؤلؤ غلامه أو استشارته[١٠٣] بذلك .

وهناك أسباب اخرى لحركة لؤلؤ وتمرده في الشام أوردتها بعض المصادر وتعيدها للأيام السابقة لحملة ابن طولون سنة ٢٦٥هـ على الشام وفتحها[١٠٤] ، ولايمكن ان يعتبر لؤلؤ عملية وجوده في بلاد الشام وماوضع تحت تصرفه فيها عملية ابعاد له[١٠٥] ، إلا أن الأمور المنطقية تعود للاسباب المالية وسياسة ابن طولون التي

كانت تستند على الحكم المطلق شأنه شأن أي حاكم يحاول أن يبتلع من حوله ، لذلك بدأ لؤلؤ يفكر بالاستقلال منذ سنة ٢٦٨هـ ويدل على ذلك دينار ضرب في هذه السنة في الرافقة قرب الرقة وعليه اسمه الى جانب اسم احمد بن طولون[١٠٦] ، ولابد أنه كان للموفق الدور الكبير لهذا التمرد ، فلقد استغل هذا الجو المتوتر وقام بمداعبة لؤلؤ بواسطة انصاره وبتشجيع محمد بن سليمان الكاتب ايضا[١٠٧] مستغلا هذا الشقاق والصدع في الصفوف الطولونية ، فما كان لؤلؤ يسأل الموفق القدوم اليه ومفارقة سيده ، ويشهد بذلك حرب الزنج ويطلب منه في الوقت نفسه شروطا له ، حتى اجابه الموفق على الفور على ما سأله واشترطه[١٠٨] ، وكاتبه في الخروج اليه وأرسل له السفن تحمله في مياه الفرات من الرقة في جمادي الأولى سنة ٢٦٩هـ.

وبدأت ذيول المؤامرة تظهر وكشف لؤلؤ عن نواياه الصريحة وانحيازه للموفق وأوامره ، فقطع الدعاء لاحمد بن طولون في جميع المناطق الواقعة تحت نفوذه[١٠٩] ، وكان عمله هذا دافعا لأهل الثغور الذين فعل بها انصار الموفق ايضا فعلهم فقطعوا الدعاء للطولونيين وابعدوا عنهم نواب الطولونيين[١١٠].

وكعادة ابن طولون بدأ بمخاطبة هذا التابع المتمرد ، قبل الخروج اليه ومراسلته ، عله يجد لخروجه سبيلا قبل ان يشهر السلاح الا ان لؤلؤ كان يفهم سيده من جهة ، ومن ناحية أخرى كان محمد بن سليمان الكاتب له بالمرصاد ولم يترك اي خيط للؤلؤ يتمسك به ويعود لسيده فأغراه بالخروج قبل وصول القوات الطولونية من مصر ، واتجه لؤلؤ صوب العراق وفي طريقه كان يخضع المناطق والمدن التابعة للطولونيين ويعيدها لسلطة العباسيين المباشرة ويقوم بتعيين الولاة الذين يقومون بتنفيـذ هذه السياسة ، فوصل بالس ونهبها ، وكان بها محمد بن سعيد (ابو قوص) واخوه سعيد الكلابي فأسرهما لكي ينهي كل قوة يمكن ان تساند سيده[١١١] ، وفي الرقة وافاه جواب الموفق فسار منها ونزل بطريقة في قرقيسياء وبها ابن صفوان العقيلي ، فحاربه لؤلؤ واخذها منه وسلمها الى أحمد بن مالك طوق[١١٢] ، وهرب ابن صفوان ، وسار بطريقة حتى وصل العراق والتحق بالموفق الذي أكرمه وكان الموفق يقاتل الجيش الزنجي وذلك في سنة ٢٦٩هـ ، فاشترك لؤلؤ في قتال هؤلاء وكان لدور الفرقة المصرية التي ترافقه الأثر الفعال والعمل على

انهاء هذه الثورة ، التي انهكت الخلافة العباسية وبقي لؤلؤ في بغداد الى سنة ٢٧٣هـ حيث قبض عليه الموفق وصادر أمواله وكانت اربعمائة الف دينار(١١٣) ، وزعم لؤلؤ انه لايعرف له ذنبا الا كثرة امواله وأثاثه وغادرها الى مصر في آخر أيام هارون بن خمارويه .

ورغم أن أحمد صمم على الخروج الى بلاد الشام واللحاق بلؤلؤ قبل مغادرته الحدود الشامية ليضربه وينتقم من محمد بن سليمان ويؤدبهم غير أنه لم يتمكن فقد وصلته الأخبار بتجاوزهم حدود الشام وهو لايزال بالرملة وكان ذلك في نهاية عام ٢٦٨هـ(١١٤) ، ولما انحدر لؤلؤ من الرقة كان معه من السفن والخزائن زهاء ثلثمائة خزانة(١١٥).

يبدو أن نجاح الموفق كان أوضح في الثغور منه في الشام ، فلقد كثرت فيها الحركات والتمرد على الحكم الطولوني ، ولعبت سياسة السلطة المركزية في بغداد دورا ناجحا في اثارة الثغور ضد الحكم الطولوني حتى اصبحت سلطتهم عليها واهية .

وفي هذه الفترة يظهر متسلط جديد هو يازمان مولى الوزير الفتح بن خاقان الذي استغل حركة لؤلؤ وتمرده وتشجيع بغداد لها ، فقام باستمالة العديد من المتطوعة في طرسوس ، بعد وفاة موسى بن طولون ، وابراهيم بن عبد الوهاب ، وطخشي ، وفي اثناء وجوده فيها مع خلف الفرغاني نائب ابن طولون(١١٦) .

ونظرا لتصرفات يازمان وتسلطه ومضايقته لنائب الطولونيين وعدم استراحة ابن طولون لوجوده فيها ، أوعز الى خلف بالقاء القبض على يازمان هذا فوثب عليه وأودعه السجن ، فقام جماعته وانصاره في الثغر وثاروا على خلف وهموا بقتله لولا هربه الى دمشق ، وأخرجوا يازمان الذي اعلن العصيان والثورة ضد الطولونيين ومنع الدعاء لهم ولعنوا احمد بن طولون على المنابر(١١٧) ، ولم يكن يازمان الا منفذا لأوامر الموفق الذي كان قد استصدر أمرا يلعن ابن طولون على المنابر وعزله عن ولاية مصر والشام(١١٨) ، وولى اسحق بن كنداج على أعماله كما سنرى ، فما كان من ابن طولون الا ان تحرك قاصدا يازمان بهدف اعادة الثغر وتأديب هذا

الثائر الخطر ، ورأينا أنه دخل معه في نزاعات لم يستجب اليها يازمان ورغم حصار ابن طولون لطرسوس فقد انحدر عنها يجر وراءه اثار الخيبة والفشل(١١٩) .

وبقي يازمان صاحب السلطة الفعلية في الثغور حتى عهد خمارويه وماكان من مهادنته والتلطف به ومصالحته فدعا له يازمان على منابر طرسوس سنة ٢٧٧هـ(١٢٠) .

ـ خروج ابن طولون سنة ٢٦٩هـ لبلاد الشام ومحاولته لنقل الخلافة إلى مصر والشام :

في غمرة هذه الأحداث الكثيرة والهامة لم يكن ابن طولون ليقف الموقف المدافع فقط عن مصالحه ، إنما اعتمد الهجوم السياسي أيضاً ، وكانت أخبار الحوادث تصله في حينها ، وأطماع الموفق ووضع الخليفة البائس معه وحركة الزنج التي قاربت على النهاية ، وانتصار الموفق في الثغور ونجاحه في زعزعة الجبهة الداخلية لابن طولون ، ولم يكن من المعقول بعد أن يتفرغ الموفق من حرب الزنج وينتصر إلا أن يتفرغ لشؤون بلاد الشام وينال منها وسلطة ابن طولون عليها(١٢١) ، وتوالت الأخبار أن الناجم بالبصرة قد شارف القبض عليه فحرك ذلك أحمد بن طولون .

فما كان من ابن طولون الا أن طلع على العالم الاسلامي بأمر جديد كان له وقع هائل في المجتمع الاسلامي ، فقد اعلن نفسه مدافعاً عن الخليفة العباسي المضطهد بقوة السلاح ، وقرر العمل على اعادة النظام والشرعية للخلافة .

ولذلك قام بمراسلة الخليفة المعتمد يطلب منه التوجه الى مصر(١٢٢) بكتاب جاء فيه «قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفي على أمير المؤمنين من مكروه يلحقه وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد ، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر فإن أمره يرجع بعد الامتهان إلى نهاية العز ولا يتهيأ لأخيه فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة» .

وعزم ابن طولون على الخروج ولقاء الخليفة بنفسه في الرقة .

وتجدر الإشارة الى أن خروج ابن طولون الى بلاد الشام للمرة الثانية لم يكن استجابة لرغبات الخليفة ولقائه فحسب انما اقتضت الضرورات السياسية والمصلحة العليا للدولة الطولونية وجوده في بلاد الشام حيث ظهر وكان مجده الذي بناه كأنه شيد على الرمال وان نفوذه الذي اقامه هناك بالعرق والجهد مهدد بالزوال والضياع .

لذلك كان قراره التوجه الى الشام وترتيب الأمور بحيث يكون فيها أثناء محاولة الخليفة التوجه الى مصر لكي يتمكن مّن تقديم الحماية والمساعدة له حيث يتضح أنه لم يغادر مصر الا بعد أن وصله رد الخليفة بالموافقة وتلبية[١٢٣] دعوته .

كما قرر الخروج لتصفية وضعه مع لؤلؤ الذي وجه له طعنة في الظهر بعد أن رفض الاستجابة لتلبيته ونشر الفوضى في بلاد الشام وزعزع أركان الطولونيين فيها ، لذلك صمم على أن يعيد الأمن والاستقرار ويلحق بلؤلؤ قبل أن يغادر حدود ممتلكاته في الشام ويتخلص منه[١٢٤] ، كما أن المشاكل التي اثارتها القوى المؤيدة للعباسيين في الثغور وعلى رأسها يازمان الذي استقل واظهر العداء للطولونيين وجعل هذه المنطقة من حدود دولته والمتاخمة للعدو تشتعل بالثورة والتمرد ضد الطولونيين فكان عليه أن يعيد هذه المنطقة ونفوذه فيها ويعمل على اقرار السكينة فيها بعد أن أخذت تسير في طريق التمرد والخروج بعد وفاة نائبه القوي طخشي. بن يلبرد[١٢٥] .

لذلك كله اتجه ابن طولون الى الشام من مصر واستخلف عليها ابنه خمارويه وجاء بأبنه العباس معه مقيداً بأغلاله وما أن وصل دمشق حتى وافته الأخبار بخروج الخليفة متظاهراً بالصيد والنزهة مستغلاً غياب أخيه الموفق وسار في مسعاه سالكاً طريق البريد الى مصر[١٢٦] .

فلقد نجح ابن طولون في أن يجعل الخليفة من أنصاره ويربط مصلحته بأهدافه ، وكانت علاقته مع الخلافة العباسية حسنة ووضح اخلاصه لها منذ أن بزغ نجمه في بغداد ، وظهر اخلاصه منذ عهد المتوكل والمستعين والمهتدى ، وتمكن بفضل سياسته الحكيمة وارضاء المعتمد بالهدايا والأموال أن يكسب ثقته

ويعتمد عليه الخليفة أثناء ازماته فيكلفه بالقضاء على ثورة عيسى ابن الشيخ ، ويطلب منه الأموال سراً لمضايقة الموفق له وغل يده[١٢٧]، لذلك أجاب المعتمد الدعوة التي وجهها له ابن طولون بعد أن وصل به الضيق الى الالتجاء الى ولاته يستجديهم العطاء والأموال لنفقاته الخاصة ، ففيها الخلاص من تشديد قبضة الموفق عليه ، والتأفف من الحجر ، والانتهاء من مرحلة الاهانة والايذاء والانتقال لمرحلة الأمن والطمأنينة والحياة الرغيدة في ظل الطولونيين الأغنياء ولهذا كان قرار المعتمد بالايجاب وكتب وكيل أحمد بن طولون في الحضرة اليه يقول أنه خارج اليه في طريقه مع المعتمد[١٢٨] والذي اصطحب معه بهذا الخروج بعض أنصاره والمقربين اليه .

وأرسل ابن طولون العساكر ترابط في الرقة لانتظاره واستقباله ، وكان ذلك في منتصف سنة ٢٦٩ هـ ، وعلى رأسهم قائدان هما أحمد بن جبفويه ، ومحمد بن عباس الكلابي[١٢٩] .

وعلى كل الأحوال كانت علاقة ابن طولون بالمعتمد طيبة للغاية ولابد أنه كان يغضب ويستاء لوضع الخليفة ومايلحق به من أذى وامتهان وحجر كما لا يمكن الا وان يزداد ضيقاً وأسى لأن هذا التصرف يقوم به عدوه الكبير الموفق الذي أحكم السيطرة ، وانطلق يحقق أهدافه مبتدئاً بالبيت العباسي وهو لم يكتف بغل سلطة المعتمد بل أنه تعدى ذلك فقام بالاعتداء على سلطان جعفر المفوض ولي العهد وعمل على ابعاده ، وهذا العدوان لم يكن وليد حينه بل ابتداء منذ أن قدم الموفق بغداد عندما استدعاه أخوه من مكة للتصدي لثورة الزنج[١٣٠] ، فلماذا لم يتحرك ابن طولون وينصب من نفسه مدافعاً عن الخليفة وحامياً لهذا البيت الخلافي بقوة السلاح ولاشك ان لتطور العلاقات السياسية ولموقف الموفق العدائي لابن طولون الدور الكبير والهام في تحريكه .

وكان يقصد بذلك توجيه ضربة كبيرة لسحق القوى المسيطرة على السلطة في بغداد والقابضة لزمام الأمور من عباسيين وأتراك وغيرهم[١٣١]. باسم الخلافة والشرعية وليس للخليفة أو الخلافة أي حق أو دخل بما يحاك ، فلماذا لا يعمل هو وتكون هذه الشرعية تحت اشرافه يعتمد عليها بتضافر جميع هذه القوى بعد أن

أثبت وجوده كأقوى قوة عسكرية في المنطقة ، ولماذا لا يفكر في نقل الخلافة الى مركز دولته بعد أن أقام حكماً قوياً مستنداً على تأييد جماهيري اسلامي واسع في كلا القطرين مصر والشام[١٣٢] ، وفي الحقيقة كان الدافع المباشر موقف الموفق واثارته الفتن والمشاكل ضد الطولونيين وزعزعة الثقة بهم وبحكمهم في مصر والشام ، لذلك أظهر ابن طولون غضبه وخرج بهذا المخطط الذي هدف به الموفق دون سواه وطعنه في الداخل ورد على أفعاله الكثيرة ولذلك نرى الموفق يهلع ويتخوف لأنه كان يدرك أنه اذا تم هذا الأمر لن يبق له ولا لأحد من الموالي والأتراك أي قدر . . ويكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس[١٣٣] .

كما لا يخفى علينا ان ابن طولون بعمله هذا رفع من مكانته ومن شأن هذه المنطقة التي وقعت تحت نفوذه وسيطرته والتي استجابت له على الصورة التي رأيناها سابقاً ، فلقد بدأ يعمل لكي يجعل لها المكانة والمقام الأول في العالم الاسلامي وان ينقل لها دار الخلافة فقد نسب اليه قوله «أريد أن انتشل الخليفة من تلاعب أبي أحمد وغيره وأنقل كرسي الخلافة الى مصر[١٣٤] . وبذلك تنتقل الوصاية من أتراك في بغداد الى تركي في مصر والشام .

ولم يكن الموفق بالشخص الذي يغلب بسهولة ، فهو صاحب فكرة الاصلاح المركزي في بغداد ومن عرفوا السياسة وخاضوا الحروب ، وجربوا الأتراك وعرفوهم ، وسيروهم وراء مصالحهم ، فما كان منه الا أن بعث بالكتب الى اسحق بن كُنداج الخزري وهو بالموصل حيث كان عاملاً عليها وعلى جميع منطقة الجزيرة[١٣٥] كما كتب الى الوزير صاعد بن مخلد ، يخبرهما بحقيقة الموقف ، ويظهر تخوفه ، ويعطي صورة واضحة لطبيعة الصراع بين القوى في العراق ، والقوة الكبيرة التي ظهرت نتيجة لقاء القطرين مصر والشام ، موضحاً ومشيراً الى أنه لو تم الأمر لزال كل ما لهذه الأطراف من السيطرة والجاه ، ولانتقل مركز الأمر لغيرهم وبذلك يفلت الزمام وتكون العاقبة وخيمة عليهم جميعاً ، كما لم ينس ان يشد من أزر ابن كُنداج بأن يتوعده باغداقه الأموال عليه ويزيد من اقطاعاته ويناشده الخروج والتصدي لأخيه المعتمد وضرب هذا المشروع الخطير[١٣٦] بشد الصفوف والوقوف بحزم ضد هذه الفكرة .

وسار ركب الخليفة متظاهراً بالصيد والنزهة وعندما وصل الحديثة ، وافاهم بها ابن اسحق ، وجرت بينه وبين مرافقي الخليفة مشادة أمثال خطارمش ، وأحمد بن خاقان ، وتيبك (تينك) وابراهيم بن مدبر ، فما كان منه الا أن احتال عليهم واعتقلهم جميعاً[١٣٧] .

واعادهم جميعاً مع الخليفة العباسي المعتمد الى سامراء حيث نكل بهؤلاء ووضع المعتمد تحت الحراسة وضيق عليه الموفق بعد ذلك ، وقام أبو أحمد الموفق وعقد لاسحاق بن كُنداج على ولاية مصر والشام وفوض اليه من باب الشماسة الى افريقيا حنقاً ونكاية بابن طولون[١٣٨] ، الذي تحدى العباسيين جميعاً ، وتصدى لنقل الخلافة من العراق بما في ذلك من ثورة على سلطان العباسيين وتراثهم الحضاري ، كما أن بعمله هذا صورة واضحة عن موقع ابن طولون ومركزه في الحياة الاسلامية المعاصرة .

وهكذا فشل هذا المشروع الخطير الذي دفع بكل القوى والدول التي نشأت على أرض البلدين مصر والشام الى تجديد المحاولة حتى كتب لها أخيراً النجاح وغدت أحلام الطولونيين والاخشيديين تنقلب الى واقع فيما بعد .

وكان لأقدام ابن طولون هذا وفشله أن أدخله وأنصاره في المنطقة بنزاع وخلافات كبيرة مع القوى في العراق انهكت البلدين وكانت من العوامل الهدامة ، سياسياً في الدولة العربية الاسلامية[١٣٩] .

وما ان وصلت اخبار المعتمد ومصيره الى ابن طولون ، حتى خرج بفكرة جديدة ، تفوق تطوعه بمساعدة الخليفة وتصديه لحمايته بقوة السلاح ، حيث لجأ الى أمر يعتبر أشد غرابة فقد أقدم على خلع الموفق من ولاية العهد ، وهو من أجل هذا الهدف أمر بدعوة القضاة والفقهاء وعلماء الدين ودعاهم للاجتماع في دمشق . وعقد مؤتمره المشهور في سنة ٢٦٩هـ[١٤٠] ، في يوم الخميس ١٨ ذي القعدة ، وحضر هذا المؤتمر أشهر القضاة وخيرتهم في الدولة الطولونية في الشام ومصر ، منهم عبد الله بن محمد العمري القاضي بجند قنسرين والعواصم والثغور وجند حمص وانطاكية وعبد الحميد بن عبد العزيز القاضي بدمشق والاردن وفلسطين وقاضي ديار مضر احمد بن أبي العلاء وقاضي الديار المصرية بكار بن قتيبة وغيرهم

من الفقهاء والقضاة أمثال منهال بن حبيب ، واسحاق بن محمد بن معمر ، وقيس بن حفص ، وعبد الله بن بشير ، وحوثره بن عبد الرحمن ، وسعيد بن سعدون ، وفهد بن موسى وعلي بن عبد الحكم وغيرهم من أهل الشامات ممن أعطونا صورة واضحة للعداء الشامي للعباسيين وعلى رأسهم القاضي ابو زرعة محمد بن عثمان .[١٤١] .

فلما تم الاجتماع واستعرض ابن طولون الموقف معهم وما كان من نكث بيعة المعتمد وأسره وحبسه في دار احمد بن الخطيب حتى أصبح الخليفة في وضع لا يجوز التكلم به وأنه بكى بكاء شديدا[١٤٢] ولهذا دعاهم ابن طولون لاصدار كتاب بخلع ابي احمد الموفق من ولاية العهد ، ومن ثم استصدار نسخ من هذا القرار ليرفع الى جميع البلاد الطولونية ليقرأ على المنابر .

وقرر المجتمعون اسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له وأنه غير جدير بامامة المسلمين ، وبريء من الذمة ، ووجب جهاده على الأمة[١٤٣] . ولم يخرج عن هذا القرار الا بكار بن قتيبة ، ومحمد بن ابراهيم الاسكندري ، وفهد بن موسى ، وكان من أشدهم معارضة بكار بن قتيبة قاضي مصر حيث اوقعه ذلك تحت غضب ابن طولون الذي أمر باعتقاله ووضعه بعد ذلك في السجن وبقى حتى توفى ابن طولون في العام التالي[١٤٤] .

وهكذا اعطى ابن طولون لنفسه سلطات واسعة ، تمثل حقيقة للواقع بتلك الفترة ولمدى التسلط التركي واعطاء انفسهم من السلطات بما يتلاءم وقوتهم العسكرية وهكذا اطلق ابن طولون لنفسه العنان استنادا لهذه القوة العسكرية ، واعطاها ما طاب لها من الحقوق ومنح نفسه لقبا جديدا ورد في نهاية كتاب الخلع واحمد بن طولون مولى امير المؤمنين[١٤٥] .

وما كان منه الا ان أمر بلعن الموفق على المنابر واسقاط اسمه في الدعوة ونزع اسمه من الطراز .[١٤٦] .

وفي دمشق ، في هذه الفترة ، وفي غمرة هذا النزاع والاحداث الهامة ، مع الموفق الذي يمثل رغبة العباسيين وانصارهم في العراق وروح الثورة العباسية مع

فارق الزمن والظروف ، خرج ابن طولون بأمر مهم ، حيث اقام «على قبر معاوية اربعة اروقة ورتب عند القبر اناسا يقرؤون القرآن ، ويوقدون الشموع عند القبر[١٤٧]» مستفيدا بذلك من موقف اهالي دمشق المؤيد للامويين ، واسترضاء لأهل الشام الذين يتذكرون دائما سيرة معاوية ودور مدينتهم الحضاري بعهده ، ومن جهة اخرى قصد بذلك تحدي الموفق والعباسيين الذين يحقدون على الامويين معتمدا على كره تقليدي متبادل بين الطرفين . وظهر هذا الشعور الشامي المؤيد للامويين ضد العباسيين في وقوف القاضي ابي زرعه محمد بن عثمان قائما عند المنبر بدمشق يوم الجمعة . . وقال «نحن اهل صفين ، وأهل دمشق وكان فينا من حضر الجمل ، ونحن القائمون على من عاند اهل الشام ، وانا اشهد الله واشهدكم اني قد خلعت أبا أحمق (يريد أبا أحمد) كما يخلع الخاتم من الاصبع ، وألعنه» لعنة الله . . .[١٤٨]

ولقد رد الموفق على ابن طولون وانتزع امرا من الخليفة المعتمد على غير رضى منه ، يقضي بلعن احمد بن طولون على جميع المنابر وفي جميع ارجاء العالم الاسلامي الواقعة تحت نفوذ الخلافة المباشر وسيطرتها[١٤٩] .

وهم في سبيل اعطاء قراراتهم صفة الالزام وفرض رغباتهم كان لابد من انتقال النزاع خارج حدود الشام ومصر ، حيث وصل الى البلاد المقدسة والى مكة ، وقد عمل ابن طولون على منع الدعوة لاحمد الموفق على منابر مكة ، وهو من أجل ذلك جرد حملة عسكرية تحت قيادة محمد بن السراج ، والفنوى اللذين وصلا مكة يوم الأربعاء في ٢٨ من ذي القعدة سنة ٢٦٩ هـ في اربعمابة وسبعين فارسا والفي راجل[١٥٠] ، وكان على مكة هارون بن محمد الذي انتظر نتيجة المعركة مع القوات العباسية بقيادة جعفر بن الباغمردي ورغم ان قواته كانت اقل من الجيوش الطولونية الا أنه وقف الى جانبه الحجاج القادمون من منطقة فارس والعراق ، وقتل معظم الرجال الطولونيين وانهزم الباقون واوقع بهم جعفر النهب وحوى على مضرب الغنوي . وقرأ كتاب في المسجد الحرام يلعن ابن طولون[١٥١] .

وفي اثناء وجوده في بلاد الشام واثناء عقده لمؤتمر دمشق ، اخذ يراسل يازمان الخادم في ثغر طرسوس عله يعود لصوابه ، وينهى تمرده دون اللجوء للقوة المسلحة

لكن هذا لم يستجب لنداء العقل ، وتمكن من طرسوس وطرد عنها بمساعدة انصاره الذين اخرجوه من معتقله خلف الرغاف (نائب ابن طولون عليها[١٥٢] .

ولم يكتف هؤلاء بذلك بل اعلنوا ترك الدعاء للطولونيين ولعنوا احمد بن طولون على المنابر في طرطوس[١٥٣] .

فما كان من ابن طولون إلا ان قرر الخروج الى الثغور وضرب هذا التمرد وسار حتى وصل المصيصة ومنها راسل يا زمان يدعوه لطاعته مقابل بقائه في ولايته واعطائه الامان ، ولم يجب هذا ، فتابع الطولونيون سيرهم حتى وصلوا أذنه[١٥٤] . ومنها اتجهوا الى طرسوس ، وكان يا زمان قد تحصن بها . وكان الوقت شتاء ، والبرد على اشده ، فاستغل يا زمان حرص ابن طولون عدم اللجوء الى القوة وضرب هذا الثغر العظيم ، فما كان منه الا ان استغل الظرف وعامل الوقت ، وامر بفتح مياه نهر البردان[١٥٥] ، التي اغرقت المعسكر الطولوني وعاقت تقدمهم والحقت الضرر الفادح بهم ، واضطر ابن طولون الى العودة وترك هذا الثغر .

وفي المصيصة رفض ابن طولون عروض بعض قواده وكبار مساعديه الذين طلبوا منه الانتظار والبقاء حتى زوال الشتاء ومهاجمة طرسوس والقضاء على حركة يا زمان ، فاقنعهم ابن طولون انه عاهد الله الا يجهز جيشا لقتال طرسوس طالما هي سكن الاسلام[١٥٦] .

واقام بالمصيصة ثلاثة ايام وبها اصيب بعلته التي اودت به ، فما ان بلغ انطاكية حتى اشتد عليه المرض ، وحمل بعدها الى مصر كما رأينا يحمل المرض والهلاك[١٥٧] . وهكذا عاد ولم يحقق رغبته في اعادة الثغور لنفوذه حيث بقي يا زمان حتى سنة ٢٧٧ هـ مستبدا بها يحمل لواء الجهاد فيها .

اما الهدف الثالث الذي خرج اليه ابن طولون وهو اللحاق بلؤلؤ وتاديبه والضرب على يد كاتبه محمد بن سليمان الكاتب ، فلم يحقق ذلك ايضا فقد جاءته الاخبار بتجاوز هؤلاء حدود الشام الى العراق وهو لا يزال بالرمله ، بعد ان استولى لؤلؤ على مليون دينار وغيرها من الأسلحة والعتاد وهرع منحازا الى الموفق واشترك معه في حرب الزنج ، كما رأينا[١٥٨] .

ولما وصل ابن طولون الشام قبض على حرم لؤلؤ وباع ولده واخذ ما وجد عندهم ، واعاد زمام الامور في بلاد الشام ، وانهى الاجراءات التي فرضها لؤلؤ في بلاد الشام واعادها لسيطرته وجعلها تحت اشرافه وبذلك تحقق له اعادة الهدوء النسبي بهذه الفترة للشام ومصر(١٥٩) .

ورغم ان الشام عاشت بالعهد الطولوني وخاصة في عهد احمد وخمارويه في ظل يسوده الهدوء والاستقرار اذا ما قورن بالعهود العباسية السابقة ، الا ان الاضطرابات والفوضى السياسية على اثر النزاع العباسي الطولوني في المنطقة اثارت القلق وأعطت بعض القبائل العربية التي كانت دائما يروق لها مثل هذه الاجواء لتنعم بحياة الغزو والسلب ، وتعيد بذلك ذكرى الامجاد والاجداد . فما كان من بعض هؤلاء الا ان استغل ظروف المنطقة تحت تشجيع العباسيين وقيادتهم وتوجيههم .

ففي سنة ٢٦٦ هـ قام أعراب بني عقيل بقيادة ابن صفوان العقيلي باستغلال ظروف المنطقة في شمال البلاد وانشغال لؤلؤ مولى ابن طولون بقتال موسى بن أتامش وابنه ، فثار هؤلاء ، حتى توجه اليهم لؤلؤ ، وقاتلهم قتالا شديدا ، فهرب قسم كبير منهم الى قرقيسياء ، وفر زعيمهم ابن صفوان الى البادية(١٦٠) .

وفي سنة ٢٦٨ هـ قام بكار الصالحي من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي بين سلمية وحلب وحمص ، ودعا هذا الى الموفق طلحة وتصدى للطولونيين في الشام وبها لؤلؤ ، فوجه له هذا أبا العباس الكلابي وهو من انصار الطولونيين والقوى التي ايدتهم في الشام ، الا ان الكلابي انهزم أمامه ، فوجه اليه الطولونيون قائدا اخر يقال له بوذر(١٦١) فخاض معركة كبيرة هلك بها اكثر عناصره لذلك قرر لؤلؤ الخروج اليه بنفسه فما كان الا ان جهز جيشا تحت امرته وانهى تمرد هذا الخارج وقبض عليه(١٦٢) .

وفي سنة ٢٦٩ هـ بلغ احمد بن طولون قدوم عرب من الحجاز الى حوران فقام بارسال نحو خمسين الف مقاتل الى اذرعات ، وتلقاهم الامير عامر الملقب بالاذرعي بخمسة عشر الفا فكسرهم(١٦٣)

- نتائج النزاع في بلاد الشام في عهد أحمد بن طولون :

وكلمة أخيرة نوردها في نهاية هذا النزاع بين العملاقين المتصارعين في العراق من جهة ومصر والشام من ناحية أخرى .

فبالنسبة للموفق وقوته في العراق فقد خرجت مثخنة بالجراح مثقلة بالأعباء الكبيرة التي بذلتها للتصدي للطولونيين من جهة وفي سبيل القضاء على الثورة الزنجية من جهة أخرى(١٦٤) .

ولم تحصل هذه القوة على نتائج كبيرة ضد ابن طولون وانهائه ، فقد استخدم الموفق كل الأسلحة العسكرية والسياسية ولم يتمكن من تحقيق ما كان يصبو إليه وإزاحته عن مصر والشام(١٦٥) .

أما ابن طولون فقد حاول أن يبني مجداً في مصر والشام ويستند على الشرعية وبدعم من الخلافة ، لذلك اتجه إلى المعتمد وتقرب منه وأغدق عليه العطاء وأعلن حمايته والوقوف بجانبه بقوة السلاح هادفاً لنقل مركز الخلافة الى مصر ، وهذا ما جعله يواجه كل القوى المتنفذة في بغداد والمسيطرة على السلطة المركزية كما دفعه ذلك للاستيلاء على الأراضي المقدسة ، فينقل بذلك النزاع لخارج الشام ومصر(١٦٦) .

ويتبنى فكرة الجهاد ضد العدو ، ويسير بخطى وطيدة في المحافظة على حقوقه المكتسبة في مصر وبلاد الشام ، وعمل على أن يبقى مستقلاً بهذين البلدين لا ينال من سيطرته عليهما أحد ، ومع أنه حقق بعض النجاح الكبير في هذا المجال إلا أنه دفع ثمناً باهظاً ، وقدم بخيرة رجاله إلى الموت ووهب حياته قرباناً لهذا العمل الكبير وتحقيق هذا المشروع العظيم(١٦٧) .

ونتيجة لما سبق فقد خرجت القوتان وكلتاهما تواقة راغبة في التفاهم وانهاء هذا النزاع الذي عمل على صرف الامكانيات الكبيرة وانهاك القوتين في البلدين ولم يكن موجهاً لصالح القوة العربية الاسلامية إنما لمصلحة الاتجاهين المتنازعين وأهدافهما ، واستمر طيلة حكم هذين العملاقين اللذين أشرفا الآن على توديع الحياة فشعرا بحاجتهما للهدوء والركون للسكينة وإعلان حالة السلام بينهما .

وكان الموفق هو البادىء في السير نحو طريق السلام وإظهار الميل للتفاهم وإنهاء حالة الحرب ، ورغم أن لؤلؤ قام بتحريضه لخوض معارك جديدة ضد الطولونيين فلم يتحمس للفكرة ورأى بنفسه العجز ولذلك لم يستجب لنداء هذا الحاقد(١٦٨) .

وبدأت بين الطرفين المراسلات ، وأظهر كلاهما الاعتذار للآخر ، والاستجابة لنداءاته ومطالبه .

ولبى الموفق طلب ابن طولون الذي راسله مشيراً الى أن مجمل خلافاته معه تعود لحرصه على الخلافة ودفاعه عنها ولموقف الموفق من المعتمد وتضييق الحجز والخناق عليه ، وكتب له متظاهراً ومدعياً بأنه الجندي المخلص للخلافة ، فرد الموفق على ذلك بمبادرة طيبة وأعلن رد اعتبار الخليفة وأطلقه من معتقله وبادر لتكريمه(١٦٩) .

واتجه الطرفان لتحسين الأجواء بينهما واصلاح ما فسد فبادرا لذلك وأسقطا اللعن والسباب من على المنابر وأظهرت الخلافة فعلا مبادرتها واستعدادها للاعتراف بابن طولون ، غير أن المنية سبقته لذلك ومات ابن طولون مخلوعاً من الوجهة الشرعية في يوم الأحد ١٠ ذي العقدة سنة ٢٧٠ هـ ، وكان الحسن بن عطاف رسول الموفق قد خرج من بغداد يحمل معه كتاب الموفق بخطه باسقاط اللعن عن أحمد بن طولون ، فلما بلغ الحسن الرقة بلغته وفاة أحمد بن طولون فرجع هذا الى الحضرة(١٧٠) .

غير أن القوى في بغداد لم تكن مخلصة لهذا الاتجاه وإنما فرض عليها بالقوة ، فما أن أعلن وفاة ابن طولون حتى سارعت الخطى بالتصدي.لتركته ، وتحريك القوى والعساكر لاغتصاب دولته وإعلان نهاية الطولونيين(١٧١) .

جـ ـ استمرار النزاع بين الموفق أحمد وخمارويه :

لابد أنه كان لسياسة ابن طولون الداخلية والخارجية وقوته العسكرية الدور الهام والفعال الذي أعطى الدولة الدفع والاستمرار . كما كان لنجاحه في المجال الاقتصادي . والأموال الكثيرة التي تدفقت إلى خزينته أثر كبير في دعم الحكم

الطولوني واستمراره ، وهذه الأموال والثروة كانت العصب الحساس والقلب النابض الذي دفع بالسياسة الطولونية ، وعمل على فرض وجودها .

كما يجب ألا ننسى أن العباسيين لم يكونوا مخلصين للطولونيين أو راضين عن وجودهم وهم يعملون وفق الموقف المبدئي القاضي بانهاء كل تمرد وانفصال على السلطة المركزية مهما كان نوعه واتجاهه .

ولم يكن من المنطق أن يقبل العباسيون بالتحدي الطولوني في أهم مناطق الدولة العباسية على الإطلاق ويركنوا للأمر الواقع الذي فرضه أحمد بن طولون بل نراهم يسارعون منذ أن وصلت الأخبار بموته ، لتأليب الناس وإثارة الفتن وتشكيل الأحلاف القوية ضد الطولونيين . وبدأ الموفق العمل على قيادة العمليات العسكرية مباشرة بواسطة ابنه ابي العباس ، بعد أن كان يقف في عهد أحمد في الخفاء وراء القادة الأتراك أمثال ابن بغا ، وأماجور(١٧٢) .

وملاحظة أخيرة نقولها أن خمارويه سار على نهج السياسة التي استنها أبوه وتقدم بها شوطاً الى الأمام ، فأكثر من الجند ، واعتمد على الاهالي من المصريين والعرب وشكل منهم الفرق الفدائية ، وترك لهؤلاء العسكر العنان ، وعني بالاسطول الذي لعب دوراً هاماً في حروبه في بلاد الشام(١٧٣) ، وهكذا اوجد جيشاً قوياً عني بتدريبه وكثرة عدده حتى أصبح يقدر بـ ٤٠٠,٠٠٠ الف فارس ، وكان يعتبر أول جيش نظامي وضع على الدوام على أهبة الإستعداد(١٧٤) .

ولم يخالف وصية أبيه التي اعتبرها ميثاقا لسياسته واهدافه في مصر والشام(١٧٥) ومسارا لها الا في النواحي الاقتصادية فمال الى البذخ واسرف في الترف ، فترك الخزينة خاوية يوم وفاته ووضع بذلك الاسفين الاول لهدم الدولة(١٧٦) .

اذا مات أحمد بن طولون وخلف وراءه ثروة اقتصادية غنية مفيدة ، إلا أنه ترك أزمة سياسية وعداءً عباسياً في المنطقة لا يمكن أن يخضع إلا بالقوة المسلحة ، فكان على خمارويه والطولونيين أن يكونوا على أشد الحذر والحيطة تجاه العباسيين ، وأدرك هؤلاء أن الخطر والنهاية في الشام ومن بلاد الشام حيث ظهر لهم أن فقدان سلطتهم هناك معناه نهاية أمرهم في مصر ، هذه النتيجة الحتمية أدركها أحمد بن

طولون الذي قضى حياته دفاعاً عنها ، ولقد صدقت توقعات الطولونيين كما سنرى .

لذلك نرى ان أول عمل قام به خمارويه هو تنظيم امور الشام واسناد قيادة أهم مدنها ومناطقها لاحسن قواده ، فعين على قيادة منطقة شمال حلب احمد بن دغباش بالأضافة لكونه نائبا عنه في دمشق(١٧٧) ، وبذلك ادرك منذ البداية ان الخطر سيأتيه من الشمال والشرق حيث يتركز اعداء الطولونيين ، امثال اسحق بن كنداج ، وابن ابي الساج ، وغيرهما .

واسند الى ابي موسى محمد بن العباس بن سعيد الكلابي فيما بعد في سنة ٢٧١ هـ امرة مدينة حلب(١٧٨) . كما ترك خمارويه معظم جيشه وخيرة قادته في منطقة حلب . بالإضافة لارسال حامية قوية من عساكره الى شيزر حيث رابطت هناك استعدادا للطوارىء(١٧٩) وفي الوقت نفسه كاتب خمارويه الخلافة العباسية لكي تقره على ما بيده من المناطق الواقعة تحت سيطرته ، مقابل الدعاء لهم والطاعة فلم يستجب الموفق لهذا الطلب وغضب خمارويه وأظهر استياءه وكان ذلك مشيراً ونذيراً لاستمرار النزاع والصدام(١٨٠) .

كانت الظروف السياسية وكفتها ترجح لصالح الموفق والقوى العباسية التي تأتمر تحت سلطانه منها ان موقفهم من احمد بن طولون اضعف الطولونيين بتأثير الدعاية الواسعة التي اعتمدها العباسيون كما لقيت القوات الطولونية هزيمة امام العباسيين في مكة(١٨١) . وثار الولاة ، وبعض المدن ، وحلت بهم الهزيمة في الثغور(١٨٢) ، ومات ابن طولون وهو معزول من الوجهة الشرعية ، وكان ابن اسحاق قد حصل على تقليد من الخلافة بتوليه الشام ومصر(١٨٣) ، ولم يحصل خمارويه على اعتراف الخلافة العباسية به ، بالاضافة الى ان الدولة فقدت مؤسسها القوي أحمد وبالاضافة الى اعتلاء عرش الولاية الفتى الصغير خمارويه حيث لم يتجاوز السادسة عشرة(١٨٤) .

وكان من الصعب ان يأتي اي انسان ويملأ الفراغ الذي كان احمد يشغله وزالت عقدة خوف القادة العباسيين من الطولونيين بعد احمد بن طولون الذي غامر بحياته وبخيرة عناصره لتحقيق أطماعه في الشام(١٨٥) . هذا بالاضافة الى ان

ابن كنداج الوالي الشرعي كان يسيطر على منطقة الموصل والجزيرة ذات الموقع الهام بالنسبة لبلاد الشام(١٨٦) . وعمل هذا على تدعيم قوته بايجاد حلف له في المنطقة ، وتمكن بمساعدة الموفق الحاقد على الحكم الطولوني استمالة بعض نواب الطولونيين في الشام امثال والي دمشق احمد به دغباش(١٨٧) حيث اخذوا يراسلونه ويزرعون بذور الشك فيه ، موضحين له عدم نجاح خمارويه وبعدم احقيته في حكم المنطقة ونجح هؤلاء في استمالته واتفقوا معه على الانفصال عن الجيوش الطولونية وقت الحاجة . واتفقوا على خطة مبيته وسيكون لحركته في دمشق دور في اضعاف الحكم الطولوني وتراجعه عن كثير من المدن الهامة في الشام ، كما انضم اليهم احد قادة الجيش الذين ارسلهم خمارويه لاعادة الامور في الشام للطولونيين وهو الواسطي كما سنرى وتشكل بذلك الحلف العباسي من اسحاق بن كنداج الذي رغب في تثبيت وصايته على الشام ومصر مستغلا هذه الظروف مستعينا ببعض الأنصار وعلى رأسهم محمد بن أبي الساج الذي كان يلي الأنبار في هذه الفترة(١٨٨) وكتب اليهم الموفق ، يأمرهم بقصد الشام ، ويعدهم بتقديم المساعدات وانقاذ الجيوش التي ما لبثت ان ظهرت تحت امرة ابنه أبي العباس (المعتضد)(١٨٩) الذي كلف بقيادة القوات العباسية المتصدية للطولونيين .

نجح الموفق في اثارة الفتنة وتأليب القوى وتجميعها ، ودفعها الى بلاد الشام ، فتقدمت وحققت نصراً سريعا بقيادة اسحق بن كنداج على الرقة والثغور والعواصم وطرد عامل الطولونيين عنها ودعا له على منابرها(١٩٠) وتابعت القوات الطولونية التراجع ودخلت الجيوش العباسية انطاكية ومن ثم حلب في سنة ٢٧١هـ(١٩١) وساروا باتجاه دمشق واستولوا على حمص ، وانحاز اليهم نائب خمارويه في دمشق فملكوها(١٩٢) .

وهكذا تزعزعت السلطة الطولونية في بلاد الشام ، فما كان من خمارويه الى ان تصدى لهذا الموقف بكل جرأة ، رغم أنه كان في مقتبل عمره ، وأسرع في تجهيز الحملات العسكرية البرية والبحرية لاعادة السيطرة الطولونية ، وابعاد هذه القوى عن الشام ، وانتزاع الاعتراف والشرعية من العباسيين بقوة السلاح .

وقد جهز لهذه الغاية جيشا بريا بقيادة ابن عبد الله احمد بن محمد الواسطي وعقد له بالتوجه الى الشام ، وكان خروجه من الفسطاط في ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٧٠ هـ[١٩٣] ، كما عقد لسعد الايسر على جيش آخر في نهاية هذا الشهر في العام نفسه[١٩٤] .

ودعم هذه القوات البرية باسطول حربي كبير نزل بالسواحل الشامية ولعب دورا هاما في التصدي للقوى المضاده وامداد الجيوش الطولونية[١٩٥] .

تقدمت الجيوش الطولونية الى بلاد الشام وهناك ظهرت مؤامرة كبيرة احكم عملها الموفق وانصاره في المنطقة وكان من المفروض ان تأتي على نهاية الطولونيين .

فقد انضم الواسطي الى الجيوش العباسية في فلسطين[١٩٦] معلنا صراحة خيانته لأسياده ، ويبدو ان هذا قد استاء من الوضع الذي آل اليه وتمكنت بعض العناصر في الفسطاط من التقدم عليه وإبعاده عن مركز السلطة وتقديم خمارويه لمحبوب بن جابر عليه ، وهو يعتبره دونه ومن اتباعه ، مما دفعه لاظهار نقمته مدعيا ان هذا من كتابه ، فكيف يصبح الآن تحت امرته بعد تقريب خمارويه له ، لذلك تضايق الواسطي ، واخذ يعمل ضده واقسم على ان يهدم ما كان قد بني ، ويعني بذلك اخذ البيعة لخمارويه[١٩٧] .

هذا بالاضافة الى شعوره في الخروج الى بلاد الشام في جيش يقوده سعد الايسر حيث اسند اليه تدبير امر هذا الجيش والأشراف على تموينه[١٩٨] ونفقاته فهو بذلك يمثل قيادة الشؤون الإدارية العاملة تحت امرة القيادة العسكرية لسعد الايسر وبهذا ما فيه من امتهان له اذا صحت هذه الرواية .

ويظهر ان الواسطي كان له دور رئيسي في مشكلتين حساستين بالنسبة لخمارويه اولهما مشكلة قتل العباس والتخلص منه فعلى الرغم من ان خمارويه كان راضيا لا بل ربما هو الذي اعطى اوامره[١٩٩] واستراح لهذا الأمر وخاصة بعد ان رفض هذا مبايعة خمارويه ، فقد بدأ يعمل[٢٠٠] لنفسه ، لهذا بدأ الواسطي يشعر ان خمارويه سوف يوقع به او على الاقل اوقع هذا العمل الريبة في نفسه . وثانيهما انه كان له يد طولى في المحاولة التي بدأت العمل لاعادة العلاقات الطيبة بين الطولونيين والموفق[٢٠١]

ولهذا أخذ (الواسطي) يشعر انه مستهدف وما خروجه الى الشام الا عملية ابعاد له وانتصار لبعض العناصر عليه بالقطائع ، وكان يعتقد ان هؤلاء لن يتوقفوا عن الكيد له ، لذلك فكر بالاتصال بالموفق الذي كانت دبلوماسيته تطرب لذلك وهو قد عمل قبلا لضرب الجبهة الداخلية الطولونية وكان وراء خيانة لؤلؤ لأحمد بن طولون من قبل[٢٠٢] .

وعلى اثر ذلك والاتصال بين الطرفين وتقليل الواسطي من قيمة الطولونيين وهيبتهم ، خرجت الجيوش العباسية او بالاحرى اسرع ابو العباس (المعتضد) في تحركه نحو الرقة وتسلمها مع قنسرين والعواصم[٢٠٣] وانضم باقي القواد اليه .

وما ان وصلت القوات الطولونية بقيادة سعد الايسر الى دمشق حتى تركها حاكمها وانضم الى العباسيين وفق الخطة المبيتة[٢٠٤] ، ولم تتمكن القوات الطولونية من حماية المدينة حيث كان الواسطي في الرملة ، وقد خرج على الطولونيين ، وبدأ يعمل على قطع الامدادات عن الجيوش الطولونية المرابطة في الشام ، فاضعف موقفه من قوتها الدفاعية ضد العباسيين وساعدت على انتصاراتهم ، وفي هذه الفترة وصلت قوات ابي العباس ، الى شيزر وباغتت الجيش الطولوني وانزلت به الهزيمة [٢٠٥] ، وفر من سلم الى دمشق وبها الايسر ، الذي لم يتمكن من قهر العباسيين وتضايق من قطع الواسطي لامدادات الجيش ، فسقطت دمشق بيد العباسيين ودخلها العباس في شعبان سنة ٢٧١هـ[٢٠٦] .

واتجهت العساكر الطولونية الى الرملة حيث اوقعت الهزيمة بالواسطي واضطرته إلى تركها والتوجه للانضمام للجيوش العباسية[٢٠٧] ومنها راسل الطولونيون خمارويه مبينين له حقيقة الاوضاع في بلاد الشام .

كان الظفر الذي حققه ابو العباس (المعتضد) في شيزر ودمشق ، عاملا مشجعا لاعتزاز هذا بنفسه وقوته ، وقد اتهم شركاءه في المعركة (اسحق وابن ابي الساج) بالجبن عندما انتظروا قدومه ولم يتصدوا للقوات الطولونية في شيزر ، فما كان من هؤلاء الا ان انفصلوا عنه واتجهوا صوب منطقة حلب واخذوا يعملون على جمع الأموال وجباية الخراج لمصلحتهم ويرافقهم في ذلك القائد الطولوني الخارج أحمد بن دغباش[٢٠٨] وبذلك تخلخل رباط هذا الحلف الذي احكم صنعه الموفق .

أما خمارويه فقد واجه الموقف بحزم وجرأة بعد ان اشرفت القوات العباسية على مصر ، ولم يستند على الدفاع كما فعل ابوه اثناء تحرك موسى بن بغا كما رأينا ، حيث انطلق نحو بلاد الشام غير مبال بالخطر على رأس قوة كبيرة وسار باتجاه فلسطين وكان خروجه يوم الخميس في صفر سنة ٢٧١ هـ وهناك على نهر ابي فطرس من ارض فلسطين وفي مكان يقال له الطواحين[٢٠٩] ، التقى بابي العباس بن احمد بن الموفق واصطدمت القوتان في معركة لعب فيها الواسطي الخائن دورا مشجعا للقوات العباسية الضئيلة ضد الاعداد الهائلة المصرية التي كان يتهمها بانها ليست الا عامة بقال وحايك وفاعل[٢١٠] .

كانت الجولة الأولى لصالح أبي العباس وقواته حيث خسر خمارويه المعركة وفر منها منهزما الى مصر . واحتوى الجيش العباسي على جميع عساكره[٢١١] . وفي غمرة هذا الانتصار للعباسيين الذين هالتهم نشوة الظفر . وتسابقهم لنهب المعسكرات المصرية ، فاجأهم سعد الأيسر الذي اندفع بقواته التي كانت كامنة لوقت الحاجة وانقض على هذه القوة اللاهية المنهمكة بعملية السلب ، واضعا السيوف فيهم ، فانهزمت الجيوش العباسية وفر ابو العباس وقتل رؤساء قادته[٢١٢] .

وخاف ابو العباس وخشي عودة خمارويه ، فما كان منه الا ان اتجه نحو دمشق قاصدا الاعتصام بها ، فما كان من هذه المدينة الا ان اوصدت[٢١٣] ابوابها ، في وجه هذا القائد العباسي وكان لموقفها هذا الداعم للقوات الطولونية اثر في مجرى الاحداث السياسية ونقطة تحول كبيرة خدمت الطولونيين في اعادة اعتبارهم ثانية وفي ضم البلدين ، كما ان هذا الموقف ينسجم والشعور الشامي ضد العباسيين والعمل على الثورة ضدهم كلما حانت الظروف بذلك .

واتجه ابو العباس الى الثغور وفي طرسوس لقي نفس الأسلوب الذي رآه في دمشق كما لم يتمكن من اقناع يازمان بالتعاون معه ضد الطولونيين فعاد الى بغداد[٢١٤] . فوصلها في جمادى الآخرة سنة ٢٧٢ هـ[٢١٥] ولم يتجه نحو حلب رغم سيطرة ابن ابي الساج عليها وذلك للوحشة التي حلت بينهما كما اشرنا[٢١٦] .

واستمرت القوات العباسية والطولونية المتحاربة بدون قيادة ، فما كان من سعد الايسر الا ان قام بمساعدة الطولونيين ومنهم احمد بن اسماعيل العجمي وتشركين ، وحوطامش ، الذين هزموا أبا العباس ، فنصبوا أبا العشائر[٢١٧] أخا خمارويه ، وقام سعد الايسر بتوزيع الغنائم ووضع العطاء واشغل به الجند عن الشغب ، ومضى سعد بانتصاراته فدخل مع الواسطي دمشق[٢١٨] ودعا فيها لخمارويه ، وزفت البشائر الى مصر ، وفرح خمارويه وخجل للهزيمة واكثر من الصدقات واطلق سراح الاسرى[٢١٩] .

وفي رمضان سنة ٢٧١ هـ خرج خمارويه من الفسطاط الى الشام ووصل فلسطين ولم يتجاوزها حيث عاد الى مصر لضرورات اقتضت ذلك وكان سعد الايسر يشرف على الأمور في الشام وكان قد تمكن من اعادة الشام كلها[٢٢٠] ، ووثق منه خمارويه ولكن لفترة وجيزة حيث سيعود في العام القادم الى الشام ويقتله .

كلمة اخيرة نقولها حول معركة الطواحين ، فقد ظهر فيها استخدام الموفق نفس الاسلحة والأساليب القديمة التي حارب بها احمد بن طولون ، كما جمع بين القوة والدهاء وحاك خيوط مؤامرة كبيرة بواسطة انصاره في المنطقة ، وكادت الجيوش العباسية القليلة العدد أن تنهي الوجود الطولوني الكبير الاعداد اذا ما قورن بالعساكر العباسية نتيجة لهذه المؤامرة الكبيرة .

ونتيجة لهذا التمزق الذي أصاب الجبهة الطولونية الداخلية وخيانة القواد الطولونيين في الشام امثال الواسطي ، وابن دغباش .

برزت نتائج اخرى هامة حيث وقف الشاميون في هذه المحنة مع القوى المصرية الممثلة بالطولونيين كما رفضت دمشق ومدن الثغور (طرسوس ، ومرعش ، وسميساط) التعاون مع القوى العباسية[٢٢١] متمثلة في شخص ابي العباس (المعتضد) حيث اوصدت دمشق وطرسوس ابوابها في وجهه[٢٢٢] ومنعه الاهالي من دخولها ، كما لم يتمكن من اثارة حاكم الثغور يازمان من التعاون معه والتصدي للطولونيين .

واذا كان خمارويه قد انهار وهرب تاركا المعركة بعد الفشل الأول الذي لحق به فان ذلك يعود لقلة خبرته وعدم دخوله معارك الحياة بعد ، الا ان هذه المعركة

اعطته درساً هاماً وظهرت منه بعدها أفعال وأعمال توصف بالبطولة والجرأة وتمكن بعد ذلك من التصدي للعباسيين في الشام وملاحقة قواتهم وأشرف بقوته على سامراء(٢٢٣) وهدد الخلافة ، التي استجابت بعد لطلباته ونداثه نحو السلام .

وبعد معركة الطواحين وانفراط العقد العباسي ضد الطولونيين ، وعودة ابي العباس الى بغداد وفشله ، استقر الامر في الشام للطولونيين ، وظهرت عبقرية سعد الأيسر وحسن سياسته فقلب الهزيمة الى نصر والفوضى الى تنظيم ، وأعاد السيطرة الطولونية على معظم بلاد الشام(٢٢٤) ، وسار شوطا كبيرا بسياسة التقرب والتودد الى الأهالي وحسن معاملته معهم ، وعمل على نشر الأمن والاستقرار ، فتصدى لحركات الاعراب وأمن بذلك طريق الحج(٢٢٥) .

وظل خمارويه مدة سنة تقريبا تاركا لهذا النائب امر الشام الذي اظهر المواهب فيها . غير ان الاوضاع العامة في المنطقة والتدخل العباسي المستمر ، وطبيعة العصر في تلك الفترة التي كانت تعمل للفوضى وتعطي الدوافع القوية لكل طامح وطامع للتفرد والاستقلال ، ولم يكن سعد هذا الا من هؤلاء الكثرة التي سيطرت عليهم الروح الفردية والانانية الشخصية . فاخذ يعمل لمصلحته ضاربا بالمصالح العامة العليا عرض الحائط ، متهما سيده بالجبن والتخاذل والانشغال باللهو(٢٢٦) ، وكان يقول «هذا الصبي مشغول باللهو وانا اكابد الشدائد» ويظهر انه تمادى بعمله الاستقلالي ، وكانت تصرفاته وأقواله تصل خمارويه في مصر الذي لم ينس بعد لؤلؤ ولا الواسطي ، لذلك قرر التخلص منه فما كان منه الا أن غادر مصر متجها الى الشام في ذي القعدة سنة ٢٧٢ هـ / ابريل سنة ٨٨٦ م وفي مدينة الرملة ، استدعاه وقتله(٢٢٧) .

وقد اضطرب أهل دمشق لمقتل اميرهم المحبوب وثاروا على خمارويه ولعنوه في المسجد الاموي ، فما كان منه الا أن اتجه اليها وبقي فيها مدة يعمل على تهدئة الأحوال ويوزع الاموال ، حتى تمكن من استرداد سلطته عليها وعلى كافة البلاد وأرسل الحملات العسكرية لتقضي على تحركات الاعراب وتنشر الامن وتعمل على حماية طريق الحجاج من اللصوص وقطاع الطرق(٢٢٨) .

واستقرت الامور بعد ذلك لكن لفترة وجيزة ، ففي سنة ٢٧٣ هـ تحركت الفتنة من جديد ، ولم تكن الا بتحريض من الموفق الذي استغل الفئات المتصارعة والطامعة في المنطقة ، فترك اسحق بن كنداج ورقة عمل يحركه اثناء اللزوم ، ونجحت السياسة العباسية في ضرب اسحق هذا بابن ابي الساج الذي كان يسيطر على قنسرين والفرات والرحبة والذي خشي من طمع ابن كنداج في الموصل الذي كان ينافسه ويبغي التقدم عليه ، كما ان خمارويه كان يعتبر وجودهم يهدد كيان دولته . وفي هذه الفترة تبنى خمارويه سياسة الهجوم المسلح والتصدي للاعداء ولذلك استغل هذا العداء بينهم وتحرك قاصدا اسحق بن كنداج وهو في منطقة الجزيرة ، ونزل خمارويه في حلب .

واقتضت المصالح الخاصة بان يكون ابن ابي الساج الى جانب خمارويه ، ولذلك قام هذا واعلن الدعاء لخمارويه على منابر اعماله ، وقدم له خمارويه مقابل ذلك مساعدة مالية تقدر بـ ٢٤٠ ألف دينار (مائتين واربعين الفا) والتقى خمارويه وابن ابي الساج في بالس(٢٢٩) وعقدا اجتماعا قررا فيه ابعاد اسحق بن كنداج عن المنطقة ، ودفع ابن ابي الساج بابنيه رهينة لخمارويه على الوفاء بعهده(٢٣٠) .

واستغل خمارويه استعدادات اسحق بن كنداج الذي كان اداة طيعة بيد الموفق وتحركه باتجاه بلاد الشام . فبدأ هجومه عليه والتقت القوات الطولونية مع حليفها ابن ابي الساج بابن اسحق بارض الرافقة(٢٣١) في منطقة على ارض البليخ .

واظهر خمارويه من الجلد والبسالة في هذه المعركة وقلب نصر عدوه الى هزيمة ساحقة ، اجبرت اسحق على الاختفاء والتحصن فرارا في قلعة ماردين(٢٣٢) ، ولاحقت الجيوش الطولونية قواته حتى وصلت سر من رأى(٢٣٣) ونظراً لما لاقاه ابن اسحق من ضغط امام القوة العسكرية الطولونية وتمكنها من الوصول الى تخوم العراق وسيطرتها على منطقتي الجزيرة والموصل ـ الذي تولى الامر فيها ابن ابي الساج نيابة عن الطولونيين وخطب فيهما لخمارويه(٢٣٤) ، ثم لنفسه بعده ـ فقد أعلن الطاعة لخمارويه .

وهكذا تمكن خمارويه من الوصول الى تخوم العراق ودوخت قواته منطقة الجزيرة واذل بعمله هذا اسحق بن كنداج ، الذي كان يطمع في امارة مصر فما

كان منه الا ان ناشد خمارويه ، وقبل ان يكون عاملا من عماله ، ودعا له في أعماله التي بيده(٢٣٥) . واسفر الصلح عن المصاهرة بينهما .

وذهل الموفق من هذا الانتصار السريع السحيق لخمارويه وخطبت وده القوى ، وبسط نفوذه على منطقة الجزيرة وضربت النقود بمدينة الرافقة في سنة ٢٧٣ هـ(٢٣٦) تذكارا لهذه المناسبة . وباسم خمارويه .

ودخل خمارويه على أثر هذا الانتصار بمفاوضات مع العباسيين الذين لم يتمكنوا من القضاء على الطولونيين أو حتى أبعادهم عن بلاد الشام ، بمراسلات انتهت الى عقد صلح بينهما في نهاية هذا العام(٢٣٧) ، والذي لم يحترمه العباسيون كما سنرى .

فما أن وصل خمارويه مصر حتى استغل اعداؤه غيابه ولم يلق الموفق السلاح بعد ، فقد خرج محمد بن ابي الساج طامعاً في أملاك خمارويه بمنطقة الجزيرة ، بتحريض من الموفق ، ولم يكن خروجه التقرب أو اللقاء الذي تم بين الطولونيين وابن كنداج فقط . فقد عثر على دينار ضرب بنفس مدينة الرافقة(٢٣٨) في سنة ٢٧٤ هـ ، لا يحمل اسم خمارويه انما يحمل اسم الخليفة المعتمد واسم أحمد بن الموفق دون الاشارة للطولونيين وبهذا دلالة على تبعية ابن ابي الساج الى الموفق وانه كان يعمل باسم الموفق ولحسابه عندما احتل الرافقة بهذا العام(٢٣٩) .

ولما علم خمارويه بتحرك ابن ابي الساج وتقدمه نحو بلاد الشام ، خرج على رأس قوة كبيرة من مصر سنة ٢٧٤ هـ ، والتقى بالقوات العباسية بقيادة ابن ابي الساج عند البثينة(٢٤٠) . وواجه خمارويه عدوه ببسالة ، وبعد جولات من القتال ، انهزم ابن ابي الساج وعبر الفرات(٢٤١) .

وبنهاية المعركة احضر خمارويه رهينته ابن ابي الساج فخلع عليه واطلق سراحه ورفض أن يعاقبه على خروج أبيه وكتب اليه موبخاً وعاد الى مصر(٢٤٢) .

ولم يكد خمارويه يصل الى مصر حتى وافته الأخبار بخروج ابن ابي الساج بدعم من الموفق ، حيث لم تكن الخلافة مخلصة للاتفاق كما لم يرق لها ان يكسب

الطولونيين هذا الانتصار ، وتقدمت قوات ابن ابي الساج في بلاد الشام ، واجتاحت المنطقة حتى وصلت الى مشارف دمشق في نهاية سنة ٢٧٤ هـ ، فانطلق خمارويه من مصر في ذي القعدة سنة ٢٧٤ هـ ، والتقت القوتان بثنية العقاب[٢٤٣] بالقرب من دمشق . ورغم أن الجولة الأولى كانت لصالح ابن أبي الساج الا أن خمارويه واصحابه ضغطوا بقوة على ابن أبي الساج وعساكره واجبروهم الى التقهقر والانهزام واستبيح معسكره .

واتجه ابن ابي الساج صوب حمص فمنعته القوات الطولونية من دخولها ، وصودرت امتعته واثقاله التي كان قد تركها فيها قبل المعركة ، فما كان منه الا ان تابع طريقه الى حلب ومنها تحرك منهزماً الى الرقة ، وتبعه خمارويه وعبر الفرات ودخل خمارويه في اثره الى مدينة بلد ، وترك ابن ابي الساج الموصل الى الحديثة . وفي بلد أقام خمارويه وعمل له سريراً قيل من ذهب ، طويل الأرجل كان يجلس عليه في دجلة[٢٤٤] . وقد مدح الشاعر القاسم بن يحيى المريمي : خمارويه . كما وصف الموقف عبيد البحتري أيضاً[٢٤٥] .

وأقام خمارويه في بلد فترة في سنة ٢٧٥ هـ ، وسلم املاك ابن ابي الساج لابن كنداج[٢٤٦] وسير معه الجيوش لملاحقة ابن ابي الساج ، وتبعه ابن كنداج الى تكريت ، ورغم ان ابن ابي الساج كان على رأس الف فارس ، وابن كنداج في نحو عشرين ألفاً ، فقد تمكن ابن ابي الساج من التغلب على ابن كنداج الذي استهتر بقوة خصمه حيث باغتته وكسرته[٢٤٧] . وانهزم ابن كنداج عائداً الى الرقة ، وتبعه ابن ابي الساج الذي ارسل الأخبار الى الموفق يستأذنه بعبور الفرات الى الشام ، وكأنه قصد ان يجعل الخلافة توليه ذلك ، فما كان من الموفق الا ان شكره ، وطلب منه التريث ، الى ان تصله الامدادات العباسية[٢٤٨] ، وفي هذا دليل آخر على عدم صدق نوايا العباسيين تجاه الطولونيين وتفانيهم في أبعادهم عن الشام كبداية لانهاء دولتهم . فما كان من خمارويه الا ان ارسل قوات اضافية قادها ابن كنداج ، حيث عبرت الفرات واوقعت الهزيمة بجيوش العباسيين التي كان يقودها ابن أبي الساج الذي فر باتجاه الموصل[٢٤٩] . وبقي فترة فيها يطلب المساعدة من أهلها .

ولم يتمكن من تجميع قوة مقاومة فما كان منه الا ان اتجه الى الموفق في ربيع الأول سنة ٢٧٦ هـ ، فأخذه معه الى الجبل ، وخلع عليه وولاه على اذربيجان واستقر هناك(٢٥٠) .

أما ابن كنداج فإنه أقام على ديار ربيعه وديار مضر في أرض الجزيرة(٢٥١) نائباً للطولونيين .

أما خمارويه فقد عاد الى مصر فدخلها يوم الخميس سنة ٢٧٦ هـ في جمادى الاخرة وقبل ان يغادر أرض الشام عين على حلب(٢٥٢) غلام ابيه طغج بن جف ووالد الاخشيد أبا بكر محمد بن طغج .

وتمكن من التخلص من منافس عنيد استغله الموفق كثيراً وكان من ألد أعداء الطولونيين على الشام بهذه الفترة . وأمكن له اخضاع باقي القوى في الشام التي انتعشت مستغلة الفوضى في المنطقة ، وأخذ خمارويه بقسط من الراحة ، وبدأ يصرف باقي جهده للأمور الداخلية ومشاريعه العمرانية ، وبذلك امتد نفوذ الطولونيين بعهده واتسع وشمل المناطق من برقة الى الفرات ومن آسيا الصغرى حتى بلاد النوبة(٢٥٣) بل شمل أرمينية ، وبصورة لم تتوفر لهم من قبل وبدا الطولونيين قوة رهيبة يحسب لها حسابها في المنطقة ولها أهميتها وقدرها . واستقر له ولابنائه حكم القطرين المتوارث في مصر والشام(٢٥٤) . باعتراف الخلافة التي اصهرت الى هذا البيت وبدأ وكأنه عدل لبني العباس وقرينهم(٢٥٥) .

ولم ينس خمارويه بغمرة هذا الانتصار والمجد قضية هامة شغلت تفكير ابيه وحياته وكانت من الأهداف التي قامت عليها الدولة الطولونية ونقصد بذلك امر الجهاد ، فلقد تابع خمارويه سياسة ابيه لا بل رأيناه ينجح في مفاوضاته مع يازمان الذي تفرد بالثغور ومنعه عن كل من القوتين الكبيرتين الموفق في بغداد وأحمد بن طولون في مصر كما رأينا(٢٥٦) وإذا بيازمان هذا يعلن قبوله الوفاق مع خمارويه والطولونيين ويدعو له على منابر الثغور(٢٥٧) ، وتشترك القوتان المصرية والشامية بأمر الجهاد وتحقق نصراً كبيراً امتازت به هذه الفترة في البر والبحر(٢٥٨) وشكل هذا التعاون الوثيق بين الطولونيين ويازمان في الثغور قوة وحلقة ناجحة من حلقات

الجهاد في هذه الفترة نتيجة التقاء البلدين ووحدتها ضد العدو المشترك البيزنطي وحققت الانتصارات البرية والبحرية ، ولم يكن ذلك ناتجاً عن القوة الطولونية فحسب وانما للظروف السياسية والمناخ الملائم التي أوجدها خمارويه وسياسته الهادفة الى تجميع الامكانيات بدلاً من بعثرتها ووحدتها بدلاً من فرقتها . . . . .

د ـ سياسة الوفاق بين العباسيين والطولونيين :

تولى خماوريه السلطة بعد وفاة ابيه سنة ٢٧٠هـ[٢٥٩] . وبدأ من حيث انتهى والده ، وتمكن من تحقيق الآمال الطولونية . وكان انتصاره سنة ٢٧٣هـ ، يمثل الذروة[٢٦٠] بالنسبة لنضال خمارويه العسكري .

ولم يكن الوفاق الذي حدث بين العباسيين والطولونيين يعود لحسن نية العباسيين بقدر ما كان يرجع للقوة التي فرضها خمارويه بالمنطقة . فلقد ظلت الانظار متجهة نحو الشام ومصر ومحط انظار الطامعين ، وبقيت مسار تحرك أبي احمد الموفق حيث لاحظنا ما اوقع بها من احداث . واستمراره العمل ضد الطولونيين وابعادهم عن الشام ومصر . وامتازت احداث هذه الفترة بسلسلة متواصلة على هذا الطريق[٢٦١].

وكان مجرى الأمور يتجه لصالح خمارويه وانتصاره ، فلقد فشلت سياسة الموفق وانهارت القوى التي تصدت للطولونيين ، واستعاد خمارويه سلطانه كاملا في الشام والثغور ، ورغم هذا لم يمنع خمارويه السير في طريق السلام ، فكان هو المبادر لطلب الصلح وتقدم بعروضه الكثيرة معلنا مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات بين الأطراف المتنازعة في المنطقة، ولقد كان صادق النية بعكس الموفق ، ولعل ذلك يعود لحاجته اكثر من غيره للسلام .

فلقد كتب الى الموفق يطلب الصلح[٢٦٢] مقابل أموال في يده يبذلها إلى الخلافة . بعد انتصاراته في سنة ٢٧٣هـ وتوطد نفوذه في الشام واقليم الجزيرة وضرب النقود في الرافقة بهذه المناسبة ، دليلا على انتصاراته واستقلاله واستجابت القوى الروحية والعسكرية في بغداد لهذا الطلب ، وتأكد ذلك بالكتاب الذي نقله

فائق الخادم الى الفسطاط في رجب سنة ٢٧٣هـ ، وتدعيما لذلك وزيادة في القبول والرضى فقد كتب هؤلاء نص المراسلة بايديهم تعظيما لخماروية[٢٦٣] وتقديرا له .

وأهم بنود هذا الخطاب الاعتراف بخماروية وولده ثلاثين سنة على مصر والشام[٢٦٤] والثغور وارمينية[٢٦٥] وبذلك اعطى خماروية حق الحكم لايهدد بعزل او تدخل في الشؤون الداخلية .

كان هذا الاعتراف فاتحة طيبة في العلاقات الايجابية بين الطولونيين في الشام ومصر والعباسيين في العراق ، فعلى اثر ذلك اسقط خماروية السباب واللعن للموفق على المنابر أثر مؤتمر دمشق. وبذلك استراح الموفق من مشكلة كبيرة كانت تقلق راحته وامر بالدعاء له ، وترك الدعاء عليه[٢٦٦] ، كما لايمكن الا ان يكون رافق ذلك امور مالية واموال كانت ترفع الى العراق من مصر والشام[٢٦٧] رغم اغفال بعض المصادر وتجاهلها لمقدار الخراج والاموال الواجب ان يدفعه خماروية الى الخلافة العباسية[٢٦٨].

وظل الموفق رغم هذا الصلح يحيك الدسائس ويؤلب القوى في الشام ضد الحكم الطولوني طيلة الأعوام التالية حتى سنة ٢٧٨هـ حيث لقى مصيره واستراحت الطولونية من الد اعدائها كما تبعه ابن كنداج بنفس العام وتوفى ايضا .

وعقد العهد لابي العباس الذي تابع سياسة ابيه ، وشدد القبضة على الخلافة ، ثم مالبث ان توفى المعتمد سنة ٢٧٩هـ ، وتمت مبايعة ابي العباس بن الموفق ولقب المعتضد سنة ٢٧٩هـ[٢٦٩].

وخشي خماروية من انقلاب بغداد عليه في وقت كان بحاجة الى السلام . ولذلك وضع كل ثقله معتمدا اسلوب الكياسة والدبلوماسية في سبيل ذلك ، وارسل لهذه الغاية بعثة برئاسة ابن الجصاص[٢٧٠] (الحسن بن عبد الله بن منصور الجوهري) الى بغداد تحمل التهاني وتعلن الولاء ، والهدايا النفسية والاموال الكثيرة التي تعبر عن غنى مصر والشام في هذه الفترة الطولونية[٢٧١] وعظمتها.

كما كان ابن الجصاص يحمل معه مشروعا اجتماعيا لربط الخلافة بالأسرة الطولونية ، يقضي بتزويج قطر الندى الفتاة الجميلة بنت خماروية لابن الخليفة فما

كان من المعتضد الا ان قال «انما اراد ان يتشرف بنا وانا اريد بتشريفه ان اتزوجها» وتم هذا الزواج[٢٧٢] السياسي في سنة ٢٨١هـ . والذي هدف من ورائه المعتضد الخليفة العباسي افقار الدولة الطولونية[٢٧٣] ، والعمل على ضربها داخليا واسقاطها بعد ان عجز السيف عن تحقيق ذلك . وفاق زواجها حد الوصف وافقر الدولة وكان من العوامل التي مهدت لانهيار الدولة الطولونية .

وهكذا تمكن خمارويه بسياسته هذه ، وهداياه القيمة وعروضه السخية من ارضاء الخليفة الجديد المعتضد ، الذي كان بأمس الحاجة الى الأموال لذلك رد على هداياه ونواياه الحسنة بهدايا مماثلة ، فقدم رسوله في شهر رمضان سنة ٢٨٠هـ بخلع وسيف وتاج مع خادم يدعى سنيف[٢٧٤].

كما عاد ابن الجصاص يحمل معه الخلع ، ونصوص معاهدة جديدة بين الطرفين فيها تدعيم سياسي كبير لخمارويه وأغراق مالي له وللدولة الطولونية ورغم ذلك استجاب لها خمارويه[٢٧٥] . وهذه المعاهدة لاتختلف كثيرا عن الاتفاق الأول من حيث الاهداف «فهي تقر ولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة» وجعل اليه الصلاة والخراج وجميع الأعمال على ان يحمل في كل عام من المال مائتي الف دينار عما مضى ، وثلاثمائة الف دينار عن كل عام للمستقبل[٢٧٦].

ويتضح من مضمون المعاهدة انها الغت كل القيود على الاستقلال الطولوني في مصر والشام ، واعطتهم حق تعيين القضاة الذي احتفظت به الخلافة لنفسها منذ الفتح العربي وحتى عهد خمارويه[٢٧٧] واصبح القضاة يعينون في اقليمي الشام ومصر والمناطق المرتبطة بهما دون الرجوع الى الخلافة في بغداد فخمارويه هو الذي ولى ابا زرعه محمد بن عثمان الدمشقي قضاء الشام ثم قضاء مصر واعاده الى دمشق وكان هذا من الد اعداء العباسية في الشام .

وهكذا حقق خمارويه امال ابيه واحلام الطولونية ، وتوج انتصاراته السياسية برباط البيتين الطولوني والعباسي برباط المصاهرة الذي كان يعتبر هذا العمل هاما ومنفردا في تطور العلاقات بين الطرفين .

ولقد كان الخليفة بحاجة الى الاموال حيث طمع بمزيده منها ، وتوقع ان تجهز العروس «قطر الندى» بما يناسب الخلافة ومقامها ، ويظهر الطولونيين وتراثهم

العريض فتتدفق الاموال والهدايا الى الخزينة المركزية التي هي بامس الحاجة لها(٢٧٨).

وصدقت توقعات الخليفة «المعتضد» وتحقق ماكان يصبو اليه من هذا الزواج فقد قام الامير خمارويه بتجهيز ابنته اسماء ، واغدق في الاسراف والبذخ في هذا الجهاز ، حتى زاد حد الوصف ، واراد به ان يظهر تفوق مصر والشام اقتصاديا على حاضره الخلافة العباسية ، وان يضاهي به نعمة الخلافة ، فزوده بالتحف الغالية ، والقطع الذهبية التي اثارت الدهشة ، حتى قيل انه حمل معها من الجهاز مالم ير مثله ولا يسمع به(٢٧٩).

«وحمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط» وتحقق ماهدف اليه المعتضد من زفافها افقار ابيها وتحقق ماتطلع اليه(٢٨٠).

ولقد ذكر ان خمارويه بعد فراغه من هذا الزواج احب ان يحاسب ابن الجصاص أمينة(٢٨١) ، والموكل بهذا العمل، فتبين انه قد بقي لديه اربعمائة الف دينار فما كان منه الا ان وهبها له(٢٨٢).

وهكذا أنهك خمارويه خزينته بهذا الزواج ، وغيره ولم يعمل على صيانة اموال الدولة ، سعيا وراء هذا المجد ، فضرب بذلك الاساس الذي يعطي الدولة البقاء والاستمرار، وجاء مقتله في دمشق في سنة ٢٨٢هـ حين دعت الحاجة لذلك ، حتى لايرى انه اضاع هذه الدولة بسياسته المالية السيئة ، وان عرشه لا يستند على أسس قويمة ، ومات عند حاجته لذلك وبمقتله تنهار الدولة الطولونية ويفرط عقدها ، كما سنرى .

٢ - زوال السيادة الطولونية عن الشام

يعتبر مقتل خمارويه المفاجىء في دمشق على يد غلمانه بالصورة التي رأيناها في سنة ٢٨٢هـ بداية الفوضى والاضطراب في الاسرة الحاكمة والدولة الطولونية التي استمرت بعد ذلك بالانحدار طيلة فترة السنين العشر الاخيرة التي عاشتها الدولة

من حكمها قبل ان يكتب لها الفناء في سنة ٢٩٢هـ على ايدي الجيوش العباسية بقيادة محمد بن سليمان الكاتب[٢٨٣] ، ولقد وقع مقتل خمارويه في دمشق في قصره الذي بناه بسفح جبل قاسيون قرب دير مران على أيدي غلمانه نتيجة لانحلاله ، وبهذا مابه من تأثير على السياسة ، كما لم يصن خمارويه اموال الدولة من الضياع ، فهو قد حول الميدان الى بستان وزرع فيه جميع انواع الرياحين ، وزين النخيل بالنحاس المذهب ، واقام بركة الزئبق ، ودار السباع وبيت الذهب ، والدكة (عمل في قصره مجلسا دعاه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب) واخيرا كان زواج ابنته قطر الندى فاق حد الوصف.

وكما كانت الشام مصدر قوة الطولونيين وحماية لدولتهم في مصر كانت كذلك مصدر ضعفهم وبداية لنهايتهم ، ولقد ادرك الطولونييون ذلك منذ عهد احمد مؤسس الدولة وابنه خمارويه ، ولذلك كانوا ينطلقون اليها عند شعورهم بالخطر فيها ، وقد دفع احمد حياته ثمنا لذلك ، كما لم يكن خمارويه بأقل منه تحمسا فدفع بنفسه الى الشام وخاض معارك رهيبة ، ضد القوى المتحالفة تحت امرة الخلافة والقوة المركزية في بغداد وهزمها[٢٨٤] ، حتى بلغت جيوشه سامراء ، وقال الشاعر القاسم بن يحيى المرسمي بهذه المناسبة :[٢٨٥]

اتانا ابو الجيش الامير بيمنه ... فشرد عنا الجور وافتقر العسر
فان تك ارض الرقتين به اكتست ... ضياء واشراقا لقد اظلمت مصر

فأين موقف هؤلاء من الامراء الطولونيين بعدهم ، بعد أن سيطر عليهم الجبن والتلبد ولا ادل على ذلك من أن جيش ابن خمارويه عندما سمع بانفصال امير دمشق طغج بن جف لم يكربه ذلك أو يرى به الحدث الهام اللافت للانتباه حتى لم يظهر اي تأثر عليه ، على الرغم من أن ذلك يعرض حدود دولته الشرقية للخطر ، كما ان الموقف المائع لهؤلاء مكن امير الثغور أيضا من التمرد ، وهكذا خرجت هذه المنطقة مع وفرة خيراتها وكثرتها من الايدي الطولونية[٢٨٦].

ولهذا كان علينا ان نبدأ بدراسة موجزة للاوضاع العامة للدولة في مصر ، وهي الاوضاع التي مهدت لانحسار الحكم الطولوني عن الشام والتي كانت بداية

النهاية في الدولة الطولونية ، وقادت بالضرورة الخلافة المتيقظة والمترقبة لغفلة الحكم في مصر والشام لتنقض على المنطقة وتودي بالسلطة فيها ، وكان لها ما ارادت وبدأت تعمل على تقليم المخالب الطولونية القابضة على المنطقة الممتدة من اطراف الشام الى تخوم العراق ، وتمكنت من تحريرها كاملة وفق خطة واضحة واتخذت احداثها ذريعة وانقضت منها على مصر واتت على آخر بريق للطولونيين هناك[٢٨٧].

أ) انفراط العقد الطولوني بعد وفاة خمارويه سنة ٢٨٢ هـ :

لن اسهب في الحديث عن الاسباب التي ادت الى انهيار الحكم الطولوني والتي كانت نتيجة للاحداث السياسية التي رأتها القطائع بهذه الفترة وما حل بالبيت الحاكم من وهن وانقسام ، فهناك من اعطوا البحث حقه ويمكن العودة اليهم لمن رغب في المزيد[٢٨٨].

فمنذ مصرع خمارويه المفاجيء بدأت تتقطع اوصال العقد الطولوني وظهر كأنه قد اجدب من الرجال ، وتبين ان النظم التي وضعها مؤسس الدولة وكأنها على غير اساس واسرعت الدولة حثيثا نحو الضعف والانحلال وسيطرت على مصر احداث داخلية كبيرة لم تشهدها من قبل ، عصفت بوحدة الاسرة التي كانت مصدر قوة الدولة[٢٨٩].

وقد شغلت طائفة الغلمان والموالي والجند الذين ينتسبون الى خمارويه ، ويدينون له بالفضل والولاء ، دورا هاما بارزا في تمزيق وحدة الاسرة وشمل الطائفة الحاكمة وكان من الممكن ان يتم تعيين احد ابناء احمد بن طولون البالغين الاكفاء والقادرين على ملء الفراغ ، غير ان المصالح الخاصة بهذه الطائفة آثرت ان يبايع ابو العساكر جيش بن خمارويه ابن سيدهم ، ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره فهو صبي لم يؤدبه الزمان ولا محصته التجارب والعرفان[٢٩٠].

كما لعبت النواحي المالية هي الاخرى دورها في وأد هذا الحكم وتقريب نهايته ، فقد تقاعس عن مبايعة هذا الفتى الطولوني جماعة من كبار القواد لقلة

الاموال وعجزة عن ان ينفق عليهم لفراغ خزينة الدولة التي مات خمارويه ودفنها معه «حتى قيل انه مات حين حاجته لذلك ، ولو عاش أكثر من ذلك لافتضح امره»[٢٩١].

ولم يكن «جيش» بالقادر او الكفء على تحمل المسؤولية التي اوكلت اليه وزاد الوضع سوءا عندما اقبل على الشراب واللهو وأحاط نفسه بعامة أوباش ، وبطغمة من العابثين والطامعين لاوزن لهم ولاقدر ، والذين لم يكن لهم عهد بتقاليد البلاد وآداب العامة[٢٩٢] . وقاده هؤلاء الى الانغماس بالملاهي والتجرد عن العقل ، وحرضوه على قتل عمه ابي العشائر[٢٩٣] مدعيا انه مات حتف انفه ، وكان هذا من القادة الطولونيين الذين برزوا اثر معركة الطواحين .

وكان من نتيجة ذلك ان دب الانقسام ودفع فريق من الجند وعلى رأسهم بعض القادة الذين يميلون الى احمد بن طولون وابنائه ، وأخذوا يعملون لمصالحهم الخاصة أيضاً . وهكذا انقسمت الفئات المتصارعة فوقفت لجانب جيش العناصر المختلفة من السودانيين والاروام ، وحمل لواء المعارضة ضدهم عناصر من المغاربة والبربر[٢٩٤] ، ووثب هؤلاء بزعامة برمش الخزري وطالبوه بالاستقالة وتولية أحد اعمامه ، فما كان منه الا ان اقدم على قتل عمه نصر بن احمد بن طولون مع عم له آخر ورمى برأسيهما الى الثوار[٢٩٥].

وعلى اثر ذلك اشتدت ثورة هؤلاء فقام برمش وصافي وفائق في اكثر الجيش والموالي فخلعوه وسجنوه ثم مالبثوا ان قتلوه ونهبوا داره وبايعوا اخاه هرون بن خمارويه ، وكان خلعه لعشر مضت من جمادى الآخرة سنة ٢٨٣هـ[٢٩٦].

كما كان من نتيجة سياسة «جيش» التي لاتتسم بالحنكة والكياسة ان دفعت بعض قواده الاتراك من عسكره الى الاعتزال، وخرجوا في خاصة غلمانه وهم زهاء ثلاثمائة غلام بعد ان خافوا على مصيرهم وكشف مؤامراتهم ضده وساروا في طريق ايله حتى وصلوا الكوفة ، وقد عطف عليهم الخليفة (المعتضد) وارسل من يستقبلهم ويزودهم بالزاد والميرة والدواب[٢٩٧]. وكان على رأسهم محمد بن اسحاق

بن كنداج ، وخاقان المفلحي ، ومحمد بن كمشجور وبدر بن جف وغيرهم ، وسيلعب هؤلاء دورا هاما في اسقاط الطولونيين واقتلاعهم من مصر والشام عندما ينضمون الى حملة محمد بن سليمان الكاتب كما سنرى .

كما كان من نتيجة الضعف الطولوني ومشاكلهم الداخلية بهذه الفترة ان اعلن كل من طغج بن جف واحمد بن طغان ، في الشام والثغر، خلع جيش بن خمارويه[٢٩٨] وتمردا على هذا الصبي الذي لم يكن بمستوى المسؤولية كحاكم لمصر والشام ، ومدافع عن الثغور الشامية .

وعمت الفتنة بمصر واشتدت الثورة على انصار جيش حتى امتدت الى المحيطين بالامير والمسؤولين عن تيسير الامور فقتل كل من علي بن احمد الماذرائي ، وابي محمد الماذرائي وتمكن ابن ابي من الهرب والنجاة بنفسه[٢٩٩] .

ومرة أخرى اتجهت القوى وقادة الجيش نحو تعيين احد ابناء خمارويه متظاهرة بالولاء وتخوفاً من أن يلي الامرة بعض القادة الطولونيين الناضجين ، وسارعوا في تنصيب هذا الفتي الصبي ايضا ، ومبايعته ، وتكليف ابي جعفر محمد بن ابي وصيا عليه ، وهو من كبار رجال الدولة ، ومن الخلص لهارون ، وممن وصف بالدهاء والمكر[٣٠٠] .

ويجب ان نلاحظ ان امثال هؤلاء يبرزون في وقت الضعف اثناء الأزمات السياسية فيخافون على مصالحهم من وصول رجل قوى يقف امام تطلعاتهم الانتهازية ، لذلك تتفق اهواؤهم وترفع من لايقدر على التصدي لعبثهم وبذلك يضربون الدولة من داخلها ويسيرون بها نحو السقوط وهذا ماحدث للدولة الطولونية الفتية . فقد تقاسم السلطة والمراكز بهذه الفترة المنتفعون وسيطر على الجيش نفر من القادة امثال بدر الحمامي ، وفائق ، وصافي ، واقتسموا الجيش واختص كل منهم بفريق منه يخضع لسلطته المباشرة ، وطالب بعطاياه واصبحت تنقل لدارة ، ويتولى هو امر توزيعها على هؤلاء الجند . واصبحوا له كالغلمان[٣٠١] . وبذلك قضوا على القوة العسكرية التي كانت السند الاساسي والقوة التي اوجدت الدولة الطولونية ، وانفرط عقد هذا الجيش ، وقام ابن ابي بضرب

عناصره بعضهم ببعض ، وتابع هذا مضايقة انصار بني احمد بن طولون ، وقام بنفي ربيعة بن احمد بن طولون واخوته الى الاسكندرية(٣٠٢) ، ثم قتل بعد ذلك .

واستمرت الامور مضطربة بعهد هرون ، وانشغل هو باللهو والسكر على الرغم من الاحداث المتلاحقة الخطيرة وانفصال الشام والثغور ، وحركة القرامطة والتي كادت ان تنهي كل شيء . في حين سيطر محمد بن ابي واعوانه من كبار رجال الجيش ، ولم يكتفوا بفرط عقد الجيش وتفتيته ، وضرب نظامه ، بل اصبحت لهم حكومات صغرى داخل الحكومة الطولونية ، وهذا غاية الخطورة ونهاية الدولة ، ولم تقف اطماع ابن ابي عند حد ، فقام بضرب طوائف الجيش وضرب هذه القوى بعضها ببعض ، فقضى على الخزرية بزعامة برمش ، واغرى هرون بالقائد بدر الحمامي(٣٠٣) وقام بنفي القائد صافي الى بلاد الشام . وسيكون له ولغيره ممن نفوا او تركوا مصر الى الشام الدور الاساسي والفعال في الخلاص من الحكم الطولوني .

وفي غمرة الاحداث وباقتراب الجيوش العباسية من الفسطاط واثناء الحاجة الملحة للاتحاد . زاد الامر سوءا وتعقيدا بقيام الطائفة المناهضة التي تمكنت من رفع صوتها من جديد وقتلت هرون ورفعت شيبان الى السلطة(٣٠٤) ، وانحازت القوة المغلوبة وعلى رأسها ابن ابي الى جيوش الخلافة العباسية وتركت شيبان مع من تبقي من فلول الجيش يشهدون مصرع الدولة الطولونية .

ب) الاحداث في الثغور واثرها على الحكم الطولوني :

على اثر عودة الثغور في عهد يازمان الى السيادة الطولونية بعد ان تم لخمارويه فرض الوجود الطولوني بالمنطقة ، تابع يازمان ونواب الطولونيين امر الجهاد في الثغور حتى سنة ٢٧٨ هـ حين قاد الطائفة مع احمد الجعفي الطولوني وحاصروا سكندا واصيب يازمان بجرح أودى بحياته وحمل الى طرسوس ودفن فيها(٣٠٥) .

واقر خمارويه ابن عجيف على الثغر(٣٠٦) . وامده بالخيل والسلاح والمال الا ان القوى العباسية لم يسغ لها هذا النجاح الطولوني في منطقة الثغور فتابعت

سياستها في ابعادهم عن هذه المنطقة وقامت باثارة الشغب ، فما كان من خمارويه الا ان قام متجها صوبها لانهاء المشاكل وحماية حدود بلاده فيها فقام بعزل العجيفي هذا وولى ابن عمه محمد بن موسى بن طولون المعروف بالاعرج عليها(٣٠٧) .

وفي هذه الفترة توفي الموفق فنزع خادم من خاصته اسمه راغب ، واختار الجهاد ، وطلب الاذن بالذهاب الى الثغر والمقام هناك للجهاد ، فصرح له المعتضد واتجه هذا صوب طرسوس(٣٠٨) .

وعندما وصل الى الشام قابل طغج بن جف في حلب ، الذي طلب منه مقابلة خمارويه في مصر(٣٠٩) واتجه هذا للقاء خمارويه في بعض الغلمان في حين انفذ خادمه (مكنون) مع جيشه المرافق وامواله وسلاحه الى طرسوس .

ويبدو ان الطولونيين ازعجهم ذهاب راغب الى منطقة الثغور ، فما كان من طغج بن جف الا ان كتب الى محد بن موس يعلمه بالموقف ، ويطلب منه اعتقال مكنون عند وصوله ومن معه ، فما ان وصل مكنون طرسوس حتى وثب عليه الاعرج وقبض على من معه ، وعلى اثر ذلك اثار الناس وحدثت الفتنة فيها وقبضوا على محمد بن موسى وحبسوه ونهبوا داره وهتكوا عرضه(٣١٠) ، وقالوا لن يخرج الا بعد ان يطلق خمارويه راغبا ، بعد ان وصل اليهم انه حجر عليه في مصر ، وأخرجوا مكنونا من المعتقل وعلى الرغم من التناقض في الروايات فانه يستدل منها أن اهل الثغر ساءهم ان يلاقي راغب هذا المصير ، ويمنع عن اداء واجبه المقدس ، واستغلت القوى العباسية هذه العاطفة ، وطالب اهل طرسوس وكتبوا لخمارويه يطلبون منه اطلاق راغب والا فان قريبه سينال عقابا صارما ، فما كان منه الا ان أطلقه ، وعندما وصل هذا الى طرسوس اطلقوا بدورهم سراح اميرهم المسجون الذي لم يرض بالبقاء معهم فاتجه الى بيت المقدس ،حيث اقام هناك وعاد العجيفي اليها(٣١١) .

وتذكر بعض المصادر ان خمارويه ارسل احمد بن طغان من قبله مع راغب ليتولى امر الثغور بمساعدة راغب هذا بناء على رغبة اهالي طرسوس(٣١٢) فوصلها هذا يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة ٢٧٩ هـ .

ولم ينس خمارويه هذا الحادث المؤلم الذي حل بوال عزيز عليه هو محمد بن موسى بن طولون ولا هذا الخروج الذي يعتبر انتهاكا وخروجا على الطولونيين وطعنة موجهة له شخصيا ، فكظم غيظه منتظرا الفرصة المناسبة .

ولكي يؤمن هذا الوضع بالثغور ، وزيادة منه في الاهتمام به ، عهد الى طغج بن جف والي دمشق وطبرية بالقيام بمساعدة أحمد بن طغان وكلفه بأمر الاشراف والمساعدة في أمر الجهاد هناك(٣١٣) .

ففي سنة ٢٨١ هـ أرسل خمارويه عامله طغج بن جف للقيام بغزو البيزنطيين وبلغت قواته طرابيزون وهزم الروم في عدة وقائع ، وعاد الى دمشق محملا بالغنائم(٣١٤) .

ويبدو ان طغج بن جف كانت له مهمة اخرى بهذه الحملة اوكلها له خمارويه وهي قتل راغب والخلاص منه(٣١٥) ، لكن اللقاء الحسن والترحيب الذي صادفه هناك منه واستجابته لرغبات أهل طرسوس الذين أظهروا ولاءهم له ، ويظهر انه قد تمكن من فرض سيطرته واستبداده فيها(٣١٦) ، كل ذلك جعل طغج يرضى عنه ويتقرب اليه او بالاحرى يخشاه ولم يتعرض لحياة راغب واشركه في غزو الروم معه ، وعندما عاد الى الشام ، بدأ يلتمس الاعذار لسيده خمارويه ، الذي لم يقبلها فحنق عليه وقرر قتله(٣١٧) .

وفي سنة ٢٨٢ هـ خرج خمارويه الى بلاد الشام . وفي دمشق ذبحه خدمه في قصره بسفح جبل قاسيون بالقرب من دير مران . وكان معه في هذه الليلة الامير طغج بن جف ، وعلى الرغم من تضارب الروايات في اسباب مقتل خمارويه وردها لغلمانه ، فمما لا شك فيه ان هؤلاء قاموا بتنفيذ قتله(٣١٨) ، ولا يمنع ان يكون طغج بن جف له ضلع بهذا الموضوع ، فاستغل غلمانه وقام بتحريضهم عليه ، ولما نفذوا الجريمة لاحقهم وقتلهم جميعا(٣١٩) لابعاد الشبهة عن نفسه وليخفي بذلك آثار هذا الحادث .

ويبدو ان طغج بن جف تأكد له ان خمارويه مصمم على قتله كما قتل سعد الايسر وغيره على اثر اللقاء معه بتلك الليلة التي رفض بها خمارويه مشاركته في

الوليمة التي أحضرها احتفاء به ، وما ان طلع الصباح حتى وجد خمارويه مقتولا[٣٢٠] ، ومات قبل ان يحقق غايته بالفتك بطغج بن جف .

كما ان قيام طغج بن جف واخذه البيعة لجيش بن خمارويه[٣٢١] لا يشكل دليلا اكيدا على براءته من هذا الحدث ، فهو لم يستمر طويلا للولاء الطولوني ، فقد خرج بعد فترة وجيزة على جيش هذا وخلع طاعته[٣٢٢] ، وبدا يعمل للاستقلال في بلاد الشام لصالحه ، كما كان بين القادة الثائرين على جيش في مصر وخروجهم عنه الى بغداد اخ لطغج بن جف هو القائد بدر بن جف[٣٢٣] .

وهكذا اخذ طغج بن جف يرسم لنفسه سياسة استقلالية في الشام ، ويكون لعمله هذا الاثر الكبير الذي ادى الى زعزعة الحكم الطولوني في الشام وبالتالي تدعيم الانفصال الذي كان من العوامل الهامة التي اسهمت في انهاء الحكم الطولوني .

جـ) خروج بلاد الشام والثغور واثر ذلك على الدولة الطولونية :

- خروج الثغور :

على اثر وفاة خمارويه قامت العناصر المتناحرة في مصر بتنصيب ابنه ابي العساكر جيش من دون اعمامه اولاد احمد بن طولون ، على الرغم من صغر سنه ، ونظراً لسوء سيرته ولهوه سيطرت عليه طائفة من الجند واوباش الناس واتخذهم بطانة له[٣٢٤] ، مما جعل الدولة تمر بمرحلة من الفوضى وضعف السلطة المركزية في مصر ، فما كان من طغج ابن جف في دمشق ونائب الطولونيين في الثغور احمد بن طغان ، الا ان استغلا هذا الوضع واعلنا عدم رضاهم عما صارت اليه الامور ، فخرجا عن الطاعة للدولة المتداعية والانصياع للامير الصغير جيش ، وقررا خلعه[٣٢٥] ، في سنة ٢٨٣ هـ بعد توليه الحكم بفترة وجيزة .

وفي سنة ٢٨٤ هـ ، وبعد ان تمكن راغب مولى الموفق بطرسوس قام واسقط الدعاء للطولونيين وكان ذلك بعهد هرون بن خمارويه ، ودعا لبدر مولى الخليفة

العباسي المعتضد ، مستغلاً بذلك انشغال احمد بن طغان في امر الفداء مع الروم ، فما كان من هذا الا ان ركب البحر دون العودة الى ثغر طرسوس متجهاً الى مصر وارسل نائباً عنه هو دميانة غلام يازمان وأوكل اليه القيام بأمر طرسوس[٣٢٦] .

وما لبث أحمد بن طغان ان ارسل يوسف بن الباغمردي ليخلفه على طرسوس فقوى بذلك دميانة وحلفه ، ضد راغب ، وكرهوا منه الدعاء لبدر العباسي ، وتصدى لهم راغب وشكل قوة كبيرة ضد الطولونيين بمساعدة اهالي طرسوس الذين كثر تمردهم في هذه الفترة بتحريض من العباسيين وانصارهم . وحدثت الفتنة وتمكن على اثرها راغب من الانتصار على خصميه دميانة ، وابن الباغمردي ، فما كان منه الا ان اعتقلهما مع ابن اليتيم ، وحملهما الى بغداد مقيدين بالاغلال[٣٢٧] .

ولا بد انه كان للعباسيين اليد الطولى في دعم راغب هذا وتصرفاته وتحريضه على العمل ضد الطولونيين ، وتقليم اظافرهم هناك ، فبعد هذا التاريخ انحسر الحكم الطولوني على وجه التقريب عن الثغور ، وخاصة في طرسوس ، واصبح وجودهم بهذه المنطقة امراً لا قيمة له ، وتدخل العباسيون بشكل ايجابي ومباشر وعملوا على انهاء الوجود الطولوني وضرب انصارهم ، ففي هذه السنة سنة ٢٨٤ هـ ، قدم قوم من اهالي طرسوس على الخليفة المعتضد ، يطلبون منه ان يولي عليهم والياً عباسياً ، بعد اخراج الوالي الطولوني قائلين ان بلدهم الآن بغير أمير رافعين له سوء تصرفات الولاة الطولونيين وانهم يرفضون قبول الولاة من قبلهم وسيقفون ضد كل وال من طرفهم ويتصدون لهم[٣٢٨] فما كان من الخليفة المعتضد الا ان عين عليهم ابن الاخشيد[٣٢٩] ، وبقي هذا فيها حتى توفي سنة ٢٨٦ هـ واستخلف ابا ثابت على طرسوس .

وفي سنة ٢٨٦ هـ عندما كان الخليفة العباسي المعتضد في آمد وافاه عبد الله بن الفتح من مصر يحمل موافقة الطولونيين على شروط الخلافة العباسية وتنازلهم عن جميع حقوقهم في هذه المنطقة[٣٣٠] .

واستعاد العباسيون منطقة الجزيرة والعواصم من ديار ربيعة وديار مضر مقابل اعترافهم بما للطولونيين في مصر والشام[٣٣١] ، وهكذا قايض الطولونيون حقوقهم بحقوق اخرى دافع عنها الآباء كثيراً وكانت منطقة الثغور من الامور الهامة التي ساعدت على قيام الدولة واعطتها الاحقية والاستمرار كما كانت محط انظار احمد بن طولون واهتماماته الكبرى[٣٣٢] .

وفي نفس العام وبعد ان تسلم المعتضد اعمال قنسرين والعواصم من اعمال هرون وعندما كان في الرقة ، اقام ابنه علياً عليها ولقب فيها بعد بالمكتفي ، وعقد له مع الجزيرة وقنسرين والعواصم سنة ٢٨٦ هـ واستكتب لة الحسن بن عمر النصراني[٣٣٣] ، واثناء ذلك ومن الرقة خاطب راغباً مولى الموفق وهو بطرسوس واستدعاه اليه مع مكنون غلامه وحبسهما بعد ان اظهر هذا الاستبداد والتسلط ، فقرر ازاحته والتخلص من هذه القوة المتنفذة بمنطقة الثغور[٣٣٤] .

كما شغل طغج بن جف هو الآخر دوراً هاماً في اثارة المعتضد على راغب هذا منافسه القديم في الثغور والذي يرغب هو الآخر في انهائه لكي يصفى له الجو بهذه المنطقة .

وفي سنة ٢٨٧ هـ قام الخليفة العباسي المعتضد بجولته الهامة في منطقة الثغور على اثر ظهور بوادر خروج وصيف الخادم ، الذي كان قد ترك سيده ابن أبي الساج متظاهراً بالتمرد عليه اثر تبييت اتفاق ومواطأة بينهما والعمل معاً ضد الخلافة العباسية والانطلاق من منطقة الثغور الى مضر ومن ثم التغلب عليها[٣٣٥] .

وعلى اثر اكتشاف المعتضد لخيوط المؤامرة رفض طلب تولية وصيف الخادم هذا امر الثغور وانطلق على اثر ذلك اليها وقام بجولة كبيرة سبق فيها معظم الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بامر الجهاد ، وعمل برحلته هذه على تهدئة الاحوال والضرب على معظم القوى هناك وسوى امر المنطقة ، فاتجه في طريق المصيصة وتابع الى عين زربة وضرب بها مضاربه[٣٣٦] . وما كان منه الا ان قبض على وصيف ، واستمر في جولته يعمل لضبط الثغور واصلاحها ، وفي هذه الجولة وصل الاسكندرونة وبغراس وانطاكية ، وحلب والناعورة ، وصفين[٣٣٧] .

وعندما كان بالمصيصة استدعى اهل طرسوس وعلى الرغم من انه اعطاهم الأمان فانه قام بسجن بعضهم ، كما امر باحراق المراكب في هذا الثغر بقصد الانتقام من اهله ولعب دميانة دوراً هاماً في تحريض الخليفة ضد اهل طرسوس واحراق خمسين سفينة من المراكب التي كانت تستعمل ضد العدو البيزنطي[٣٣٨] .

ولم يعد الا بعد ان قرر بالاتفاق مع اهالي الثغر توليه الحسن بن علي كوره امرهم[٣٣٩] ، وبقي هذا فترة قصيرة لان المعتضد توفي في ربيع الثاني سنة ٢٨٩ هـ وتولى الخلافة المكتفي بعده ، فصرف الحسن بن علي كوره عن الثغور وقام بتولية احمد بن سهل البوشجاني[٣٤٠] وبقي حتى سنة ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢ م حيث تم عزله عنها .

وهكذا خرجت حلب والعواصم والثغور عن سلطة الطولونيين منذ سنة ٢٨٦ هـ ، واصبحت تحت السيطرة الفعلية للخلافة العباسية وأبعد كل أثر للطولونيين عليها ، وتولى نواب العباسيين فيها امر الجهاد والغزو البيزنطي ، استناداً للمعاهدة العباسية الطولونية سنة ٢٨٦ هـ[٣٤١] كما وجد في حلب عملة ذهبية سكت في نفس العام ، لم يذكر عليها اسم الامير الطولوني ، لكنها ضربت باسم الخليفة العباسي المعتضد[٣٤٢] .

- خروج بلاد الشام واثره على زوال الحكم الطولوني :

نبعت قوة الطولونيين في عهد مؤسس الدولة وابنه خمارويه من وحدة مصر والشام التي مكنتهم من حماية جبهتهم الداخلية ، ومن ثم التصدي للقوى العباسية مجتمعة التي اثارتها السلطة المركزية في بغداد ، كما تمكنت بفضل القوة البرية والبحرية - التي اوجدها الطولونيون في هذين البلدين - ان تلعب دوراً هاماً في الجهاد وتقوم بين حين وآخر بحلقة من حلقات النضال ضد الروم ، غير ان انحلال الدولة بعد خمارويه ترتب عليه خطر مدمر للطولونيين أسفر عن تمزق البيت الطولوني وانفصال تلك الوحدة بين الاقليمين ، مما ادى الى تغير صورة الدولة وعظمتها وهيبتها التي تجلت بأعظم مظاهرها من القوة والمجد ايام احمد وابنه خمارويه[٣٤٣] .

بدأت اولى مراحل اختلال الدولة في الشام عقب وفاة خمارويه وكان ذبحه كما رأينا مصدر شك وتساؤل دفع بعضهم للاعتقاد بأن طغج ابن جف امير دمشق ربما كان وراء المؤامرة التي اودت بحياته(٣٤٤) .

وانقسم الجيش والفئات المتنازعة في مصر فئتين كل تحاول ان توجه الدولة وفق مصالحها ، فئة تريد ان تستمر بالدولة وتستلهم التنظيمات والأسس التي اوجدها احمد بن طولون المؤسس ، محاولة ان تولي احد ابنائه لتوفر عامل النضج عند اكثرهم ، واخرى عملت في اتجاه معاكس رفعت شعار تنصيب احد اولاد خمارويه وكانوا كلهم صغاراً ضعافاً يسهل عليهم السيطرة على الدولة وتسيير مصالحهم(٣٤٥) .

وانتصرت الفئة الداعية لبيت خمارويه ورفعت ابا العساكر (جيش) واستنكر الكثيرون من القادة هذه البيعة ، وامتد الاستياء الى جميع انحاء الدولة ، ثم كان لسوء سيرة جيش ، وضعف حكام الدولة وعدم شعورهم باهمية المسؤولية وعظمة الامور الملقاة على عاتقهم كحكام لمصر والشام ، ومدافعين عن الثغور وحامين لديار الاسلام ، واعتكاف جيش سعياً وراء لذاته وسيطرة قوة عابثة عليه تسعى وراء مصالحها الخاصة(٣٤٦) ، اقول كان لكل هذه التصرفات المذكورة آثارها السيئة فزادت الامور تعقيداً وتذمر اهل الشام والثغور وولاتهم وعلى رأسهم طغج بن جف امير دمشق وطبرية ، وابن طغان امير الثغور ، فما كان الا أن قام طغج هذا واعلن عصيانه وخلعه لجيش(٣٤٧) ، وابطل الدعوة له والخطبة على منابر اعماله ، وتبعه احمد بن طغان بالثغور أيضاً .

ويبدو ان طغج بن جف كان من مؤيدي القائلين بتولي احد الناضجين من الاعمام اولاد احمد بن طولون ، ولهذا رفض البيعة لجيش ولم يظهر له الخضوع(٣٤٨) ، في حين تذكر بعض المراجع انه عندما قتل خمارويه عاقب الجناة واخذ البيعة لابي العساكر جيش بن خمارويه وربما قدم على ذلك اذا صحت هذه الرواية ليغطي دوره في حادث مقتل الاب(٣٤٩) .

وعلى كل الاحوال تكون بلاد الشام وفقاً لهذه الصورة قد خرجت عن طاعة جيش بن خمارويه ، وبدأت فيها اول مظاهر اختلال الحكم الطولوني ، واستمر

طغج يحكم ما بيده من اعمال طيلة فترة جيش ابي العساكر ، لا يظهر طاعته ولا يهتم بدعوته ، ولا يذكره كأمير شرعي في الخطبة[٣٥٠] .

ومما لا شك فيه ان في هذا الحادث ، وفي خروج طغج وغيره في بلاد الشام على هذا النحو ، من الخطورة الشيء الكثير لأنه لم يعرض حدود الدولة ومصر الشرقية للخطر فحسب ، وانما زاد الامر صعوبة وخطورة لما يتمتع به هذا الامير من سيطرة ونفوذ ، نظراً لما تحت امرته من قوات طولونية كثيرة ، كما انه اصبح يتحكم في احوال الشام وخيراتها مع وفرتها وكثرتها[٣٥١] .

وهنا لا بد لنا ان نتذكر ان حركات تمرد كانت قد حدثت في الشام والثغور في عهد كل من احمد بن طولون وابنه خمارويه ، لكن ذلك حدث والدولة في عنفوان قوتها وازدهارها ، ولم يتريث الطولونيون في مصر او يجبنوا بل واجهوا هذا التمرد والتحدي بجرأة واقدام وعملوا على وأد حركات التمرد ومن وقف مسانداً لها وخرجوا منتصرين كما رأينا[٣٥٢] واعادوا للدولة مجدها ووحدتها .

اما في هذه الفترة فقد تغير الموقف الطولوني بتغير الامراء وضعف رأيهم ، ولا ادل على تبلد حكام مصر من ابناء خمارويه من ان جيشاً ابنه عندما وصل الى سمعه وادرك انفصال امير دمشق وغيره ، «لم يكربه ذلك ولا استشنعه ولا رئي له على وجهه اثر»[٣٥٣] .

وانتهى حكم جيش بن خمارويه بعد ان حكم فترة سوداء في تاريخ الدولة الطولونية في مصر والشام ، استمرت تسعة اشهر واثني عشر يوماً وانتهى وضعه باعتقاله وسجنه حيث مات بعد ايام[٣٥٤] .

واستمرت الدولة في عهد خلفه هرون في التدهور والتدني ، ورأى القائمون على تسيير الامور في الدولة بمصر أنهم أضعف من مواجهة الامور ، وجبنوا امام التحديات والتصدي لهذه الاحداث الكبيرة التي ظهرت على مسرح الاحداث السياسية في بلاد الشام والثغور . وادركوا انهم اضعف من ان يخضعوا الامير طغج بن جف ، فما كان منهم الا ان ارسلوا اليه سفارة تساومه على ان يعود ويعلن

الطاعة لهارون ، ويبقى له نفوذه في الشام ، فسارت قوة الى دمشق عليها بدر الحمامي ، والحسين بن احمد الماذرائي وتفاوضاً معه ، وقاما باصلاح الاحوال في الشام ، وتباحثا في امورها معه ، وتم استعماله على دمشق وسائر الاعمال فيها[٣٥٥] واعطى طغج نفوذاً كاملاً في هذه الولاية مقابل الطاعة والمبايعة ، وسويت كذلك الامور في الشام وتقررت جميع اعمالها[٣٥٦] .

وعادوا الى مصر وقد اختلفت الامور فيها وازدادت سوءاً ، فالقواد استولوا على طوائف الجند ، وحصل كل واحد منهم على فئة منه وتقاسم هؤلاء الجيش الذي اصبح وكأنه سلعة تباع وتوزع[٣٥٧] .

كانت الخلافة العباسية تنتظر الفرص المواتية ، ولذلك بدأت تعمل لصالحها ضد الطولونيين ، ويبدو ان المعتضد كان يعمل بمنتهى الكياسة لضرب الطولونيين ، وذلك نظراً للوعود السابقة التي اعطاها للطولونيين من جهة ولتأثير زوجته قطر الندى بنت خمارويه ، ولذلك لم تدخل الخلافة بمشاكل صريحة في عهد جيش ، ويظهر ان المعتضد لم يكن قد اتخذ قرار الاطاحة بالطولونيين ، ولم تذكر المصادر والمراجع نقض المعاهدة التي ابرمتها الخلافة مع خمارويه في عهد جيش[٣٥٨] ، الا انه نتيجة لخروج الثغور على الحكم الطولوني ، ولموقفها المتشدد وقسوتها على الطولونيين بتشجيع العباسيين المستمر والقوى المؤيدة لهم ، كما رأينا ، ولانفراد طغج بن جف واستغلاله المنطقة وعمله على الانفصال عن السيطرة الطولونية نتيجة لهذه المعطيات المحيطة به ، أقول نتيجة لهذه الاسباب جميعاً ما كان من الخلافة المنتعشة الا أن استفادت من الوضع السياسي والاقتصادي للطولونيين وبخاصة ما حل بهم في بلاد الشام المتاخمة للعراق والعباسيين ، فزاد هؤلاء نشاطهم ضد الطولونيين ، وكانت احداث الشام ذات اثر واضح في موقف الخليفة وبدأ المعتضد يعمل متدخلاً في شؤون الطولونيين تدخلاً سافراً وايجابياً[٣٥٩] ، ولهذا لم يعترف بالوضع الجديد لحكم الطولونيين لمصر والشام ، ولم يعط اعترافه للامير الطولوني هارون الذي رفعته فئة متسلطة بعد مقتل اخيه جيش الى سدة الحكم في جمادى الآخر سنة ٢٨٣ هـ[٣٦٠] ، ولم يحصل الطولونيون على الاعتراف الا بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ .

ويظهر ان العباسيين بدؤوا جدياً في نقض المعاهدة السابقة التي ابرمت مع خمارويه[٣٦١] والتي اعطت الطولونيين حكم الشام ومصر لمدة ثلاثين عاماً .

ففي سنة ٢٨٥ هـ وجه هارون بن خمارويه الى المعتضد سفارة عليها وصيف القطرميز ، تحمل الهدايا والاموال ، وما كان يجري عليه ويحمله الطولونيون من مصر الى العراق وكانت مهمة السفارة أيضاً طلب تجديد الاعتراف للامير الطولوني الجديد وسؤال الخلافة اقطاع الطولونيين ما كان بأيديهم في مصر والشام ، الا ان المعتضد رد السفارة ، ولم يجب وصيفاً لطلبه ، بل وجه معه عبد الله بن الفتح ليفاوض الطولونيين ويشترط عليهم شروطاً مقابل هذا الاعتراف[٣٦٢] ، وتتعلق هذه الشروط بالسيادة الطولونية على بعض اقاليم الشام وخاصة المنطقة الشرقية والشمالية بما فيها الثغور ، وزيادة في ارسال الاموال الى مصر ، وامور اخرى كلها لصالح السلطة المركزية في بغداد .

وفي هذا الدليل القاطع على نية الخلافة وعدم اعترافها بهرون وظلت كذلك فترة طويلة الى ان سويت الاوضاع ورضخ الطولونيون لما اصابهم من وهن لمطالب الخلافة ، ولا شك انه كان لخروج بعض مدن الشام وثغورها الاثر الواضح على مجريات الاحداث في مصر والرضوخ لضغط الخلافة وهكذا كان لتخلخل الحكم الطولوني في الشام ومصر آثاره السيئة ، فقد اظهرهم بمظهر الضعف والتخاذل ، امام قوة الخلافة ، فما كان من هرون وفئته الا ان رضخوا لواقع الامر وقبلوا بشروط الخلافة ، مقابل الاعتراف لهم بما في ايديهم في مصر والشام . وعلى اثر ذلك صدرت معاهدة سنة ٢٨٦ هـ فألغت المعاهدة القديمة وتجاوزتها وكأنها لم تكن ، ويتضح من شروط المعاهدة الجديدة ان المعتضد هو الذي نقض الشروط القديمة ، واملى شروطاً جديدة تلائم الحالة العامة للطولونيين ومجرى الاحداث في الشام . والانهيار الذي اصاب الحكم الطولوني للشام ومصر[٣٦٣] .

واهم بنود هذه المعاهدة التي جاءت انتقاصاً للطولونيين وامتهاناً لهم ، وتدخلاً سافراً في شؤونهم الداخلية :

أولاً : ان يتنازل الطولونيون عن اعمال حلب وقنسرين والعواصم الى العباسيين بما في ذلك ديار ربيعة وديار مضر[٣٦٤] .

ثانياً : ان يقوم الطولونيون بارسال اربعمائة وخمسين الف دينار الى بيت المال في بغداد كل سنة[٣٦٥] ، وكانت هذه الاموال عبارة عن ضغوط على الطولونيين وخاصة بعد ان ادركت الخلافة التدهور الاقتصادي بمصر في هذه الفترة وخروج اكثر اموال الشام عن الخزينة الطولونية ، وكأنما ارادت الخلافة بعملها هذا ان ترهق الطولونيين وتزيدهم سوءاً وتخلق المبرر لها للتدخل المباشر .

ثالثاً : قبل الطولونيون التدخل الفعلي للخليفة في الاوضاع الداخلية بمصر واعترفوا بوجود مندوب من قبله فيها يقوم بالاشراف ، ورضوا بأن يوجه المعتضد خادماً يمثله وانفذ لهذه المهمة بدرا القدامى[٣٦٦] .

وهكذا رضخت مصر للوصاية العباسية في هذه الفترة ، وذكرت بعض المصادر والمراجع ان الخليفة امر أن تصدر جميع الاوامر الادارية في مصر باسم بدر هذا ، وان يصبح والي مصر في المرتبة الثانية[٣٦٧] .

ويظهر ان المعتضد لم يرض بهذا الوضع المتدهور في مصر ، ويقبل بهارون هذا الامير الضعيف من قبله لولا كثرة الوسطاء وتدخلهم بالامر ، وزيادة نفوذ قطر الندى التي ماتت بعد هذه المعاهدة بسنة واحدة[٣٦٨] .

واثناء وجود الخليفة المعتضد في آمد ، وكان خرج لتأديب ابن الشيخ[٣٦٩] رجعت سفارة عبد الله بن الفتح ، ووصيف القطرميز من مصر بقبول الطولونيين لشروط الخلافة .

ويظهر ان الخليفة كان واثقاً من رد الطولونيين ، ولذلك كان يترقب الاحداث هناك ، وينتظر الخطوة التالية ، وهي اخراج الطولونيين من منطقة هامة ، وتقليص حكمهم في بلاد الشام ، فعندما وافته الاخبار بالقبول الطولوني وصدرت المعاهدة السالفة الذكر . استغل وجوده في آمد ، فخرج الى ديار مضر ،

وتسلم عماله اعمال قنسرين والعواصم ، من أصحاب هرون في جمادى الاول سنة ٢٨٦ هـ[٣٧٠] ، ثم ارتحل بعد ذلك الى الرقة ، بعد ان نصب ابنه علياً بآمد فعقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم وديار ربيعة وديار مضر[٣٧١] وزوده بكاتب هو الحسن بن عمر النصراني يعاونه في شؤونه وفي النظر في امور هذه النواحي ومكاتبة العمال بها ، كما امر وهو بآمد بهدم سورها فهدم[٣٧٢] .

وهكذا اعطى هذا الوضع الجديد الخلافة العباسية وقواتها حرية العمل في بلاد الشام ، وظهر بهذه الفترة اهتمام الخليفة المعتضد العباسي بالشام وامر الثغور والجهاد فيها ، ولذلك خرج للغزو في شوال سنة ٢٨٧ هـ الى طرسوس لتأديب وصيف الخادم واخماد حركته في الثغور وقاد اكبر حملة هناك كما رأينا .

ونشرت بعض المصادر ان انحسار السلطة الطولونية عن منطقة شمال الشام قد وقع قبل هذه الفترة حيث عثر على نقود ذهبية في الرافقة تعود لسنة ٢٨١ هـ وهي الفترة التي تلت وفاة خمارويه ، ولم يذكر عليها اسم الامير الطولوني ، وانما ذكر عليها اسم الخليفة العباسي المعتضد[٣٧٣] .

كما يؤيد خروج حلب ومناطق الثغور رسمياً عن طاعة الطولونيين بموجب المعاهدة السالفة الذكر ، منذ سنة ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م ووضعها تحت السيادة العباسية المباشرة نقود ذهبية تم العثور عليها وضربت في حلب سنة ٢٨٦ هـ . ولم يذكر اسم الطولونيين عليها ، وانما ضربت باسم الخليفة العباسي المعتضد[٣٧٤] .

د) ظهور القرامطة في الشام وأثر ذلك على السيادة الطولونية

زاد وضع الطولونيين سوءاً في الشام على اثر ظهور عامل جديد قدر له ان يقضي على ما بقى للطولونيين بموجب الاتفاق الاخير مع العباسيين ، ويقضي على هيبتهم في النفوس ويعمل من جهة اخرى لاعلاء كلمة الخلافة ، ويظهرها بمظهر المنقذ للعالم الاسلامي ، وبذلك ساعد العباسيين لكي يتنصلوا من اية معاهدة او وعود اعطوها للطولونيين ، كما اعطاهم الحق والسند الشرعي في غزو مصر

والعمل على استئصال الطولونيين منها ، هذا العامل الجديد كان ظهور القرامطة واجتياحهم للمنطقة ونشر الفوضى والاضطراب في جميع ارجائها[٣٧٥] .

وعلى الرغم من ان الطولونيين ونوابهم في بلاد الشام تصدوا للقرامطة ، لكن الجيش الطولوني المتهاوي ، كان اضعف من ان يجابه هذه القوة النامية التي غزت البلاد ، وكادت ان تقضي عليها ، وعلى الرغم من موقف طغج بن جف والتصدي للقرامطة ، وطلبه النجدة من مصر وقيام حملة مصرية بقيادة بدر الحمامي لمؤازرته في محنته العسكرية هذه على الرغم من المجزرة الكبيرة التي وقعت بين الطرفين ، فان الهزيمة قد حلت بهذه القوة التي سعت اليها الشيخوخة ، ودب في اوصالها الانقسام ولقيت هذه الحملة العسكرية والقوات المصرية الشامية الطولونية الهزيمة وذهب خيرة رجالها بهذا القتال العنيف ضد هؤلاء القرامطة[٣٧٦] .

ولن نغوص في البحث في امر القرامطة ، فهناك الكثير من المصادر والمراجع تتحدث عن اصلهم ونشأتهم وتاريخهم وحروبهم ومعتقداتهم السياسية والاجتماعية ، ويجدر بمن يرغب المزيد الرجوع اليها[٣٧٧] .

والقرامطة : فرقة دينية ـ سياسية اتخذت الدعوة الى امامة اسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق اغراضها ، وسلاحا للوصول الى ما تصبو اليه ، وقد عرفت بذلك نسبة الى احد دعاتها حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط ويقال انه سمي بذلك لقصر قامته ورجليه[٣٧٨] ، وقيل غير ذلك .

وقد اخذ حمدان هذا الدعوة عن الحسين الاهوازي وهو احد دعاة عبد الله بن ميمون القداح وارسله هذا وهو في الاهواز الى سواد الكوفة وهناك لقى حمدان قرمط حيث استلم زمام الدعوة بعد حسين ، وصادفت الدعوة الاسماعيلية على يده رواجا عظيما بين العرب ، اذ تمكن من كسب دعاة كثر كان اكبرهم تأثيرا صهره عبدان الذي اخذ الدعوة عنه ابو سعيد الجنابي مؤسس القرامطة في البحرين ، وزكرويه بن مهريه زعيم قرامطة شمال بلاد العراق وغربها وبادية السماوة ، وبعض مناطق بلاد الشام[٣٧٩] .

لقيت الحركة الاسماعيلية قبولا واسعا بين الناس على اثر نشاط دعاتها وسيطرتهم الفكرية على الكثيرين من امثال حمدان بن الاشعث (قرمط) وغيره وذلك لاعجاب الناس بدعاتهم امثال حسين الاهوازي الذي امتاز بالمهارة وقوة الاقناع وساعده على ذلك خشوعه وعبادته ومثاليته(٣٨٠) .

ومن ثم ظهور آل مهرويه الذين تأثروا بحمدان وبصهره عبدان وكان مهرويه شخصية مرموقة في السواد ، وكان يملك البساتين الواسعة من النخيل فقام بتوزيعها وتصدق بها على الفقراء ، انسجاما وتحقيقا لمبادىء الحركة الاشتراكية التي اعتنقها فعظم قدره في اعين الناس(٣٨١)

وزاد عدد المتنسبين للدعوة الاسماعيلية بفضل مراكز النشاط وكثرة الدعاة ، وتشكيل المزيد من الحلقات وزيادة عدد المؤيدين من الاعراب وغيرهم للدعوة ، واصبح لهم شبه مجموعات في السواد جديرة بأن تكون نواة للدولة(٣٨٢) .

وساعدهم في عملهم وكثرة انصارهم نزعتهم الاجتماعية واهدافهم الاقتصادية حيث دعوا الى المساواة وشيوع الثروة والاشتراكية التي جذبت اليهم المظلومين والتعساء والمحرومين والخارجين والناقمين السياسيين(٣٨٣) .

وكان حمدان بن الاشعث الذي انتقلت اليه رئاسة الدعوة بعد الحسين الاهوازي من المخلصين لمركز الدعوة في سلمية ، غير انه امتاز بالثورية والعنف ، ولم يكن سياسيا ، وهذا ما دفعه لاعلان الثورة على العباسيين سنة ٢٨٧ هـ دون الرجوع لمركز الامامة في سلمية ، التي كانت ترى ضرورة التريث والانتظار ، وعلى الرغم من انه لاقى بعض المؤيدين كأبي الفوارس احد الدعاة الكبار ، فان سلمية لم تكن راضية عن هذا التصرف ، لذلك استغل الوضع آل مهرويه الذين وجدوا بحمدان قرمط وابي الفوارس قادة يهدفون لابعادهم عن مركز الزعامة القرمطية(٣٨٤) .

ولهذا بدا آل مهرويه يعملون لتزعم الحركة ، وبعد فترة يختفي حمدان عن مسرح الاحداث في ظروف غامضة ، كما يقوم هؤلاء بقتل عبدان وابعاد ابي الفوارس ، كل هذا مكنهم من الظهور وزعامة الثورة في منطقة السواد(٣٨٥) .

وازاء هذه الاحداث الداخلية في الدعوى وتطلع آل مهرويه للاستقلال بها ثار بعض الدعاة المخلصين لسلميه ولآل حمدان على زكرويه وهددوه بالقتل ، فاضطر الى مغادرة السواد الى بلاد الشام والتخفي مدة عامين بين القبائل العربية التي آمنت بالفكرة الاسماعيلية(٣٨٦) ، واخذ يعمل بينها على نشر المذهب الاسماعيلي والتمهيد للثورة المسلحة في بلاد الشام .

وبعد ذلك صمم آل زكرويه ، وتحالفوا وتعاقدوا على تنفيذ المخطط الذي رسموه والذي يقوم على النهوض بالحركة القرمطية وفق مبادىء السيادة والحرية والاشتراكية بزعامتهم ، ويقضي أن يعملوا ويجبروا المهدي أن يوافق على توليهم الرئاسة وإلا فعليهم أن يعملوا ضده ، وعلى هذا الأساس أرسل ابنه يحيى إلى الشام ومعه القاسم ابن أحمد يدعو للثورة بين القبائل العربية هناك ويتصل بالمهدي عبدالله في مركزه في سلمية ، ولم يكن المهدي بالرجل الضعيف الذي يقبل أن يجعل سلطة الدعاة تتغلب عليه ، إنما كان بعكس ذلك ، واعتبر تصرفات آل مهرويه جرائم ترتكب ومقدمة للاستئثار بالسلطة ، لذلك أصدر أوامره بعزلهم عن مركز الدعوة وقام بنقل مركزها من السواد إلى حماه وعين داعيته الكبير أبا الحسن الأسود(٣٨٧) .

واستمر زكرويه بن مهرويه يشرف على الدعوة ونشر النفوذ القرمطي من مخبئه في احدى قرى سواد الكوفة ، بواسطة أولاده وأنصاره الذين أرسلهم إلى بادية الشام(٣٣٨) .

ولا شك في أن القرامطة تعرضوا في هذه الفترة لضغط الخلافة العباسية وأمعن هؤلاء بمطاردة الأئمة من آل البيت وأنصارهم وبث العيون والأرصاد للفتك بهم . ولقد تحمل القرامطة الملاحقة الشديدة والعنيفة من الخليفة المعتضد(٣٨٩) ، وكان أشدها الضربة التي وجهها لهم الخليفة وأوقع بهم بدر غلام الطائي على غرة منهم بنواحي الكوفة ، وتمكن من قتل الكثير من رؤسائهم وتفريقهم(٣٩٠) .

وعلى الرغم من أن نشاطهم ازداد في ا لمنطقة تحت ضربات العباسيين إلا أنهم تقهقروا أمام عزيمة الخليفة المعتضد الذي وطد العزم على سحقهم

واستئصالهم من المنطقة فوجه لهم الحملات العسكرية التي تمكنت من شلهم وقتل تجمعاتهم وإنزال أشد العقوبات بالأسرى والمعتقلين[٣٩١] .

أمام هذا الضغط العباسي ونتيجة لمجهودات الخلافة ضد القرامطة ، لم يكن أمامهم إلا الابتعاد عن المنطقة ومركز الخلافة ، والبحث عن أماكن ملائمة للعمل ، ورأوا في بلاد الشام ضالتهم المنشودة فاتجهوا إليها .

لهذا اتجه زكرويه بن مهرويه إلى الاعراب المقيمين في بادية الشام والسماوه وغيرهما ، وهناك لاقى استجابة لفكرته الثورية لدى جميع الذين اعتنقوا الاسماعيلية حيث ادعى أنه واحد منهم ، وأنه وأصحابه فروا من ضغط العباسيين «وأنهم من العلوين الملاحقين»[٣٩٢] .

فلاقت دعوتهم قبولاً في القرى والمدن والبوادي ، وخاصة من قبائل بني كلاب ، وقشير وبني عقيل ، وبني العجلان ، والعليص ومواليهم ، كما لاقى قبولاً من بعض سكان مدن حلب ، والمعرة ، وحماه ، وحمص ، فبايعوه وساروا تحت أمرته لفتح البلدان ، وبقي كثير من القبائل العربية أمثال بني النضار ، وبني مالك وبني معرض ، والهجين وغيرهم على ولائهم لبيت الدعوة في سلمية[٣٩٣] .

ولقد ساعدت ظروف بلاد الشام السياسية المضطربة والاقتصادية القرامطة للاتجاه اليها حيث كانت تربة خصبة لمبادئهم[٣٩٤] .

فلقد كانت بلاد الشام طيلة العهد الأموي على مذهب أهل السنة غير أن سياسة العباسين وما اتسمت به من ضغط عليهم فسح المجال للبحث عن مخرج ، ولذلك ساعد هذا الوضع وفتح المجال أمام تعاليم الشيعة الداعية للخروج على العباسيين ، وهذه بدورها أعدت الشعب في هذه الآونة لتقبل آراء القرامطة[٣٩٥] .

لقد كانت سلمية من أهم مراكز الدعوة الاسماعيلية ، ففيها عاش الأئمة الأربعة المستورون من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق[٣٩٦] وأرسلوا منها دعاتهم إلى جميع الجهات إلى أن خرج منها عبيدالله أول الخلفاء الاسماعيليين .

يضاف إلى ذلك أن حالة الشام السياسية في هذه الفترة كانت في تفكك لم تعرفه من قبل ، وأن حكامها الطولونيين كانوا قد وصلوا إلى درجة كبيرة من الضعف سمحت للقرامطة بالعمل والتوجه لمد نفوذهم وملء الفراغ السياسي الذي حدث بالمنطقة نتيجة لموقف الطولونيين وتخاذلهم في هذه المرحلة(٣٩٧) .

وازداد نشاط القرامطة وتطلعهم لبلاد الشام بعد اتصالهم ببني الليث وهم من القبائل العربية البدوية الذين كانوا يقطنون بادية الشام «وكانت جماعة منهم من كلب تخفر الطريق على البربا السماوه ،وفيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها ، فبايعوا لهم»(٣٩٨) وعاضدهم الفرع المعروف منهم «بالعليص» ونفذ هؤلاء القرامطة إلى اقليم الجزيرة وبلاد الشام ، وظهروا منذ سنة ٢٨٩ هـ فيها(٣٩٩) .

ودخل هؤلاء القرامطة بعد ذلك في صراعات سياسية وعسكرية في بلاد الشام كان لها أثر واضح على مجرى الأحداث السياسية في كل من مصر والشام ، لا بل أنها كانت السبب المباشر الذي أودى بالطولونيين وأنهى حكمهم في هذه المنطقة .

نفذ القراطمة إلى بلاد الشام ، وكانت أمورها السياسية مضطربة وأحوالها الاقتصادية سيئة ، فسار هؤلاء في سياستهم فيها على تمزيق الأهالي وتفريقها (السياسة القائمة على مبدأ فرق تسد) واستغلال جميع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السيئة واعتمدوا على الطبقة الفقيرة وأثاروها على الطبقات الغنية في المجتمع(٤٠٠) .

كما افادوا من تأثير المذهب الاسماعيلي فيها على يد الدعاة وكان على رأسهم بهذه الحقبة الحسين بن الأسود ، واعلنوا انهم ينتسبون الى اسماعيل بن جعفر ، وقالوا أنهم فروا من وجه الظلم العباسي لهذا ساعدهم اعراب بني كلب واعتنق بعضهم المذهب الاسماعيلي وتفانوا في خدمتهم لاعتقادهم أنهم بمساعدتهم يساعدون أبناء الرسول (ص) وسموا أنفسهم الفاطميين(٤٠١) ، وترأسهم يحيى بن زكرويه وادعى أن النصر حليفه وأن ناقته مأمورة فاذا اتبعوها ظفروا ، لذلك

سمى صاحب الناقة ، ودعاه أنصاره الشيخ ، كما ادعى ان له بالسواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع(٤٠٢) .

ولم تخف تحركاتهم واستعداداتهم العسكرية على شبل الديلمي مولى المعتضد العباسي وعامله على منطقة الرصافة ، من ديار مضر ، فما كان منه إلا أن تصدى لهم بجيش جرار سنة ٢٨٩ هـ ولاقاهم في موقع غربي الفرات ، لكن القرامطة فاجؤوه وتمكنوا منذ الجولة الأولى من دحره وقتل عدد كبير من جيشه(٤٠٣) كما قتلوه واقدموا على حرق مسجد الرصافة .

وبعد أن تم لهم النصر بهذه المعركة تقدموا في بلاد الشام وتوجهوا الى جميع المناطق يقتلون كل من يعترض سبيلهم ، ويفتحون القرى والبلدان حتى وصلوا الى أطراف دمشق .

وصل القرامطة الى الشام في الوقت الذي تفرق فيه شمل الطولونيين وضعف نظامهم الحربي ، ودبت الفرقة والوهن في صفوفهم ، وتقلص حكمهم عن كثير من مدن بلاد الشام التي أصبحت تقع تحت قبضة أمراء مستقلين يخضعون بالاسم لسلطة الطولونيين(٤٠٤) .

وكان على دمشق طغج بن جف الذي صارت اليه امارتها منذ عهد جيش بن خمارويه ، وكان عليه أن يخرج ويتصدى لهذا الخطر القرمطي الكبير ، الذي أصبح يهدد وجوده ، ولم يكن طغج هذا على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه واظهر قصوراً وضعفاً عسكرياً ، فهو على الرغم مما عرف عن القرامطة من بطش ومعاملة قاسية ونشر للذعر في المنطقة ، لم يتعظ أو يعتبر بما سمع عنهم وخرج للقائهم غير مبال بالأمر ، وكأنه قصد نزهة صيد حاملاً معه الطيور والصقور ، فما أن التقى بهؤلاء الذين زادوه عدداً وعدة حتى انهزمت قواته أمامهم وترك عساكره لهذا الزحف الذي نهبهم وضربهم بلا عطف أو شفقة وقتل منهم خلقاً كثيراً(٤٠٥) .

ثم كثرت الحروب بين طغج والقرامطة ، وتعددت الوقعات بين الطرفين ، وكان الانتصار حليف القرامطة ، فازدادت قوتهم في بلاد الشام ، وهابهم طغج بن

جف ، خاصة بعد أن جهز لهم جيشاً نظامياً كبيراً بقيادة غلامه بشير الذي واقعهم جنوب دمشق في منطقة الكسوة ، فانهزمت الجيوش الطولونية وقتل بشير هذا[٤٠٦] .

وتقدمت بعد ذلك القوات القرمطية ، وضربت الحصار على دمشق وكثرت الخسائر في القوات المدافعة عن المدينة ، وطال الحصار واستمر لمدة سبعة أشهر ، ولما اشتدت الوطأة وادرك طغج بن جف صعوبة موقفه ارسل الى مصر يطلب النجدة والمساعدة ويخبرهم بحقيقة الحال ، وفقدانه لمعظم قواته ، وأن الكثيرين مهددون بالجوع . فما كان من الطولونيين إلا أن ارسلوا له قوة مصرية تساعده بهذه المحنة ، وعلى رأسها بدر الحمامي ، وتمكنت هذه القوات من العمل المشترك مع حامية دمشق ، وتمكنت أن تخرج المدينة من حصارها وتشترك بمعركة كبيرة مع القرامطة بضواحي دمشق ، وقدر لهذه القوى المجتمعة الشامية والمصرية أن تضعضع الجيش القرمطي وتقتل قائده يحيى صاحب الناقة[٤٠٧] . وتجلي القوات القرمطية عن مراكزها . وهكذا ظهرت نتيجة وحدة القوتين .

ولم يثن هذا الانكسار القرامطة عن متابعة برنامجهم ، حيث لم تمض أيام حتى نظموا قواتهم من جديد في مناطق تجمع العشائر الشامية على ضفتي الفرات ، واجتمع بنو العليص ومواليهم ومن معهم من الاصبغين ، وفلول القرامطة ، ونصبوا الحسين بن زكرويه أخا يحيى ـ وصاحب الشامة[٤٠٨] . وتبعه الكثيرون رغبة بالسلب والنهب ، وهدف الى أن يتم ما بدأه أخوه ، لذلك تحرك لمهاجمة المدن الشامية ، وأراد دخول دمشق فصالحه أهلها على دفع مبلغ من المال[٤٠٩] ، فتركها متجهاً صوب حمص ، فخطب له على منابرها وتسمى بالمهدي ، وسار الى حماه وأطاعه أهلها ، وفتحوا له أبواب المدينة ، ثم اتجه صوب معرة النعمان وقام بقتل معظم أهلها ، وكذلك فعل بمدينة بعلبك . وسار بعد ذلك الى سلمية فحاربه أهلها ، ومنعوه من دخولها الى أن وادعهم وأعطاعم الأمان ، فدخل المدينة وقام بالفتك بمن فيها من العباسيين والهاشميين على السواء ، فقد هاجم بعض أنصاره المغامرين قصر الإمام عبيد الله المهدي ، واقدموا على قتل العبيد والخدم حيث لم يجدوا غيرهم[٤١٠] لأن المهدي كان قد غادره في طريقة الى المغرب ، ثم انحاز نحو

أهل سلميه فقتلهم اجمعين ، وقتل البهائم وصبيان الكتاتيب وخرج منها قاصداً بعض القرى في طريقه ، يقتل ويسبي ويحرق ويخيف السبيل .

وعلى الرغم من هذا الوضع الذي حل بالمنطقة ، وفشل الطولونيين النهائي أمام ما نشره القرامطة من ذعر وخوف وفوضى فان النفوس لم تستكن وارتفعت معلنة النقمة والاحتجاج في أرجاء العالم الاسلامي ، وجاءت الرسائل من مصر والشام الى دار الخلافة تصور الفظائع القرمطية في الشام ، والخراب الذي نزل بالمنطقة(٤١١) . وتشكو الخليفة المكتفى الذي استاء من هذا الأمر وقرر التصدي للقرامطة وضربهم في الشام ، ومن ثم القضاء على الطولونيين في كلا البلدين ، فأعلن حالة التأهب العام في بداية شهر رمضان سنة ٢٩٠ هـ وأمر باعطاء الجند أرزاقهم ، واطلق لهم دفعة واحدة مائة ألف دينار(٤١٢) .

واتجه الخليفة نحو بلاد الشام متخذاً طريق الموصل ومنها أخذ بارسال الجيوش الواحد بعد الآخر .

كان أول العساكر التي اطلقها الخليفة المكتفى بقيادة ابي الأغر (خليفة بن المبارك السلمي توفي في حلب سنة ٢٨٩ هـ) وتحت أمرته عشرة آلاف رجل ، ومضى أبو الأغر الى حلب فنزل وادي بطنان قريباً من حلب مع أصحابه(٤١٣) ، وبينما هم بهذا الوادي إذ باغتتهم القوات القرمطية ، وقتل الحسين بن زكرويه اعداداً هائلة منهم ، ونجا أبو الأغر بنفر من جنوده لا يتجاوز الألف ودخل بهم حلب(٤١٤) حيث لاحقهم القرامطة وقاموا بحصارهم فيها .

ولما كان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٢٩٠ هـ خرج أهل مدينة حلب للقاء القرامطة ، وتمكنوا مع قوات أبي الأغر من تحقيق النصر على القرامطة وقتلوا منهم الكثير ، ورفعوا بذلك الحصار عن مدينتهم(٤١٥) .

وفي هذه الاثناء كان الخليفة المكتفى وصل الرقة فأسرع بارسال الجيوش لمتابعة اللحاق بالقرامطة ، وأوكل قيادة هذه الجيوش جميعها الى محمد بن سليمان

الكاتب وكتب وزير الخليفة القاسم بن عبد الله الى محمد بن سليمان هذا والى جميع القواد يأمرهم بطاعة محمد ، ويحضهم على مناهضة صاحب الشامة ، وأظهر محمد بن سليمان حنكة باشرافه على تنفيذ الخطط ، ومشاركة ذوي الرأي ، وبث الجواسيس ورصد تحركات العدو ، وابطأ بالهجوم ودخلت سنة ٢٩١ هـ فأرسل اليهم الخليفة يحضهم السرعة في تنفيذ مهماتهم(٤١٦) .

وبالقرب من حماه التقت القوات الكبيرة العباسية والقرمطية ، وكان على ميمنة الجيش العباسي ، الحسين بن حمدان ، الذي حمل ، بجرأة وشجاعة ، على ميسرة الجيش القرمطي ، وهزمهم وخلخل بذلك القوة القرمطية ، ولم ينج منها إلا القليل من الذين لم يكونوا تحت قيادة صاحب الشامه ، حيث رأى أن يتخلف وراء قواته ومعه الأموال والأرزاق الكثيرة(٤١٧) .

كما حملت القوات العباسية على ميمنة القرامطة وردت هجومها واظهرت قبائل بني شيبان ، وبنى تميم دوراً هاماً في هذه الحروب وفي النصر الحاسم الذي تحقق للعباسيين ، وانزال الهزيمة الساحقة بالقرامطة(٤١٨) .

وما إن وصلت أخبار الهزيمة الى مسمع الحسين بن زكرويه ، الذي كان لا يزال في سلميه ، حتى قرر التوجه على الفور الى العراق متخفياً لكي ينظم أموره(٤١٩) ، لكن القوات العباسية كانت متشددة في طلبه وملاحقته وفي قرية الدالية ، والمعروفة بدالية ابن طوق من أعمال الفرات ، القي القبض على بعض مرافقيه الذين دلوا على مكان وجوده ، وتم القبض على حسين هذا مع مرافقيه وأرسلوهم جميعاً الى الخليفة المكتفى(٤٢٠) ، وكانوا يقدرون بثلاثمائة رجل ، فعذبوا ثم قتلوا إلا الحسين بن زكروية فقد صلب لمدة عام كامل(٤٢١) .

اضعف أسر الحسين القرامطة في الشام ، كما قتل أكثر زعمائهم بهذه الحروب ، واستأمن الكثيرون منهم ، وخاصة زعماء بني العليص ، ومع ذلك جدد القرامطة نشاطهم على يد أبي الفضل بن زكرويه ، وأحد رجاله القاسم بن أحمد ، إلا أنهم اضطروا أمام الملاحقة العباسية وخوفهم من الفتك بهم الى الفرار الى البادية(٤٢٢) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا تمكن الخليفة المكتفى من قهر القرامطة ، بعد أن فشل الطولونيون واخفقوا في حماية الشام ، وطربت الخلافة لهذا النصر ونصبت أقواس النصر وخلعت الخلع على قادة الحرب القرمطية الظافرين وعلى رأسهم محمد بن سليمان الكاتب(٤٢٣) وغيره .

وبذلك خرجت الخلافة ظافرة منتصرة واستردت هيبتها وبدت في ثوب المنقذ في نظر العامة ، وبذلك فتح الطريق أمام الخليفة المكتفي ليتجاوز بلاد الشام الى ما يصبو ويتطلع الى ما عمل من أجله العباسيون ، فتحرك للقضاء على الطولونيين في مصر بعد أن انتهوا في الشام .

ولهذا خلع على محمد بن سليمان الكاتب واسند اليه مهمة استئصال الطولونيين في مصر ، كما سنرى .

كان عجز الطولونيين في بلاد الشام ، ونقمة الرأي العام في مصر والشام عليهم نظراً لما آلت اليه الأمور في هذه الفترة من ضعف وفوضى ، ووهن عاملاً هاماً ساعد القرامطة على ان يستبيحوا القرى والمدن وينشروا الذعر والألم ، الأمر الذي اعطى الخلافة الفرصة لاستغلال هذه الظروف فتصدت بكل ثقلها وامكاناتها للدفاع عن مصالح الجماهير ، ووقوفها هذا الموقف ضد القرامطة ، وكان لنجاحها الأثر الكبير الذي اظهرها بمظهر المنقذ الوحيد واعطاها الفرصة ، بل كل الحق لتنهي ما كان يراود السلطة المركزية في بغداد ضد الطولونيين ، وحققوا نتيجة لذلك خطوة ايجابية مؤقتة داعمة لسياستهم ضد الحركات الاستقلالية في مصر والشام .

وكان للموقف الطولوني وهذه المهانة التي حلت بهم ومقتل خيرة رجالهم وسقوط أسهمهم أثر كبير في نفوس الكثيرين من أبناء الشام الذين بدؤوا بالبحث عن مخرج . ورأى بعضهم في الحركة القرمطية والاسماعيلية على الرغم من الويلات التي لحقت بهم على يدها ، مخرجاً للخلاص من العباسيين الذي لم يشعر هؤلاء المتحمسون للفكرة الأموية بالاتفاق والوئام معهم . فما كان من الكثيرين منهم إلا أن اعتنق الفكرة القرمطية(٤٢٤) .

وكان لمدينة سلمية دور هام حيث أصبح للأهالي دراية ومعرفة بالمذهب الاسماعيلي منذ أن اتخذ الأئمة المستورون من سلمية موطناً لهم ودار هجرة واخذوا يجندون الدعاة منها ويرسلون الرسل الى جميع أنحاء العالم الاسلامي(٤٢٥) .

كما يذكر المقدسي أن بعض مدن الشام كان سكانها من الشيعة «أهل طبريه ونصف نابلس . وقدس ، وأكثر عمان شيعة» ولابد ان انتشار المذهب الاسماعيلي في الشام كان يعود لعهد الإمام محمد بن اسماعيل الذي ولد سنة ١٤١ هـ في المدينة ، وقدم في آخر أيامه الى مدينة تدمر - في بلاد الشام حيث اتخذها مركزاً لإقامته ونشر دعوته ، ولابد انه كان للداعي ميمون القداح الأثر الكبير في نشر المذهب الاسماعيلي في بلاد الشام وفي فلسطين بشكل خاص الذي قصدها هذا وانصرف الى النسك وابتغاء جذب الاشياع الى مذهبه ، وقد يكون لهذا اثره في انتشار التشيع في بعض مدن جنوب الشام(٤٢٦) .

ولقد استغل القرامطة هذا الوضع في المنطقة فاعلنوا أنهم من العلويين الفارين من بطش العباسيين(٤٢٧) .

ونستطيع أن ندرك بسهولة كيف كانت الأمور وكيف انتشرت هذه الدعوة حين نعلم أن أهالي حمص دعوا الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة إبان حصاره لدمشق ، واعلنوا له انهم سيكونون في طاعته ، ونفذوا ما وعدوا به حين سار اليهم تاركاً حصار دمشق بعد أن وضع له أهلها مبلغاً من المال ، ووصلته رسالة أهل حمص يطلبون فيها أن يدع دمشق ويقدم عليهم ، ووعدوه بالطاعة الكاملة(٤٢٨) .

وكذلك ما فعله أهل حماه حين قابل وفد من مشايخها وعلى رأسه أبو الحسين ابن الأسود ، الحسين بن زكرويه ، للسلام عليه(٤٢٩) .

كما أنه لم يذهب حصار القرامطة لدمشق دون فائدة اذ ان هذه الفترة الطويلة من الحصار أدت الى انتشار مذهب القرامطة بين معظم أهالي القرى حولها(٤٣٠) .

ثم أن دخول القرامطة لحمص بهذه السهولة واليسر وقتلهم لحاميتها من الطولونيين ، ومن ثم اتخاذها قاعدة لهم لم يكن ذلك الا لكون أهلها أكثر استعداداً لقبول المذهب الاسماعيلي لقربها من سلمية وتأثرها بها ، حيث كان دعاة المهدي يتخذون من المدن المجاورة لسلمية مقراً لنشاطهم ، كما فعل أبو الحسين بن الأسود كبير دعاة المهدي ، وقد حضر هذا الداعي بالفعل كما رأينا على رأس مشائخ حماة لاعلان تأييدهم للحسين بن زكرويه وولاء مدينتهم له(٤٣١) .

وكان للحروب القرمطية في الشام أثار كبيرة منها أنها لطخت سمعة الطولونيين بعد أن اظهروا عجزهم عن حماية المنطقة والدفاع عنها . وأحس الشعب الشامي أن السيف الطولوني قد صدىء ، وأن البيت الطولوني قد تهدم ، وأصبح هو بحاجة للحماية .

وظهر واضحاً ضعف البلدين نتيجة لتقهقر النظام ، وعجز الجيش عن اداء الواجب الذي وقف قبل فترة أمام الخلافة العباسية وفرض وجوده عليها نتيجة لوحدة البلدين وجهودهما وتعاونهما المشترك(٤٣٢) .

كما أن هذه الحروب احدثت خللاً في المجتمع الشامي وأثرت تأثيراً كبيراً على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ، واعتنق الكثير من الأهالي المبادىء القرمطية الاسماعيلية ، وعلى الرغم من أن المصادر تصنف هؤلاء من «السفلة ، والفقراء والمعوذين ومن ضعاف العقول والبصائر وأهالي السواد والأكراد وجفاة الاعراب وسفهاء الأحداث والملحدين أو ممن يسيرون وراء الحاجة والمال»(٤٣٣) ولابد أن هذه الحروب مهدت طريقها أمام القوى المستضعفة في المجتمع والتي لا تمتلك المقاومة فاتجهوا مع التيار ولم يعاكسوه واعتبروا ذلك هو الحق ، لأن منطق القوة دائماً يحاول أن يفرض الحق معه . إلا أنه مما لاشك فيه أن هؤلاء القرامطة ودعاة الاسماعيليين ، كانوا يغرسون الأفكار ويلقون بالبذور القرمطية الاسماعيلية في مختلف مدن الشام ، الذي سيكون لها الأثر والدور الكبير فيما بعد في توجه الخلفاء الفاطميين من المغرب الى احتلال المنطقة .

ويكفي أن نقول أن سلمية كانت قبل هذه الحروب واثنائها القلب النابض لهذه الحركة الاسماعيلية ، ومنها كانت ترسل الدعاة لمختلف أنحاء العالم الاسلامي ، ومن المدن المجاورة اتخذ بعض هؤلاء مساكنهم ومقراتهم ونشروا فيها تعاليمهم وأفكارهم(٤٣٤) .

إذا حدث خلل اجتماعي وسياسي في الشام نتيجة لما تقدم ، وكان ذلك ضد المصالح الطولونية وعلى حسابها واستفاد العباسيون من التذمر والنقمة ضد الطولونيين ، وتناسى الناس فيها الأحقاد الدفينة في نفوسهم ولو مؤقتاً بسبب هذه المحنة التي خرج نتيجتها الخليفة العباسي المكتفى ، بطلاً شعبياً ، ومنقذاً جماهيرياً من الخطر الذي أحدق بالشام وهدد أمن مصر ايضاً ، وساعده ذلك لاتخاذ قراره بسهولة ويسر دون تأخر أو تلكؤ لانهاء الطولونيين من غير ان يلقى معارضة تذكر في الشام . بل على العكس قام القواد الطولونيون في بلاد الشام الذين ساءهم ما وصلت اليه الأمور من اساءات وتصرفات هرون ووصية ابن أبي ، ولعبوا دوراً هاماً في تحريض الخلافة والاشتراك معها في القضاء على ما بقى للطولونيين(٤٣٥) من نفوذ ، وتم الاتفاق بين محمد بن سليمان الكاتب عدو الطولونيين اللدود ، عندما كان في الشام على رأس القوات العباسية المكلفة بحرب القرامطة ، وبين بعض قادة الطولونيين هناك أمثال بدر الحمامي وفائق الذي وصل مع هؤلاء الى اتفاق وحصل على وعد منهم بتقديم المساعدة للقضاء على الطولونيين(٤٣٦) .

وهكذا أوجدت الظروف وضعاً ملائماً لكافة القوى لضرب القوة المتحدة والقضاء على البيت الطولوني وعلى رأسهم الخليفة المكتفى الذي دفعته الأحقاد القديمة لسحقهم فأوكل ذلك لمحمد بن سليمان مستغلاً علاقته السيئة فأظهر هذا منتهى الحقد في معاملة الطولونيين بما يتفق وشعوره ازاءهم(٤٣٧) .

هـ) دور الخلافة العباسية في إنهاء السيادة الطولونية على الشام :

كان لضعف الطولونيين والوهن الذي حل بهم في مصر أثر واضح وكبير لعب الدور الهام في تحريك كل القوى العاملة ضدهم في المنطقة ، وكانت الخلافة

العباسية هي العقل المسيطر والمسير لكافة هذه القوى والمستفيدة من كل هذه التناقضات ، حتى قدر لها في النهاية إزالة هذه الدولة من الوجود .

وإذا لم يوفق العباسيون بقيادة الموفق في عهد أحمد بن طولون وابنه خمارويه أبعاد الطولونيين ، فمرد ذلك لقوة الدولة النابع من وحدة القيادة ، ويقظتها ، ومن قوة الجيش وتماسك صفوفه رغم كثرته وتناقض عناصره فكلهم كانوا يدينون بالولاء لأحمد بن طولون وتجلت هذه القوة بالمعارك الكثيرة التي خاضتها الجيوش الطولونية في الشام وتدويخها المنطقة ووصولها إلى حدود العراق[٤٣٨] .

إلا أن حركة الخلافة العباسية وصحوتها التي وضع أسسها الموفق قدر لها أن تتقدم وتصل إلى ذروتها في هذه الفترة في عهد ابنه أبي العباس (المعتضد)[٤٣٩] .

هذا الخليفة الذي نشأ واشترك في الصراع الدائر في المنطقة وتمرس على النضال ، وعرف فنون القتال في كنف أبيه ، وتخرج من مدرسة الحياة القاسية ، وما أن استلم زمام الأمور حتى كانت الدولة قد قطعت شوطاً كبيراً في الاستقرار السياسي والغنى المادي والاصلاح الاداري الذي بدأه أبوه[٤٤٠] وامتاز عهده بمباشرته لكافة صلاحياته الادارية والسياسية بنفسه وبيد قوية ، وانفرد هذا الخليفة بالحزم والشجاعة ، كان ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من أفراد بني العباس وخلفائهم وشخصياتهم ، وكان يقدم على الأسد وحده[٤٤١] .

امتدت جهوده إلى الجيش فاهتم بتأهيله وتدريبه ، وبدأ عهده باستلام زمام الأمور كافة ، وتصدى لجميع الأحداث ، وذلك بعكس ما ألفناه من عمه المعتمد المتخاذل المتردد[٤٤٢] . خرج بنفسه لكافة الحركات الانفصالية ، وإخماد الفتن ، وتأديب الخارجين ، ولو تركها وشأنها لأسفرت عن قيام دول اقليمية جديدة[٤٤٣] .

ففي سنة ٢٨٠هـ تصدى لقبائل بني شيبان العربية في منطقة الجزيرة والموصل ، وأنهى شغبهم وخطرهم الكبير على سلطة الخلافة ، ولاحقهم حتى أعلنوا الاستسلام[٤٤٤] .

كما خرج في سنة ٢٨١ هـ إلى قلعة ماردين التي تحصن بها حمدان بن حمدون جد الأسرة الحمدانية ، وحاصر القلعة حتى استسلم هذا القائد العربي وأعلن ولاءه للدولة العباسية ، وقضى على هذه الحركة الانفصالية(٤٤٥) ، وهكذا لم يترك أي تحرك إلا وخرج إليه بنفسه كما خرج إلى مناطق في بلاد الشام والثغور ولم يترك بها مكاناً إلا جابه حتى اعتبر من أعظم الخلفاء العباسيين متابعة وعملاً لحركة الجهاد(٤٤٦) .

وفي عهده زاد تربص الخلافة بالطولونيين ، وأخذت تنتظر الفرصة المواتية لانهائهم . وظهر حنق الخلافة على الطولونيين في أكثر من مناسبة فما أن يسمع الخليفة بتمرد بعض القادة الأتراك الفارين من مصر اثر المؤامرة التي انتهت بمقتل جيش بن خمارويه سنة ٢٨٣ هـ حتى بادر الخليفة لارسال الأرزاق والمؤن والعطاء والهدايا واستقبلهم أحسن الاستقبال والوفادة(٤٤٧) .

ولا أدل على موقف هذا الخليفة من الطولونيين وتهيبه منهم ، ومن ثم انقلابه عليهم كلما سنحت الفرصة ، من قصة طريفة وردت حول علاقته بزوجته قطر الندى بنت خمارويه ، حيث دخلت مجلسه ولاحظت منه فتوراً حيث لم يقدم لها الوسادة التي كان قد عودها على تقديمها لها كلما حضرت مجلسه ، فما كان منها ، إلا أن تنبهت لفطنتها البارعة التي عرفت عنها ، وقالت «أعظم الله أجر أمير المؤمنين» قال فيمن قالت في عبده خمارويه ، ولم تكن قد أخبرت بموت والدها ، فخجل منها ، وأقسم لها أن سيرعاها في موت أبيها أكثر من رعايته لها في حياته(٤٤٨) .

ولا بد أن المعتضد كان يتهيب الطولونيين من جهة ، ثم أنه احترم العهد الذي قطعه لخمارويه قبل وفاته ، واحتراماً منه لوفاء زوجته ، وحقها عليه وحرصه على رضاها ، كل هذه الأمور لا بد أنها أثرت في موقفه وجعلته لا يكشف عن نياته العدوانية السافرة إلا بعد وفاتها(٤٤٩) .

واستمرت صحوة الخلافة في عهد الخليفة الجديد المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ ، ٩٠٢ - ٩٠٨م) وتابع طريق الاصلاح السياسي والاقتصادي وكتب له

النجاح الواسع . وتجمعت لديه قدرات لا تقل عن قدرات أبيه ، فقام بتنظيم القوات المسلحة العباسية والاشراف عليها وأسند قيادتها لمحمد بن سليمان الكاتب ، وأغدق على الجنود العطاء وأطلق لهم دفعة واحدة مائة ألف دينار(٤٥٠) .

كما خرج بنفسه على رأس الجيش الذي كلفه بالقضاء على الثورة القرمطية في الشام ، وأشرف على إعداد هذه القوات وانطلاقها من مضاربه ببات الشماسية(٤٥١) ، وفي هذا دليل آخر يؤكد اهتمام هذا الخليفة وجديته في العمل الذي قام من أجله ، فضرب بذلك المثل لغيره ، وتمكن بجهوده من القضاء على أكبر حركة تمرد وثورة عرفتها الخلافة ونقصد بها الحركة القرمطية التي فاقت ثورة الزنج وتصدي الخلافة لها مدة خمسة عشر عاماً .

وتكللت جهود هذا الخليفة العباسي بتقليم أظافر الطولونيين وضربهم في الثغور وشرق بلاد الشام ، ومن ثم تزعزعت الثقة بهم في بلاد الشام كلها واتخذها قاعدة انطلاق لجيشه الذي خرج بقيادة محمد بن سليمان وأتى على الطولونيين نهائياً في مصر كما سنرى .

- حملة محمد بن سليمان الكاتب على مصر :

اختارت الخلافة العباسية شخصية محمد بن سليمان الكاتب قائداً عاماً لغزو مصر ، وهو القائد الكبير الذي قصم ظهر القرامطة في الشام ، والحاقد القديم على الطولونيين ، فهو من صنائع الطولونيين وعبيدهم عمل كاتباً للؤلؤ ، وسخط عليه ابن طولون وكان يود دائماً أن ينكل به حتى قبل أن يقدم على خيانته مع لؤلؤ وفرارهم إلى بغداد دون أن يصلهم عقاب أحمد بن طولون(٤٥٢) ، كما رأينا ، فكان اختياره لمعرفته التامة لأوضاع بلاد الشام ومصر ، كما كان له ثأر قديم عند الطولونيين ، وأحقاد دفينة في نفسه تدفعه للانتقام منهم(٤٥٣) ، وابن سعيد يعبر عن شعور محمد بن سليمان هذا بقوله «دولة تأثلت وتورثت يأتي كلب من صنائعها يريد ذهاب رسومها بالكلية»(٤٥٤) .

كما يمكن لنا أن نشير إلى سبب هام ومباشر عجل بانهاء الوضع الطولوني في الشام ومصر ، ونقصد به الأهمية الاقتصادية والغنى المادي لهذين القطرين وخيراتهما الوفيرة للدولة العباسية ، والتي انقطعت أثناء الأزمات السياسية وتحكم بها الطولونيون وخاصة في عهد أحمد بن طولون ، لذلك كانت الخلافة تواقة إلى ابتلاع خيرات البلدين ولهذا دخلت في خلاف مادي مع هارون الطولوني الذي تلكأ بعد أن عجز عن تسديد الأموال التي فرضتها عليه الخلافة العباسية سنوياً إثر معاهدة سنة ٢٨٦هـ ، وخاصة بعد انفصال الشام وتسلط طغج بن جف عليها ووضع يده على امكانيات البلاد مادياً وقطع خيراتها عن مصر . وما قاد ذلك من أزمة مالية عانى منها الطولونيون في هذه الفترة العصيبة ، وامتناع هرون من تسديد المبلغ «٤٥٠ ألف دينار» المفروض سنوياً . وهذا ما قاد الخلافة ودفعها إلى محاولة الاستيلاء على مصر بالقوة المسلحة(٤٥٥) ، وهكذا كان ضياع خيرات الشام وأموالها من الأسباب أيضاً التي عجلت بالمصير الطولوني في مصر .

ويمكن أن نقول استنتاجاً أنه من الدوافع الهامة للخلافة للتصدي للقرامطة وإخراجهم من المنطقة طمعاً منها في ضرب الطولونيين في الشام ومصر أكثر من أي سبب آخر . فلقد كان انتصارها مقدمة لفتح مصر ، ولهذا خلع المكتفي على محمد بن سليمان الكاتب يوم الأحد الأول من رجب سنة ٢٩١هـ وعلى نفر من القادة ، منهم محمد بن اسحق بن كنداجيق ، وخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر ، وابن كغلغ وبندقة بن كمشجور وغيرهم وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان(٤٥٦) .

وخرجوا جميعاً قاصدين دمشق ومصر لقبض الأعمال من هارون ورحل محمد بن سليمان من باب الشماسية من مضربه في ٢٤ رجب وتحت أمرته عشرة آلاف رجل(٤٥٧) .

وقد اتخذ العباسيون من الاستعدادات الكفيلة بالنجاح حيث جهز الحملة بقائد تملك نفسه الرغبة بتنفيذ هذه المهمة ، وأشرك معه جميع القواد الذين اشتركوا بحرب القرامطة ، وزادت خبراتهم العسكرية ومعظمهم من الذين عملوا في

خدمة الطولونيين ، وهم على دراية كاملة بأحوال البلاد ومسالكها . كما أعد لهذه الحملة خيرة جيش الخلافة من الخراسانيين الأشداء[٤٥٨] .

كما دعم هذا الجيش البري حرصاً من الخلافة واطمئناناً على تحقيق النصر بحملة بحرية أوعز الخليفة الى دميانة قائد الأسطول العباسي في بلاد الشام والثغور ، بالإبحار على الفور والتوجه إلى مصر لمساعدة محمد بن سليمان ، ومهاجمة القوات الطولونية ، وقطع كافة الامدادات عنها التي قد تأتيها من أي منطقة كانت[٤٥٩] .

واتجه محمد بن سليمان إلى بلاد الشام وأخذ يجتاح مدنها ، دون أن يلقى مقاومة تذكر[٤٦٠] وقبل أن يدخل دمشق انضم إليه بدر الحمامي . الذي كان والياً على الشام[٤٦١] . كما انضم اليه فائق وغيره بمن معهما من الجيوش[٤٦٢] وقدمت باقي القوات الطولونية فروض الطاعة وانحاز إليه كبار القواد الذين شاركوا أحمد بن طولون في حروبه ضد الخلافة ، كطغج بن جف ، والحسين بن أحمد الماذرائي ، وغيرهم من الناقمين على هارون وابن أبي[٤٦٣] .

وازدادت القوات العباسية عند دخولها فلسطين وأعلن واليها ابن سوارتكين العامل الطولوني الطاعة والانضمام إلى الجيوش العباسية[٤٦٤] . كما لحق بهم صافي مولى خمارويه أيضاً .

كان من الواضح بعد انضمام كافة القادة والقوى في الشام الى العباسيين وانضوائها تحت لواء الخلافة وجيوشها ، أن لا تجدى نفعاً مقاومة هرون بن خمارويه وقواته الضعيفة ضد هذه القوى المجتمعة ، ورغم ما وصلته من أخبار سيئة من الشام ، ونجاح محمد بن سليمان السريع ، وموقف معظم قادته هناك ، فقد صمم على المقاومة ، وكاتب هؤلاء الخارجين عليه أمثال بدر الحمامي ، وفائق وغيرهما علهم يعودون إلى جادة الصواب وذكرهم بعهودهم لكنهم لم يستجيبوا لاستعطافه ونداءاته[٤٦٥] .

وقاد هرون المحاولة الأخيرة وتجمعت القوات البرية عند بلدة العباسة على أطراف حدود مصر الشرقية ، وكانت طليعة القوات العباسية بقيادة الحسين بن حمدان ، تجاوزت الفرما ، ووصلت جرجير(٤٦٦) .

وفي هذه الأثناء كانت القوات الطولونية البحرية بقيادة وصيف القطرميز وخصيب البربري تستعد لمواجهة القوات البحرية العباسية بقيادة دميانة البحري ، وعند تنيس انهزم الأسطول المصري وسقطت المدينة بيد دميانة ، الذي اتجه على الفور صوب دمياط ورفض أهلها الأمان الذي وجهه لهم دميانه غير أن قواتهم انهارت أمام القوات البحرية العباسية ، ودخلها دميانة واستولى على المراكب المصرية وأسر بحارتها ورجالها(٤٦٧) ، وتقدم بعد ذلك وحقق ما كان يهدف إليه من قطع الامدادات عن مصر .

وفي غمرة هذه الأحداث ، والطولونيون بأمس الحاجة إلى شد الصفوف واليقظة التامة ، يظهر ضعف نظامهم وعدم جدوى المقاومة ويتشاغل الأمير هرون بملذاته الخاصة ، ويطمع عماه شيبان وعدى (ابنا أحمد بن طولون) بالأمر ويصممان على قتله فما كان منهما إلا أن دخلا عليه وهو ثمل وقتلاه(٤٦٨) ليلة الأحد في ١٩ صفر سنة ٢٩٢هـ . وكان مصرعه ضربة كبيرة للمقاومة الطولونية وطعنة لصفوفهم ، حيث انضم أنصار هرون ومؤيدوه إلى القوات العباسية(٤٦٩) .

وفي أثناء ذلك وفي ولاية شيبان في صفر سنة ٢٩٢هـ تقدمت القوات العباسية بعد أن اطمأنت للنجاح ، وضربت الحصار على الفسطاط والقطائع(٤٧٠) ولم تجد نفعاً الجهود التي بذلها شيبان ، من كسب ود الجنود وتوزيع الأموال ، فما كان منهم إلا أن تفرقوا وبدؤوا ينضمون إلى محمد بن سليمان الكاتب ويطلبون منه الأمان ، وعند ذلك اضطر شيبان لطلب الأمان له ولأهله من الطولونيين فأعطاهم ذلك محمد بن سليمان الذي لم يحترم هذا العهد كما سنرى(٤٧١) .

ثم دخل محمد بن سليمان الكاتب يوم الخميس الأول من ربيع الأول سنة ٢٩٢هـ وأمر باحراق القطائع ، فأحرقت ، ورغم الأمان الذي أعطاه هذا

للطولونيين ، فإن المعاملة التي لاقتها الأسرة الطولونية والخراب الذي أصاب حضارتهم في مصر فاق حد التصور ، فلم يكتف بحرق القطائع بل نهب أصحابه الفسطاط وقام بهدم المعالم الطولونية وآثارهم ، فأقدم على هدم القصر والميدان ، وعمل على نقل الآثار والتحف الطولونية من مصر إلى بغداد . وأخرج كذلك جميع الأسرة الطولونية وعددهم عشرون إنساناً(٤٧٢) من مصر إلى بغداد مع قوادهم ومواليهم ولم يبق منهم أحد يذكر .

هذا الحقد العباسي الذي نزل بالطولونيين على يد رجل من صنائعهم لا يمكن أن يفسر إلا بالحقيقة الكبرى وهي سخط الخلافة وحقدها الدفين على هذه الأسرة التي تمكنت من استغلال الأوضاع العامة في مصر والشام ، وقامت بتوحيد هذين البلدين في دولة موحدة وقفت أمام الخلافة العباسية ، ونافستها على زعامة العالم الاسلامي . وجعلت منها قوة كبيرة هابتها القوى المختلفة في بغداد ، وشعر أهلوها أن في استقلالهم هذا عزهم وكرامتهم ، كما أن في اتحادهم قوة ومنعة(٤٧٣) .

ولا شك أنه لو استمر الطولونيون في متابعة الطريق الذي رسمه مؤسس الدولة ، ودامت وحدة البلدين فترة طويلة ، لشغلوا دوراً كبيراً له أثره في مسيرة العالم الاسلامي وتاريخه في العصور الوسطى ، فقد تركت هذه الوحدة والحركة الاستقلالية التي أسسها ابن طولون صدى في صدور المصريين والشاميين ، وشعروا بفائدتها وقيمتها وأدركوا أن قوتهم بها(٤٧٤) . ولهذا لم ينسوا هذه التجربة التي سيعبر عنها القطران بمناسبات كثيرة ولم يكن جور محمد بن سليمان وحقده فقط لمجرد نزوة شخصية بقدر ما كان يرتكز على أسس بعيدة وحقد كبير للخلافة وحب منها ورغبة في إزالة آثار هذه الأسرة التي عملت على وحدة البلدين مصر والشام ، وأقلق الخلافة وآلمها قيام هذه القوة الموحدة بين البلدين الهامين استراتيجياً والغنيين اقتصادياً ، واستقلتا عن مركز الخلافة في بغداد .

هذه النقمة الشعبية التي ظهرت في الشام ومصر خاصة اثر هذا الدمار الذي رافق عملية استرداد مصر إلى نفوذ العباسيين والسلطة المركزية ، التي استغلها ابن الخلنجي أو بالأحرى ظهرت في الثورة المسلحة التي قادها هذا الضابط المصري

نتيجة لما حل بالطولونيين ولشعور الناس العفوي في مصر تجاه دولتهم وحضارتهم التي رثاها شعراؤهم وأظهروا تأثرهم عليها بكثرة مراثيهم لها[٤٧٥] .

و) ثورة ابن الخليج وآثارها وموقف الشام ومصر منها :

كان لوجود الدولة الطولونية التي اسسها احمد بن طولون ودعم اركانها ابنه خمارويه ، الاثر الواضح في مصر اذ تركت صدى استقلالياً عميقاً في صدور المصريين ، وتأصلت جذورها في انفسهم ، وان هذه الرغبة في الاستقلال ظهرت في النزعات الاخيرة بتلك المقاومة العنيدة التي قام بها سكان الفسطاط بعد ان سبق السيف العذل ، وظهر واضحاً ان المقاومة لا تجدي نفعاً . ومع هذا فانهم تنبهوا في آخر لحظة للخطر وادركوا ان حركتهم الاستقلالية التي بعثت تمر في محنة فحاولوا الانتفاضة ، فقاموا وعلى رأسهم شيبان يقدمون آخر سهم في مقاومتهم التي تنم عن روح معنوية عالية كشف عنها مؤرخو مصر الاسلامية حينما عرضوا لهذه الساعات الاخيرة من عمر الطولونيين[٤٧٦] «لما اعيت شيبان الحيل ولم تكن له طاقة بالمقاومة جمع وجوهاً من اصحاب دولته ، وقال لهم : اني ارى هذه الدولة قد نادى غرابها بالرحيل ولم يبق منها الا قدر التقاء الجمعين ، فما ترون ؟ فقد فرغت الاموال وفر الرجال فبكى الاولياء بين يديه وقالوا بل نصبر حتى نموت كراماً ، دولة قد تأثلت وتورثت يأتي كاتب من صنائعها يريد ذهاب رسومها بالكلية ؟ ألا يتحدث عنها بذلك» . . .

وبعد ان انتهى جزار بني طولون من تدمير ودثر الحضارة الطولونية وبما قام من اعمال وتصرفات تدعو للريبة والاسى ، فزاد بعمله هذا سخط المصريين واستياءهم وبدا هذا الشعور بكثرة المراثي التي صدرت على ألسنة شعراء مصر بتلك الفترة[٤٧٧] .

وكانت سياسة محمد بن سليمان وابعاده جميع القوى الوطنية وضربه الاعناق والفتك بالشعب ، ورغبته في طمس الفكرة الطولونية ووأدها ، وامره بنقل الاموال والممتلكات الطولونية النفيسة والقيمة من منسوجات وخيول وغيرها الى

بغداد . ولاحق الطولونيين ومواليهم فخلت منهم الديار ، وحل بهم الذل والتشريد[٤٧٨] .

وقام محمد بن سليمان بعد ذلك بتوزيع التركة الطولونية على القادة الذين شاركوه في طمس المعالم الطولونية في مصر والشام ، فقام بمكافأتهم وتسليمهم حكم بعض الاقاليم ، فبعث بطغج بن جف والياً على اعمال قنسرين وضم اليه جمعاً من جنود بني طولون ، كما اخرج بدر الحمامي والياً على دمشق[٤٧٩] ، وبعث بعيسى النوشري الذي اشترك معه في مهمته هذه الى الخليفة المكتفي يحمل اليه بشائر الانتصار ، وما ان وصل هذا الى دمشق حتى وافاه كتاب الخليفة بالعودة الى مصر وتوليه عليها ، فارسل اليها نائباً من طرفه[٤٨٠] .

وترك محمد بن سليمان مصر في رجب سنة ٢٩٢ هـ عائداً الى العراق ، بعد ان رتب امورها وعين على اقاليمها الحكام بناء على كتاب ورد من الخلافة في بغداد[٤٨١] .

وما ان وصل محمد هذا الى حلب حتى وافاه رسول الخليفة بتسليم ما معه من ذهب ومال وعتاد ومنسوجات وخيول قدرت بحوالي مليون دينار[٤٨٢] .

وكان لهذا الطلب اسوأ الاثر في نفس هذا القائد الظافر ، الذي ادرك الخليفة انه لن يرتاح له وتوقع منه الثورة فما كان منه الا ان امر قواد جيشه في حلب بالقبض عليه واعتقاله ، فقام ذكا الاعور وابو الاغر وحبساه في احد دور حلب ، ومن ثم تم ارساله تحت المراقبة الشديدة الى بغداد[٤٨٣] .

وفي بلاد الشام بادر بالانفصال عن ركب محمد بن سليمان الكاتب ضابط من الجيش الطولوني اسمه ابن الخليج[٤٨٤] . وهذا الضابط من الجنود المصريين الذين يمثلون العناصر الوطنية التي تسربت الى الجيش الطولوني في عهد احمد وازداد سلطانها في عهد ابنه خمارويه[٤٨٥] ، وهو من الضباط العاملين في فرقة صافي الرومي[٤٨٦] .

ولقد كان هذا الضابط وثورته رمزاً للروح الاستقلالية التي تطلع اليها المصريون ، فعبر عنها بثورته المسلحة التي اعقبت سقوط الطولونيين مباشرة ، حيث تولدت عنده روح الرغبة في الانتقام والحسرة لما آل اليه امر الطولونيين . وحز في نفسه ان يشاهد اموال مصر وخيراتها وامكانياتها تنقل الى بغداد ، على هذا النحو ، وان يقضى على الطولونيون في هذه الصورة ، والتفت حوله اعداد كبيرة من الجند والضباط الذين كانوا في خدمة بني طولون قبل زوال دولتهم وكانوا لا يزالون يذكرون عظمة هذه الدولة ويعيشون ذكرى الماضي ، كما كرهوا ان يتركوا مصر الى بغداد ، وهم لا يعلمون ما ينتظرهم هناك . لذلك وجدت حركته هذه رغبة عند هؤلاء البقايا الطولونية التي كانت لا تزال في فلسطين ، فما كان منهم الا ان بايعوه على ذلك وناصروه على العصيان وانضم اليهم شراذمة من المصريين وغيرهم[٤٨٧] .

وربما انضم اليه ايضاً غير المصريين بعض الشوام في فلسطين وخاصة اذا تذكرنا عداءهم التقليدي للعباسيين وشعورهم بالغبن في عهدهم ، ولا بد انهم لاقوا معاملة قاسية على يد جلاد بني طولون محمد بن سليمان الكاتب ، وعلى كلا الاحوال ، فالسياسة الشامية هي في عداء مستمر للعباسيين ، ولا بد انه انضم اليه الكثيرون في فلسطين من ابناء المنطقة ، والا كيف نفسر كثرة عناصره قبل دخوله حدود مصر الشرقية لا سيما عندما كان لا يزال في بلاد الشام وانتصاراته المتكررة في مدن الشام على الولاة العباسيين وقادتهم في الرملة وغزة وغيرهما كما سنرى[٤٨٨] .

فالمصادر تؤكد انضمام «جماعة في طريقه حبو الفتنة حتى كثر جمعه»[٤٨٩] اليه وما ان صار الى مصر حتى عجز النوشري عن محاربته . وفيها لاقى تأييداً كبيراً وعاطفة صادقة وذلك لترحيب الناس به وبدعوته وقبولهم الفكرة لما تفشى فيهم من حب الطولونيين وامتلأت صدورهم بالنقمة على العباسيين ، فكان الناس «يأتونه من كل فج لما في نفوسهم من تشتتهم عن بلادهم واولادهم واوطانهم»[٤٩٠] «ودخلوا في طاعته دون مطمع من غير دينار ولا درهم» .

اذا خرج ابن الخليج من ركب محمد بن سليمان الكاتب مؤيداً الدعوة وبايعه من التف حوله من الجند والضباط قائداً عليهم ، وعقدوا جميعاً العزم على احياء الدولة الطولونية وتوجه الجميع شطر الرملة وهزموا واليها العباسي وصيف بن صوارتكين في شهر شعبان سنة ٢٩٢هـ(٩١) ، وقتل العديد من رجاله ، ودخل الرملة وملكها ، ودعا على منابرها للخليفة العباسي المكتفي ومن بعده لابراهيم بن خمارويه بوصفه الامير الشرعي رغم انه سجين بغداد ومن بعده لنفسه نائباً عن ابراهيم الطولوني .

وهكذا بدت بوادر نجاح هذه الثورة واعجب الناس بقائدها ورغم انه اعلن التبعية للعباسيين ، الا ان الخلافة اعتبرت ذلك خروجاً عن طاعتها ، وهي لم ترض قطعاً بهذا العمل ، ولذلك قررت استئصاله من الجذور واوعزت لواليها على مصر عيسى النوشري تجهيز الجيوش ومقابلته ، ونازله هذا على حدود مصر الشرقية والتقى الجيشان عند غزة(٩٢) وكان النصر حليف ابن الخليج ، واتجه بعد ذلك الى العريش وبالقرب منها تغلب على نجدة عباسية ايضاً قدمت عن طريق الشام بقيادة احمد بن كيغلغ وهزمهم اقبح هزيمة . وكان دخوله العريش في ٢٥ صفر سنة ٢٩٣هـ(٩٣) ، واتجه بعدها الى الفرما ، وتابع انتصاراته على فلول الجيوش العباسية المهزومة .

وعلى اثر ذلك اعد النوشرى جيشاً كبير العدد والعدة واستعد للقائه عند بلدة العباسة ، على مشارف مصر وهناك انهزم هزيمة منكرة امام القوات الثائرة والتي اجبرته لتعديل سياسته والجلاء عن الفسطاط فنزل بجيشه عند الجيزة(٩٤) ، وحاول منع ابن الخليج من دخولها بقطع جسر المدينة واحراق المراكب الراسية ، لكنه عجز عن تحقيق اهدافه ودخلت الجيوش الزاحفة الفسطاط(٩٥) .

ولا يمكن ان نفسر هذه الانتصارات السريعة والساحقة لضابط صغير خرج من صفوف الجيش العباسي العملاق الذي دمر الطولونيين وانتزع معالم آثارهم وحضارتهم ، وقهر قبل قليل اكبر حركة عرفتها الشام في تلك الفترة ونقصد بذلك الثورة القرمطية ، لا يمكن ان يتم هذا النصر لابن الخليج الا لدعم الشعب المصري ، وتحمسه لفكرة الثورة التي اعلنها الخليجي ضد الخلافة العباسية التي

قضت على دولة لها في مصر طابع اقليمي[٤٩٦] ، وكانت فيما سبق تنفق اموالها على يدها وتصرف خيراتها في البلد ، ولا تنقل الى الخلافة وجيوب الاثرياء في بغداد ، هذا فضلاً عن التخريب الذي حاق بمصر ، وما ترك من مآسي في نفوس المصريين[٤٩٧] .

وانطلاقاً من هذا كله يمكن ان نقرر ان الشعب المصري تحمس لفكرة ابن الخليج ، ووقف لجانبه وعاضده في التصدي للقوات العباسية البغيضة ، والاستيلاء على الفسطاط والاسكندرية ، وغيرهما ، وقهر جيش عباسي آخر جديد أتى خصيصي من بغداد لضرب هذه الثورة[٤٩٨] .

كما انه لا يمكننا ان نسقط دور الشام ، ومساعدتها هي الاخرى بما قدمت له من دعم معنوي على الاقل ، واذا لم تشر المصادر لدورها الايجابي في هذه الثورة ، الا انه مما لا شك فيه انها ايدت هي الاخرى حركته وانضمت اليه العناصر الكثيرة وهو لا يزال في فلسطين حتى زادت قواته على خمسين الفاً وهو لا يزال بعد على حدود مصر الشرقية . ولعبت دورها في نصرته على الجيوش العباسية[٤٩٩] .

وعندما دخل ابن الخليج الفسطاط ، احسن الشعب استقباله ودعا له على المنابر ، بعد الخليفة وابراهيم بن خمارويه ، وبدأ يعمل على تهدئة الامور والقضاء على الفوضى وأخذ يقوم بجمع الاموال اللازمة ويبدو انه لم يفلح بهاوكانت سياسته المالية عامل ضعف والاسفين الاول الذي وجه لثورته من الداخل[٥٠٠] . وتابع عمله العسكري ضد النوشرى في منطقة الاسكندرية ، وكانت الحروب بينهما سجالاً ولم ينتصر فريق على آخر[٥٠١] .

وعلى اثر ذلك تضايق الخليفة العباسي المكتفي من هذا الوضع الذي آلت اليه مصر ، وخاف عاقبة الامور ، فبدأ بارسال الجيوش الى مصر ، وجهز حملة برية بقيادة ابي الاغر ، واشترك معه احمد بن كيغلغ امير دمشق في هذا القتال ، الا انهم لاقوا هزيمة منكرة امام قوات ابن الخليج في سنة ٢٩٣ هـ[٥٠٢] .

وبعد هذه الهزيمة التي نزلت بالقوات العباسية بقيادة ابي الاغر واحمد بن كيغلغ ، عظم الامر على الخلافة ، وندبت على الفور لمحاربة ابن الخليجي

واصلاح امر المغرب ، فاتكا مولى المعتضد ، وضم اليه بدر الحمامي ليكون مشيراً ونصيراً ، كما زود بمهرة القادة وبالجنود الكثيرة[٥٠٣] وأمر بسرعة الخروج ، كما دعم هذا الجيش بحملة بحرية بقيادة دميانة على غرار الجيوش التي ارسلت للقضاء على الطولونيين بقيادة محمد بن سليمان سابقاً ، وزيادة في اهتمام الخلافة العباسية بأمر هذه الحملة وحرصاً منها على تنفيذ مهماتها والقضاء على هذه الثورة فقد قرر الخليفة المكتفي الخروج بنفسه الى بلاد الشام ، لذلك خرج ركب الخليفة ونصب مضربه بباب الشماسية ، وبينما يقوم باستعداداته للتحرك وافته الاخبار بمصير ابن الخليج[٥٠٤] .

فقد التقى فاتك مع ابن الخليج بالقرب من النويرة[٥٠٥] احدى قرى بني سويف ، وكانت هذه المعركة نهاية ابن الخليج حيث تعرض لمؤامرة كبيرة ، انضم على اثرها اربعة الاف من عساكره الى القوات العباسية العدوة ، فتقهقر عائداً الى الفسطاط ، والتجأ الى احد اصدقائه الذي خانه ودل عليه وقبض عليه في رجب سنة ٢٩٣ هـ بعد ان استمر سلطانه في مصر سبعة اشهر وعشرين يوماً[٥٠٦] . وأخذ بعد ذلك إلى بغداد فقام الخليفة وعنفه وشهر به وباصحابه واخيراً قتل شر قتلة[٥٠٧] .

وبذلك استراحت الخلافة من منافس خطير كاد ان ينجح في اعادة الدولة الطولونية ، ويحقق احلامه واهدافه الخاصة ، ويضرب بجهود الخلافة عرض الحائط ، فكان هذا النصر فرصة كبرى للعباسيين وحقق لهم الحلم وعادت مصر والشام نهائياً في هذه الفترة للحكم المباشر العباسي .

اما بالنسبة للآثار التي رافقت هذه الثورة في مصر على الحكم العباسي ، في كل من مصر والشام . ففي مصر كان لفشله فيها زيادة لسوء الاحوال والتي كانت سائدة في مصر ابان سقوط الطولونيين وبعدهم ، وازداد الولاة في قبضتهم وتشديدهم على الاهالي ، وقاموا باجراءات تعسفية ضدهم[٥٠٨] .

كما ان هذا النزاع الذي استمر طيلة ثمانية اشهر تقريباً بينه وبين عيسى النوشري القى بالبلاد في هوة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار الذي أضر

بالبلاد اقتصادياً ، ونشر عدم الاطمئنان وشجع على الفوضى ، فزادت البلاد خراباً ، كما ان ابن الخليج احتاج في صراعه ضد القوات العباسية وتأكيد الامن في البلاد الى الاموال الكثيرة كي يقوم بشراء العناصر ودفع رواتب الجند ، وهذا ما ادخله في مأزق كبير مع الاهالي الذين رحبوا به وتعاطفوا معه ، واذا به يجر البلاد الى الدمار والهلاك ، وفي ذلك يقول ابو المحاسن(٥٠٩) : «وزالت دولته وروحه بعد ان افسد احوال الديار المصرية وتركها خراباً يباباً من كثرة الفتن والمصادرات ، قلت : وامر محمد هذا من العجائب ، فانه اراد اخذ ثأر بني طولون والانتصار لهم ، غيرة على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من افساده الديار المصرية ، فوقع منه ايضاً اضعاف ما فعله محمد بن سليمان وكان حاله كقول الشاعر :

رام نفعاً وضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا»

اما في الشام ، فقد تأثرت بالفوضى السياسية في مصر ، وانشغلت القوات العباسية فيها بحركة ابن الخليج ، وتعرضت لغياب السلطة فيها فاستغل القرامطة هذا الوضع وزادوا من نشاطهم وانشغال الخلافة في هذه الثورة وغياب والي دمشق احمد بن كيغلغ الذي اشترك مع القوات العباسية المكلفة بانهاء تمرد ابن الخلنجي(٥١٠) .

واقدم زكرويه بن مهرويه بعد مقتل صاحب الشامة ابنه ، وانفذ احد اتباعه ممن كان يعلم الصبيان بقرية تدعى «الزابوقة» من عمل الفلوجة ، ويسمى عبد الله بن سعيد ، ويكنى ابا غانم ، وسمي «نصراً» فقام هذا وطاف على احياء بني كلب ، يدعوهم لرأي سيده ، فأيده رجل من بني زياد يسمى مقدم بن الكيال ، وامده بعناصر من الاصبغيين المنتمين الى الفواطم ، كما انضم اليه بعض السفلة من العليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب ، فقصد بهؤلاء جميعاً ناحية الشام(٥١١) .

واغتنم نصرا هذا غياب الوالي من الشام ، واتجه نحو مدينتي بصرى واذرعات في كورتى حوران والبثنية ، فخاف اهلها ، ورغم انه أمن الاهالي الا انه

اقدم على قتل المقاتلين والجنود ، وقام بسبي الذرارى ، وسلب الاموال والارزاق .

واتجه الى دمشق ، فتصدى له بعض المصريين وعليهم صالح بن الفضل نائب ابن كيغلغ ، فتغلب عليهم القرمطي ، وقتل صالحاً هذا وتقدم اهل دمشق بالاموال الكثيرة مقابل تركه لمدينتهم[٥١٢] .

وتابع القرامطة اجتياح المدن الشامية ، فوصلوا طبرية[٥١٣] وفيها واقعهم يوسف بن ابراهيم بن بغامردى عامل احمد بن كيغلغ على الاردن فكسروه واعطوه الامان ، لكنهم غدروا به وقتلوه . وقاموا بنهب مدن الاردن وسبوا النساء وقتلوا الرجال ، ولقيت مدن الشام المآسي على ايدي هؤلاء .

وعلى اثر ذلك انفذ الخليفة العباسي المكتفي الحسين بن حمدان وغيره من القواد ، وأمرهم بالخروج الى دمشق وملاحقة هؤلاء القرامطة فتبعهم الحسين هذا الى طبرية ، ولما علم هؤلاء بقدومه عطفوا باتجاه السماوة . وتبعهم الحسين ولاحقهم ، فتراجعوا من الشام واتجهوا نحو هيت واهلها بغفلة منهم واقدموا على نهبها[٥١٤] .

وهكذا نجح القرامطة في هذه الفترة المضطربة من تاريخ الشام ومصر ، وقاموا بنشر الذعر والالم والخوف ويعود ذلك الى ضعف السلطة لا بل الى غيابها في مصر والشام وعدم وجود القيادة الموحدة ولسقوط الدولة الطولونية التي اثار غيابها الاسى واليأس ، وقاد الى ضعف المنطقة واشتعال ثورة ابن الخليج التي شغلت كافة القوى بالدولة العباسية ، وادخلتها في حلبة الصراع في مصر وهذا ما اثر بدوره على الامن والاستقرار في الشام ، ودفع ببعض القبائل العربية للتحرك والانضواء تحت لواء القرامطة الذين استغلوا فيهم روح التمرد والحروب والطمع في الغزو والنهب والتطلع الى الحكم ، وبذلك اعاد التاريخ نفسه واوضح لنا ان استقرار الشام مرتبط بالامن في مصر . وان اضطراب الامن في مصر يؤدي بالتالي الى عدم الاستقرار في الشام .

☆☆

حواشي الباب الثاني

(١) الطبري : المصدر السابق - جـ٩ - ص ٣٨١ - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ٣ - ص٦
(٢) حامد غنيم : المرجع السابق - ص ١٩٣
(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ٣ - ص٤ - ابن سعيد : المغرب - ص ٧٤
(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ٣ - ص ٤
(٥) البلوي : المصدر السابق ص ٤٨
(٦) حسن احمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني - ص ٢٨ - حامد غنيم : المرجع السابق - ص ١٩٠
(٧) حسن محمود : المرجع السابق - ص ٢٨ ، ٢٩ - حامد غنيم : الدول الاقليمية - ص ١٩٨
(٨) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص ٣١ - حامد غنيم : المرجع السابق - ص ١٩٧
(٩) البلوي : المصدر السابق - ص ٨٤ - ابن سعيد : المغرب - ص ٧٨
(١٠) حامد غنيم : المرجع السابق - ص ١٩٨
(١١) ابن سعيد : المصدر السابق - ص٩٣ - البلوي : ص ٦٠ ، ٦١ ، ١٠٩ ، ١٣٩
(١٢) ابن سعيد : المغرب - ص ٩٥ - البلوي : المصدر السابق - ص ١٠٨
(١٣) البلوي : المصدر السابق - ص ٦١ - ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٩٥
(١٤) المقريزي : الخطط - جـ١ ، ص ٥٩٤ - دائرة المعارف الاسلامية ، مادة احمد بن طولون
(١٥) البلوي : المصدر السابق ص ٥٨، ٦٠، ٨٨، ١١٥، ١١٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٣، ٢١٠ . - ابن سعيد : ص ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٠
(١٦) البلوي : المصدر السابق - ص ١٠٧ ، ١٠٩
(١٧) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١٥٠ وما بعدها
(١٨) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ ٣ - ص ١٢٩ - حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص ٥٠ ، ٥١
(١٩) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ٥١ ، ٥٢
(٢٠) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٧٨ - البلوي : المصدر السابق - ص ٦٠
(٢١) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٧٩ - البلوي : المصدر السابق - ص ٥٨
(٢٢) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٩٥
(٢٣) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٩٥ - البلوي : المصدر السابق - ص ٨٤
(٢٤) ابن خلدون : جـ٣ - ص ٣٠١ وما بعدها - ابي الفدا : تاريخه - ص ٤٧
(٢٥) البلوي : المصدر السابق - ص ٥١ - ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٨٠
(٢٦) الكندي : المصدر السابق - ص ٢١٧ - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص٧

(٢٧) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٨٣ ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ٥٦ ، ٥٧
(٢٨) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ جـ٣ ـ ص ٢٧٧
(٢٩) حامد غنيم : المرجع السابق ـ ص ٢٠٠
(٣٠) ابن سعيد : المغرب ـ ص ٨٧ ـ المقريزي : الخطط ـ جـ٢ ـ ص ١٧٨ ، ١٧٩
(٣١) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٥٨ وما بعدها ـ العدوي : مصر الاسلامية ورسالتها العربية ـ ص ٢١٩
(٣٢) حسن محمود : المرجع السابق ـ ٥٩
(٣٣) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٥٩ ، ٦٠
(٣٤) ابن الاثير : الكامل ـ جـ٦ ـ ص ٤٩ ـ الذهبي : دول الاسلام ـ جـ١ ـ ص ١٦٢
(٣٥) اسعد طلس : المرجع السابق ـ ص١٦ ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٧ وما بعدها .
(٣٦) ابن تغري بردي : النجوم ـ جـ٣ ـ ص٨٩.
(٣٧) حسن احمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ـ ص٣٥٤. ـ حامد غنيم: الدول الاقليمية ـ ٢٦٩
(٣٨) حامد غنيم : المرجع السابق ـ ص٢٦٩ ومابعدها.
(٣٩) المرجع السابق والصفحة.
(٤٠) حامد غنيم : المرجع السابق ـ ص٢٧٠.
(٤١) ابن سعيد : المغرب ـ ص٨٧. ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ـ جـ٣ ـ ص١٤
(٤٢) ابي الفدا : المصدر السابق ـ جـ٢ ـ ص٤٦ ـ ابن خلدون : جـ٣ ـ ص٣٣٩ ـ يوسف الدبس : مجلده ، جـ٣ ، ص٣١٨
(٤٣) الكندي : الولاة ـ ص٢١٢ ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ٥ ـ ص٣٥٩ ـ اليعقوبي : تاريخه : مجلد ٢ ـ ص٥٠٢
(٤٤) البلوي : المصدر السابق ـ ص٥٠
(٤٥) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٣٣٩ ـ اليعقوبي : تاريخ العيقوبي : المجلد الثاني ، ص ٥٠٧
(٤٦) سيدة كاشف : احمد بن طولون ـ ص٦٣ ـ ٦٤ ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص٤٢.
(٤٧) الكندي : ص٢١٤ ، ٢١٥. ـ ابو المحاسن : النجوم ـ جـ٣ ـ ص٧.
(٤٨) سيدة كاشف : احمد بن طولون ـ ص٦٤
(٤٩) اتربي ابو العز : الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ص١٣٣
(٥٠) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٨١ ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٥٢ (ورد اسمه أماجور الأفرنجي).
(٥١) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٥ ، ص٣٥٩. ـ اتربي ابوالعز : المرجع السابق ـ ص١٣٣

(٥٢) اليعقوبي : تاريخه - المجلد الثاني - ص٥٠٧ - ابن سعيد : المغرب - ص٧٩.
(٥٣) حسن محمود : المرجع السابق - ص٤٢ ، ٤٣.
(٥٤) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص٦٢، ٦٣.
(٥٥) حسن محمود : المرجع السابق - ص٦٢ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - ص١٤ جـ٣
(٥٦) البلوي : المصدر السابق - ص٨١
(٥٧) ابن سعيد : المصدر السابق - ص٨٧ - حسن ابراهيم حسن : المصدر السابق - ص١٤ جـ ٣
(٥٨) ابن سعيد : المصدر السابق - ص٨٧ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - ص١٤
(٥٩) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ٦ - ص١٣ - البلوي : المصدر السابق - ص٨١
(٦٠) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص٦٥، ٦٦
(٦١) الطبري : المصدر السابق - جـ٩ - ص٤٧٦ - حسن محمود : المرجع السابق - ص٦٦ - انظر ملحق رقم (١) كتاب ابن طولون الى الموفق في آخر البحث.
(٦٢) حسن محمود : المرجع السابق - ص٦٧
(٦٣) البلوي : المصدر السابق - ص ٥٦ . - ابن سعيد : المصدر السابق - ص ٨٣
(٦٤) ابن سعيد : المصدر السابق - ص٨٣ - اتربي ابو العز : المصدر السابق - ص١٣٣
(٦٥) البلوي : المصدر السابق - ص٥٧ - اتربي ابو العز : المصدر السابق - ص١٣٣
(٦٦) الكندي : الولاة - ص٢١٧
(٦٧) اتربي ابو العز : المصدر السابق - ص١٣٣ - ابن سعيد : المصدر السابق - ص٨٣
(٦٨) ابن الاثير : الكامل - جـ٦ - ص١٣
(٦٩) الكندي : المصدر السابق - ص٢١٧ - ابن الاثير : المصدر السابق - جـ٦ - ص١٣
(٧٠) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ٦ - ص١٣ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ٣ - ص١٥
(٧١) الكندي : المصدر السابق - ص٢١٨
(٧٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك - ص ٢٥٣
(٧٣) ابن العديم : زبدة الحلب - جـ١ - ص٧٥. - ابن سعيد : المصدر السابق - ص١١٦ .
(٧٤) الكندي : المصدر السابق - ص٢١٨ . - البلوي : المصدر السابق - ص٨٥ ، ٨٦ .
(٧٥) ابن العديم : مخطوط بغية الطلب - جـ١ ورقة ١٧٢.
(٧٦) امينة بيطار : رسالة دكتوراه : الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمي ص ١٤١ .
(٧٧) ابن سعيد : المصدر السابق - ص٩٢.
(٧٨) البلوي : المصدر السابق - ص٩١ - ٣١٠.
(٧٩) ابن سعيد : المصدر السابق - ص٩٢ بن بلزد وفي سيرة ابن طولون للبلوى ص٩١ (بلين اوبليزد) - الكندي : المصدر السابق - ص٢١٧ طخشى بن بلبرد.

(٨٠) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص٦٨

(٨١) ابن خلدون : المصدر السابق ـ ص٣٣٨.

(٨٢) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٥٠٨ «ورد اسمه محمد بن هارون بن المعمر». ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٨٩ (الشاري :الخارجي والشراة هم الخوارج لقولهم انا شربنا انفسنا في طاعة الله لقبوا بذلك)

(٨٣) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٩١. ـ ابن شداد : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (مخطوط مصور ـ جامعة الدول العربية رقم ٤٣ بتاريخ ورقة٧٥.

(٨٤) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٩١.

(٨٥) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٣٣٨ «ورد اسمه أما جور بن اولغ بن طرخان من الترك».

(٨٦) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٥١١.

(٨٧) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص٩٢. ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص١٥.

(٨٨) البلوي : المصدر السابق ـ ص٩١. ـ ابن خلدون : العبر ـ جـ٣ ـ ص٣٣٨.

(٨٩) الكندي : الولاة ـ ص٢١٧. ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص٦٩.

(٩٠) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٥٠٨ ومابعدها . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص١٣ ومابعدها.

(٩١) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص٦٩.

(٩٢) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٢٠ «ورد اسمه علي بن أعور» . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص١١٨

(٩٣) ابن الاثير : الكامل ـ جـ٦ ـ ص٢١. ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص٢١٩

(٩٤) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص٤١ . ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٤٠

(٩٥) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٤٠.

(٩٦) ابن سعيد : المغرب ـ ص٨٧ ، ١٠٠، ١٠١ ، ١١٠ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣١٥، ٣٣٨.

(٩٧) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص٢١ ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٢٢

(٩٨) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٢٤ ـ العيون والحدائق : جـ٤ قسم ١ ـ ص٧١

(٩٩) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٣٣١ ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٥٥١ وماقبلها.

(١٠٠) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص١٢٦. ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص٢٧٦

(١٠١) نفس المصادر : السابقة والصفحات.

(١٠٢) البلوي : المصدر السابق ـ ص٢٧٦ ، ٢٨٧. ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص١٢٦.

(١٠٣) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص٧١

(١٠٤) التنوخي : الفرج بعد الشدة ـ ص١٨١ .
(١٠٥) سيدة كاشف : المرجع السابق ـ ص١٠٤ .
(١٠٦) امينة بيطار : المرجع السابق ـ ص١٤٤ .
(١٠٧) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص٧٠ ، ٧١
(١٠٨) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٦١١ ـ مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ـ ص٥٤ .
(١٠٩) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٦١٤ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ١ ـ ص٧٩ .
(١١٠) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٣٣١ . ـ ابن العديم : المصدر السابق ـ جـ١ ـ ص٧٨ ، ٧٩ .
(١١١) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص٤٩ ـ ابن العديم : المصدر السابق ـ جـ١ ـ ص٧٨ .
(١١٢) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٦١٤ . ـ ابن العديم : المصدر السابق ـ ص٧٩ .
(١١٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٦٩ . ـ العيون والحدائق : ص٥٤ ، ٦١ .
(١١٤) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٢٨٧ .
(١١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ـ ص٧٩ جـ١ .
(١١٦) البلوي : المصدر السابق ـ ص٣١١ .
(١١٧) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص٦١٣ .
(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ١ ـ ص٧٨ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص٥٠ .
(١١٩) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٢٩ . ـ انظر الباب الأول في هذا البحث.
(١٢٠) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٣٩ . ـ انظر الباب الأول .
(١٢١) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٥ .
(١٢٢) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٢٨٠ .
(١٢٣) البلوي : سيرة ابن طولون ـ ص ٢٨٦ . ـ الكندي : الولاة والقضاة ـ ص ٢٢٥ .
(١٢٤) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٤ . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٤ ، ٧٥ .
(١٢٥) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٢ ، ٢٢٥ . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٥ .
(١٢٦) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٥ . ـ الذهبي : دول الاسلام ـ جـ١ ـ ص ١٦٢ .
(١٢٧) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص ٣٣٠ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص ٤٩ .
(١٢٨) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص ٣٣٠ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص ٦٢٠ .
(١٢٩) الطبري : المصدر السابق ـ جـ٩ ـ ص ٦٢٠ . ـ ابن الاثير : الكامل ـ جـ٦ ـ ص ٤٩ .
(١٣٠) حامد غنيم : عهد الدول الاقليمية ـ ص ٢٣٣ وما بعدها . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٢ .
(١٣١) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٤ .

(١٣٢) انظر الباب الأول من هذا البحث .
(١٣٣) البلوي : المصدر السابق - ص ٢٩٠ انظر كتاب الموفق لاسحق بن كنداج الخزري حيث يقول : أن أخاه قد خرج قاصداً ابن طولون ،ومتى تم هذا الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره فلم يكن لكم ولا وجد منكم مقدار ولم يلتق اثنان في عسكر الموالي .ان صح ذهابه وتم لابن طولون يتجنب عن وجه العدو وتمكن من الدخول الى السلطان فيكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس .. الخ .
(١٣٤) حسن محمود : المرجع السابق - ص ٧٤ .
(١٣٥) الطبري : المصدر السابق - جـ ٩ - ص ٦٢٠ . - الذهبي : دول الاسلام - جـ ١ - ص ١٦٢ (يقول انه كان على نصيبين) .
(١٣٦) الكندي : المصدر السابق - ص ٣٢٥ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ٩ - ص ٦٢٠ .
(١٣٧) الطبري : المصدر السابق - ص ٦٢٠ (يورد اسمه تينك) . - ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب - جـ ٢ - ص ١٥٤ .
(١٣٨) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٢٥ . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٠ .
(١٣٩) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٥٠ . - العيون والحدائق : جـ ٤ - ف ١ - ص ٥٥ .
(١٤٠) البلوي : المصدر السابق - ص ٢٩٤ . - الكندي : المصدر السابق - ص ٢٢٦
(١٤١) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٢٥ ، ٢٢٦/٥٢٠ - البلوي : المصدر السابق ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
(١٤٢) الكندي : المصدر السابق ص ٢٢٩ - البلوي : المصدر السابق ص ٢٩٥ ، ٢٢٦
(١٤٣) الكندي :المصدر السابق - ص ٢٢٩ - البلوي :المصدر السابق - ص ٢٩٦ ، ٢٩٧
(١٤٤) الكندي :المصدر السابق - ص ٢٢٩ - البلوي :المصدر السابق - ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٣١ ، ص٣٣٢
(١٤٥) البلوي :المصدر السابق - ص ٢٩٧ وما بعدها
(١٤٦) البلوي : المصدر السابق ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .
(١٤٧) حسن محمود : المرجع السابق - ص ٧٨ . - انظر الباب الاول في هذا البحث
(١٤٨) الكندي : الولاة والقضاة - ص ٥٢٠. - انظر الباب الأول
(١٤٩) ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٠ . - ابو الفدا : تاريخ الملك المؤيد - جـ ٢ - ص ٥٦
(١٥٠) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٥٠ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦٥٢
(١٥١) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٤٩ . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣١
(١٥٢) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٢٥ . - ابن الاثير : المصدر السابق - جـ٦ - ص ٥٥
(١٥٣) الكندي : المصدر السابق والصفحة نفسها . - ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ٤٥

(١٥٤) الكندي : المصدر السابق ـ والصفحة نفسها . ـ ابن تغري بردى : المصدر السابق جـ ٣ ـ ص ٤٥

(١٥٥) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٩ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١٢٨

(١٥٦) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ١٢٨ . ـ البلوي : المصدر السابق ـ ص ٣١٢

(١٥٧) انظر الباب الأول من هذا البحث .

(١٥٨) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٧٨ . ـ مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ـ جـ ٤ ـ ف ١ ـ ص ٥٤ .

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٧٨ .

(١٦٠) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٩ ـ ص ٥٥١ . ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا ـ دار الفكر العربي سنة ١٩١٨ ص ١٧٤

(١٦١) ابن الاثير: المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٤٠ (بوذرابودن) ـ كرد علي : خطط الشام ـ جـ١ ـ ص ١٧٥

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٧٨ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٥٥١ . ـ كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٥ .

(١٦٣) كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٥ ، ١٧٦

(١٦٤) الطبري : المصدر السابق ـ ج٩ ـ ص٤١٠ وما بعدها . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ ج٣ ـ ص ٣٠١ ومابعدها .

(١٦٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ ج٣ ـ ص٤٧ ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص٧٨ .

(١٦٦) الطبري : المصدر السابق ـ ج٩ ـ ص ٦٥٥ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ ج٣ ـ ص٣٣١ .

(١٦٧) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٨ . ـ انظر الباب الأول في هذا البحث .

(١٦٨) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ٧٩ .

(١٦٩) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٣٠٤ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٢٨ .

(١٧٠) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٣٠٢ ، ٣٠٥ . ـ السيوطي : حسن المحاضرة ـ ص ١٤٧ .

(١٧١) ابن الأثير : الكامل ـ ج٦ ـ ص ٥٦ ، ٥٨ . ـ المسعودي : مروج الذهب ـ ج٤ ـ ص ١٢٢ .

(١٧٢) ابن خلدون : تاريخه ـ ج ٣ ـ ص ٣٣٣ . ـ ابن العديم : زبدة الحلب ـ ج ١ ـ ص ٨٠ .

(١٧٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ ج ٣ ـ ص ٥٩ . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(١٧٤) كرد علي : خطط الشام ـ ج ١ ـ ص ٢٠٤ .

(١٧٥) البلوي : ص ٣٣٩ ـ انظر ملحق رقم(٢) وصية ابن طولون لابنه خمارويه .

(١٧٦) انظر الفصل الاخير من هذا الباب .

(١٧٧) ابن العديم : بغية الطلب - ج ٢ - ورقة ١٣٠ ظهر . - ابن الاثير : المصدر السابق - ج ٦ - ص ٥٥ .

(١٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب - ج ١ - ص ٨٠ .

(١٧٩) نفس المصدر السابق والصفحة نفسها .

(١٨٠) نفس المصدر السابق والصفحة نفسها . - Lane Poole op. cit p 72 .

(١٨١) ابن الاثير : المصدر السابق - ج ٦ - ص ٤٩ .

(١٨٢) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(١٨٣) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٢٥ .

(١٨٤) ابن تغري بردي : النجوم ج٣ ، ص ٤٩/٥٠ (يذكر أنه ولد في سامراء سنة ٢٥٠هـ على حين يذكر حسن أحمد محمود المرجع السابق ص ١١٠ : أن عمر خمارويه كان قد بلغ التاسعة عشرة .

(١٨٥) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(١٨٦) ابن خلدون : المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٣٣ . - يوسف الدبس : تاريخ سوريا - ج ٣ - مجلد ص ٣٢ .

(١٨٧) ابن خلدون : المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٣١ . - يوسف الدبس : تاريخ سوريا - ج ٣ - مجلده ص ٣٢٠ .

(١٨٨) ابن العديم : زبدة الحلب - ج ١ - ص ٨٠ . - ابن خلدون : المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٣٣ .

(١٨٩) ابن العديم : زبدة الحلب - ج ١ - ص ٨٠ . - المسعودي : مروج الذهب - ج ٤ - ١٢٢ .

(١٩٠) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٥ . - ابن الاثير : المصدر السابق - ج ٦ - ص ٥٦ .

(١٩١) يوسف الدبس : تاريخ سوريا - ج ٣ مجلد ٥ - ص ٣٢٠ . - ابن العديم : زبدة الحلب - ج ١ - ص ٨١ .

(١٩٢) ابن الاثير : المصدر السابق - ج ٦ - ص ٥٦ .

(١٩٣) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٤ . - النجوم الزاهرة : ج ٣ - ص ٤٩ ، ٥٠ .

(١٩٤) الكندي : المصدر السابق . - كرد علي : خطط الشام - ج ١ - ص ٢٠٥ (يذكر اسمه سعد الاعسر) . - في حين يذكر ابن العديم : بغية الطلب - ج ٢ ورقة ٥٢ وجه (يذكر انه الحق بسعد هذا الواسطي ليدير الجيش ويتولى النفقات عليه) .

(١٩٥) نفس المصادر السابقة .

(١٩٦) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٤ . - ابن تغري بردي : المصدر السابق - ص ٥٠ .

(١٩٧) ابن العديم : البغية - ج ٢ - ورقة٥٣ .

(١٩٨) ابن العديم : بغية الطلب - ج٢ ورقة ٥٢ . - في حين يذكر الكندي ص ٢٣٣ ان خمارويه عقد للواسطي على جيش الى الشام .

(١٩٩)ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١٣٤ . - ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - ج ٣ - ص ٤٩ .

(٢٠٠) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٣ .

(٢٠١) انظر Zaky Hassan OP. Cit P—III

(٢٠٢) حسن احمد محمود : ص ١٠٨ حضارة مصر في العصر الطولوني . ـ انظر فيما سبق من هذا الباب

(٢٠٣) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٥ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ ج ٣ ـ ص ٥٠ .

(٢٠٤) Lane Poole op. Cit p.72 . ـ Zaky Hassan:op. cit p.III .

(٢٠٥) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٥، ٢٣٦ . ـ ابن العديم : زبدة الحلب ـ ج ١ ـ ص ٨١ .

(٢٠٦) ابن خلدون : المصدر السابق ـ ج٣ ـ ص ٣٣١ . ـ يوسف الدبس : المرجع السابق ـ ج٣ مجلد ٥ ص ٣٢٠ .

(٢٠٧) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٣ ص ٥٦ . ـ يوسف الدبس : المرجع السابق ج ٣ مجلده ص ٣٢٠ .

(٢٠٨) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٥٨ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨١

(٢٠٩) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٥

(٢١٠) الكندي : المصدر السابق ـ يقول ص ٢٣٥ (ان الجيش الطولوني كان يقدر بـ ٧٠ الف والعباسي ٤٠٠٠ اربعة الاف فقط . ـ ابن تغري بردى : المصدر السابق ـ ص ٥٠ (يورد نفس الارقام)

(٢١١) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٥ ـ الطبري : المصدر السابق ـ ص ٨ ـ ج ـ ١٠

(٢١٢) ابن الاثير : الكامل ـ جـ ٦ ـ ص ٥٨ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ـ ص ٨١ جـ ١

(٢١٣) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٤

(٢١٤) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٩ ـ يوسف الدبس : المرجع السابق ـ ص ١٢٢

(٢١٥) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٩

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ـ ص ٨١ جـ ١

(٢١٧) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣١ ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٦

(٢١٨) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٦ ـ في حين يقول ابن العديم . بغية الطلب ـ جـ ٢ ورقة ٥٤ ظهر (الواسطي هرب الى انطاكية ومات في شعبان سنة ٢٧٢ هـ) .

(٢١٩) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٥٨

(٢٢٠) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٣٣١ ، ٣٣٢

(٢٢١) ابن خلدون : المصدر السابق ـ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٥

(٢٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨١ ـ يوسف الدبس : المرجع السابق ـ جـ ٣ ـ مجلده ٥ ـ ص ١٢٢ .

(٢٢٣) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٣٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ـ ص ٥٦٠

(٢٢٤) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣٢ ـ انظر فيما سبق في هذا الباب .

(٢٢٥) كرد علي : خطط الشام - جـ ١ - ص ٢٠٥
(٢٢٦) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٦
(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦٥ - كرد علي : خطط الشام - ج١ - ص ١٧٧ .
(٢٢٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ٥٢ - كرد علي : خطط الشام - جـ ١ - ص ١٧٧ ، ١٧٨
(٢٢٩) ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٣
(٢٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب - جـ ١ - ص ٨٢ - ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦١
(٢٣١) مدينة ملاصقة للرقة : انظر المقدسي - احسن التقاسيم ص ١٤١ والاصطخري : صورة الاقاليم (طبعة ليدن سنة ١٩٦٧ ص ٧٥) . - الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٦
(٢٣٢) ابن الأثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٣
(٢٣٣) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ٥١
(٢٣٤) ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٣
(٢٣٥) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٧ - كرد علي : خطط الشام - جـ ١ - ص ١٧٧
(٢٣٦) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١١٤ - Lane Poole: Arabic Coins P.137.
(٢٣٧) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١٢٢ .
(٢٣٨) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١١٤ . - Zaky Hssan: Les Tulanides P.115,116
(٢٣٩) حسن محمود : - ص ١١٤ .
(٢٤٠) البثينة : منطقة تقع قرب الصحراء في الشام ويتبع اليها منطقة جبل جرس ، وتبعد عن طبرية مسيرة يومين و ٢٤ ميلاً عن الصنمين ، ويوم عن عمان . انظر أمينة بيطار رسالة دكتوراه لم تطبع ص ١١٦ .
(٢٤١) ابن الاثير : المصدر السابق - ج -٦ - ص ٦٢ . - ابن الداية : المكافأة : ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
(٢٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب - ص ٨٣ جـ ١ .
(٢٤٣) الكندي : الولاة - ص ٢٣٨ . - ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦٣ .
(٢٤٤) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦٣ . - يوسف الدبس : المرجع السابق - جـ ٣ مجلد ٥ - ص ٣٢١ .
(٢٤٥) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٢٤٦) ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٣ . - Lane Poole: op. Cit p.73. -
(٢٤٧) ابن الاثير : المصدر السابق - ص ٦٣ - جـ ٦ .
(٢٤٨) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٦٣ .
(٢٤٩) ابن الاثير : المصدر السابق والصفحة . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٤٤ .
(٢٥٠) ابن العديم : زبدة الحلب - جـ ١ - ص ٨٣ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٦ .

(٢٥١) ابن الاثير : المصدر السابق - والصفحة . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٤٤ .
(٢٥٢) ابن العديم : زبدة الحلب - ص ٨٣ جـ ١ .
(٢٥٣) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١١٥ .
(٢٥٤) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١٣٦ .
(٢٥٥) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٩ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ١١٥ .
(٢٥٦) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٩ . - انظر فيما سبق في هذا الكتاب .
(٢٥٧) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٨ .
(٢٥٨) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٢٧ . - انظر فيما سبق في هذا الكتاب .
(٢٥٩) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١٣٤ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ ٣ - ص ١٣ .
(٢٦٠) الكندي : المصدر السابق - ص٢٢٧ - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ٣ - ص٥١
(٢٦١) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ٣ - ص١٣٠ - انظر فيما سبق في هذا الباب.
(٢٦٢) الكندي : المصدر السابق - ص٢٣٧ - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ٣ - ص٥١.
(٢٦٣) الكندي : المصدر السابق - ص٢٣٧ (يقصد ان الرسالة كتبت بخط كل من الموفق والمعتمد والمعتضد) - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ٣ - ص٥١.
(٢٦٤) الكندي : المصدر السابق - ص٢٣٨ (ينفرد الكندي بشرط التوريث). - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ٣ - ص٥١.
(٢٦٥) Les Tulanides P.II 5 : ويضيف زكي حسن ارمينية .
(٢٦٦) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٣٨ .
(٢٦٧) الكندي : المصدر السابق - ص٢٣٧ . - امينة بيطار : المرجع السابق - ص١٦٤ : تذكر ان المعتمد شرط ان يحمل اليه مائتي الف دينار.
(٢٦٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة - جـ٣ - ص٥٢ . - المقريزي : المصدر السابق - جـ١ - ص٥١٠ ومابعدها - حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص١٢٣ (مع ان الكندي يشير الى اموال بيد خمارويه يبذلها الى الخلافة) ٢٣٧ .
(٢٦٩) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية . ص٢٥٦ - الكندي : المصدر السابق - ص٢٤٠ .
(٢٧٠) الكندي : المصدر السابق - ص٢٤٠ .
(٢٧١) الطبري : المصدر السابق - جـ١٠ - ص٣٠ - المسعودي : المصدر السابق - جـ٤ - ص١٤٥ .
(٢٧٢) الكندي : المصدر السابق - ص٢٤٠ - ابن كثير : البداية والنهاية - جـ١١ - ص٦٦ .
(٢٧٣) ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ٣ - ص٥٣ - المسعودي : المصدر السابق - جـ٤ - ص١٤٥ .
(٢٧٤) الكندي : المصدر السابق - ص٢٤٠ .
(٢٧٥) حسن احمد محمود : المرجع السابق - ص١٢٦ .

(٢٧٦) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٥٣. ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص١٢٥.

(٢٧٧) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص١٢٧. ـ سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشيدين ـ ص٢٠٥.

(٢٧٨) ابن الاثير : الكامل ـ جـ٦ ـ ص٨٠ ـ ابن كثير : المصدر السابق ـ جـ١١ ـ ص٧٠.

(٢٧٩) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٦٢ ـ ابن العديم : المصدر السابق ـ جـ١ ـ ص٨٥.

(٢٨٠) المسعودي : مروج الذهب ـ جـ٤ ـ ص١٤٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ٦ ـ ص٨٠.

(٢٨١) ابن سعيد : المغرب ـ ص١٣٥.

(٢٨٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٦١ ، ٦٢.

(٢٨٣) المسعودي : مروج الذهب ـ جـ٤ ـ ص١٥٨ ـ اتربي ابو العز : الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ـ ص١٤٠.

(٢٨٤) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٢٨٥) محمود مصطفى : الادب العربي في مصر منذ الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الايوبي القاهرة ـ ١٩٦٧م .

(٢٨٦) الكندي : الولاة ـ ص٢٤٢.

(٢٨٧) رافعي وعاشور : المرجع السابق ـ ص١١٢.

(٢٨٨) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٤٠ وما بعدها ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٨٨ ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص١٣٧ .

(٢٨٩) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢٩٠) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ ج٣ ـ ص٨٨ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص١٤٣.

(٢٩١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٨٨.

(٢٩٢) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٤١ ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٨٨.

(٢٩٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : جـ٣ ـ ص٨٩ ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٤٢.

(٢٩٤) الطبري : المصدر السابق ـ جـ١ ـ ص٤٥ ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص١٤٣.

(٢٩٥) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٤٢ ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٩١.

(٢٩٦) ن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٩٣ ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ١٠ ـ ص٤٦.

(٢٩٧) المسعودي : مروج الذهب ـ جـ٤ ـ ص١٧١ ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ١٠ ـ ص٤٥ .

(٢٩٨) المسعودي : مروج الذهب ـ جـ٤ ـ ص١٦٩ ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ٣ ـ ص٩١.

(٢٩٩) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ٣ ـ ص٩٢ ـ المسعودي : مروج الذهب ـ جـ٤ ـ ص١٧٠.

(٣٠٠) الكندي : المصدر السابق ـ ص٢٤٢. ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص١٤٧.

(٣٠١) الكندي : الولاة- ص٢٤١ - حسن محمود : المرجع السابق - ص١٤٧ .
(٣٠٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ٣ - ص١٠٠ .
(٣٠٣) حسن محمود : المرجع السابق - ص١٥٨ .
(٣٠٤) الكندي : المصدر السابق - ص٢٤٦ - ابو المحاسن : المصدر السابق - جـ٣ - ص١٣٥ ، ١٣٦
(٣٠٥) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٢٧ .
(٣٠٦) ابن خلدون : , المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٧ . - انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٣٠٧) ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٧ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٢٨ .
(٣٠٨) ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٣٠٩) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٢٩ . - ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٧١ «يذكر انه قابل خمارويه بدمشق» .
(٣١٠) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص٧١ . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٣٧ .
(٣١١) ابن الاثير : المصدر السابق والصفحة . - ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .
(٣١٢) الطبري : المصدر السابق -جـ ١٠ - ص ٢٩ .
(٣١٣) انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٣١٤) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٣٦ . - ابو الفدا : تاريخه - جـ ٢ - ص ٦٠ .
(٣١٥) سيده اسماعيل كاشف : مصر في العصر الاخشيدي - ص ٦٢ .
(٣١٦) ابن خلدون : المصدر السابق - ص ٣٥٢ .
(٣١٧) سيده كاشف : المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٣١٨) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٤٢ . - ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١٤٠ .
(٣١٩) الطبري : المصدر السابق والصفحة . - النجوم الزاهرة - جـ٣ - ص ٦٤ .
(٣٢٠) سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي - ص ٦٢ . - امينة بيطار : رسالة دكتوراة لم تطبع بعد - ص ١٦٩ .
(٣٢١) Zaky Hasan: OP cit P/134.
(٣٢٢) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٢ . - كرد علي : خطط الشام - جـ ١ - ص ١٧٨ .
(٣٢٣) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٤٤ . - سيده كاشف : المرجع السابق - ص ٦٣ .
(٣٢٤) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤١ . - انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٣٢٥) المسعودي : مروج الذهب - جـ ٤ - ص ١٦٩ . - انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٣٢٦) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ ص ٥١ .
(٣٢٧) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٥١ . - ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣٢٨) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٥٢ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣٢٩) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ورد اسمه ابن الاخشاد (الطبري جـ ١٠ ـ ص ٦٩) .

(٣٣٠) نفس المصادر السابقة والصفحة .

(٣٣١) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٢ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣٣٢) انظر الباب الاول .

(٣٣٣) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٠ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٩١ .

(٣٣٤) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٢ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٢ .

(٣٣٥) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٧/٧٩ .

(٣٣٦) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٩ ، ٨٠ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٢ .

(٣٣٧) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٨٠ ، ٨١ .

(٣٣٨) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣٣٩) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٨٠ .

(٣٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨٧ .

(٣٤١) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٣٤٢) Lane Poole : OP cit P 86.

(٣٤٣) كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٩ . ـ اسعد طلس : المرجع السابق ـ ص ١٥ وما بعدها . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١١٥ .

(٣٤٤) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٣٤٥) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٥٤ .

(٣٤٦) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٨٢ . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٣ .

(٣٤٧) الرافعي وعاشور : المرجع السابق ـ ص ١١١ . ـ سيدة كاشف : المرجع السابق ـ ص ٦٢ .

(٣٤٨) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ـ ص ١٦٣ .

(٣٤٩) Zaky hasan: OP. cit 134. ـ امينة بيطار : رسالة دكتوراه ـ ص ١٧٠ .

(٣٥٠) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٤ . ـ كرد علي : خطط الشام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٨ .

(٣٥١) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٤٢ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١٤٣ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٩١ .

(٣٥٢) انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٣٥٣) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٤ . ـ رافعي وعاشور : المرجع السابق ـ ص ١١١ .
(٣٥٤) الكندي : الولاة ـ ص ٢٤٢ .
(٣٥٥) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٩٠ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٠١ .
(٣٥٦) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٤ .
(٣٥٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٠١ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٩٠ .
(٣٥٨) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ حوادث سنة ٢٨٣/٢٨٢ هـ . ـ حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٣٥٩) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٦ .
(٣٦٠) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٤٢ . ـ المقريزي : المصدر السابق ـ ص ٦٠٦ .
(٣٦١) انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٣٦٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٦/ ١٦٧/ ١٦٨ .
(٣٦٣) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
(٣٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨٥ .
(٣٦٥) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٠ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٩١ .
(٣٦٦) حسن احمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٩ ، ١٧٠ .
(٣٦٧) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٧٠ .
(٣٦٨) ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١٣٨ . ـ ابن العديم : المصدر السابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٦ .
(٣٦٩) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٢ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧١ .
(٣٧٠) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٠ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٢ .
(٣٧١) ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٢ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٧٠ ، (ورد اسمه الحسين بن عمرو النصراني) .
(٣٧٢) الطبري : المصدر السابق والصفحة نفسها . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٩١ .
(٣٧٣) امينة بيطار : المرجع السابق ـ ص ١٧٦ .
(٣٧٤) امينة بيطار : المرجع السابق ـ ص ١٧٦ .
(٣٧٥) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٧١ . ـ انظر فيما بعد من هذا الباب .

(٣٧٦) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٩٤ ، ٩٥ . - ابن خلدون : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٣٥١/٣٥٥ .

(٣٧٧) عارف تامر : القرامطة ، أصلهم ، نشأتهم ، تاريخهم ، حروبهم : دار الكاتب العربي - بيروت . - محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، الهيئة المصرية سنة ١٩٧٠ . - ابن العميد : تاريخ المسلمين - ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣٧٨) المقريزي : نهاية الأرب - جـ ٢٣ - ورقة ٥٦ . - عارف تامر : المرجع السابق - ص ٦١ .

(٣٧٩) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ ٣ - ص ١٩٦ ، ١٩٧ . - مؤرخ مجهول : العيون والحدائق - جـ ٤ - قسم ١ ، ص ١٠٨ .

(٣٨٠) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩١ .

(٣٨١) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩٢ . - حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١٩٧ .

(٣٨٢) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩٢ .

(٣٨٣) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩٢ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٧٢ .

(٣٨٤) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩٤ .

(٣٨٥) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ ٣ - ص ١٩٧ . - عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩٥ .

(٣٨٦) عارف تامر : المرجع السابق - ص ١٠١ . - محمد عبد الفتاح عليان : المرجع السابق - ص ٩٠ .

(٣٨٧) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٩٨ .

(٣٨٨) محمد عبد الفتاح عليان : المرجع السابق - ص ٩٠ . - عارف تامر : المرجع السابق - ص ١٠١ .

(٣٨٩) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٨٢ . - محمد عليان : المرجع السابق - ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣٩٠) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٨٦ . - المقريزي : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال القاهرة ص ١١٧ سنة ١٩٤٨ .

(٣٩١) ابن الأثير : الكامل - جـ ٧ - ص ٥١٢ ، ٥١٣ . - عارف تامر : المرجع السابق - ص ١٠١ ، ١٠٣ . - الطبري : المصدر السابق - ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٣٩٢) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٩٥ . - عليان : المرجع السابق - ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣٩٣) عارف تامر : المرجع السابق - ص ١٠١ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ٩٥ .

(٣٩٤) حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١٧٢ .

(٣٩٥) فيليب حتي : تاريخ سورية - جـ ٢ - ص ١٨٩ .

(٣٩٦) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٥٦ .

(٣٩٧) انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٣٩٨) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٩٥ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٠ .

(٣٩٩) المسعودي : مروج الذهب ـ جـ ٤ ـ ص ١٩٠ . ـ ابن الأثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ٩٩ .

(٤٠٠) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٩٥ . ـ عبد الفتاح عليان : المرجع السابق ـ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٤٠١) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٩٥ . ـ مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ـ جـ ٢ ـ قسم ١ـ ص ١٠٨ .

(٤٠٢) عبد الفتاح عليان : المرجع السابق ـ ص ٨٧ . ـ عارف تامر : المرجع السابق ـ ص ١٠١ وما قبلها .

(٤٠٣) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ـ ص ٩٧ . (ويذكر اسمه سبك) . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٢٨ .

(٤٠٤) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤٠٥) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ـ ص ٩٧ . ـ المسعودي : مروج الذهب ـ جـ ٤ ـ ص ١٩٠ .

(٤٠٦) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ٩٧ . ـ مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ـ جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٠٧ .

(٤٠٧) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ـ ص ٩٩ . ـ الذهبي : دول الاسلام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٥ (حيث يذكر الحصار بحوادث سنة ٢٩٠) . ـ العيون والحدائق : جـ ١ ـ قسم ١ ص ١٠٩ . (يذكر اسمه بدر الكبير) .

(٤٠٨) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٠ . ـ العيون والحدائق : جـ ٤ ق ١ ص ١٠٩/١١٠ .

(٤٠٩) عارف تامر : المرجع السابق ـ ص ١٠٢ ، ١٠٣ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٠ .

(٤١٠) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٠ . ـ عارف تامر : المرجع السابق ـ ص ١٠٣ .

(٤١١) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٠ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص١٠٥ .

(٤١٢) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٣ . ـ أبي الفدا : تاريخه ـ جـ ٢ ـ ص ٦٣ .

(٤١٣) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨٨ ، ٨٩ . ـ ابن الجوزي : المصدر السابق ـ ج ٦ ـ ص ٣٨ .

(٤١٤) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ـ ص ١٠٣ . ـ ابن الشحنة : المصدر السابق ـ ص ١٧٣ .

(٤١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٨٨ ، ٨٩ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٣ .

(٤١٦) ابن العديم : زبدة الحلب - ص ٨٨ - جـ ١ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٠٥ .
(٤١٧) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٠٨ .
(٤١٨) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٠٨ . - ابن العديم : المصدر السابق - ص ٧٦ - جـ ١ .
(٤١٩) ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ١٠٩ . - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٤٢٠) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٠٩ ، ١١٠ . - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٠٧ ، ١٠٨ .
(٤٢١) عارف تامر : المرجع السابق - ص ١٠٥ .
(٤٢٢) عريب بن سعيد : صله تاريخ الطبري - ص ٥ . - ابن الجوزي : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ٤٤ .
(٤٢٣) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١١٢ .
(٤٢٤) محمد عبد الفتاح عليان : المرجع السابق - ص ٨٧ ، ٨٨ . - عارف تامر : المرجع السابق - ص ١٠٣ .
(٤٢٥) حسن ابراهيم حسن : عبد الله المهدي - ص ١٠٠ .
(٤٢٦) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٤٠ وما بعدها
(٤٢٧) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٧٩ . - عارف تامر : المرجع السابق - ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٤٢٨) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٠٠ . - ابن الوردي : المصدر السابق - جـ ١ - ص ٢٤٧ .
(٤٢٩) محمد عبد الفتاح عليان : المرجع السابق - ص ٨٧ ، ٨٨ .
(٤٣٠) كرد علي : خطط الشام - جـ ١ - ص ١٨٠ وما بعدها . - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - جـ ٣ - ص ١٩٧ .
(٤٣١) عبد الفتاح عليان : المرجع السابق - ص ٩٦ ، ٩٧ . - «ربما يعود ذكر كل من ابن العميد : المصدر السابق - ص ١٨٢ . وابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٠٥ إن صاحب الشامة دخل حمص بعد حصارها وفتحها يعود لمقاومة الحامية الطولونية فيها دون غيرهم» .
(٤٣٢) انظر فيما سبق من هذا الكتاب . - عاشور ورافعي : المرجع السابق - ص ١١١ .
(٤٣٣) عبد الفتاح عليان : المرجع السابق - ص ٢٨/٩٢ - ٢٩ .
(٤٣٤) عارف تامر : المرجع السابق - ص ٤٢ - وما بعدها .
(٤٣٥) انظر فيما سيأتي من هذا الباب .
(٤٣٦) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري - ص ٦ . - ابن الاثير : الكامل - جـ ٦ - ص ١١٠ .
(٤٣٧) انظر، حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٧٧ .

(٤٣٨) انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٤٣٩) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦١ . ـ حامد غنيم : الدول الاقليمية ـ ص ٣٢٤ .
(٤٤٠) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦١ . ـ حامد غنيم : المرجع السابق ـ ص ٢٦٦ .
(٤٤١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٢٣ .
(٤٤٢) انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٤٤٣) حامد غنيم : الدول الاقليمية ـ ص ٣٢٥ .
(٤٤٤) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٣٢ . ـ المسعودي : المصدر السابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٠٢ .
(٤٤٥) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٣٧ . ـ حامد غنيم : المرجع السابق ـ ص ٣٢٥ .
(٤٤٦) حامد غنيم : الدول الاقليمية ـ ص ٣٢٥ .
(٤٤٧) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٤٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ـ ص ٨٦ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ـ ص ١٣٦ (قالت : عزاءك ياأمير المؤمنين في خمارويه) . وجعل من غلمانك خير خلف منه ، فقال لها أبلغك قتله ؟ قالت : لا والله ما يدخل إلى خبر من غير جهتك .
(٤٤٩) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٢ .
(٤٥٠) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٠٣ .
(٤٥١) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٦٢ .
(٤٥٢) انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٤٥٣) البلوي : المصدر السابق ـ ص ٣٧٦ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١١١ ، ١١٢ .
(٤٥٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٤٦ .
(٤٥٥) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٧٨ .
(٤٥٦) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١١٥ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٩ .
(٤٥٧) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١١٦ .
(٤٥٨) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ـ ص ١٧٦ .
(٤٥٩) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١١٨ . ـ الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٤٥ (حيث يقول وكتب محمد بن سليمان إلى دميانة وهو في الثغر يأمره بالمسير إلى سواحل مصر وفلسطين) .
(٤٦٠) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٩ .
(٤٦١) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٤٢ .
(٤٦٢) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٩ .

(٤٦٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٠٩ . - حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١٧٨ ، ١٨٨ .

(٤٦٤) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٥ (وصيف بن صوارتكين) - الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١١٨ .

(٤٦٥) حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٧٩ .

(٤٦٦) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٧ . - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٣٦ .

(٤٦٧) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ . - حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ١٨٠ .

(٤٦٨) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٦ . - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١١٠ ، ١١١ .

(٤٦٩) الكندي : المصدر السابق والصفحة . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٨٠ .

(٤٧٠) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٧ . - حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٨٠ .

(٤٧١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ١٣٧/ ١٣٨/ ١٣٩ . - الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٤٧٢) حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٨١ .

(٤٧٣) رافعي وعاشور : المرجع السابق - ص ١١١ . - انظر فيما سبق من هذا الباب .

(٤٧٤) أسعد طلس : المرجع السابق - ص ١٥ وما بعدها . - كرد علي : خطط الشام - جـ ١ - ص ١٧٨/ ١٧٩ .

(٤٧٥) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٨/ ٢٤٩/ ٢٥٢/ ٢٥٣/ ٢٥٤/ ٢٥٥ . - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ١٤١/ ١٤٢/ ١٤٣/ ١٤٤ . - محمود مصطفى : المرجع السابق - ص ١٢٠ وما بعدها .

(٤٧٦) ابن سعيد : المصدر السابق - ص ١٤٥ . - ابو المحاسن : النجوم - جـ ٣ - ص ١٣٥/١٣٧ .

(٤٧٧) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٨/ ٢٤٩/ ٢٥٠ . - ابو المحاسن : النجوم - جـ ٣ - ص ١٤٠ وما بعدها .

(٤٧٨) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٨ . - حسن محمود : مصر في العصر الطولوني - ص ١٨٢ .

(٤٧٩) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٤٨ . - ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٤٥ .

(٤٨٠) ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٤٥ . - الكندي : المصدر السابق - ص ٢٥٨ .

(٤٨١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ١٤٥ .

(٤٨٢) ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ١١١ .
(٤٨٣) ابن العديم : زبدة الحلب ـ جـ ١ ـ ص ٩٢ .
(٤٨٤) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٢١ ، «ورد اسمه ابراهيم الخليجي» .
ـ المقريزي : المصدر السابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٦٥ (ورد اسمه محمد بن علي بن الخليج) . ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ (ورد اسمه محمد بن علي الخلنجي) .
(٤٨٥) حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .
(٤٨٦) المقريزي : الخطط ـ جـ ١ ـ ص ٥٩٠ .
(٤٨٧) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ . ـ الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٢٨ .
(٤٨٨) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١١٩ ، ص ١٢١ . ـ عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري ـ ص ٨ .
(٤٨٩) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٢١ . ـ عريب بن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٨ .
(٤٩٠) النجوم الزاهرة : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٧ .
(٤٩١) ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ .
(٤٩٢) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري ـ ص ٩ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ـ ص ٢١ ، ٢٢ .
(٤٩٣) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١٢١ . ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
(٤٩٤) عريب بن سعيد : المصدر السابق ـ ص ٩ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ـ ص ٢٢ .
(٤٩٥) ابن سعيد البطريق : المصدر السابق ـ ص ٧٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ـ ص ٢٢ .
(٤٩٦) سيده كاشف وحسن محمود : مصر في العصر الطولوني والاخشيدي ص ١٢٨ .
(٤٩٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ .
(٤٩٨) ستانلي لينبول : سيرة القاهرة ـ ص ٩٥ ترجمة حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٠ . ـ سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي ـ ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٤٩٩) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١١٩ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ .
(٥٠٠) سيده كاشف : المرجع السابق ـ ص ٢٢ . ـ حسن محمود : المرجع السابق ـ ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٥٠١) نفس المراجع السابقة والصفحات .
(٥٠٢) الكندي : المصدر السابق ـ ص ٢٥٨ . ـ عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري : ص ٩ .
(٥٠٣) الطبري : المصدر السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ١١٩ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق ـ جـ ٦ ـ ص ١١٢ .

(٥٠٤) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٢٨ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ١١ - ص ١١٢ .

(٥٠٥) ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٥٢ . ـ الكندي : المصدر السابق - ص ٢٦٢ .

(٥٠٦) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٢٨ . ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق - ص ١٥٢ .

(٥٠٧) الكندي : المصدر السابق - ص ٢٦٣ . ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٥٤ .

(٥٠٨) ابن تغري بردي : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ١٥٥ .

(٥٠٩) أبو المحاسن : النجوم جـ ٣ ص ١٥٥ . ـ حسن محمود : المرجع السابق - ص ١٨٦ . ـ سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي - ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥١٠) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٢٢ . ـ ابي الفدا : المصدر السابق - ص ٦٤ .

(٥١١) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٢٢ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ١١٢ .

(٥١٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - جـ ٣ - ص ١٥٨ . ـ الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٢٢ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٥١٣) ابي الفدا : المصدر السابق - جـ ٢ - ص ٦٤ . ـ الطبري : المصدر السابق والصفحة .

(٥١٤) الطبري : المصدر السابق - جـ ١٠ - ص ١٢٣ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق - جـ ٦ - ص ١١٢ .

☆☆

الباب الثالث

العلاقات بين الشام ومصر في الفترة ما بين سقوط الطولونيين وقيام الدولة الاخشيدية (٢٩٣ - ٣٢٣ هـ)

١ - الأوضاع الداخلية في مصر والشام في هذه الفترة

٢ - النشاط القرمطي وأثره على مجرى الأحداث السياسية في الشام ومصر في هذه الفترة

٣ - النشاط الفاطمي وأثره على مجرى السياسة والأحداث في الشام ومصر

٤ - الوضع السياسي والمالي الموحد لمصر والشام في هذه الفترة

١ ـ الأوضاع الداخلية في مصر والشام في هذه الفترة

آ ـ الملامح العامة لما آلت إليه الأوضاع في الشام ومصر بعد الطولونيين :

بعد القضاء على الحكم الطولوني في مصر والشام ، عمل العباسيون على تفتيت وحدة المنطقة وعلى توزيع تركة العهد الطولوني على العناصر والفئات الكثيرة التي أسهمت في اقتلاع الجذور والآثار وإزالة العاصمة الطولونية وحرقها ، وأمر محمد بن سليمان باخراج الأعراب الذين قدموا معه كما أبعدت العناصر الطولونية كافة والقوى الفعالة المتعاطفة معها .

وسار بعد ذلك لتثبيت الأوضاع الداخلية فقام بعزل محمد بن عثمان القاضي في مصر عن القضاء لكونه من أعداء العباسيين[١] ورد محمد بن عبده على القضاء ، وبعث محمد بن سليمان بطغج بن جف وجعله والياً على قنسرين وأبعده بذلك عن ولاية دمشق هادفاً من ذلك إلى عزله عن الأنصار والقوى التي تؤيده فيها ، كما ضم إليه جمعاً من جنود بني طولون[٢] ، وأخرج بدر الحمامي وجعله والياً على دمشق .

وبعد فترة وردت أوامر الخلافة العباسية بتولي عيسى النوشري على مصر فقدمها هذا في ٢٣ جمادى الآخر في سنة ٢٩٢ هـ[٣] كما وردت الكتب الكثيرة التي تكافىء فيها الخلافة القادة الذين اشتركوا مع محمد بن سليمان ، وتأمر بتقليدهم أمر المدن والكور في القطرين ، فتولى علي بن حسان أمر الاسكندرية[٤] ، وتولى مهاجر ابن طليق أمر ثغر تنيس ودمياط ، وعهد إلى رجل يعرف بالكندي بأمر الأحواف . وإلى رجل آخر يقال له موسى بن أحمد بشؤون برقه وما والاها . وإلى محمد بن ربيعة بأمر الصعيد وأسوان ، وقلد أبو زنبور الحسين بن أحمد الماذرائي الخراج وأعماله في مصر[٥] .

وبناء على أوامر الخلافة أيضاً انصرف دميانة البحري عن مصر وغادرها[٦] ، كما خرج محمد بن سليمان عن مصر في أول رجب سنة ٢٩٢هـ وأخذ معه كل من بقي من الطولونيين وأنصارهم وأعوانهم ، وكل من له صلة بهذه الحركة الاستقلالية[٧] كذلك عزل أبو العشائر أحمد بن نصر وولى مكانه رستم بن بردو سنة ٣٩٢ هـ على ثغر طرسوس .[٨]

وفي بلاد الشام خرج أحد الضباط من العناصر الوطنية من فرقة صافي الرومي ، وهو محمد بن علي الخليج ، وقاد حركة ثورية هدفت إلى إعادة الحكم الطولوني . وقد حققت هذه الثورة انتصاراً في جنوب بلاد الشام وحكمت أجزاء كبيرة من مصر فترة تزيد على سبعة أشهر ، غير أنه قدر للخلافة العباسية أن تنهي هذه الثورة في سنة ٢٩٣ هـ[٩] ، وتعود بذلك مصر والشام نهائياً إلى الحكم العباسي المباشر ، ويدخل تاريخ القطرين تحت اشراف بغداد ، ولكن سرعان ما أخذ يتنازع البلدين تيارات داخلية كثيرة وتخضعان لضغوط خارجية خطيرة ، قرمطية في الشرق ، وفاطمية في الغرب ، وروميه (بيزنطية) في الشمال .[١٠] كما شهد البلدان نزاعاً مستمراً بين القوى التي أخذت تتطاحن حول اقتسام العالم الاسلامي والسيطرة عليه ، فقد تعرضت مصر مثلاً لضغط الجيش وعناصره المتعددة ولاجراءات الولاة التعسفية ، اثر أحداث الثورة الخلنجية والغزوات الفاطمية[١١] .

كما شهدت الشام ومصر تحركات كثيرة أثارتها القبائل العربية وتمرد بعض الدعاة ، وفتناً طائفية وضغوطاً رومية مؤثرة ، واضطراباً لم تر مثيله اثر التحرك القرمطي واجتياحهم للمنطقة ونشرهم للفوضى والاخلال بالأمن[١٢] .

وهكذا تعرض القطران لأحداث متداخلة وكبيرة تعطي صورة واضحة عما وصل إليه العالم الإسلامي ، في بداية القرن الرابع الهجري من تفكك ، وفقدان لوحدته السياسية فضلاً عن وجود خلافات اسلامية ثلاث : العباسية في بغداد ، والفاطمية في المغرب ، والأموية في قرطبة .

وعلى الرغم من ذلك لم تتحرك الخلافة العباسية التي دب فيها الوهن ، وعجز الخلفاء عن السيطرة على شؤون الحكم ووقعوا تحت نفوذ عناصر الأتراك الذين آلت إليهم جميع الأمور في الدولة ، وغدا الخلفاء ألعوبة سهلة التغيير ولا قيمة لوجودهم أمام هذه القوى الكثيرة التي تحرك السياسة في بغداد[١٣] .

وتحت تأثير هذه الأجواء الحالكة السواد سارت الأوضاع الداخلية في الشام ومصر ، وكان أن شهد القطران صوراً قاتمة ومتشابهة .

ب ـ الأحوال الداخلية في مصر :

ففي مصر ، سادت الاضطرابات ولقي أهلها الكثير من عبث الولاة . ففي ولاية عيسى النوشري (٢٩٢ ـ ٢٩٧هـ) ، قام هذا ولاحق أتباع محمد بن علي الخلنجي ، من الكتاب والجند وغيرهم وقبض على جماعة منهم وتشرد الباقون ، كما قام وشدد على الأهالي ومنعهم من مزاولة أوجه نشاطاتهم الاجتماعية ، فأغلق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين[١٤] ولم يعد يفتح إلا للصلاة فقط . وكان المسجد مصدر نشاط اجتماعي متعدد الأهداف في تلك الفترات وقبلها . كما لاحق هذا الجند الذين شغبوا عليه فأوقع بهم وظفر بجماعة منهم وقتلهم[١٥] .

وفي ولاية تكين الأولى على مصر والشام[١٦] (٢٩٧ ـ ٣٠٢هـ) شهدت مصر خروج الاعراب والأحواش (لعلها أراذل الناس) وكان خروجهم رداً على تجبر تكين واستبداده[١٧] . فانضموا الى الجنود الفاطميين وكانوا مقدمة للحملة المغربية الأولى على مصر سنة ٣٠١هـ بقيادة حباسة بن يوسف التي احتلت برقة ودخلت الاسكندرية سنة ٣٠٢هـ[١٨] .

وقد خرج أهل مصر لهؤلاء العساكر وتكررت لقاءاتهم بهم وكثر القتل فيهم كما فقد حباسة أكثر رجاله ، واستشهد من أهل مصر أكثر من عشرة آلاف رجل[١٩] .

وقد تضايق الناس من جند مؤنس الخادم الذين تكاثروا حتى ضاق بهم البلد ، اثر النجدة التي جهزتها الخلافة لنصرة تكين وإبعاد الفاطميين عن مصر ،

فلما كثر الشغب أمر أحمد بن كيغلغ أمير دمشق بالخروج والعودة بعساكره إلى الشام مع جمع كبير من القوات . ولم يستمر تكين طويلاً في الحكم حيث صرفه مؤنس الخادم في ذي القعدة سنة ٣٠٢ هـ خوفاً من نفوذه وبقي هو فيها يخاطب بالاستاذ إلى أن ولى الخليفة المقتدر ذكا الرومي ، عوضاً عن تكين ، فكانت ولايته الأولى خمس سنوات وأياماً[٢٠] .

وهكذا يزداد الوضع السياسي تدهوراً في هذه الفترة وتظهر قوة القواد العسكريين ونفوذهم في عزل الولاة دون الرجوع إلى الخليفة وتعيين من يختارونه ثم تضطر الخلافة لتقليده .

وفي عهد ذكا الأعور (٣٠٢ ـ ٣٠٧هـ) أمر الخليفة مؤنس الخادم بالخروج من مصر إلى بغداد بحجة القضاء على تمرد الحسين بن حمدان الذي زاد خطره ، كما طلب الخليفة أن يخرج مؤنس معه أعيان القواد ، فأخرج معه أحمد بن كيغلغ وعلي بن أحمد بن بسطام والعباس بن عمر ، وغيرهم ممن يخاف وجودهم في مصر وتمردهم والعمل ضد السلطة المركزية لمصالحه الخاصة[٢١] .

وافتتح ذكا عهده بملاحقة أعوان المهدي وكل من اتجهت حوله الشبهات ومخاطبة الفاطميين ، فقبض على جماعة منهم وسجن وقطع أيدي الكثيرين وأرجلهم ، وعظمت هيبته في نفوس الناس[٢٢] .

كما قام هذا باجلاء أهل لوبيه ومراقية إلى الاسكندرية خوفاً من انضمامهم إلى القوات المغربية .

وفي صفر سنة ٣٠٧ هـ دخل الفاطميون بقيادة أبي القاسم الاسكندرية وأحدث جندهم الفوضى والذعر بين الأهالي الذين فروا من مصر إلى الشام وسلكوا طريق البر والبحر وهلك أكثرهم[٢٣] في فلسطين وهكذا كانت الشام ملجأ لمصر أثناء ملماتها كما كانت مصر للشام منذ فجر التاريخ تفتح أبوابها ومؤسساتها لاستقبال الشاميين وملاذاً لهم إذا ما حلت بهم الخطوب والأهواء[٢٤] .

واضطرب عليه الجند وطالبوه برواتبهم وأعطياتهم ورفضوا الخروج معه إلى الجيزة ، إلى أن قدم الحسين بن أحمد الماذرائي والياً على الخراج ، فصرف لهؤلاء عطاءهم ، وبينما ذكا يقوم بتجهيز مصر ويحصنها ضد المغاربة وافته منيته في ربيع الآخر سنة ٣٠٧هـ(٢٥) ، فقام الخليفة العباسي المقتدر وولى أبا منصور تكين مصر للمرة الثانية (٣٠٧ ـ ٣٠٩هـ) ولا بد من أن تكون الظروف السياسية والهجمات الفاطمية هي التي دفعت الخلافة لتقليده أمرة مصر هذه المرة ، وذلك لمعرفته بأمور مصر ، ونجاحه في حروبه ضد الفاطميين ، وتحصينه البلد وتجهيز الجيوش ، وما أن وصل إلى مسامعه أن ابن المديني القاضي وجماعة بمصر يدعون إلى المهدي العلوي حتى ضرب أعناقهم جميعاً(٢٦) .

وعلى الرغم من أنه وقف وقفة مشرفة وأجبر القائم الفاطمي على ترك مصر إلى برقة بعد حروب مضنية ظهر بها تعاون الجيوش البرية والبحرية في الشام ومصر وحققت انتصاراتها في عهد هذا الوالي ، غير أنه ما كاد يرتاح من وطأة الفاطميين حتى قام مؤنس وصرفه عن أمر مصر في ربيع الأول سنة ٣٠٩هـ ، معارضاً بذلك رغبات أهل مصر الذين أحبوه كثيراً ، نتيجة لجهوده وتقديراً لأعماله(٢٧) ، ويبدو أن مؤنس أقدم على عزله لأنه شعر بمكانته بين أهل مصر فخاف وجوده فيها ، واعتبره منافساً خطيراً له وقد باركت الخلافة العباسية هذا العزل ، وذلك لإبعاده بعد ما حقق من انتصار خوفاً من استغلال ذلك وتحقيق مكاسب ذاتية تعارض السياسة العليا للعباسيين .

وفي عهد هلال بن بدر وولايته على مصر (٣٠٩هـ) اضطربت أوضاع مصر ، وثار الجند وفقد الأمن ، وكثر القتل والنهب وعم الفساد والفوضى ، وقطعت الطرق بالديار المصرية وعجزت الخلافة والسلطة المركزية في بغداد عن إخضاع هؤلاء الثوار فاضطر الخليفة المقتدر إلى إعادة تكين والياً على مصر للمرة الثالثة في سنة ٣١١هـ(٢٨) .

وبدأ تكين عهده الجديد بتوجيه اهتمامه للقضاء على عوامل الفوضى في البلاد ، وتكللت جهوده بالنجاح ، فقام بضرب الجند الثائرين وأضعف من

شوكتهم ، وأخيراً أخرجهم من مصر ، وقدر له أن يعيد الهدوء والاستقرار إلى البلاد واستمر والياً على مصر إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ[٢٩] .

وبعد وفاته سنة ٣٢١هـ استخلف ابنه محمد على ولاية مصر ولم تنعم البلاد في عهده بالهدوء والاستقرار بسبب المنافسة الكبيرة والنزاع على الحكم بينه وبين محمد بن علي الماذرائي حيث لم يعترف به أميراً ، وبخاصة أن الخليفة لم يمنحه تقليدها ، وظل يلاحقه حتى اضطره إلى الخروج إلى بلاد الشام[٣٠] .

ومن الشام أرسل إلى الخلافة العباسية طالباً ولاية مصر فقلده الخليفة إياها . وفي الوقت نفسه كان الماذرائي يراسل المسؤولين في بغداد يلتمس أميراً ، ولم يطلب الإمارة لنفسه ، ومن المؤكد أنه كان لا يرغب في تولية محمد بن تكين[٣١] . ومهما يكن فقد تسلم ابن تكين تقليداً من بغداد بتوليته على مصر ، وفي نفس الوقت وصل الماذرائي رد آخر من الخلافة بتفويض أمر مصر وتدبيرها إليه[٣٢] ، حيث كتبت إليه تقول «أن الأمر يصير إليك فتقلد من شئت وتصرف من سسـ بهذا الموقف من الخلافة العباسية يعطى صورة لما كانت عليه الأمور من فوضى ويؤكد سياسة العبا ،ن في الإيقاع بالقوى ومحاولة ضرب بـخـها بعض . كما أنها كانت حريصة على أن تتعدد السلطات في مصر وعلى أن لا تتركز في يد أي شخص أو قوة بما في ذلك يد الوالي نفسه حتى تقضي بذلك على أية نزعة استقلالية تعيد ما حدث في العهد الطولوني[٣٣] .

ولقد وقف الماذرائي (أبو بكر محمد بن علي الماذرائي) في وجه ابن تكين ومنعه من دخول مصر وبقيت مصر بغير وال إلى أن ورد أمر بتقليد محمد بن طغج أمر مصر وكان إذ ذاك في دمشق ، في رمضان سنة ٣٢١هـ[٣٤] ، وبقي محمد بن طغج في دمشق وظل اسمه يذكر على المنابر في مصر بعد اسم الخليفة لمدة (٣٢ يوماً) اثنين وثلاثين يوماً وذلك من ٧ رمضان إلى التاسع من شوال سنة ٣٢١هـ[٣٥] .

ثم ورد كتاب القاهر الخليفة العباسي بتقليد أحمد بن كيغلغ مصر وأعمالها[٣٦] . ولا يمكن أن يفسر هذا التغيير السريع في موقف الخلافة إلا بسوء

الادارة والسلطة في بغداد وعدم استقرارها على قرار وخاصة في مصر والشام كما يشهد بسيادة الفوضى والاضطراب في هذه المرحلة وربما يعود ذلك إلى تأثير الماذرائيين وأنصارهم وسياستهم الرامية إلى إبعاد من يخافونه عن ولاية مصر. حيث كانوا يرغبون أن يحكموا مصر فعلاً لا اسماً وأن يبتلعوا أي وال يقلد أمر مصر(٣٧) .

وفي هذه الفترة ثار الجند مرة ثانية على أبي بكر الماذرائي مطالبين برواتبهم وأقدموا على حرق دوره وبيوت أهله وقامت الفتن والمعارك بين طوائف الجند المختلفة ولا سيما بين المغاربة والمصريين(٣٨) ولم تكن الأمور تستقر حتى عاد محمد بن تكين على رأس قوة من فلسطين مدعياً أن الخليفة قد عينه على مصر فوصلها في ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ(٣٩) ، وتصدى له الماذرائي وابن كيغلغ وناصرته بعض الفئات المصرية واستمر القتال بين الطرفين وانتهى ذلك بهزيمة ابن تكين وفراره من الفسطاط بعد أن دام حكمه فيها مائة واثني عشر يوماً(٤٠) .

وبينما أخذ أحمد بن كيغلغ ينصرف الى اصلاح امور البلاد ، جاءت الاخبار بخلع القاهر وتولية الراضي بالله ، فعاد محمد بن تكين الى مصر مدعيا ان الخليفة الجديد ولاه امر البلاد(٤١) ، وكان ذلك نذيرا باشتعال الحروب والثورة بين الواليين ابن كيغلغ وابن تكين وكان على احدهما ان يعلن احقيته بعزيمته وقوة سيفه ، واثبت ابن كيغلغ مقدرته فتمكن من ابن تكين واوقعه في الاسر وقام بنفيه الى الصعيد(٤٢) ، واستتب الحكم له لكن تدبير الامور الفعلي ظل بيد الماذرائي وأولاده ولم يكن لابن كيغلغ معهم امر ولا نهي(٤٣) .

وسار الخليفة الجديد على سنة الخلفاء العباسيين في التفريق بين السلطات الحاكمة في مصر فكتب الى احمد بن كيغلغ يقره على ولاية مصر في حين أرسل تعليماته الى الماذرائي يذكره بأن الأمر له يقلد من يشاء ويصرف من يشاء(٤٤) .

وفي غمرة هذه الاحداث تفاجىء الخلافة القائمين على مصر بتقليد محمد بن طغج وتردهم الاخبار بقدومه من الشام يريد مصر في سنة ٣٢٣ هـ(٤٥) ،

ولقد كانت هناك امور كثيرة واسباب متعددة لتولي محمد بن طغج هذا للمرة الثانية على مصر سنتطرق اليها في الفصل القادم ومن الواضح ان تهديد الفاطميين بغزو مصر ، وفقدان الأمن هما العاملان الرئيسيان اللذان أديا الى توليته على مصر(٤٦) .

ولقد أدت هذه الاضطرابات السياسية وكثرة الحروب والفتن الداخلية على أرض مصر الى شل الحركة الاقتصادية في البلد واضطراب أحواله المالية ، فأخذ محمد بن علي الماذرائي ذلك ذريعة لتثبيت وجوده بمصر ومستغلا الوضع لصالح الماذرائيين عامة ، ومشيرا الى كثرة هذه الجيوش في مصر وما تحتاج اليه من نفقات طائلة(٤٧) ولقد عانى الشعب الكثير من عسف الجنود وما اقدموا عليه من السلب والنهب .

وهكذا يمكن القول ان الوضع في مصر كان مهيئا جدا من جميع النواحي لأي فرد يجد في نفسه القوة على تحقيق الاستقلال بمصر واشادة حكم له ولابنائه بها ، وهذا ماحدث فعلا على يد محمد بن طغج(٤٨) .

جـ ـ الأحوال الداخلية في الشام :

أما في الشام فكان الوضع السياسي والأمن اشد اضطرابا وتعقيدا نتيجة لضعف السلطة المركزية العباسية التي سيطر عليها القادة الأتراك والغلمان والنساء ، فعجزت عن تسيير دفة الأمور والسيطرة على الاحداث ، وتخبطت في مسيرتها ، فاكثرت من العزل والتعيين وضربت القوى بعضها ببعض ، ودعمت التجزئة والانفصال(٤٩) ، وشهدت هذه الفترة نشاطا قرمطيا واسماعيليا واسعا جدا ، وتحرك الأعراب ردا على كل ذلك ، كما شهدت فتنا طائفية ، وضغطا روميا على الثغور ، كل هذه الاحداث وقعت مجتمعة بهذه المنطقة وفي هذه الحقبة القصيرة ، فأودت بالبلد ، فانعدم الأمن وساءت أحوال البلاد الاقتصادية ، وفتح الطريق أمام كل طامح وطامع ليحقق احلامه الخاصة ، مستفيدا من الظروف ، فلنبحث اهم مظاهر هذه الاحداث والحركات المؤثرة على أمن البلاد في الشام في هذه الفترة .

ـ ثورات الأعراب :

ساعد الجو الذي ساد المنطقة وخاصة بلاد الشام بعض القبائل العربية ، وأفرادها على التحرك والثورة ، فلقد اشتهرت هذه القبائل باستغلالها للفوضى والمنازعات ، ورأت بها الفرص ، للحصول على المغانم كما اخذت بذلك تنفس عن كمائن الحقد لديها بعد أن اهمل شأنها ووضعت على هامش السياسة والاحداث ، وحل محلها الاغراب ، فنشطت عمليات الغزو والسلب واسهمت في الثورة القرمطية واشتركت فيما وقع بالشام من ثورات وفتن ومن اهم القبائل العربية التي ساهمت في هذا الشغب قبائل بني طيء وكلب واسد وتميم ، ونمر وغيرهم[٥٠] .

ففي سنة ٢٩٤ هـ ثارت بعض القبائل العربية في بلاد الشام ، فاحدثت الفوضى والاضطراب فيها ، واوعزت الخلافة الى الحسين بن حمدان بالتصدي لهؤلاء المتمردين من قبائل كلب والنمر وأسد وغيرهم الذين اجتمعوا وشكلوا حلفا ضده فهزمت قواهم المتحدة الحسين ودحرته حتى بلغ ابواب حلب[٥١] . الا انه استمر في قتالهم الى أن انفرط عقدهم فانقض عليهم وقتل وسبى منهم الكثير[٥٢] .

وفي العام نفسه تحركت قبائل من اعراب بني طيء ضد صور تكين بمنطقة فيد ، وكان قد توجه اميرا على الحجاج ، فحاصروه ثلاثة ايام فخرج اليهم وواقعهم وقتل منهم العديد ، فانهزموا امامه ، ورحل وصيف بمن معه من الحجاج[٥٣] .

وتعرض لهؤلاء الأعراب من طيء الحسين بن موسى وهم بغفلة منه ردا على تحرشهم لوصيف ، وقتل منهم فيما قيل سبعين رجلا وأسر من فرسانهم جماعة كثيرين[٥٤] .

وفي سنة ٢٩٥ هـ ثار بنو تميم وعاثوا في منطقة حلب زارعين الفوضى والفساد واقدموا على محاصرة والي حلب ذكا الرومي (الأعور) وضايقوه ، فكتب

الخليفة المقتدر الى الحسين بن حمدان في نجده ذكا بحلب فاتجه هذا من الرحبة[٥٥] ، وقاتلهم في (خناصره) واسر منهم جماعة ثم انصرف دون ان يجتمع بذكا .

وعلى أثر هذه الاضطرابات في الشام ، والنجاح الفاطمي في المغرب وتحركهم نحو مصر قامت الخلافة العباسية باجراءات سياسية وادارية في الشام ومصر فقام الخليفة العباسي المقتدر وخلع على ابنه الامير ابي العباس (الذي ولى الخلافة بعد القاهر ولقب الراضي بالله) . وقلده اعمال مصر والمغرب وعمره أربع سنوات فقط ، واستخلف له على مصر والشام مؤنس الخادم يقوم بتسيير امورها والاشراف عليها نيابة عنه[٥٦] ، فقام هذا بنقل ذكا من حلب وعينه نائبا عنه على دمشق بالاضافة الى توليته أمر مصر[٥٧] . ونقل احمد بن كيغلغ من دمشق الى حلب وولاه عليها .

وفي سنة ٣٠٢ هـ اوقع مؤنس الخادم بناحية وادي الذئاب بمن هناك من الاعراب من بني شيبان ، وقتل منهم خلفا كثيرا واقدم على نهب بيوتهم وارزاقهم واعاد الكثير من اموال التجار الذين كانوا قد سلبوها بقطعهم الطريق واخذها من بضائع هؤلاء التجار[٥٨] .

كما خرجت في العام نفسه القبائل العربية في الحاجر على الحجاج فقطعت عليهم الطريق واخذوا ما معهم من الارزاق والامتعة وأسروا مائتين وخمسين امرأة[٥٩] .

وفي سنة ٣٠٣ هـ خرجت جماعة من الاعراب وتعرضوا للحجاج واعتدوا عليهم بناحية الاجفر ، فتصدى لهم ابو حامد ورقاء بن محمد[٦٠] ، فظفر بهم وقتل جماعة منهم وأسر الباقين ، وحملهم الى بغداد ، وهناك ثار العامة عليهم وقتلوهم[٦١] .

وفي سنة ٣١٩ هـ ولى مؤنس المظفر غلامه طريف بن عبد الله السبكري الخادم على حلب فحاصر هذا بني الفصيص ، حيث كانوا قد اقدموا على الثورة في اللاذقية ، فقصد حصونها في هذا العام وعلى الرغم من انهم وقفوا ببسالة ضده الا

انهم اضطروا اخيرا لطلب الأمان بعد أن نفذ ما كان عندهم من القوت والماء ، فأمنهم ووفى لهم حيث اخذهم معه الى حلب ، مكرمين معظمين . وعلى أثر ذلك كافأ مؤنس غلامه هذا وأضاف اليه إمرة حمص بالاضافة الى حلب(٦٢) .

ويجب ان لا نفسر ان حركات الاعراب وثوراتهم هذه على انها مجرد غزو وسلب انما الواقع ان ذلك يعود لسياسة العباسيين ومحاولاتهم الكثيرة التي بدأت منذ عهودهم الأولى لابعاد العرب ثم جاء المعتصم واسقطهم من ديوان العطاء . ومنذ ذلك الوقت اخذ هؤلاء يشعرون بالغبن الشديد وبأنهم اغراب في الدولة التي افسحت المجال للاتراك وغيرهم وسيطروا على كل شيء فيها . فتولدت عند هذه القبائل نقمة كبيرة وشعوبية عربية ردا على الشعوبية الفارسية والتركية ، واستغل هذه النقمة اصحاب التطلعات والامراء من الاعراب وكانوا بداية لقيام الحكومات العربية في المنطقة امثال الحمدانيين في الموصل وحلب ، وغيرهم من الامارات العربية المتعددة التي شاهدتها المنطقة(٦٣) .

وفي هذه الفترة يظهر سوء الادارة في الحكم العباسي بأوضح مظاهره وتسود الشام ومصر مرحلة من الانقلابات السياسية ، ويكثر العزل للامراء حتى ان بعضهم لم تستمر ولايته اكثر من ثلاثة أيام ولم يبت بها أمرا(٦٤) .

وتزداد سلطة القادة العسكريين الذين كانوا مصدر اضطراب الاحوال السياسية ايضا ، فيكرسون بدورهم هذه السياسة خشية منهم على نفوذهم ومصالحهم الخاصة ، فما ان يشعروا بارتقاء مكانة احد الامراء ونجاحه في ولايته حتى يقدموا على عزله او ينقلوه لمنطقة اخرى(٦٥) ، وهكذا عمت البلاد الفوضى السياسية والاضطراب الاقتصادي .

كما انه يجب ان نلاحظ ان جميع الولاة والامراء الذين حكموا مصر والشام كانوا ينتقلون بين ولاية مدينة واخرى وأن أكثرهم استقراراً وسلطة من حكم البلدين معاً ، فلقي كلاهما مصيراً مشتركاً من سوء بعضهم(٦٦) ، وكان اكثرهم توفيقاً ونجاحاً الامير تكين الخاصة الذي ولي امرة كل من الشام ومصر ثلاث مرات(٦٧) .

د ـ أهم الولاة الذين حكموا بلاد الشام في هذه الفترة :

وباستعراض الولاة الذين حكموا مدن الشام في هذه المرحلة نجد أنهم هم الذين اسندت لهم الأمور بمصر .

ففي دمشق قام الامير أحمد بن كيغلغ بأمرها بعد انتهاء الحكم الطولوني واستمر عليها حتى قدم مؤنس الخادم في سنة ٣٠٢ الى حلب وعزل ذكا الأعور عنها وولاه دمشق ومصر ، وقام بنقل ابي العباس أحمد بن كيغلغ الى حلب(٦٨) ، الذي لم يدم حكمه لها طويلا ، حيث قام بصرفه مؤنس الخادم وتولية ابي قابوس محمود بن جك الخرساني سنة ٣٠٢ هـ ، وكان هذا جباراً قاسياً متشدداً على أهل البيت ، ودام حكمه فيها الى سنة ٣١٢ هـ(٦٩) ، وهو الذي عينه مؤنس على امرة مصر بعد عزل تكين عنها في سنة ٣٠٩ هـ ولم ينجح أمره بمصر وثارت عليه العساكر فعزله مؤنس بعد ثلاثة ايام ، واعاد الامير تكين لمصر للمرة الثالثة وبعد اربعة ايام من ولايته الجديدة قام مؤنس وابعده الى بلاد الشام خوفا من الفتنة مع اربعة آلاف من اهل الديوان(٧٠) .

ويبدو ان تكين ابا منصور ، مولى المعتضد ، تناوب على امرة دمشق منذ سنة ٢٩٧ هـ الى ان توفى في مصر في سنة ٣٢١ هـ اكثر من ثلاث مرات وحكمها في اكثر الاوقات مع مصر(٧١) ، ففي سنة ٣٠٧ هـ خلع المقتدر علي نازوك الخادم وولاه دمشق وكان تكين قد عزل عنها لأول مرة ، وما ان عزل تكين للمرة الثانية سنة ٣٠٩ هـ عن أمرة مصر حتى اعيد الى امرة دمشق وعزل نازوك وأبعد الى بغداد(٧٢) ، وفي سنة ٣٠٩ هـ عين على دمشق عمر الراشدي في عهد المقتدر العباسي بعد ولاية تكين الخاصة الثانية عليها وأقام بها شهورا وعزل عنها(٧٣) . وفي سنة ٣١٣ هـ ولي أمر دمشق هلال بن بدر وكان هذا قد ولاه الخليفة العباسي المقتدر ولاية مصر بعد عزل مؤنس لتكين سنة ٣٠٩ هـ ، غير ان اضطراب البلاد المصرية في عهده ، وما رافق وجوده فيها من مشاكل ومصاعب سياسية واقتصادية متفاقمة ، دفع الخليفة المقتدر بالله العباسي الى عزله عن امرة مصر وتقليدها للامير

أحمد بن كيغلغ وعلى الرغم من سوء سياسة هلال هذا في مصر وما اصاب البلاد المصرية في عهده فقد ولته الخلافة امرة دمشق واستمر فيها يعاني الشعب من اخطاء سياسته لمدة ثلاث سنوات(٧٤) .

وعندما استدعى مؤنس الخادم من بلاد الشام سنة ٣١٢ هـ الى بغداد لقتال القرامطة عين وصيف البكتمري واليا على حلب قبل مغادرته لها ، وبقى عليها الى ان عزله سنة ٣١٦ هـ وولى مكانه هلال بن بدر(٧٥) .

وبعد عزل وصيف البكتمري عن حلب عهد اليه امر دمشق كما ولى على أمرة حلب هلال بن بدر في السنة نفسها وكان هذا اميرا لدمشق(٧٦) ، ثم عزل هلال عن حلب وولى قطر بل في بداية عام ٣١٧ هـ .

أما دمشق فقد عزل عنها وصيف البكتمري وعين عوضا عنه محمد بن علي المعروف بغلام الراشدي في سنة ٣١٧ هـ(٧٧) ، وبقي هذا الى ان عزل واسندت امر ولايتها لابي بكر محمد بن طغج بن جف لأول مرة سنة ٣١٨ هـ ، كما وليها هذا في سنة ٣٢١ للمرة الثانية . ولما دخلها استقبله اهلها احسن استقبال ، ثم وليها للمرة الثالثة من قبل الخليفة الراضي في شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ(٧٨) .

أما في حلب فقد وليها بعد هلال بن بدر وصيف البكتمري للمرة الثانية سنة ٣١٧ هـ وتوفي هذا في العام نفسه في حلب ، فاسندت ولايتها للامير احمد بن كيغلغ الى نهاية سنة ٣١٨ هـ(٧٩) ، حيث قام مؤنس المظفر وولى عليها غلامه طريف بن عبد الله السبكري الخادم في سنة ٣١٩ هـ وهو الذي اقدم على حصار بني الفصيص في حصونهم باللاذقية(٨٠) . وفي سنة ٣٢٠ هـ ، ٣٢١ هـ ولى القاهر بالله بشرى الخادم دمشق وحلب فسار هذا الى حلب ثم الى حمص فتصدى له محمد بن طغج وقام باسره ثم قتله خنقا ، وفي هذا ما فيه من الفوضى وسوء السياسة العباسية التي كانت تسند امور البلاد لأكثر من وال وتضع هؤلاء في صدام مباشر ويكون المنتصر هو الأمير الفعلي(٨١) . وهذا ما حدث فعلا ويظهر ان الخلافة

العباسية اعطت كلاً من محمد بن طغج وبشرى هذا التقليد على بلاد الشام فاوقعهما ذلك في الحروب الطاحنة .

وفي سنة ٣٢٢ هـ ولى الخليفة الراضي بالله طريف بن عبد الله السبكري للمرة الثانية على الفرات والثغور الجزرية والشامية واجناد الشام وديار مضر وفوضه أن يصرف من يرى ويستعمل من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك[٨٢] .

والراضي ايضا هو الذي ندب الفضل بن جعفر وزيرا لكشف امور مصر والشام وكلفه بتدبير جميع اعمال الشامات ومصر وان يكون تصريف امورهما حسبما يراه حيث اشترط على الخليفة في قوله (يرى الشاهد ما لايرى الغائب) وسيره بنفس مهمة طريف وبنفس الوقت فأمر هذا بتقليد محمد بن طغج الاخشيد على مصر[٨٣] ، وزادت الامور سوءا وتعقيدا ، ولم تكن سياسة تبديل الولاة وعزلهم السريع هي السائدة فقط في النظام العباسي في هذه الفترة من تاريخ بلاد الشام ، فلقد رافق استلام امرة البلاد وتقليد زمامها مساومات بين هؤلاء العمال ورشاوى كانت تدفع ثمنا للتقليد او التثبيت في المركز السياسي والاداري ، ففي ولاية طريف بن عبد الله السبكري الذي قلد حلب سنة ٣٢٢ هـ وبقي حتى سنة ٣٢٤ هـ قلدت الخلافة امر حلب الى بدر الخرشني سنة ٣٢٤ هـ ، فما كان من طريف هذا الا أن أرسل مندوبا من طرفه يحمل الأموال الكثيرة الى الوزير ابن مقلة في بغداد ودفع هذا الرسول مبلغ عشرين ألف دينار لكي يتوسط الخليفة لابعاد الخرشني وتثبيت سيده طريف على امرة حلب ، غير ان طلبه جاء متأخرا فلقد وصلها الخرشني ووقعت الحروب بينه وبين طريف وانتهت بهزيمته واستيلاء خصمه الخرشني على حلب وبعد فترة كوتب الخرشني بالانصراف عنها وقلد امرها لطريف هذا للمرة الثانية واقام بها طيلة سنة ٣٢٤ هـ[٨٤] ، ويظهر ان الأموال المبذولة للوزير ابن مقلة اتت أكلها وكانت وراء عودته الى ولايته في حلب .

وهكذا كان الجو العام مضطربا وشائكا في الشام ومصر في هذه الفترة وساهمت الخلافة العباسية في ازدياده سوءا وتعقيدا نظرا لضعفها ، واتخاذها

القرارات السريعة المتعددة بل والمتناقضة ، وبهذا الجو المضطرب نشأ محمد بن طغج وعاش متنقلا بين مدن الشام ومصر يلي الامارة فيها ، ويخوض المعارك بها ، وتعلم هو وغيره ان امر التقليد الخلافي ليس الا وسيلة لتحقيق الهدف ومن اراد ان يحقق حلمه في المنطقة عليه ان يستند الى القوة لكي تساعده في التصدي لهذه القوى الكثيرة المبعثرة في كل مدينة واقليم في البلدين ، لهذا أخذ يعمل بكل جدية وحيطة وحذر متخذا لنفسه قوة عسكرية ساعدته على فرض وجوده واحقيته بالامارة على مصر والشام كما سنرى .

كما أدرك هذا وغيره ممن يحلم بالحكم أو يتطلع اليه ، غنى الجانب الغربي من الدولة العباسية حيث القاعدة الاقتصادية الغنية والمواقع الاستراتيجية الهامة في الشام ومصر فمن تملكها استطاع ان يحصل على مال وفير يمكنه من ارضاء اصحاب المطامع في الدولة العباسية ، ويقيم به ملكا يدوم له ويورثه أهله ، وكانت التجربة الطولونية رائد الكثيرين الذين استغلوا ظروف المنطقة لمصالحهم الخاصة(٨٥) .

وكان تكين قبل محمد بن طغج افضل من وفق وحقق بعض التقدم في هذا المجال وحكم البلدين فترة لا بأس بها اذا ما قورنت بالعهد الطولوني والاخشيدي من بعده ، ولعل تطلعه هذا يكشف لنا عن الأسباب الحقيقية وراء موقف الخلافة ومؤنس المظفر منه وعزله بعد نهاية كل نجاح له في مصر بسياسته الداخلية والخارجية(٨٦) ، ولم يقدموا على اعادته على ولاية مصر الا مكرهين ونتيجة للوضع الداخلي الذي كان يتدهور باستمرار وللنشاط الاسماعيلي المذهبي والعسكري في مصر والذي كان في حاجة لشخصية قوية تقف امام نجاحهم الذي اصبح قاب قوسين او ادنى في السيطرة على مصر(٨٧) .

هـ ـ الحركات الدينية :

كذلك اصبحت بلاد الشام مسرحا لقيام الكثيرين من الدعاة الشيعة الذين لم يخل منهم اقليم من الاقاليم التابعة للدولة العربية الاسلامية ، ولذلك نتيجة

لتعرض المنطقة لضغوط شديدة وثورات مسلحة هزت الكيان الاسلامي ، وكان الغزو الخارجي للثغور الاسلامية من الدوافع الهامة لبعض الفتن الطائفية التي ظهرت ببعض مدن الشام .

وفي سنة ٢٩٤ هـ ظهر رجل بالشام واعلن انه السفياني فقبض عليه وحمل الى بغداد واشيع انه مدسوس[٨٨] . وفي سنة ٣٠٠ هـ قام محسن بن الرضى الشيعي[٨٩] ، وخرج بدمشق واعمالها فتصدى له اميرها احمد بن كيغلغ وكانت له معه احداث كثيرة ووقائع متعددة واخيرا ظفر به احمد بن كيغلغ ، وحملت رأسه الى مدينة السلام ونصبت على الجسر الجديد بالجانب الغربي ، وتضيف بعض المصادر انه لو تم الأمر لابن الرضا هذا لقامت دولته قبل الدولة الفاطمية[٩٠] ، وذلك نتيجة لنجاح حركته وأهميتها .

وفي سنة ٣٠٣ هـ ظهر بالجامدة انسان زعم انه علوي واقدم على قتل العاهل العباسي فيها ، وقام بنهب المدينة وأخذ من دار الخراج اموالا كثيرة فلاحقته القوات العباسية وقتلته مع جماعة من اصحابه وأسرت البقية[٩١] .

ومن الاحداث الهامة في هذه الحقبة ما وقع من الهياج والاضطراب بدمشق زمن ولاية وصيف البكتمري عليها الذي ولى امارتها في ايام المقتدر بعد هلال بن بدر (٣١٦ هـ) وفي ايامه خلع المقتدر للمرة الثانية ومن ثم اعيد الى الخلافة فطالبه اولياء المدينة بالبيعة واعادتها للمقتدر ، فامتنع عنهم ، فما كان منهم الا أن هجموا عليه في داره واحرقوها[٩٢] .

اما ما اثير من مشاكل طائفية في هذه الفترة فهي بمجموعها تعود للقوى الاجنبية التركية والرومية التي اساءت للعرب والاسلام في هذه الفترة ، وأدت تصرفاتهم السيئة ضد القوى المسلمة في المنطقة الى ردود فعل عند هذه القوى وحركات بعيدة كل البعد عن الشعور العربي والمعتقدات الاسلامية .

ففي سنة ٣١٢ هـ - ٩٢٤ م قامت فتنة بين المسلمين وأهل الذمة ردا على الاعمال الوحشية ، التي قام بها الروم في الثغور الاسلامية وأقدم اهل دمشق على

هدم الكنيسة الكبيرة ونهبوها واخذوا ما بها من الدنانير والذهب والفضة والكؤوس ونحوها ، كما اقدموا على نهب بعض الاديرة الاخرى فيها[٩٣] . وامتدت هذه الفتنة لمناطق اخرى من الشام ، فقام الأهالي بالرملة وهدموا كنيسة للسلطانيين ، وفي قيساريه هدمت كنيسة اخرى ، وقد أمر الخليفة العباسي المقتدر اثر شكوى هؤلاء النصارى له بتجديد هذه الكنائس . كما ثار المسلمون وهدموا كنيسة كبيرة في عسقلان[٩٤] ، ووصلت الأضرار الى كنيسة القيامة في بيت المقدس سنة ٣٢٥ هـ ودمرت بعض اقسامها .

ولم تكن الفوضى في المنطقة والفتن الطائفية من جانب واحد فقد تعددت مصادرها ، وصدرت كردود فعل من مسلمين ضد نصارى ومن حركات اسلامية ضد طوائف اخرى ، كان اشدها الثورة القرمطية الاسماعيلية ، فعلى أثرها ونتيجة للهجمات على الحجاج وما أشاع هؤلاء من فوضى وخوف على طريق الحج تعطلت المواسم لسنين عديدة واختلف المؤرخون بتحديد هذه السنين التي ابطلت فيها هذه المواسم السنوية حتى قيل انه لم يحج احد من سنة ٢١٧ الى سنة ٢٢٦ هـ خوفاً من القرمطي .

و ـ أحوال الثغور الشامية في هذه الفترة

أما الحالة العامة في الثغور فقد وصلت الى حالة سيئة واضطراب ملحوظ ، وذلك نتيجة للضعف العام للعباسيين والمنطقة العربية والاسلامية في عهدهم . وعلى الرغم من ان المسلمين في مناطق الثغور قاموا ببعض العمليات العسكرية الناجحة وأظهر بعض الولاة من الكفاءة والقدرة التي يجب ان لاتغفل فان الملامح العامة تظهر التفوق الرومي واصابة الثغور بالنكسات الكثيرة التي نوجز أهمها .

ففي شوال سنة ٢٩٣هـ أغار الروم على قورس فقاتلهم اهلها ، ولكن الروم هزموهم وقتلوا رؤساء بني تميم ، ودخلوا المدينة واحرقوا مسجدها وأمنوا من بقي من اهلها[٩٦] ، وعلى أثر ذلك غزا ابن كيغلغ نائب دمشق الروم في طرسوس

فاصاب من الروم اربعة الاف رجل ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان واسلم وطلب ملك الروم من الخليفة المكتفي الفداء.[٩٧].

وفي سنة ٣٠٢هـ اغار الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه ، واوقعوا بالناس الأمور العظيمة وبينما الروم تضرب وتقتل وتشرد كانت الجنود العباسية متشاغلة بتمرد الحسين بن حمدان[٩٨] ، ولم تتحرك على اثر ذلك طائفة للمسلمين بهذه السنة ، فأقدم الروم على غزو طرسوس وقتلوا منها ستمایة فارس[٩٩] ، وعادوا بالغنائم .

وفي سنة ٣٠٤ هـ سار مؤنس المظفر الى بلاد الروم لغزو الصائفة ومع انه وصل ملطيه وغزا فيها وفتح حصونا كثيرة من بلاد الروم ، غير انه تلقى العتاب من الجماهير الاسلامية والعربية هناك لاعتقادهم انه تخاذل واتهم بعدم الجدية في أمر الجهاد[١٠٠] ، وهذا دليل ثابت على عدم الرضا على هؤلاء الاتراك وسياستهم في المنطقة وأن شعور الاهالي كان ضدهم لاعتقادهم انهم لايعملون الا سعيا وراء مصالحهم وأنهم غير جديرين بالثقة والاحترام.

وفي سنة ٣١٣هـ كتب ملك الروم الى اهالي الثغور يأمرهم بحمل الاتاوة اليه والا فهو عازم على غزوهم، وقد كان له ذلك فقام وقصد ملطيه في سنة ٣١٤هـ فأوقع بها وخربها ، وسبا من فيها واقام بها ستة عشر يوما، ودمر اكثر قراها ونبش الروم الاموات ، ومثلوا بهم دليلا على حقدهم ، فاتجه اهل ملطية الى بغداد يطلبون نجدة الخلافة والقائمين على السلطة في بغداد مستغيثين لنصرتهم من عدو متجبر ، فعادوا دون ان يلقوا اذنا صاغية ولم يغاثوا[١٠١].

وعلى هذا الاساس لانستغرب اذا قامت الجماهير المسلمة في الشام واقدمت على الاعتداء على بعض الكنائس ردا على بربرية البيزنطيين .[١٠٢]

وفي سنة ٣١٥هـ جاء الدمستق الى مدينة دبيل وبها نصر السبكي قائم على حمايتها وكانت الجيوش الرومية تحمل معها النار في مزاريق فتعرض المسلمون لهذه النار وكانت اشد ما تعرض له المسلمون بهذه الاعتداءات[١٠٣]

وفي العام نفسه قصد الروم الثغور ووصلوا سميساط وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وخربوا المعالم وضربوا في الجامع الناقوس في اوقات الصلاة فهب المسلمون يدافعون عن امانيهم(١٠٤) وانطلقوا في اثرهم .

وفي سنة٣١٦هـ قصد الروم ارمينية ودخلوا خلاط وصالحهم اهلها فخرجوا عنهم بعد ان اقدموا على اخراج المنبر من الجامع ونصبوا مكانه صليبا كما فعلوا كذلك ببالس وتخوف اهل اردن (ازرن) وغيرها ففارقوا مدنهم واتجهوا قاصدين بغداد علهم يجدون فيها النجدة والعون غير ان استغاثتهم ذهبت هباء هذه المرة(١٠٥).

وفي سنة ٣١٧ ضعفت الثغور الجزرية عن مقاومة الروم وعجزت ملطية ، وميافارقين وآمد ، وآرزن ، وغيرها ، وعزموا على طاعة ملك الروم والدخول تحت نفوذه لعجز الخليفة المقتدر العباسي بالله عن نصرتهم ونجدتهم وفرض الحماية المطلوبة فأرسلوا الى بغداد يعلمونهم بحقيقة الموقف عندهم ويستأذنوهم بالتسليم مظهرين عجزهم طالبين مدهم بالعساكر للوقوف في محنتهم فلم يحصلوا على عون او فائدة تذكر من بغداد والقائمين عليها.(١٠٦).

وفي سنة٣٢٢هـ سار الدمستق في خمسين الف من الروم ونزل ملطية وحاصرها مدة طويلة حتى هلك أكثر أهلها جوعا ، فقام بضرب خيمتين على احداهما صليب ، وقال : من اراد النصرانية انحاز متجهاً الى خيمة الصليب ونرد اليه اهله وماله ومن اراد الاسلام اتجه الى الخيمة الاخرى ، وله الامان على نفسه ونبلغه بأمنه فانحاز اكثر المسلمين الى الخيمة التي عليها الصليب طمعاً في اهلهم واموالهم ، وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم ، وهكذا فتحت المدينة بالأمان، في مستهل جمادى الاخر يوم الاحد سنة ٣٢٢ هـ .(١٠٧) كما ملك هؤلاء سميساط واقدموا على الاعمال الشنيعة واكثروا من القتل واصبحت بذلك اكثر البلاد بايديهم(١٠٨).

وهكذا كان الوضع في الثغور ضعيفاً الى ابعد حد يمكن ان نتصوره من ضعف ووهن،،وبدا للباحث أن الاسلام غدا بهذه المنطقة في خطر ، وان الجهاد قد

بطل والسيوف قد صدأت وبدأ البحث عن مخرج وكانت كل الظروف مهيأة هي الاخرى هنا لكل طامح وطامع لاستغلالها والنهوض بها والاستفادة وخاصة بعد ان يئس الناس وملوا العباسيين ، وخلافتهم التي اصبحت عالة عليهم .

وهذا الموقف في العالم الاسلامي الذي بدأ على هذه الصورة كان مشجعا ودافعا لكل الحركات الثورية والتمردات المتنوعة وشعر الجميع ان لكل فرد الحق في ان يقوم ويعمل لصالحه ، وانفرط العقد الاسلامي وشعر الناس ان الحق مع القوة وان السيف هو الحكم للخلاص من هذا الحاضر الأسود، ولهذا يجب ان لانستغرب ماحدث في الشام ومصر في هذه الحقبة من احداث سياسية خطيرة واعتداءات كثيرة على الحقوق البشرية واشخاص الخلفاء ، ومن انتهاك لحرمة الدين والهجوم على الحجاج وضرب المقدسات الاسلامية ، بعد ان عجزت الخلافة عن الدفاع عنها تجاه القوى المختلفة الخارجية والداخلية عليها.

٢ ـ النشاط القرمطي وأثره على مجرى الأحداث السياسية في الشام ومصر في هذه الفترة :

كما كان للنشاط الفاطمي الشيعي الأثر الواضح على الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر والشام ، كذلك كان للتحرك القرمطي في الشام والمناطق المجاورة لها أكبر الأثر أيضاً على أوضاعها العامة السياسية والحضارية والاجتماعية ، وتميزت هذه الفترة بالاضطراب السياسي والتخلف الحضاري ، وفقدان الأمن وخيم الخوف والفزع على الأوضاع الداخلية ، فازداد القتل والنهب وكثرت الاجراءات التعسفية وعانى الناس أنواع المرارة والألم ، وبطلت المواسم لانقطاع طريق الحج أكثر من سنة(١٠٩) .

وإذا كنا نفتقد للأدلة القطعية التي تمكننا من اعطاء الحكم التاريخي المطلق للاتفاق والتعاون الوثيق بين حروب الشيعة في شرق العالم الاسلامي وغربه ، وخاصة في الشام ومصر ، فمما لاشك فيه ان هذه الحروب كانت تتم في بعض الأحيان بناء على اتفاق مسبق وتنسيق متبادل بين الحركتين في الشرق والغرب(١١٠) .

كما كان لها التأثير المشترك على المنطقة ، فعملت على زيادة الفوضى فيها ، واضعفت الخلافة العباسية وشلت سلطتها المركزية وزادات في مشاكلها سوءاً وتعقيداً ، فاهملت واجبها المقدس في الجهاد ولم تحرك الصوائف في بعض السنين[١١١] ، كما أن هذه الفوضى التي انتشرت اثر الحروب القرمطية وما رافقها من انتهاك لحرمة العباسيين وسلطتهم كانت من العوامل المساعدة للنشاط الفاطمي المذهبي والعسكري في الشام ومصر وخاصة في مصر وظهر تفوقهم العسكري في اكثر من مناسبة كما كثر دعاتهم وأنصارهم وأخذوا يرسلونهم للتوجه الى مصر وفتحها ووعدوهم بالعون والمساعدة . وعلى أثر ذلك أخذ الولاة يلاحقون هؤلاء وينزلون بهم أشد العقوبات[١١٢] .

آ ـ نشاط قرامطة السواد في الشام بعد سقوط الطولونيين :

رأينا انه في سنة ٢٩٣ هـ على أثر سير القرامطة الى بلاد الشام ووصولهم الى طبرية بفلسطين ونتيجة لما قاموا به من قتل وتخريب ، وجهت الخلافة العباسية اليهم خيرة قادتها أمثال الحسين بن حمدان ، ومحمد بن اسحاق ابن كنداج ، ومؤنس الخازن المعروف بالفحل[١١٣] ، وعلى أثر ذلك ترك هؤلاء القرامطة الشام واتجهوا صوب مدينة (هيت) فهاجموها على غفلة من أهلها واضرموا بها النار[١١٤] ، وتركوها بعد اقتراب الجيوش العباسية منها .

في هذه الاثناء ونتيجة للضغوط العباسية على القرامطة واصرارهم على اجتثاثهم ونزول الفوضى والانقسام في صفوفهم وثبت جماعة من قبيلة كلب وقتلوا القائد القرمطي أبا غانم (المسمى نصراً) تقرباً من العباسيين[١١٥] .

وعلى أثر ذلك خرج زكرويه من مخبئه وأخذ مجدداً نشاطه وانقذ أحد اتباعه المسمى القاسم بن أحمد بن علي ويعرف بأبي محمد ، فسار هذا بين أنصار القرامطة في السواد وبلاد الشام يعلن لهم أن وقت ظهورهم قد آن ، مشيداً بالهمم ، مبشراً بقرب ظهور الإمام ، ويطمئنهم بالنجاح معلناً بأن ساعة الخطر وبداية الإشارة قد لاحت وان الاعداد الهائلة من الأنصار تنتظر التحرك للقضاء على الخلافة العباسية[١١٦] .

وأمر زكرويه القوات القرمطية مجتمعة بالتوجه الى الكوفة في ذي الحجة سنة ٢٩٣ هـ وهاجمها يوم النحر ، وكان عليها اسحق بن ابراهيم واسحق بن عمران وتصدى هذان للقرامطة الذين انزلوا القتل بمن في المدينة ، وأمام صمود المدينة خرج هؤلاء الى القادسية وقام أهل الكوفة باصلاح ما دمر من مدينتهم وحراستها ليلاً ونهاراً خوفاً من قوات زكرويه(١١٧) .

وزاد زكرويه نشاطه وجمع قواته على الحدود العراقية متحدياً ارادة السلطة العباسية بالقضاء على أنصاره ، وحققت جيوشه الانتصارات الكبيرة على العساكر العباسية واوقعت بها في العراق والشام ولم يبق بيت في العالم الاسلامي الا وناله المصاب والألم من هؤلاء القرامطة(١١٨) .

فأقدم في هذه الأثناء على طعن الخلافة في الصميم حيث اظهرها بمظهر العاجز عن حماية المسلمين أثناء الواجب الديني فهاجم زكرويه في المحرم سنة ٢٩٤ هـ الحجاج على طريق مكة وكان أول من لقيه منهم قافلة الخراسانية وكانت عظيمة بالمنزل المعروف بواقعه فأتى عليها القرمطي ، ثم هاجم القافلة الثانية في العقبة وأوقع بها وكان عليها مبارك القمي وأبو العشائر أحمد بن نصر العقيلي ، والي الثغور الشامية ، فقتلهما وسائر من كان معهما من الأولياء والرعية ، كما تصدى القرمطي للقافلة الثالثة وانزل بها في الموقع المعروف بالطليح من الهبير واتى ايضاً على من كان بها من الأمراء كنفيس المولدي وأحمد بن سيما وغيرهما من القواد وسائر أصناف الناس من جميع الأقطار(١١٩) ، وكثر عدد القتلى من هذه القافلة الأخيرة حتى زاد عن خمسين ألفاً بالاضافة لما قتل من جماعة القوافل السابقة(١٢٠) ، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى يعرضن عليهم الماء فمن كان على قيد الحياة قتلنه ، حتى قيل أن عدد القتلى بلغ عشرين ألفاً(١٢١) .

وهكذا اضطرت هذه القوافل التي لقيت الهول واستسلمت أمام ضغط الطبيعة القاسية والعطش وبأس القرمطي ان تستسلم وقام القرامطة بنهب الأموال والأرزاق وقدرت بألفي ألف دينار ، وكان من جملة ما أخذ فيها الأموال الطولونية

التي ارسلت مع الحجاج خوفاً عليها بعد أن صب الذهب والنقرة سبائك ووضعوها في حدائج الجمال وجمعت جميع الأموال الطولونية من حلي وجواهر وأرسلت إلى مكة سراً ومن مكة ارسلت مع هذه القافلة فنالت مصيرها وأخذها القرمطي(١٢٢) .

وعلى أثر هذه المأساة الكبيرة التي نزلت بالحجاج في هذه السنة استاء الناس وضجوا ، فما كان من الخليفة المكتفي الذي عظم عليه ذلك الا ان اصدر اوامره لقتال القرامطة وكلف القائد وصيف بن صورتكين الخزري والقاسم بن سيما ومجموعات كبيرة من بني شيبان ، وغيرهم من القادة واتجهت هذه الجموع العباسية في أول شهر ربيع الأول سنة ٢٩٤ هـ من القادسية في طريق خفان(١٢٣) ، والتقوا بين الكوفة والبصرة على الماء المعروف «بأوم»(١٢٤) ، وفي يوم الأحد الموافق ٢٣ ربيع الأول سنة ٢٩٤هـ اشتد القتال وكانت نهايتها على زكرويه وأصحابه ، وتمكنت الجيوش العباسية من اقتحام معسكرات القرامطة واصابة زكرويه بضربة قاتلة فارق الحياة على اثرها بعد خمسة أيام وحملت جثته مع الاسرى وبهم خليفته وجماعة من خواصه واقربائة وابنه وزوجته وفي بغداد مثل به وباصحابه(١٢٥) .

ونقل رأس زكرويه الى خراسان كي يعيد العباسيون الثقة بالنفوس التي أصابها الهول أثر أعماله ، وحتى لا ينقطع الناس خوفاً عن الحج(١٢٦) .

وقد فر الكثيرون من أصحابه من هذه المعركة وتفرقوا في مناطق كثيرة من بلاد الشام فلاحقهم الحسين بن حمدان وقتلهم وعمل على ابادتهم فيها(١٢٧) ، وأسر مجموعات كبيرة من نسائهم وصبيانهم(١٢٨) .

وقد تزعم حركتهم في المنطقة رجلان يعرف احدهما بالحداد والثاني بالمنتقم ، وهذا أخ لزوجة زوكريه ، فقاما باعادة جمع الصفوف ودعوة اعراب الشام التي تقيم على الطريق المؤدي الى مكة ، لكن على اثر ما حل بالقرامطة ، ومقتل رأسهم المفكر خافت هذه القبائل على مصيرها ، ولم تستجب لنداءات هؤلاء بل على العكس تآمرت عليهم والقت القبض عليهم وسلمتهم الى القوات

العباسية التي كانت منطلقة تلاحقهم تحت قيادة الحسين بن حمدان الذي لاحقهم جميعاً واخمد انفاسهم في بلاد الشام وعمل على استئصالهم وتتبع فلولهم حتى ضرب به المثل بمتابعته لهم[١٢٩] .

وهكذا قضي على آل زكرويه في المنطقة وهدأت أحوالهم والاضطرابات التي أثاروها ، لكن لفترة حيث ستظهر احداث خطيرة يثيرها قرامطة البحرين تلعب دوراً هاماً على أمن المنطقة واحداثها السياسية .

ولابد من القول إن اخفاق الحروب القرمطية يعود لعوامل كثيرة منها ، انها قامت مبكرة ولم يكن لديها الفرص الكافية للتنظيم هذا بالاضافة الى أن الأئمة في سلمية لم يكونوا راضين عنها تمام الرضا وعن قيامها بهذه السرعة . وكان ينقصها القيادة المنظمة بالمعنى الصحيح ، كما أن غياب المهدي عبيد الله الى المغرب واعتماد الحركة على القبائل العربية البدوية غير المؤهلة للتنظيم[١٣٥] من أهم أسباب فشل الحركة .

ب ـ نشاط قرامطة البحرين في الشام :

تغيرت الاحوال بظهور قرامطة البحرين على مسرح الاحداث من جديد. فبعد ان تمكن الحسن بن بهرام من تكوين دولة اسماعيلية مستقلة في بلاد البحرين لم يقف هؤلاء موقف المتفرج من العباسيين عند قتلهم لزكرويه الا نتيجة لظروفهم الداخلية حيث كانت دولتهم تمر في مرحلة التكوين ولم تكن مؤهلة للدخول في هذا الصراع العنيف.[١٣١]

غير ان نجاح الحسن بن بهرام وزحف الدولة الفاطمية وتقدمها في فتوحاتها نحو مصر ، اشعر العباسيين بالخطر وبضرورة ايقاف الحركة الاسماعيلية القرمطية الزاحفة التي انتشرت في جميع ارجاء العالم العربي ، وبدأت تهدد الوجود العباسي[١٣٢] ، ولهذا عمل العباسيون اقصى الجهود والمغريات محاولين فصل قرامطة البحرين وتحويلهم عن تأييد الفاطميين ، غير ان الحسن لم يستجب لسياستهم هذه

وظل على ولائه للفاطميين(١٣٣) ، ولاشك ان فشل الفاطميين في حملاتهم العسكرية على مصر سنة ٣٠١هـ يعود لعدم قدرة القرامطة في التمكن والسيطرة على زمام الموقف في المشرق، والزحف نحو الغرب ومساعدة جيوش عبيد الله المهدي . او بالاحرى التصدي للتحرك العباسي الذي انطلق من الشام الى مصر وكان من اهم العوامل التي ساعدت على ابعاد الفاطميين عن مصر كما سنرى(١٣٤).

وبعد ان تسلم سليمان بن الحسن بن بهرام (ابو طاهر) شؤون الدولة القرمطية في سنة ٣١٠هـ في البحرين ، بعد وفاةوالده ، ظل على اتصال بالفاطميين يتلقى اوامرهم وتعليماتهم واستمر في ولائه لهم حتى وفاته سنة ٣٣١هـ .(١٣٥).

وفي عهد سليمان الجنابي (ابي طاهر) ازدادت وطأة القرامطة ضغطا على العباسيين واستمروا في غزوهم للمنطقة والقيام بالأعمال المروعة من قتل ونهب في ارجاء الدولة العباسية ، انتقاما لقرامطة السواد والشام ، واعطاء الفرصة للفاطميين في المغرب لغزو مصر وطرد العباسيين ، ومن ثم اتخاذها قاعدة لفتح الشام والوصول الى العراق. واسقاط الخلافة العباسية في بغداد.

ولهذا كان علينا ان نلقي الضوء على الاعمال العسكرية القرمطية في هذه الفترة في الشام والمناطق المتاخمة لها ، وذلك لارتباط هذه الحروب بعضها ببعض ولكونها ترجع لأسباب واحدة وحققت اهدافا معينة ، كانت بمجملها عامل ضعف للقوى العباسية في المنطقة فزادت الفوضى بين صفوفهم وطمع الاعداء بالبلاد(١٣٦) فلقد افتتح ابو طاهر عهده بالزحف الى البصرة سنة ٣١١هـ ووصلها ليلا في ألف وسبعماية مقاتل يحملون المعدات الحربية ، وأعمل فيها القتل ونهب الارزاق والامتعة وأسر النساء والصبيان(١٣٧) .

وفي العام نفسه اوقع (ابو طاهر) الجنابي بالحجاج عند عودتهم وهم بـ(فيد) واثناء سيرهم على طريق الهبير ، وقاتلهم وظفر بهم وقتل الكثيرين منهم ، وأسر ابا الهيجاء بن حمدان وكان مكلفا بطريق الكوفة وطريق مكه ، واحمد ابن بدرعم السيدة أم المقتدر وغيرهم من خدم المقتدر والحريم وسبى الكثير من النساء

والصبيان والرجال وسار بهم الى هجر ، ولقى من سلم من الاسر والقتل مصيره المحتوم على أثر القيظ والجوع والعطش(١٣٨).

وعلى أثر ذلك حدثت الفتن في بغداد واتهم الوزير علي بن عيسى بالتواطؤ مع القرامطة وابعد الى مكة ، كما قام العامة واتهموا ابن الفرات وقالوا عنه «بأنه القرمطي الكبير» ومنعت الصلاة في المساجد وعمت الفوضى في البلاد.(١٣٩)

وفي السنة التالية٣١٢هـ اغار القرامطة على الكوفة وأوقعوا بالحجاج في القصبة ولاحقوهم حتى دخلوا الكوفة والحقوا الهزيمة بهم مع الحامية العباسية ولهذا خرج مؤنس المظفر لمحاربة القرمطي ، واضطرب اهل بغداد اضطرابا شديدا الى ان رحل ابو طاهر عن الكوفة ، ولم يحج في هذه السنة من الناس احد(١٤٠).

وفي سنة ٣١٣هـ اعترض القرامطة الحجاج «بزباله» وهزموا الجيوش العباسية ، وترك القرامطة الحجاج بعد ان دفعوا لهم قطيعه(١٤١) ، مقابل السماح لهم بالمسير الى مكة فاخذوها وتركوهم.

وفي عام ٣١٥هـ وصل ابو طاهر العراق وواقع الجيوش العباسية بقيادة يوسف ابن ابي الساج بظاهر الكوفة وغيره من القواد العباسيين وكاد ان يحتل بغداد(١٤٢).

وفي سنة٣١٦هـ هاجم القرامطة بلاد الشام ، فساءت احوالها بعد ان هدد ابو طاهر الجنابي مناطق كثيرة منها ، فما ان ترك هذا الانبار حتى ظهرت قواته في منطقة الدالية بعد فترة ، سالكا طريق الفرات مدمرا كل القوى والجماعات التي شاهدها امامه ثم تابع سيره الى الرحبة فدخلها في الثامن من المحرم وكان عليها ابو جعفر محمد بن عمرون التغلبي فحارب اهلها وظفر بهم بعد ان فتحها عنوة.(١٤٣)

وعندما وصل ابو طاهر الى قرقيسيا خاف اهلها وطلبوا منه الامان ، فاعطاهم ذلك بعد ان امرهم بعدم الظهور نهارا فاجابوه لذلك(١٤٤).

وقام ابو طاهر بعد ذلك وسير العساكر الى الاعراب في الجزيرة ، فقامت قواته بنهبهم وأخذ اموالهم ، واستاقت لهم خمسة الاف جمل ، ومواشي كثيرة[١٤٥]. وعلى اثر ذلك خافته الاعراب وانهزمت امامه الى ان اتفق معهم على فرض اتاوة قدرت بدينار على كل رأس يقومون بحملها وارسالها اليه في هجر[١٤٦].

كما وجه ابو طاهر بسرية من أصحابه في الرحبة الى الرقة تقدر بنحو الفي مقاتل ، واقدموا على قتل ثلاثين رجلا من اهل الربض ، وانضم اهل الرقة الى مجموعة الربض وساعدوهم في التصدي للقرمطي وقتل الكثير من الطرفين ، وأستمر القتال متواصلا لمدة ثلاثة ايام حيث انصرف القرامطة عنهم في آخر ربيع الاخر من هذه السنة[١٤٧] الى الرحبة ، ويظهر انه كان لقدوم مؤنس للمنطقة اثر في هذا التراجع عنها.

وعندما كان ابو طاهر في قرقيسياء اخذ يبث السرايا الى جميع الاتجاهات فجهز سرية الى رأس العين ، وأخرى الى كفرتوثا وطلب اهلها الامان فمنحوا ذلك ، وسرية ثالثة الى نصيبين وكان عليها الحسين بن علي بن سنبرالثقفي ومعاذ الاعرابي الكلابي فأوقع بهم جميعا ، وقاتل الاعراب واوقع ببني تغلب والنمر وغيرهم من اهل الحضر[١٤٨].

واتجه ابو طاهر بعد ذلك الى سنجاب واقدم على نهب الجبل ونازله اهله فاضطرهم الى طلب الصلح والأمان فأعطاهم ذلك مقابل فرض دينار على كل فرد منهم يرسلونه الى حاضرته هجر.[١٤٩]

وعلى اثر هذه الانتصارات التي حققها ابو طاهر في الشام ، خشيت الخلافة العباسية عاقبة الأمور وخاصة بعد ان تفاقم امر القرامطة وكثر اتباع الجنابي في الشام وقام هو بدوره بالدعاء للمهدي العلوي[١٥٠] ، فما كان منها الا ان جهزت الجيوش الكثيفة وعهدت الى مؤنس الظافر بالتوجه الى المنطقة ولقاء القرمطي ، فسار هذا سالكا طريق الموصل ، ووصلها بعد ان جاءته الاخبار بوصولهم الى الرقة ، فجد في المسير اليها ، وما ان وصل إلى الرقة حتى كانت القوات القرمطية

قد غادرتها الى الرحبة[١٥١] . وقصد القرامطة بعد ذلك هيت وجيوش العباسيين بقيادة مؤنس لاتزال في الرقة ونظرا لأن سورها كان منيعا ومجابهة اهلها لهم فقد اضطروا الى تركها وقصدوا الكوفة ، فوصلتها الخيول القرمطية وقامت قوات ابي طاهر الجنابي وقصدت قصر ابي هبيرة وقتلت جماعة فيه[١٥٢] ، وعلى اثر ذلك سيرت بغداد هرون بن غريب ونصر الحاجب على رأس قوة كبيرة الى الكوفة فما كان من القرامطة الى ان عادوا الى بلادهم وعاد هرون الى بغداد .

وكانت من نتيجة هذه الاحداث ، ان عزل علي بن عيسى عن الوزارة في بغداد ، بعد ان استولى ابو طاهر على البلاد[١٥٣] . كما قام ابو طاهر ببناء دار له سماها دار الهجرة ، ودعا بها الى المهدي العلوي في المغرب ، وتفاقم امره[١٥٤] وهذا دليل اكيد على تعاون الدعوتين القرمطية في المشرق والاسماعيلية الفاطمية في المغرب وكان عملها مشتركا وهادفا لاضعاف العباسيين والقضاء عليهم .

وعندما كان ابو طاهر في الرحبة سنة ٣١٦هـ فكر في التوجه الى مدينة الرملة او الى دمشق غير انه عدل عن هذا المشروع ، وعاد الى بلاده لأمور اقتضت ذلك ، فغادر الرحبة في اول شعبان سنة٣١٦هـ في البر والبحر وكان مقامه فيها سبعة أشهر[١٥٥] ، ولم يتمكن من تنفيذ الخطة التي اتفق بموجبها مع المهدي[١٥٦] ، والتي تقتضي بتحرك القرامطة من الشام الى مصر ومساعدة القاسم الفاطمي لفتحها.

ولم يترك ابو طاهر المنطقة بعد ذلك حيث عاد اليها سنة ٣٢٣هـ وتمكن من اثبات وجوده فقام بفرض اموال كثيرة على مناطق متعددة في العالم الاسلامي بما في ذلك بلاد الشام ، وكانت هذه الاموال تحمل اليه في كل سنة خوفا منه واتقاء لشره[١٥٧] .

وعلى اثر وجود القرامطة في الشام والعراق تشجع قرامطة السواد ومن كان قد اخفى اعتقاده خوفا من العباسيين فاجتمع منهم الكثيرون بواسط وولوا أمرهم لحريث بن مسعود ، كما اجتمعت طائفة اخرى بعين التمر وقادهم عيسى بن موسى ودعا هؤلاء للمهدي في المغرب وحققوا بعض النجاح في هذه المناطق وقاموا

بعمليات النهب والقتل ، فجهزت الخلافة لهم الجيوش واوقعت بهم واسرت اكثرهم ، وتم الاستيلاء عليهم وقيدت اعلامهم وادخلت بغداد منكسة فاضمحل امرهم بهذه الفترة(١٥٨).

فما كان من ابي طاهر الجنابي الا ان نهض سنة ٣١٧ هـ انتقاما لهؤلاء الشيعة من جهة ولكي يعطي الفرص الكافية للتحرك الفاطمي في مصر من جهة اخرى(١٥٩) وشدد من ضغطه على العباسيين ، وقصد هذه المرة ان يعريهم امام الرأي العام الاسلامي ، حيث اقدم على مهاجمة الحجاج وهم في مكة وعليهم بهذه السنة منصور الديلمي(١٦٠) . فقام بنهب الحجاج وفتك بالكثير منهم في المسجد والكعبة واقدم على عمل مروع فاقتلع الحجر الاسود وحمله الى هجر ، وقاتل ابا مخلب امير مكة وقلع باب البيت ايضا ، ودفن القتلى في زمزم والباقي منهم في المسجد ، ونزع كسوة الكعبة ووزعها على اصحابه ونهب مكة(١٦١) ، واقام الخطبة فيها لعبيد الله المهدي بدلا من الخليفة العباسي(١٦٢).

وبقي الحجر الاسود عندهم اثنتين وعشرين سنة الا شهرا حيث رد في ذي الحجة سنة ٣٣٩هـ(١٦٣).

ومما يؤكد اثارة الشبهات ضد المهدي وتواطؤه مع القرامطة على اثارة الشغب والفوضى في الشرق ضد العباسيين حادث اخذ هذا الحجر المقدس ، فلقد بذل لهم بجكم مقابل رده خمسين الف دينار فلم يفعلوا ذلك وقالوا «أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر»(١٦٤) ، في حين تذكر بعض المصادر ان المهدي تبرأ من القرامطة على اثر ما فعلوه في مكة وكتب لابي طاهر يقول «انك قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر والالحاد وان لم ترد على أهل مكة والحجاج وغيرهم ما اخذته منهم وترد الحجر الاسود فانا بريء منك في الدنيا والاخرة(١٦٥) ، فلما وصله هذا الكتاب اعاد الحجر الاسود.

وكيفما كان الامر فكلتا الروايتين تؤكد ولاء القرامطة والتعاون الوثيق بينهم وبين المهدي في المغرب وهذا التعاون الذي كان له الأثر الهام في مجرى الاحداث

السياسية في كل من مصر والشام ، فاضعفت القطرين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا فانتشرت فيهما الفوضى والاضطراب ، ولم يحج الناس فيما بين عامي ٣١٧، ٣٢٦هـ(١٦٦) ، كما توقفت الصوائف في بعض السنين كما رأينا.

وقد ادى تهديد القرامطة للشام وتهديد الفاطميين لمصر الى تدهور احوال البلدين وتعرض الوجود العباسي فيهما للخطر.

٣ ـ النشاط الفاطمي وأثره على مجرى السياسة والاحداث في الشام ومصر :

آ ـ الحركة الاسماعيلية في الشام ومصر منذ نهاية الدولة الطولونية وقيام الدولة الفاطمية في المغرب :

كان من نتيجة تشدد العباسيين وملاحقتهم للعلويين بمختلف اتجاهاتهم والضغوط الكبيرة التي تعرضوا لها ، ان شرع الاسماعيليون بتنظيمهم السري وزادوا من الكتمان والتستر في نشاطهم ورأوا الابتعاد عن مركز الخلافة ، واستغلال الظروف السياسية وذلك لكي يدرؤوا عن انفسهم نقمة العباسيين ومضايقاتهم(١٦٧).

وبعدما فر محمد بن اسماعيل (١٤١ ـ ١٩٣هـ) الى الري ومنها الى نهاوند (دماوند)(١٦٨) . واستقر بقرية سميت فيما بعد محمد آباد نسبة اليه انتقل بعد ذلك الى تدمر في بلاد الشام واتخذها مركزا لاقامته ونشر دعوته وتوفي بها سنة ١٩٣هـ(١٦٩) . وقام محمد بجهود جبارة في سبيل تقوية الحركة الاسماعيلية في سواد الكوفة وبلاد الشام والبحرين ، ومن ثم اخذ دعاة الاسماعيلية يجوبون البلاد لنشر تعاليمهم ، وجذب الاتباع اليهم ، واتخذ ائمة الاسماعيلية مدينة سلمية من اعمال حماة مركزا لنشر الدعوة ودار هجرة ، وكانوا يبعثون من هذه المدينة الدعاة الى جميع الاقطار الاسلامية ويوكلون امرها لكبارهم الذين كان يطلق عليهم في هذا الدور دور الستر نواب الائمة أو الحجج(١٧٠).

ولقد لاقت الدعوة نجاحا كبيرا في المغرب نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي امتازت بها هذه المنطقة ، ولقيام دولة الادارسة العلوية في شمال افريقية (المغرب الاقصى) منذ سنة ١٧٢هـ[١٧١] ، وبدأت الدعوة الاسماعيلية فيها مبكرة منذ عهد جعفر الصادق وعلى يد الحلواني ، وأبى سفيان في سنة ١٤٥هـ/ ٧٢٦م ، حيث قال جعفر لهما «ان المغرب ارض بور فاذهبا فاحرثا ، حتى يجيء صاحب البذر[١٧٢].

وعندما ذهب ابو عبد الله الشيعي ووجد البلاد ممهده ، أخذ يجمع الاتباع من الكتاميين وغيرهم وامتازت الفترة بين سنتي ٢٨٨/٢٩٦هـ - ٩٠١ - ٩٠٨م بالجهاد المستمر وقد سلك فيها ابو عبد الله سياسة العزم والحزم ، وغدا الشيعة في ذلك الوقت اصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الى الغرب من مدينة القيروان[١٧٣].

وبعد نجاح ابي عبد الله الشيعي انفذ هذا الرسل الى المهدي في سلمية يخبره بالنجاح ويدعوه الى افريقية[١٧٤].

ونظرا لما آلت اليه الأمور في بلاد الشام ولاضطراب الحركة القرمطية فيها بسبب اقدام آل زكروية على التمرد على عبيد الله المهدي ، رحب عبيد الله بالدعوة وترك سلمية الى الرملة ، وعندما شعر القرامطة بمماطلة المهدي لهم وانه غير جاد لما يدعون له قرروا التخلص من داعيته ابي الحسن بن الأسود فقتلوه ودخلوا سلمية وفعلوا بها الأفاعيل[١٧٥].

وبدأت رحلة المهدي سنة ٢٩١هـ وقرر التوجه الى افريقية متظاهرا بالسير الى اليمن ، متخفيا في زي التجار ، تاركا بلاد الشام التي نشأت فيها الدعوى الاسماعيلية ومدينة سلمية التي ترعرع بها الائمة الاربعة المستورون من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق[١٧٦] ، وهم الذين اوجدوا الحركة الاسماعيلية القرمطية في سورية والعراق والبحرين ومصر وفارس واليمن ، وظهرت نتيجة

لتخطيطهم الدولة الفاطمية التي ولدت بالمغرب وسيطرت على الشام ومصر اكثر من قرنين من الزمن[١٧٧].

كانت رحلة المهدي شاقة جدا بعد ان حصلت الخلافة العباسية على معلومات مفصلة عنه واصدرت اوامرها المشددة لولاتها في انحاء الخلافة بالقبض عليه ولكن الرحلة نجحت لتنظيمها الدقيق ولشخصية الامام عبيد الله المهدي الفريدة التي لم تنجب الدعوة في عصورها مثله ولعله بحق اكبر عقلية عرفتها المراحل الاسماعيلية الأولى[١٧٨].

وكانت الاخبار تصله بسرعة ، وكان على علم بتطورات ودقائق الامور كما عرف كيف يقوم باستمالة الحكام العباسيين في مدن الشام ومصر ويجعلهم يعملون سرا لصالح دعوته ، وافضل مثال منهم عامل الرملة الطولوني الذي ساعده وتستر عليه[١٧٩].

كما امتاز المهدي بالصبر وتحمل الصعاب وانتهى به الامر الى مصر حيث كان له فيها دعاة وشيعه كثر[١٨٠] ، وعمل متخفيا على الرغم من كثرة العيون والجواسيس الذين كانوا يلاحقونه وظل يسير بثقة وثبات حتى وصل سجلماسه حيث قبض عليه اميرها اليسغ بن مدرار واعتقله الى ان اطلقه ابو عبد الله الشيعي سنة ٢٩٧هـ[١٨١].

وفي مصر كان للشيعة وللمهدي المزيد من الانصار والدعاة وربما كان يعود ذلك لفترات متقدمة ، تصل الى خلافة المأمون أو قبلها[١٨٢] ، وما ان يصل المهدي مصر حتى يلقاه الاتباع والانصار[١٨٣]، ومن هنا ندرك ان الحركة الشيعية لاقت نفس القبول في كل من مصر والشام كغيرهما من البلدان الناقمة على الحكم العباسي والمتطلعة الى الاستقلال وهذا مايفسر التجاء قادة الحركة الى القطرين منذ ان بدأت ، فقد كان هذان القطران مركز استقبال وتصدير لهؤلاء الدعاة ، يتجهون اليهما بالدعوة ومنهما يرسلون رسلهم الى الاقطار الاخرى.

ولابد من الوقوف قليلا على نجاة المهدي ومغادرته مصر على الرغم من الاوامر المشددة للخلافة وتخوفها بعد ان تأكدت من نضج الحركة الاسماعيلية ، ومما لاشك فيه أن اتباعه في مصر - وعلى رأسهم داعيته ابو علي الذي طلب من ابن عياش ان يسمح له بالاقامة في داره ويكرم وفادته ، وكان ابن عياش هذا يخلص للمذهب الاسماعيلي ، ويتمتع بمنزلة كبيرة عند ولاة مصر وقد قاموا بمساعدته وبذلوا الجهود الكبيرة لدى الوالي العباسي وعملوا على تمهيد طريق الخلاص له(١٨٤) .

وعلى الرغم من تناقض الروايات حول شخصية الوالي الذي قبض على المهدي ثم أخلى سبيله ، اهو محمد بن سليمان الكاتب أم عيسى النوشري ، واكثرها يشير الى الاخير(١٨٥) ، فانه من الارجح ان يكون محمد بن سليمان قد تهاون في القبض عليه وعمل انصاره على ايهامه ، كما قد يكون للاموال الكثيرة التي كان المهدي يحملها معه الاثر الفعال في اغماض عين هذا الوالي عنه ، ومن ثم كان ذلك من الأسباب التي اتهم بها محمد بن سليمان بعدم اخلاصه للعباسيين ، ويفسر ما قام به الخليفة من اصدار الاوامر له بترك مصر على وجه السرعة ، ثم اعطاء الاوامر باعتقاله عندما وصل حلب والقيام بمحاسبته ومصادرة جميع الاموال والارزاق التي حملها معه من مصر ، وكانت زيادتها مصدر شك وريبة في شخصه(١٨٦) .

كما يمكن لهذه الأسباب السالفة الذكر ان تكون قد لعبت دورها في عهد عيسى النوشري ايضا اذا صحت الرواية القائلة بانه هو الذي القى القبض عليه فلقد عين اميرا لمصر ومحمد بن سليمان لايزال فيها والتقى الاثنان معا في مصر واختلف الرواة في اعتبار محمد بن سليمان من ولاة مصر أم لا ، ولقد كان في حاشية النوشري الكثيرون ممن يدينون بعقائد المذهب الاسماعيلي . وهؤلاء قاموا يحذرونه مما يحيق به من خطر ، كما اتهم النوشري بتواطؤه وبأن المهدي اعطاه سرا ما لاحتى اطلقه(١٨٧) .

وبالأموال ايضا تمكن عبيد الله من رشوة حاكم طرابلس فتركه هذا وكتب اميرها الى زيادة الله بن الاغلب عندما امره بالقبض عليه يقول «انه قد غادر المدينة وان لاسبيل الى اللحاق به»(١٨٨)

وعلى كل الاحوال سلك عبيد الله طريق الصحراء الذي تخترقه القوافل التجارية بين واحات مصر والمغرب الاقصى وعمل جاهدا على الابتعاد عن الوقوع في ايدي الاغالبة .

ولما علم ابو عبد الله الشيعي بنبأ اعتقاله بسجلماسة عمل جاهدا الى ان انقذه من الأسر بعد انتصاره على الاغالبة سنة٢٩٦هـ واصبح المهدي اول خليفة فاطمي وأسس الدولة الفاطمية في المغرب ، واتخذ «رقادة» في شهر ربيع الاخر سنة ٢٩٧هـ حاضره له وأمر بذكر أسمه في الخطبة ، وتلقب بالمهدي امير المؤمنين(١٨٩) ، وبذلك قامت الخلافة الفاطمية في المغرب.

ب ـ تطلع الفاطميين لمصر والشام وحملاتهم للاستيلاء على مصر :

لم تكن الدعوة الفاطمية مجرد رغبة امير طامح في تحقيق حكم او سيطرة على اقليم او منطقة ، وانما هي حركة ثورية لها فلسفتها الخاصة المتكاملة التي ترى بان خلافتهم وحدها هي صاحبة الاحقية وهي الواجبة الاستمرار ولها الولاية في دار الاسلام(١٩٠) . وكان عليهم لذلك ان يخضعوا جميع المسلمين لخلافتهم وعلى هذا الاساس قامت دعوتهم في سلمية وحمل دعاتهم احقيتهم في الخلافة وامامة المسلمين وبشروا بذلك في جميع ارجاء العالم الاسلامي ، وكانت مجهوداتهم تتركز في إقامة خلافة شيعية على اطلال الخلافة العباسية وعلى غرار ما فعله هؤلاء مع الامويين(١٩١) .

وعلى هذا الاساس كان من غير المعقول ان يكتفي هؤلاء بشمال افريقية بل كان اختيارهم لهذه المنطقة منطلقا لهم يتحركون منه للانقضاض على العباسيين ولقد اختاروا هذه الأرض لكونها تشكل منطقة عمل مساعدة لقيام حركتهم ، لبعدها عن مركز السلطة ولميل البربر وقبائلهم لاذكاء نار الثورة على الاسرة الحاكمة ولضعف النظام العام في المنطقة(١٩٢) .

ومع ذلك فان المغرب لم يكن ليملأ الطموح الفاطمي ولم يكن صالحا لتأسيس هذه الدولة المنشودة ، ولهذا توجهوا منذ اللحظات الاولى نحو الشرق في

املاك العباسيين ونحو مصر باعتبارها المجال الحيوي لنشاط دعوتهم[١٩٣] ، هذا بالاضافة لفقر المغرب وقلة موارده ، واضطرابه ، وبعده عن مركز الاحداث في الشرق ومجال الاسلام بأممه الكثيرة ، ولهذا بدأ الفاطميون يتجهون صوب الشرق وشعروا انهم اذا لم يحققوا نصرا فيه فكأنهم لم يستولوا على شيء[١٩٤] .

كما ان ضعف العباسيين وسيطرة الأتراك عليهم وتحرك اعداء الاسلام من البيزنطيين ونشاطهم في ارض الشام وبحرها وبلاد الجزيرة ، وما كانوا يقومون من عمليات عسكرية تهدف لدحر المسلمين هناك واذلالهم[١٩٥] ، كل ذلك ساعد الفاطميين على الظهور بمظهر المدافع عن المسلمين في الشام وغيرها والقضاء على الخلافة المتداعية ، وقد اتضح هذا العزم والرغبة عند الفاطميين من قول المهدي وتصريحاته الكثيرة «لنملكن انا وولدي ولد العباس ولتدوسن خيولي بطونهم»[١٩٦] ، ثم من قول ولي عهده ابي القاسم[١٩٧] «والله لا أزال حتى املك صدر الطائر ورأسه ـ ان قدرت ـ والا اهلك دونه» ، قاصدا بذلك الخلافة العباسية وممتلكاتها في الشرق .

ومن هنا كانت اماني الفاطميين تتجه للقضاء على العباسيين واقصائهم عن ديار الاسلام الواسعة واحلال انفسهم مكانهم ووراثتهم وادركوا ان بقاءهم في هذا الركن المنعزل لا يحقق لهم هذا الحلم[١٩٨] ، ولهذا لا نعجب اذ رأينا المهدي يضع الخطط لغزو مصر ، وامتلاكها لموقعها العظيم الأهمية سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، ولقد توراث الخلفاء الفاطميون فكرة غزو مصر وفتحها حتى قدر لهم ذلك بعد اكثر من نصف قرن من العمليات العسكرية المتتالية ، كما كانت تدفعهم رغبة جامحة لاحتلال مصر التي يسيطر ولاتها في اكثر الاحيان على بلاد الشام والحجاز ، ولم يكن يغيب عن اعينهم ان فتح مصر معناه بالضرورة فتح الشام لموقع البلدين الجغرافي وارتباطهما السياسي وفتح الشام يفتح الطريق امامهم الى العراق ، هذا فضلا ان غنى البلدين وثروتهما لا تقدر بالنسبة لقيام هذه الدولة الناشئة[١٩٩] .

وعلى هذا الاساس بدأ الفاطميون بالعمل لفتح مصر على اثر تأسيس

خلافتهم في القيروان مباشرة بالرغم من ان سلطانهم لم يكن قد توطد بعد في بلاد المغرب عامة ، فبدأت حملاتهم على مصر منذ فاتحة القرن الرابع الهجري .

وكانت اولى الحملات الفاطمية على مصر سنة ٣٠١ هـ حيث سير المهدي جيشا من المغاربة واسند قيادته الى ابنه ابي القاسم وولي عهده يساعده احد زعماء كتامة في هذه الحملة وهو حباسة بن يوسف(٢٠٠) . وقد استولت القوات المغربية في هذه الحملة على برقة(٢٠١) ، ودخلت الاسكندرية وتم الاستيلاء عليها وعلى الفيوم ، واصبح بيدهم اكثر البلاد المصرية ، وعلى اثر ذلك قام تكين والي مصر وطلب النجدة من الخلافة العباسية فانهضت على الفور مؤنس الخادم وسار الى بلاد الشام وكتبت الخلافة الى جميع عمال الشام واجنادها بالمسير الى مصر فخرج احمد بن كيغلغ امير دمشق وذكا الاعور امير حلب(٢٠٢) ، وغيرهما من القواد والامراء كأبي كابوس الخرساني وخرج معهم الحسين بن احمد الماذرائي ولم يتخلف احد حتى قيل ان عدد القوات التي وصلت مصر قدرت باربعين الفا(٢٠٣) . وفي مدينة مشتول(٢٠٤) التحمت القوتان وحلت الهزيمة بجيش حباسه واضطر الى العودة الى بلاد المغرب حيث لقي مصيره على يد الخليفة الفاطمي اثر هزيمته وعودته(٢٠٥) .

وأهمية هذه الحملة تنحصر في امور يجب ملاحظتها وهي ان الشام تأثرت بهذه الحملة الفاطمية وخرجت القوات الشامية تحت امرة قادتها الى مصر واشتركت في قتال الفاطميين والتقوا مع حباسة قائد الجيوش المغربية وقاتلوه وكانت وقعة عظيمة اشترك فيها المصريون والشاميون وقتل فيها الاف الناس(٢٠٦) ، وبقيت هذه القوات في مصر الى ان اشتدت وطأة هذه الجيوش الكثيرة على مصر فخرج الامير احمد بن كيغلغ الى الشام مع مؤنس الخادم ، وابن بسطام والعبّاس بن عمرو وغيرهم ممن يخاف بقاؤهم فيها(٢٠٧) .

كما يجب ان نلاحظ انه كان في مصر في ذلك الوقت الكثير من الأهالي يعطفون على الدعوة الفاطمية ، وقد وعدوا بنصرتها ، وقام هؤلاء يكاتبون المهدي ويدفعونه الى غزو مصر ، والى هؤلاء يشير ابن مهران احد شعراء مصر المعاصرين عندما وصف هذه الحوادث والمعارك التي وقعت في هذه السنة(٢٠٨) .

وأي وقــائــع كــانت بسفط | الا بـل بـين مسئـول وسفط
وقـد وافى حبـاسـة في كتام | بكـل مهنـد وبكـل خـطى
واقبـل جـاهـلا حتى تخطى | وجـاز بجهله حـد التخـطي
بكتب جمـاعـة قـد كـاتبـوه | من اقباط بمصر وغير قبطي

وعلى اثر ذلك قام ذكا الرومي الذي قدم مصر واليا بعد تكين في صفر سنة ٣٠٣ هـ ـ وبعد ان عزل مؤنس الخادم تكين على الرغم من موقفه المشرف واعماله الايجابية ضد الفاطميين خوفا منه ولكي يبعده عن استغلال هذا النصر ـ واجرى ذكا عدة اجراءات قاسية ضد الأهالي بمصر فقبض على جماعة منهم وسجنهم وقطع ايدي بعض منهم وأرجلهم وتتبع كل من اشتبه بميله نحو الفاطمي فعظمت هيبته في قلوب الناس[٢٠٩] .

كما قام وأجلى اهل لوبيه ومراقية الى الاسكندرية سنة ٣٠٤ هـ خوفا من انضمامهم الى الجيوش المغربية ، واخذ في ارسال القوات العسكرية باستمرار الى مدينة الاسكندرية[٢١٠] .

وفي سنة ٣٠٧ هـ/٩١٩ م جهز المهدي جيشا كثيفا تحت قيادة ابنه ابي القاسم الى مصر فوصل هذا الاسكندرية واستولى عليها ، ودخل الجيزة ، وملك الاشمونيين وكثيرا من مدن الصعيد ، وانزلت الجيوش الفاطمية الخوف والهلع في مصر وهرب اهل القوة من الفسطاط الى الشام في البر والبحر وهلك اكثرهم في فلسطين[٢١١] .

وعلى أثر ذلك أرسل الخليفة المقتدر العباسي مؤنس الخادم على رأس قوة برية الى مصر[٢١٢] ، كما امر الخليفة باشراك اسطول طرسوس وابحاره الى مصر وتصديه للمراكب الافريقية وكان عددها ثمانين مركبا جاءت لنجدة (القائم) الفاطمي بقيادة البحار سليمان الخادم فتحركت المراكب الشامية من طرسوس وكان عددها خمسة وعشرين مركبا وكانت غنية بالنفط ، وتحت امرة شمل الخادم ، فقدم هذا إلى رشيد بمراكبه فلقى سليمان في شوال سنة ٣٠٧ هـ وانكسرت البحرية

الفاطمية واسر شمل سليمان القائد الفاطمي واكثر عناصره وقتل الباقي(٢١٣) ، فقام تكين على اثر ذلك وخلع على شمل الخادم وطوقه ودخل المدينة وعليه الخلع وسليمان الخادم بين يديه(٢١٤) .

ولعبت هذه المعركة البحرية دورا هاما في انتصار الجيوش المصرية على القوات المغربية التي انتشر بينها الوباء واجبرت الحملة على الانسحاب بعد المعارك العديدة التي خاضتها الجيوش العباسية ومجهودات تكين الذي اعاده الخليفة المقتدر الى ولاية مصر اثر هذه الحملة ، فقد كتب اليه المقتدر وهو يتولى اعمال دمشق بولايته على مصر ومحاربة القائم وكتب الى عمال الشام بالنفوذ الى مصر في جندهم وعساكرهم لمناصرة تكين ، وقدم معه محمد بن طغج فانفذه اثر وصوله مصر في عسكر كثيف الى جزيرة منوف وكلفه بمنع عبور المغاربة(٢١٥) ، كما كثرت النجدات من الشام والعراق بقيادة مؤنس الخادم .

وهنا لا بد من القول بأن الشام شاركت مصر في هذه الاحداث وتأثرت بها وأثرت فيها وسالت الدماء على الارض الواحدة وشاركت في معارك متعددة ، وكان للقوات البرية والبحرية اثر فعال في دحر القوات الفاطمية عن مصر وعودتها الى القيروان ، لتعد نفسها لحملة جديدة(٢١٦) . كما ان الشعب في مصر اتجه في هذه المحنة التي اصابته اثر هذا الغزو والخوف الى ترك دياره ففر اهل القوة والكثيرون من الفسطاط وغيرها الى الشام في البر والبحر وهلك الكثيرون منهم(٢١٧) . وفتحت الشام ابوابها لاستقبال هؤلاء في مصابهم ، ومن هنا نستدل ان الشام كانت ملجأ لمصر اثناء أزماتها السياسية ، كما ان مصر كانت خير مأمن لسكان الشام اثناء ملماتها ومصابها(٢١٨) .

وكما يجدر الانتباه ان الفاطميين لم يكونوا ليقفوا عند حدود مصر بل كان تطلعهم اشمل واعم ، فقد انطلقوا نحو مصر لجعلها جسرا لفتح الشام ومن ثم القضاء على العباسيين ، ولهذا ما ان وصل القائم الى مصر وحقق هذا النصر حتى كتب الى اهل مكة يدعوهم الى طاعته ، فلم يقبل هؤلاء دعوته(٢١٩) .

ثم انه يجب ان نلاحظ ان من أهم العوامل التي أدت الى اخفاق الحملة الفاطمية على مصر ان الخطة التي وضعها المهدي لغزو مصر لم تنفذ بدقة ، وذلك لأن أبا طاهر الجنابي امير القرامطة ببلاد البحرين لم يتقدم بجيشه الى مصر ليعاون ويشارك الجيوش الفاطمية(٢٢٠) ، نظراً لظروفه الداخلية في هذه الفترة ، فلم يقم بمجهودات مكثفة في الشام لمنع النجدات الكبيرة التي اتت منها ومن العراق وساهمت في دحر الفاطميين عن مصر .

كما ان هذه الحملات الفاطمية على مصر ، كان من نتائجها ان مهدت لظهور بعض القوى كتكين الوالي الذي اضطرت الخلافة لاعادته لامرة مصر اكثر من مرة(٢٢١) ، لوقوفه بجرأة ولتصديه للتقدم الفاطمي ونجاحهم ، رغم ادراكهم لخطورة امثاله وميلهم نحو الاستقلال والاستفادة من الظروف السياسية والعسكرية . لاعادة التجربة الطولونية ، كما كانت من الاسباب الهامة التي اظهرت محمد بن طغج الاخشيدي ووطدت علاقاته اثر بروزه في الحروب الفاطمية في مصر واظهار بعض المواهب العسكرية فيها .

ثم توقفت الحملات الفاطمية العسكرية على مصر بسبب الاوضاع السياسية في المغرب ، والمشاكل الداخلية التي تعرضت لها الدولة الفاطمية ، من تمرد بعض قبائل البربر ، والثورات التي ظهرت في هذه الاوقات(٢٢٢) .

ونتيجة لاضطراب احوال الخلافة العباسية في بغداد بعد مقتل الخليفة المقتدر وانقسام القادة الاتراك والفتن التي رافقت ذلك في سنة ٣٢٠ هـ وما قبلها(٢٢٣) ، فقد استغل عبيد الله هذه الظروف والاحداث الداخلية في بغداد للتحرك نحو مصر محاولا أخذها ، فقام بالاتفاق مع ابي طاهر الجنابي القرمطي ، على اثارة الشغب والفتن في بلاد المشرق و الضغط على العباسيين في الوقت الذي تقوم فيه القوات الفاطمية بالزحف بجيوشها نحو مصر(٢٢٤) . ولهذا جدد القرامطة نشاطهم وزادوا في تجهيز العساكر وانزلوا بالمنطقة الخوف والفزع وهاجموا قوافل الحجاج حتى قيل انه لم يحج الناس طيلة الاعوام بين ٣١٧ هـ الى ٣٢٦ هـ(٢٢٥) .

وعلى اثر ذلك وما قام به القرامطة من نشاط في الشرق ارسل المهدي حملته الى مصر سنة ٣٢١هـ/٩٢٣م تحت قيادة حبشي بن أحمد المغربي ، وما ان وصلت حتى وقع بينها وبين القوات المصرية . مناوشات عسكرية تم بعدها توقيع هدنة بين الاطراف المتقاتلة في صفر سنة ٣٢٢ هـ[٢٢٦] ، غير ان الهدوء والهدنة المؤقتة ما برحت ان انتهت وقامت العساكر وحدثت عدة لقاءات ووقائع مواجهة في بعض المدن مثل الجيزة وبلبيس[٢٢٧] ، وفي هذه الحروب ظهرت قدرة محمد بن طغج الاخشيد العسكرية وعلت مكانته نتيجة لتصديه للعساكر الفاطمية وهزيمتها وتحقيق النصر عليها في جمادى الاول سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م[٢٢٨] ، واجبارهم على العودة الى بلاد المغرب ، وفي هذه الاثناء كان المهدي قد توفى واخفى ابنه ابو القاسم وفاته لمدة سنة كاملة حتى استقرت له الامور في بلاد المغرب وبويع بالخلافة وتلقب بالقائم .

وافتتح القائم حكمه بحملة عسكرية مغربية الى مصر سنة ٣٢٣ هـ فوصلت الاسكندرية في اوائل عام ٣٢٤ هـ وانضم اليها بعض زعماء المصريين مما يدلنا على مدى نجاح الدعوة الفاطمية في مصر في هذه الفترة ، غير ان الاخشيد كان قد ولي امرة مصر للمرة الثانية (رمضان سنة ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) فما كان منه الا ان انفذ اليهم قوة كبيرة تمكنت من ان تهزم الجنود الفاطمية وترغمهم على العودة الى افريقية[٢٢٩] .

كان من نتائج هذه الحروب الفاطمية ايضا ان اضطرت الخلافة العباسية ان تولي مصر والشام لقادة عسكريين اقوياء مهرتهم الحروب وجربتهم الأيام كي يقفوا امام هذه القوة التي بدأت تنذر بزوال الحكم العباسي ، فأقدم الخليفة على تكليف مؤنس الخادم امر الشام ومصر الذي كانت حروبه في المنطقة عاملا هاما في علو مكانته ومن ثم تسلطه على الخلافة فاصبح كل شيء فيها واصبح يسمى مؤنس المظفر أو (الظافر)[٢٣٠] كما دفع هذا الخطر مؤنس الخادم الى الاعتماد على قادة وولاة اقوياء في الشام ومصر يتناسب وجودهم والخطر المحدق بالمنطقة فاجبر مع الخليفة العباسي على اعادة تكين اكثر من مرة الى مصر كما رأينا وحكم البلدين فترة طويلة

خلال هذه المرحلة الانتقالية[٢٣١] ، كما ساهمت هذه الحروب في اظهار محمد بن طغج بعد ان اشترك مع مؤنس المظفر في الحروب ضد الفاطميين وأظهر من الشجاعة والبسالة ما كان دافعا لمؤنس وتكين الى ترشيحه لبعض الوظائف الهامة فاسندت اليه امارة بعض المدن في مصر والشام وكانت مقدمة وبداية لتطلعاته التي انتهت بتوليه على مصر واضافة اعمال الشام والحجاز اليه[٢٣٢] .

٤ ـ الوضع السياسي والمالي الموحد لمصر والشام في هذه الفترة :

آ ـ وضع الشام ومصر السياسي في هذه الفترة :

على الرغم من التجربة الطولونية ودروسها ، وحركة ابن الخليج الهادفة لإعادة الدولة الطولونية في الشام ومصر ، وعلى الرغم من الخطورة الناتجة من جمع البلدين تحت امرة واحدة على العباسيين في بغداد ، فإن الظروف السياسية المعقدة في المنطقة فرضت مواقفها على الخلافة العباسية التي اتجهت الى اعتبار الشام ومصر مشتركتين في مصائر واحدة ، ففرض هذا عليها مواقف معينة ، اقتضت في أكثر الأحيان الابقاء على وحدة القطرين السياسية بعد زوال الطولونيين ، وتبديل الولاة وعزلهم بين حين وآخر ، معتقدين أن ذلك كفيل بضرب وحدة البلدين[٢٣٣] .

غير أن التجارب أثبتت عكس ذلك ، فما أن يصبح تحت امرة أحد الولاة في المنطقة قوة صغيرة حتى يعمل على زيادتها وينهض بها ويهدد الخلافة ويستقل بالاقليمين[٢٣٤] .

وكانت الخلافة في هذه الفترة تخشى تكين الخاصة ، فقامت بعزله عن مصر والشام أكثر من ثلاث مرات[٢٣٥] ، خوفاً من استبداده وتسلطه غير أنه ما أن تسمح الظروف لمحمد بن طغج في ولايته القصيرة على بعض مدن الشام حتى يجمع قوة يستفيد منها لتثبيت توليه على مصر ، ويجمع الأنصار فيها ويحاول أن يجعل من مصر ولاية استيلاء ويقوم بشق عصا الطاعة حينما يراد استبدال غيره به على مصر ، وترضخ الخلافة العباسية لعدم قدرتها على توجيه الجيوش لضربه وانهاء

اغتصابه للسلطة في مصر ، وعلى هذا الأساس يخسر العباسيون مصر والشام نهائياً[٢٣٦] وقد سار الخلفاء بعد ذلك على وضع العراقيل في طريق الاخشيديين وارسال الأمراء والولاة لمضايقتهم في الشام ، ومن ثم تهديدهم في مصر كما سنرى .

والواقع ان العباسيين ساروا على سياسة اعتبار الشام ومصر وحدة سياسية وادارية واحدة قبل العهد الطولوني ، وبعده ويعود ذلك للأسباب الجغرافية واتصال القطرين ، وللظروف الاستراتيجية التي فرضت وجودها في المنطقة ، واعتبار الشام مفتاح مصر ، وأن أمن مصر في الشام ، وهذه الحقيقة التاريخية ظهرت في كل مراحل العهود البشرية القديمة والوسيطة والحديثة[٢٣٧] .

ولم يكن العباسيون غافلين لهذه الحقيقة السياسية للقطرين ، بل على العكس كانوا مدركين لها تمام الادراك ، وعالجوها في كثير من الحيطة والحذر وتصدوا لكل قوة تريد أن تستقل في البلدين لادراكهم انها ستهدد وجودهم في بغداد وتاريخهم مع الطولونيين وغيرهم أكبر دليل على ذلك[٢٣٨] .

غير أنهم كانوا ينظرون دائماً الى مشاكل الشام ومصر باعتبارها مشاكل واحدة ومتصلة نتيجة لتصدي القطرين المستمر للقوى الأجنبية البيزنطية المغيرة على المنطقة وخاصة في الشام ومصر ، ثم ما ظهر من حركات أفراد وجماعات في الشام ومصر وارتباطها في كلا القطرين ، فالنشاط القرمطي في الشام[٢٣٩] وطمعه في مصر وارتباط هؤلاء بالدعوة الاسماعيلية الفاطمية ونجاحها في المغرب ، وخططها في مصر والشام بهدف القضاء على العباسيين ، كل ذلك جعل السلطة في بغداد تنظر بالعين الواحدة لمجرى الأحداث في الاقليمين كما كان لنشر الأمن والاستقرار أثر تفشي الفوضى في البلدين في هذه الفترة ما جعلهم يعهدون بذلك لاشخاص أقوياء جديرين بهذه الأعمال الموكلة اليهم في هذين القطرين[٢٤٠] .

وكان موقف العباسيين هذا سلاحاً له أكثر من وجه ، فلقد استغلت امكانية القطرين مجتمعة للوقوف أمام الأخطار ، ومن ثم ساهمت هذه السياسة في تدعيم

المصير المشترك الواحد لهما ، دون أن يكون ذلك منسجماً مع المصالح العباسية الخاصة .

وكانت من طرف آخر عاملاً مساعداً لابراز بعض العناصر الطامعة وعلو مكانتها في هذه الفترة المضطربة من تاريخ المنطقة ، وقد استغل هذا الظرف بعض القادة الطامحين ، وكان تكين الخاصة ابرز مثل لهؤلاء في هذه المرحلة الانتقالية التي سبقت التسلط الاخشيدي والاستقلال بها[٢٤١] .

ولقد اتجه الكثيرون من الخلفاء العباسيين لاسناد امر الشام ومصر لأمير واحد ، فمنذ عهد الرشيد ظهر هذا الاتجاه فجعل هذا عبد الملك بن صالح العباسي والياً على مصر والشام[٢٤٢] . وعهد المأمون كذلك لطاهر بن الحسين بهذه الولاية أيضاً .

وكان هذا الاتجاه طاغياً تقريباً طيلة فترة العصور العباسية ، كما كان كثير من الولاة يعهد اليهم بعض مدن الشام ، ثمن ينقلون ويكلفون بإمارة مصر أو بعض مدنها[٢٤٣] . وبمعنى أوضح كانت الشام ومصر مسرحاً سياسياً للولاة العباسيين الذين تكثر الخلافة في ارسالهم الى المنطقة وتعزلهم عن مدنها أو تنقلهم من اقليم الى آخر[٢٤٤] .

وإذا كان الخلفاء يولون أولادهم واخوتهم والعظماء من افراد دولتهم ، أمر الشام ومصر في العهود العباسية الأولى ، فإنه في هذه الفترة وقبلها اصبحت ترسل اليهما الولاة الأتراك الذين حكموا البلد بفردية مطلقة لا تقوم على أساس من التعاون بينهم وبين محكوميهم ، وعامل هؤلاء الأهالي بمنتهى الشدة والقسوة ، وامتازت هذه الفترة بالفوضى وسوء الادارة وتسلط الولاة وظلمهم[٢٤٥] وكثرة الحركات والثورات رداً على تصرفاتهم .

كما سار العباسيون أيضاً على سياسة تقسيم دولتهم الى قسمين الغربي وكانوا يولون عليه ولي العهد الأول ويشمل الشام ومصر ويعهدون بالشرق الى ولي العهد الثاني ، وهذا الاتجاه ظهر منذ عهد المهدي وسار عليه الخلفاء من بعده كالمتوكل ، والمعتمد وغيرهما[٢٤٦] .

وهكذا اعتبرت مصر طبقاً للتقسيم الاداري مع بلاد الشام وحدة يتولى شؤونها ولي العهد الأول بنفسه باعتباره نائباً عن الخليفة ، وذلك دلالة على أهمية هذين القطرين في حياة الدولة الاسلامية .

وفي هذه الفترة وفي سنة ٣٠١ هـ ـ خلع على الأمير أبي العباس ابن المقتدر بالله ، وقلد أعمال مصر والمغرب ، وعمره أربع سنين واستخلف له على مصر مؤنس الخادم وكلف بتسيير الأمور فيها ، وأبو العباس هذا هو الذي ولي الخلافة بعد القاهر ولقب الراضي بالله[٢٤٧] .

وباشر مؤنس الخادم عمله فيها نيابة عن أبي العباس بن المقتدر ، وقدم الى حلب ، وصعد الى مصر ، فقام بتولية ذكا الأعور دمشق ومصر[٢٤٨] وأقدم على عزله عن حلب ، واسند ولايتها الى أبي العباس أحمد بن كيغلغ سنة ٣٠٢ هـ[٢٤٩] الذي تولى أمرة مصر بعهد المقتدر سنة ٣١١ هـ[٢٥٠] .

وكان المقتدر قبل ذلك قد ولى (تكين بن عبد الله الحربي الأمير أبو منصور المعتضدي الخزري) الذي نشأ في دولته وأصبح من جملة قواده امرة دمشق ومصر ، وأقره عليهما القاهر سنة ٢٩٧ هـ[٢٥١] .

وكان تكين من القادة الأتراك ، وممن ادرك قيمة الجانب الغربي من الدولة العباسية (مصر والشام) وادرك أن من تمكن منهما استطاع أن يحصل على مال وفير . يساعده على شراء الأنصار في الدولة العباسية ويعمل به ملكاً قد يدوم بدوامه ويرثه ابناءه من بعده . منذ التجربة الطولونية ، لذلك أخذ الأذكياء منهم يحرص على أن يثبت قدميه فيهما محاولاً اعادة التجربة وكان أكبر من حاول هذا الأمر القائد تكين ، فقد تولى مصر بين سنتي ٢٩٨ / ٣٢١ هـ أربع مرات حكمها في مجموعها أكثر من ستة عشر عاماً ، واذ أدركنا ان عمر الطولونيين لم يزد عن ٣٨ سنة والاخشيديين عن ٣٤ عاما امكننا أن نتصور المدة التي سيطر فيها تكين على مصائر مصر وجانب كبير من الشام أيضاً[٢٥٢] .

ب - خضوع الشام ومصر لادارة مالية واحدة في هذه الفترة :

وكما كانت الشام ومصر تخضع لسلطة سياسية واحدة نتيجة لظروفهما المشتركة ، كذلك خضعت تقريباً لادارة مالية واحدة وذلك على اثر قيام الخلفاء في بغداد بتكليف وزراء او اشخاص من ذوي الخبرة بالاشراف على تسيير امورها المالية والادارية . وكان هؤلاء يقومون بدورهم بالتفتيش على مواردها وعلى اعمال عمالها وجباياتهم ، وقد لعبوا دوراً بارزاً في مسرى احداثها السياسية والمالية والاقتصادية ، فلقد كلف علي بن عيسى في سنة ٣١٣ هـ - وهو مقيم في مكة - بالاشراف على ديار مصر وبلاد الشام ، بحيث يتجه الى هذين الاقليمين في بعض الاوقات ويقوم ببحث مواردها المالية ومحاسبة العاملين بها ثم يعود الى مقره في مكة(٢٥٣) .

وكان علي بن عيسى هذا نصيراً للاسرة الماذرائية ووقف بجانبها في عملها الاداري في الشام ومصر ، فكان ذلك من العوامل التي هيأت لهذه العائلة ان تلعب دوراً فعالاً وايجابياً في المنطقة كما سنرى(٢٥٤) .

كما عهد بعده وفي سنة ٣١٤ هـ الى ابي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني نيابة عن علي بن عيسى يتولى مهامه الادارية في المنطقة ، حيث ارسل في طلب علي وهو بدمشق ليعهد له بأمر الوزارة في بغداد(٢٥٥) بعد ان تقرر عزل الخصيبي عنها .

كما عهد في سنة ٣١٩ هـ الى محمد بن جعفر القرطي ادارة خراج مصر والشام ، وكلف بالتدقيق على محمد بن علي الماذرائي ، وعلى هذا الاساس كوتب الوالي تكين بالقاء القبض على الماذرائي هذا وعدم افساح المجال امامه للهرب .

وعلى الرغم من تمكن الماذرائي من الفرار اثر وساطة هذا الوالي كما سنرى فان القرطي مات في طريقه بقرية عانة(٢٥٦) ، ولم يصل المنطقة فعاد الماذرائي معززاً اليها(٢٥٧) .

وندب الخليفة الراضي الفضل بن جعفر وزيراً لكشف امور مصر والشام وكلفه بالقيام بتدبير جميع الامور المالية والادارية في مصر والشام ، وكان هذا الوزير من الد اعداء الماذرائيين ، وقد لعب دوراً في ضربهم في القطرين[٢٥٨] ، كما لعب من طرف آخر دوراً هاماً وايجابياً في مساعدة محمد بن طغج عندما كتب له بتقليده مصر استناداً الى شرطه على الخلافة قبل سفره بأن تفوضه بما يرتئيه ويرضاه استناداً الى قوله «يرى الشاهد ما لا يرى الغائب»[٢٥٩] . وهكذا قام هذا الوزير بعمل خطير سيكون له الاثر الفعال عندما اعطى الحق الشرعي لطامح هو الاخشيد فانطلق الى مصر في ولايته الثانية عليها مجهزاً بقوة عسكرية من الشام واستلم زمام الامور بالقوة المسلحة كما سنرى[٢٦٠] .

ولم تتأثر مصر والشام في هذه الفترة في امورهما المالية والادارية ، كما تأثرت بالاسرة الماذرائية التي قامت بالتزام خراجها فترة طويلة ولعبت دوراً فعالاً في الشام ومصر وقامت بجهود جبارة لتوحيد موارد القطرين واعتبارها كأنها خزينة واحدة لفترة طويلة . فخضعت الشام ومصر لادارة مالية واحدة في ظل اكبر العائلات الغنية والرأسمالية في العصور الاسلامية ، وقام هؤلاء بارسال الاموال سنوياً الى بيت المال في بغداد وبمبالغ تختلف بحسب السنين وتتراوح بين مليون وسبعماية الف دينار[٢٦١] وذلك بعد النفقة على الجيش والادارة وما تحتاجه البلاد من نفقات الحروب والاصلاح .

والماذرائيون[٢٦٢] هم اسرة فارسية الاصل ، تنسب الى ماذرايا او مادرايا وهي قرية من اعمال البصرة وقيل من اعمال واسط وقد نزح بعض افرادها الى مصر منذ عهد احمد بن طولون ، حيث وجدوا فيها الرخاء والنجاح فاقدموا على استدعاء بعض افراد العائلة ، من العراق وتبعهم آخرون ، وتمكن بعضهم من تولي الوظائف الهامة فقد اسند الى احمد بن ابراهيم ومحمد احمد بن ابراهيم الماذرائي الاطروشي امر خراج مصر في سنة ٢٦٦ هـ مع ابن المدايني[٢٦٣] .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ نجمهم يسطع في الشام ومصر ، وتمكن عميد الاسرة

المادرائية هذا من ان يحمل ابن طولون على تعيين قريبه الحسين بن احمد المعروف بابي زنبور في عمل رئيسي بالشام(٢٦٤) .

كما اصبح زعيم الماذرائيين علي بن احمد وزيراً لخمارويه وكاتباً (٢٦٥) وفي سنة ٢٧٢ هـ استقدم علي بن احمد الماذرائي الى مصر ولديه ابا بكر محمد بن علي وابا الطيب احمد بن علي ، واصبحت مصر منذ هذا الوقت وطناً لهم(٢٦٦) .
وشغل هؤلاء الماذرائيون دوراً هاماً في الاحداث السياسية والادارية في مصر والشام ابان تلك الفترة واثناء نهاية الدولة الطولونية ، فكان للحسين الماذرائي شأن كبير في التخلص من الطولونيين ، فقد انضم هذا سنة ٢٩٢ هـ الى محمد بن سليمان ومعه بدر الحمامي وغيره(٢٦٧) . وهكذا قام الماذرائيون وخانوا القضية الطولونية ، وحصل هذا على ثقة العباسيين واثبت صلاحيته وجدارته للعمل مع النظام الجديد في مصر وخدمته ، فضمن بذلك بقاء نفوذ اسرته ، وساعدتهم في ذلك خبرتهم بالشؤون المالية .

ونظراً لموقف الحسين الماذرائي العدائي للطولونيين ، فقد اقدمت الخلافة وعينته على خراج مصر ، وهكذا اصبح هذا محل ابن اخيه ابي الطيب احمد بن علي في ادارة الامور المالية في مصر ، وكلفه الخليفة المكتفي بعد ذلك بالنظر في اموال بني طولون وضياعهم(٢٦٨) .

وفي اثناء الثورة الخلنجية اخلص هذا للعباسيين وساهم بدور بارز في انهاء هذه الثورة وتجهيز الجيوش والانفاق عليها ، وقام باخذ سجلات الخراج والدواوين من الفسطاط حتى يصعب على ابن الخليج جمع الخراج وادارة الاعمال التي كان لها الاثر في شل الحركة وتدميرها(٢٦٩) .

وبعد القضاء على هذه الثورة عاد في سنة ٢٩٣ هـ الى الفسطاط واستلم ابو زنبور الماذرائي ولاية الخراج فيها ، وبعد هذا التاريخ تكثر الاخبار عن أبي زنبور الماذرائي وأخيه ابي اسحق ابراهيم بن احمد ، ويشتركان في الاحداث السياسية في بغداد منذ عهد الخليفة المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٨ م ، ويرتبط تاريخ هذه

الاسرة بعد هذا التاريخ - ويتأثر كثيراً - بالتنافس السياسي بين الوزيرين العباسيين علي بن عيسى حيث كانوا اصدقاء له ، وعلي بن محمد بن موسى بن الفرات الذي كان من الد اعدائهم في بغداد(٢٧٠) . فقام في سنة ٢٩٦ هـ بعزل ابي زنبور الماذرائي عن خراج مصر وولي عليه احمد بن محمد بن بسطام في ربيع الاول من هذه السنة ، وخلفه في العام التالي سنة ٢٩٧ هـ ابنه ابو القاسم علي بن احمد بن بسطام على خراجها حتى سنة ٣٠٠ هـ فعزل بأبي الطيب احمد الماذرائي(٢٧١) .

وفي سنة ٣٠١ هـ غادر العراق الى مصر ابو بكر محمد بن علي الماذرائي مع القوات التي ارسلت بقيادة مؤنس الخادم لصد الجيوش المغربية فوصلها هذا في ربيع الاول سنة ٣٠٢ هـ وكان الخراج اذ ذاك بيد اخيه ابي الطيب احمد بن علي الماذرائي ، ولما توفي هذا في سنة ٣٠٣ خلفه اخوه محمد على الخراج ، واستمر في وظيفته الى آخر سنة ٣٠٤ هـ(٢٧٢) .

ويظهر ان ابا بكر محمد بن علي بن احمد بن أبي زنبور الماذرائي منح سلطاناً واسعاً على اثر مغادرته العراق في سنة ٣٠١ هـ فقد قلد في هذه السنة اعمال مصر والاشراف على اعمال الشام(٢٧٣) . والقيام بالانفاق على الجيوش وعند وصوله الى مصر سنة ٣٠٢ هـ وكان يرافقه ابو علي الحسين بن احمد الماذرائي(٢٧٤) ، فأقر أبو بكر اخاه ابا الطيب على الخراج ، وكان أبو بكر «امير البلد في الحقيقة»(٢٧٥) .

ويبدو ان نجاح الماذرائيين في هذه الفترة يعود للمساعدة الكبيرة التي قدمها لهم صديقهم الوزير علي بن عيسى العباسي الذي وصل الى السلطة في سنة ٣٠١ هـ(٢٧٦) . وكان هذا من انصارهم في البلاط العباسي(٢٧٧) ، لذلك كان طبيعياً ان يعتمد في ادارة الولايات العباسية عليهم وعلى أمثالهم ممن ينفذون رغباته ويخلصون لتحقيق برنامجه المالي والاداري ، فقلد ابا بكر محمد بن علي الماذرائي على الخراج والادارة في مصر ، واناب على الشام ابا زنبور الماذرائي في الاشراف على الخراج ، وهكذا توحدت الشؤون المالية واجتمعت في مصر والشام تحت سيطرة هذه الاسرة ، ولقد كان الاتصال والتعاون بين افرادها قوياً وموفوراً ،

ولهذا يمكننا القول بأن البلدين كانا في هذه الفترة وكأنهما يخضعان لخزينة واحدة(٢٧٨) ويداران بادارة واحدة .

غير انه في سنة ٣٠٤ هـ استدعى ابو بكر محمد الماذرائي مع عمه علي ابي زنبور وغلت ايديهما وطولبا باداء اموال كثيرة ، وتمت مصادرة الكثير من املاكهما وصودرت املاك بعض اقاربهما(٢٧٩) .

ولا بد انه كان لازدياد نفوذ مؤنس الخادم في مصر في هذه الفترة ولوقوف هؤلاء حاجزاً امام رغباته وكبح جماحه اثره الكبير في قيامه بتأليب السلطة في بغداد عليهم ، كما وأخذ يقوم بغل ايديهم في مصر ، وهذا امر طبيعي فقد وصل مؤنس الى مصر وكانت لهم بها سلطة كبيرة ، فكان لا بد له ان يصطدم معهم وهو الحاكم الفعلي لهذه البلاد بموجب وصايته على أبي العباس(٢٨٠) بن المقتدر والقائد العام للجيوش العباسية فيها ، غير ان السبب المباشر وراء هذه النكبة الماذرائية في هذه الفترة هو وصول ابن الفرات الى الوزارة وسقوط علي بن عيسى سنة ٣٠٤ هـ ، وكان هذا من الد اعداء الماذرائيين خصومة(٢٨١) ، حيث كان هؤلاء يقومون بمساعدة خصومه السياسيين في بغداد واشتركوا في الصفوف المؤيدة لعلي بن عيسى وفئته في الفتن التي كانت تحدث في بغداد(٢٨٢) .

ودليلنا على ذلك انه بعد عزل ابن الفرات ردت اليهم املاكهم وما صودر لهم كما اعيدوا للاشراف على الاعمال الادارية في مصر والشام(٢٨٣) .

وربما كان لازدياد نفوذهم واتساعه في هذه المنطقة ولكثرة ثروتهم والاراضي التي كانوا يملكونها في مصر والشام(٢٨٤) مثار دهشة ملفتة للانتباه فازدادت الوشايات بهم ، فقامت الخلافة على الايقاع بهم .

كما اقدم ابن الفرات سنة ٣١١ هـ عندما اعيد الى الوزارة باستدعاء ابي زنبور الى بغداد وصادر قسماً كبيراً من امواله مع سائر افراد اسرته(٢٨٥) . وبعد انتهاء وزارته كلف الخصيبي وزير المقتدر في سنة ٣١٣ هـ علي بن عيسى على ان

يكون مشرفاً على ديار مصر وبلاد الشام[٢٨٦] ، ويقوم بالتفتيش على شؤونها ، فكان يزورها بين حين وآخر ويطلع على ادارتها المالية[٢٨٧] .

وقد ترك لنا هلال الصابي[٢٨٨] نصاً يحدثنا فيه عن احدى زيارات علي بن عيسى لمصر ويقدم صورة واضحة عن الشؤون الادارية والمالية في القطرين في هذه الفترة آثرنا نقله في ملاحق هذا البحث نظراً لاهميته واعتباره وثيقة مالية لها شأن عظيم .

وفي هذه الفترة ينشط الماذرائيون نظراً لابتعاد خصمهم الكبير ابن الفرات ، وما ان تمضي سنة ٣١٧ هـ وهي سنة وفاة ابي زنبور[٢٨٩] بمصر ، حتى يكون هذا قد افلح في مد نفوذ الماذرائيين وقبضتهم الادارية حتى غدت مصر والشام في ايديهم من النواحي المالية والادارية والاقتصادية وامتد نفوذهم الى العراق ، فكان لهم في بغداد شأن كبير كما يعود ويظهر نجم ابي بكر الماذرائي في سنة ٣١٨ هـ ويعين على خراج مصر ، ثم تتغير الاحوال السياسية في المنطقة ويظهر بها اقوياء جدد وطامعون يقفون امام الماذرائيين ويعملون لمصالحهم الخاصة وعلى رأس هؤلاء ابن طغج في دمشق ، وتكين في مصر ، ويتم تقليد محمد بن جعفر القرطي امر خراج مصر والشام ونظراً لتخوف الخلافة أيضاً تأمر بالقاء القبض على محمد بن علي الماذرائي ريثما يحضر القرطي ، ويقوم بمحاسبته ، كما انفذت قائداً من بغداد لالقاء القبض عليه ، فما كان من الماذرائي الا ان اقدم على رشوة الوالي تكين وارسل الهدايا الثمينة والجواهر القيمة لزوجته خلوب «وقدرت الهدايا باكثر من عشرين الف دينار» . وبذلك تمكن من الهرب وخرج الى القلزم ثم سار الى ايله واقام في مدين[٢٩٠] ، وفي الطريق توفي القرطي هذا في عانة قبل ان يصل الى مصر[٢٩١] ، وعلم محمد بن علي الماذرائي ، فعاد الى مصر معززاً مكرماً[٢٩٢] .

وفي سنة ٣٢١ هـ زال من طريق هذه الاسرة اكبر خطر ينافسهم في مصر وهو تكين الخاصة حيث توفي فيها ، واصبح الامر كله بيد أبي بكر محمد بن علي الماذرائي[٢٩٣] ، ويظهر انه كان له علاقة بموت تكين ولهذا لم يرض عن استخلاف

ابنه محمد بن تكين وعمل على طرده من مصر ثم وبعد خروجه منها وحصوله على تقليد من الخلافة بامر مصر ، لم يعترف الماذرائي به وقام بجمع الجيوش من المغاربة وغيرهم ونجح في منعه من دخول البلاد[٢٩٤] .

ولعب الماذرائيون دوراً كبيراً وبارزاً في الاحداث السياسية في مصر في هذه الفترة وحتى سنة ٣٢٣ هـ حيث تمت تولية محمد بن طغج الثانية وخلال هذه السنوات كانوا يسيطرون عملياً على حكم مصر ، وكانوا مع الولاة بمثابة امير الامراء في بغداد ، ولذلك قاوموا دخول الولاة وآثروا ان يكونوا راضين عنهم وعن تعيينهم ، وربما هذا يلقي الضوء على الاسباب التي منعت محمد بن طغج من دخول مصر سنة ٣٢١ هـ عندما تولى امارة مصر لاول مرة وظل اسمه يذكر نحو اثنين وثلاثين يوماً[٢٩٥] ، كما يفسر ايضاً موقفهم من كافة الولاة الذين تولوا امرها والموقف العدائي تجاههم وما اثار ذلك من فتن وشغب وتعرض الماذرائيين للنهب وبيوتهم للحرق[٢٩٦] .

ويفسر ايضاً ازدياد سوء الاحوال الادآرية والسياسية وانقسام الجند في هذه الفترة بين الاطراف المتنازعة على السلطة في مصر والشام ، وكانت الخلافة العباسية تغذي تلك المنازعات وتوكل امور البلد لاكثر من سلطة او وال في نفس الوقت كي يتصارع هؤلاء مع بعضهم ولا تنعم البلاد بالهدوء او الاستقرار السياسي والاداري[٢٩٧] .

هذا الوضع السياسي الشديد الاضطراب والممتلىء بالفوضى ، ساعد الماذرائيين على السيطرة والنفوذ ، فظل بيدهم التحكم في مجرى الاحداث ولم يكن لهؤلاء الولاة الذين انفذتهم الخلافة العباسية بين سنتي ٣٢١/٣٢٣ هـ اي دور مع الماذرائيين ولا امر او نهي في البلاد[٢٩٨] واقتصر دورهم على الحروب والنزاع على استلام السلطة في البلاد وادى ذلك الى فشلهم جميعاً واخراجهم من مصر . وتعيين محمد بن طغج والياً على الشام ومصر ، كما سنرى .

ففي هذه الاثناء ندب الخليفة الراضي الفضل بن جعفر بن الفرات وزيراً مفوضاً يقوم بكشف الامور في الشام ومصر ، واعطاه تفويضاً بتدبير كافة الامور

بالشامات ومصر ، ومنحه سلطات واسعة ومطلقة فاشترط ابن الفرات أن يعمل ما يراه بنفسه وأراد ان يكّون الامر اليه لان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأجيب الى ذلك[٢٩٩] .

وكان بنو الفرات كما نعلم يكرهون الماذرائيين ويحسدونهم ، فلم يكن مستبعداً ان يعمل الفضل على انهاء سلطتهم وتقويضهم في مصر والشام ، وزاد وضعهم سوءاً اثر المصاهرة التي تمت بين الاخشيد وابن الفرات فقام بتزويج ابنته لابنه[٣٠٠] بقصد التقرب منه وطلباً لمساعدته .

وقد كان الاخشيد قد قوي امره بدمشق ، وكاتب وصادر وطمع في البلاد واخذ يترصد الوضع وينتهز الفرص ويترقب سياسة تكين وينتظر مصيره ، ويقوم بمخاطبة غيره من الولاة[٣٠١] ، وتحققت احلام ابن طغج في الوصول الى امارة مصر ، فقد استغل الفضل بن جعفر بن الفرات السلطات الواسعة التي اسندت له فقام بتعيين محمد بن طغج والياً على مصر .

وقد اخذ ابن طغج يقلم من نفوذ الماذرائيين اثر توليه على مصر والشام ، وقد كان هؤلاء قد اتفقوا مع الحكومة المركزية في بغداد منذ سنة ٣٠٦هـ على ان يقوموا بارسال مليون دينار من خراج مصر والشام بعد ان يقوموا بالاتفاق على امور الجيش وما تحتاجه ادارة البلاد والاصلاحات العامة[٣٠٢] . الا ان هذا الاتفاق تعرض للنقض بسبب الهجمات الفاطمية وكثرة الحروب وتمرد الجيوش وحركاتهم الكثيرة ، وما آل اليه الوضع الداخلي في البلدين فأثر على الميزانية العامة وأرهقها[٣٠٣] ، ورغم ذلك ونتيجة لتحكم الماذرائيين وسيطرتهم خلال اكثر سنوات هذه الفترة على الاوضاع المالية في القطرين ، فقد زادت ثروتهم وملكوا الاموال الكثيرة والاقطاعات الواسعة والضياع العديدة في الشام ومصر[٣٠٤] .

وقد قام الاخشيد بعد تمكنه من مصر والشام من مصادرة بضائع ابي بكر محمد الماذرائي وقدر ذلك بما يساوي ثمانين ويبة من الدنانير[٣٠٥] وليس في هذا المبلغ مبالغة كثيرة ، فقد بلغت صدقات أبي بكر في سنة واحدة نيفاً وستين الف دينار ،

وملك من الضياع الكبيرة في مصر والشام ما لم يملكه احد قبله وبلغت ايرادات ضياعه في مصر اربعمائة الف دينار في كل سنة[٣٠٦] .

ولا شك ان اهم الوسائل التي كان الماذرائيون يجمعون بها هذه الثروة تعود لضمانهم خراج مصر والشام الى بيت مال الخلافة ، ثم يأخذون بدورهم على عاتقهم جباية اموال الخراج في البلدين ، وكان طبيعياً ان يجمعوا الاموال الكثيرة ولا يقدموها كلها الى بيت المال ، فتراكمت عندهم هذه الاموال وزادت على مر السنين[٣٠٧] .

وهكذا عملت هذه الاسرة على ادارة مصر والشام فترة طويلة وصبغت القطرين بسياسة مالية وادارية واحدة وساهمت في وحدة الاقليمين اقتصادياً ، غير انها استغلت امكانية البلدين لمصالحها الخاصة ، وتحكمت بذلك لخدمة المصالح الخاصة ، وساهمت بذلك في الضعف والفوضى التي امتازت بها هذه الحقبة من تاريخ القطرين .

☆☆

حواشي الباب الثالث

(١) الكندي : الولاة : ص ٢٤٨ .
(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٣ ص ١٤٤ .
(٤) الكندي : الولاة ص ٢٥٨ (ورد اسمه علي بن وهودان) . ـ أبو المحاسن : النجوم : ج٣ ص ١٤٤ .
(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٣ ص ١٤٥ .
(٦) أبو المحاسن : المصدر السابق : ج٣ ص ١٤٥ .
(٧) نفس المصدر السابق والصفحة . ـ ابن خلدون : المصدر السابق : ج٣ ص ٣٥٨ .
(٨) ابن خلدون : تاريخه : ج٣ ص ٣٥٨ .
(٩) انظر الباب الثاني من هذا البحث .
(١٠) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٥٩ .
(١١) الكندي : الولاة ص ٢٦٦/ ٢٧٠/ ٢٧٤ وما بعدها. ـ النجوم الزاهرة : ج٣ ، ص ١٨٦/ ١٩٦ وما بعدها .
(١٢) انظر فيما سيأتي من هذا الباب . ـ الكندي : الولاة ص ٢٦٩/ ٢٦٨/ ٢٧٤ .
(١٣) عارف تامر : المرجع السابق ص ٢٤ وما بعدها . ـ حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص ٣ وما بعدها .
(١٤) الكندي : الولاة : ص ٢٢٦ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ، ص ١٥٥ .
(١٥) نفس المصادر السابقة والصفحات .
(١٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ، ص ١٧٢ . ـ صلاح الدين الصفدي : أمراء الشام في الاسلام ، دمشق ١٩٥٥ تحقيق المنجد ص ٢١ .
(١٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٧٢ .
(١٨) الكندي : الولاة : ص ٢٦٩/ ٢٧٠ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ١٧٢/١٧٣ .
(١٩) الكندي : الولاة : ص ٢٧٠ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٧٣ .
(٢٠) الكندي : الولاة : ص ٢٧٣ . ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ج٣ ، ص ١٣٦ .
(٢١) الكندي : الولاة : ص ٢٧٣/ ٢٧٤ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ١٨٦ .
(٢٢) المصادر السابقة والصفحات .
(٢٣) الكندي : الولاة : ص ٢٧٥ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ١٨٧ .
(٢٤) أسعد طلس : المرجع السابق ص ٣/٤ وما بعدها .
(٢٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ١٨٧ .
(٢٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص١٩٦ . ـ الكندي : الولاة : ص ٢٧٦ ومابعدها .

(٢٧) الكندي : الولاة : ص ٢٧٨ . - أبو المحاسن : النجوم : ج ٣ ص ١٩٦/ ١٩٧ .
(٢٨) الكندي : الولاة : ص ٢٨١ . - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢١٠ .
(٢٩) النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢١٠ ومابعدها . - الكندي : الولاة : ص ٢٨١ .
(٣٠) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢١٢ .
(٣١) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٦/ ١٥٧ . - سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٤٤/٤٥ .
(٣٢) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٧ .
(٣٣) سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي : ص ٤٥ .
(٣٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٦/١٥٧ . - الكندي : الولاة : ص ٢٨١/٢٨٢ .
(٣٥) المصادر السابقة والصفحات .
(٣٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٧ . - الكندي : الولاة : ص ٢٨٢ (ولايته الثانية) حيث كان قد وليها من قبل المقتدر سنة ٣١١ ص ٢٧٩ من هذا المصدر) .
(٣٧) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٥ .
(٣٨) الكندي : الولاة : ص ٢٨٢/ ٢٨٣ . - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢٤٢/ ٢٥٣ .
(٣٩) الكندي : الولاة ص ٢٨٣ .
(٤٠) الكندي : الولاة : ص ٢٨٤ . - النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢٤٣ .
(٤١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٤٣ .
(٤٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٤٣ . - الكندي : الولاة ص ٢٨٥ .
(٤٣) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٧/١٥٨ .
(٤٤) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٤٦ .
(٤٥) الكندي : الولاه ص ٢٨٥ . - ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٥١ .
(٤٦) انظر الباب الرابع من هذا البحث .
(٤٧) سيدة كاشف : مصر في العصرين الطولوني والاخشيدي ص ١٣١ . وحسن احمد محمود .
(٤٨) انظر : الباب الرابع .
(٤٩) انظر فيما سيأتي من هذا الفصل .
(٥٠) الطبري : المرجع السابق : ح ١٠ ص ١٣٥/١٣٧ . - الباز العريني : الشرق الأوسط : ح ١ ص ١٤ ط ١٩٦٣ .
(٥١) الطبري : المصدر السابق والصفحة .
(٥٢) كرد علي : خطط الشام ح ١ ص ١٨٢ .
(٥٣) الطبري : المصدر السابق ح ١٠ ص ١٣٦ .
(٥٤) الطبري : المصدر السابق ح ١٠ ص ١٣٧ .
(٥٥) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ٩٢/٩٣ . - ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ١٨٦ .

(٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ٩٤ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق : ح ٦ ص ١٤٤ .
(٥٧) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ١٨٦ .
(٥٨) ابن الاثير : المصدر السابق ص ١٥٠ .
(٥٩) المصدر السابق والصفحة .
(٦٠) ابن الاثير : المصدر السابق : ح ٦ ص ١٥٢ .
(٦١) ابن الاثير : المصدر السابق : ح ٦ ص ١٥٢ . ـ ابن كثير : البداية والنهاية : ح ١١ ص ١٢٣ .
(٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ٩٧ . ـ كرد علي : خطط الشام : ح ١ ص ١٨٣ .
(٦٣) امينة بيطار : علاقة امراء العرب في الشام بالدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير لم تطبع بعد ص ٦٣ وما بعدها .
(٦٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٠٠ .
(٦٥) صلاح الدين الصفدي : امراء الشام في الاسلام : ص ٦ ، ٢١ ، ٥٩ ، ٧٩ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ .
(٦٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٣ ص ٢٠٢ . ـ محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ح ١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ .
(٦٧) صلاح الدين الصفدي : امراء الشام : ص ٢١ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢١٠ وما بعدها .
(٦٨) محد راغب الطباخ : اعلام النبلاء : ج ١ ص ٢٣٥ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ ح ٣ ص ١٨٦ .
(٦٩) محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ح ١ ص ٢٣٦ (وقيل محمود بن جمل) . ـ النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ١٩٩ .
(٧٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٠٠ .
(٧١) الصفدي : امراء الشام : ص ٢١ ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٣ ص ١٧٢ .
(٧٢) الصفدي : امراء الشام : ص ٩١ . ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ح ٣ ص ١٣٦ (ولي تكين امرة مصر ثلاثة مرات الاولى من سنة ٢٩٧ ـ ٣٠٢ هـ والثانية من ٣٠٧ ـ ٣٠٩ هـ والثالثة من ٣١١ ـ ٣٢١ هـ ، بالاضافة الى ولايته لمدة اربعة ايام فقط سنة ٣٠٩ ، انظر النجوم ح ٣ ص ٢٠٠)
(٧٣) الصفدي : امراء .الشام : ص ٥٩ .
(٧٤) الصفدي : امراء الشام ص ٩٣ .
(٧٥) محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ح ١ ص ٢٣٧ .
(٧٦) الصفدي : امراء الشام ص ٩٣/٩٥ . ـ محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ح ١ ص ٢٣٧ .
(٧٧) الصفدي : امراء الشام : ص ٧٩ . ـ ابن الاثير : المصدر السابق : ح ٦ ص ٢٠٨/ حيث يقول انه وليها سنة ٣٢٠ هـ للمرة الثانية .

(٧٨) الصفدي : امراء الشام : ص ٧٨ .
(٧٩) محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٣٨/٢٣٧ .
(٨٠) المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٨١) محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ح ١ ص ٢٣٨ .
(٨٢) المصدر السابق والصفحة ٢٣٩ .
(٨٣) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٧ .
(٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ٦٧ . ـ الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٤٩ .
(٨٥) حسين مؤنس : الحضارة المصرية ص ٤٠٧ .
(٨٦) الكندي : الولاة : ص ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٧١ وما بعدها . ـ انظر الفصل الاول من هذا الباب .
(٨٧) انظر الفصل الثاني من هذا الباب .
(٨٨) ابن الاثير : الكامل : ح ٦ ص ١١٧ .
(٨٩) النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ١٨٠ . ـ المسعودي : مروج الذهب : ح ١ ص ٢٧٨ .
(٩٠) كرد علي : خطط الشام ح ٢ ص ١٨٣ . (وهو محسن بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وفي النجوم ج ٣ ص ١٨٠ محمد بن جعفر .
(٩١) ابن الاثير : المصدر السابق ح ٦ ص ١٥٢ .
(٩٢) كرد علي : خطط الشام : ح ١ ص ١٨٣ .
(٩٣) امينة بيطار : رسالة دكتوراة ص ٢٢٥ .
(٩٤) ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٠٨ ـ آدم متز : الحضارة الاسلامية ح ١ ص ٩٢/٩١ .
(٩٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٢٧ . ـ ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ١٥٣ (ويقول لم يحج ركب الحجاج سنة ٣١٤ خوفا من القرمطي) . ـ المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٩ (حيث يقول ان الحج بطل في سنة ٣١٧ هـ ولم يبطل الحج منذ ان كان الاسلام غير تلك السنة وغير ذلك من الاحوال التي كانت في ايامه) .
(٩٦) الطبري : تاريخ الرسل : ج١٠ ص١٢٩ ـ ابن خلدون : المصدر السابق : ج٣ ص٣٥٧ (ورد أسمها موارس وهي من اعمال حلب).
(٩٧) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١١٧ ـ ابن كثير : البداية : ج١١ ص١٠١.
(٩٨) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١٥٢ ـ ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٨٥/٣٨٤/٣٦٨.
(٩٩) ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٨٥ ـ ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١٥٢
(١٠٠) ابن الاثير : الكامل ج٦ ص١٥٧
(١٠١) ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٨٥ ـ ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١٨٢.
(١٠٢) الفصل السابق من هذا الباب.
(١٠٣) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١٨٩.

(١٠٤) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١٨٦ ـ ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٨٥.
(١٠٥) ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٨٦ ورد أسمها (أردن) ـ ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص١٩٩ .
(١٠٦) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص٢٠٦.
(١٠٧) ابن الاثير : المصدر السابق : ج٦ ص٢٤٣
(١٠٨) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص٢٤٣ ـ ابن خلدون : العبر ج٣ ص٣٨٦.
(١٠٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٣ ص ٣٢٧ .
(١١٠) عارف تامر : القرامطة : ص ١١٣/١١١ وما بعدها . ــ جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٦٢ . سياسة الفاطميين الخارجية ص ٤٧ .
(١١١) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ١٩٩/١٨٢/١٥٢ . ــ ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٣٨٦/٣٨٥ .
(١١٢) الكندي : الولاة : ص ٢٧٤/٢٧٢ . ــ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٦ وما بعدها .
(١١٣) الطبري : المصدر المسابق : ج ١٠ ص ١٢٣ . ــ المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٤ .
(١١٤) نفس المصادر السابقة والصفحات نفسها .
(١١٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٥ . ــ الطبري : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٢٤ .
(١١٦) الطبري : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٢٤ . ــ عليان : المرجع السابق : ص ١٠٠ .
(١١٧) الطبري : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٢٥ . ــ المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٥ .
(١١٨) الطبري : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٣٠ وما بعدها . ــ عارف تامر : المرجع السابق : ص ١٠٦ .
(١١٩) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٧/٣٢٥ . ــ الطبري : تاريخ الأمم : ج ١٠ ص ١٣٠ وما بعدها .
(١٢٠) المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٦ .
(١٢١) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ١١٥ .
(١٢٢) الطبري : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٣٠ وما بعدها . ــ ابن الجوزي : المصدر السابق : ج ٦ ص ٦٠ .
(١٢٣) الطبري : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٣٤ . ــ ابن الاثير : المصدر السابق : ج ٦ ص ١١٦ .
(١٢٤) المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٦ .
(١٢٥) المسعودي : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٦ . ــ الطبري : المصدر السابق : ص ١٣٤ .
(١٢٦) ابن الاثير : المصدر السابق : ص ١١٧ .
(١٢٧) نفس المصدر السابق والصفحة نفسها .
(١٢٨) الطبري : المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٥ .

(١٢٩) الطبري : المصدر السابق : ج ٤ ص ١٣٦/٣٥ . ـ ثابت بن ثنان وابن العديم : المصدر السابق : ص ٢٥ .

(١٣٠) عارف تامر : المرجع السابق : ص ١٠٧ .

(١٣١) عارف تامر : المرجع السابق ص١١٠ ـ ١١١

(١٣٢) انظر الفصل الثالث من هذا الباب.

(١٣٣) عارف تامر : المرجع السابق : ص١١١

(١٣٤) انظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(١٣٥) مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ص٢٥٨ وما قبلها ـ جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٤٤ ومابعدها.

(١٣٦) انظر فيها سيأتي من هذا الباب.

(١٣٧) المسعودي : التنبيه والاشراف : ص٣٢٠ ـ ابن الاثير: الكامل ج٦ ص١٧٥ .

(١٣٨) المسعودي : التنبيه والاشراف : ص٣٣٠ ـ مؤرخ مجهول : العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٢٣ .

(١٣٩) العيون والحدائق : ج٤ ق١ : ص٢٢٢/٢٢٤ .

(١٤٠) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص١٨٠ ـ ابن خلدون : العبر ج٣ ص٣٧٧ (يقول ولم يحج احد بهذه السنة) .

(١٤١) ابن الاثير: الكامل : ج٦ ١٨٢ (لعلها مبلغ من المال أو أتاوة) .

(١٤٢) ابن الاثير: الكامل ج٦ ص١٨٧ ـ العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٧٧ الى ٢٤٠ .

(١٤٣) ابن الاثير: الكامل : ج٦ ص١٩١ ـ العيون والحدائق : ج٤ ق. ص ٢٤١/٢٤٠ .

(١٤٤) ابن خلدون: العبر ج٣ ص٣٧٨ ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٣٣.

(١٤٥) ابن الاثير: المصدر السابق : ج٦ ص١٩١

(١٤٦) ابن خلدون : المصدر السابق ص٣٧٨ ـ ابن الاثير: المصدر السابق ج٦ ص١٩١

(١٤٧) المسعودي : التنبيه والاشراف : ص٣٣٣/٣٣٤ ـ ابن الاثير: الكامل : ج٦ ص١٩١ .

(١٤٨) العيون والحدائق: ج٤ ق١ ص٢٤١ ـ ابن خلدون : العبر ج٣ ص٣٧٨.

(١٤٩) ابن خلدون : العبر: ج٣ ص٣٣٣ ـ ابن الاثير: الكامل ج٦ ص١٩١ .

(١٥٠) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ج٣ ص٢٢٠ .

(١٥١) ابن الاثير: الكامل : ج٦ ص١٩١/١٩٢ ـ ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٧٨.

(١٥٢) المصادر السابقة والصفحات.

(١٥٣) العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٤١ ـ النجوم الزاهرة : ج٣ ص٢٢٠ (ويقول ان علي بن عيسى استعفى من الوزارة).

(١٥٤) النجوم الزاهرة : ج٢ ص٢٢٠ .

(١٥٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص٣٣٤.

(١٥٦) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٤٤.
(١٥٧) امينه بيطار : رسالة دكتوراة ، ص٢٢٥.
(١٥٨) ابن الاثير : ج٦ ص١٩٤ (كانت اعلامهم بيضاء ومكتوب عليها ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين)
(١٥٩) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص٦٢
(١٦٠) ابن الاثير : الكامل : ج٦ ص٢٠٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٣ ص٣٧٩.
(١٦١) ابن خلدون : العبرج٣ ص٣٧٩ (حيث يؤرخ ذلك في سنة٣١٩هـ) ـ العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٥٧/٢٥٨.
(١٦٢) جمال سرور:سياسة الفاطميين الخارجية ص٤٥.
(١٦٣) العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٥٧/٢٥٨.
(١٦٤) العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٥٨ : «ويورد هذا في حاشية هذه الصفحة قائلا ويؤكد ابن عذاري ج١ ص٢٨٤ ، ٢٠ ـ ٢٨٥ ، على تواطؤ عبيد الله المهدي مع القرامطة ويقول «وذكر ان الحجر الاسود ارسله اللعين الجنابي الى عبيد الله». ـ ابن طباطبا: الفخري ص٢٨٩.
(١٦٥) ابن الاثير : الكامل ج٦ ص٢٠٤/٢٠٥ ـ العيون والحدائق : ج٤ ق١ ص٢٥٨ (حاشية).
(١٦٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٣١٧ (ينفرد ابن تغري بردي بتحديد هذه الفترة الزمنية وعدم الحج بها. ـ انظر فيما سبق من هذا الباب.
(١٦٧) ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٦٠ ومابعدها ـ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها ص٨٢.
(١٦٨) جبل قرب الري : انظر معجم البلدان ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٣٩ ـ عارف تامر : القرامطة : ص٤٠.
(١٦٩) عارف تامر : القرامطة : ص٤٠.
(١٧٠) عبد المنعم ماجد : ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها ص٨٦ ـ عارف تامر : المرجع السابق : ص٤٠.
(١٧١) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص١٩. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر والشام وبلاد العرب ص٤٣ (يقول ان دولة الادارسة قامت من سنة ١٦٩هـ/ ٨٧٥م).
(١٧٢) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ص٨٥.
(١٧٣) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص٥٠.
(١٧٤) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري ص٥٢ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص٥٢.
(١٧٥) الطبري : المصدر السابق ج١٠ ص١٠٠ ـ انظر الفصل السابق من هذا الباب.
(١٧٦) عارف تامر : المرجع السابق ص٣٨.

(١٧٧) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص٥٢ ومابعدها .
(١٧٨) عارف تامر : المرجع السابق ، ص٤٣.
(١٧٩) حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيليين ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧ ص١٢٨.
(١٨٠) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص٨٦.
(١٨١) المقريزي : اتعاظ الحنفا : ص٨١
(١٨٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٣٤/٣٥.
(١٨٣) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص٨٦.
(١٨٤) جمال سرور : المرجع السابق : ص٢٢ - عبد المنعم ماجد : المرجع السابق /ص٨٦.
(١٨٥) ابن خلدون : المصدر السابق : ج٣ ص٣٦٣ - ابن الاثير : المصدر السابق : ج٦ ص١٢٩ .
(١٨٦) عريب بن سعيد : ص٥٢ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ص٥٢/٥٣.
(١٨٧) ابن الاثير : المصدر السابق : ج٦ ص١٢٩ - ابن خلدون : المصدر السابق : ج٣ ص٣٦٣.
(١٨٨) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص٥٣
(١٨٩) ابن خلدون : المصدر السابق ج٣ ص٣٦٤ - جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص٢٤ - عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص٨٧.
(١٩٠) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص٩٢.
(١٩١) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص١١٢ - عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص٩٢.
(١٩٢) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص٤٣/٤٤/١١٢.
(١٩٣) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص٩٢ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص١١٣.
(١٩٤) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ؛ ص٩٣ .
(١٩٥) انظر الفصل الاول من هذا الباب والباب الرابع من هذا البحث.
(١٩٦) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص٩٣/٩٤
(١٩٧) المقريزي : اتعاظ الحنفا : ص٩٩.
(١٩٨) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص٩٣- حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ص١١٢/١١٣.
(١٩٩) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص٩٤ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ص١١٣ - سيدة كاشف : مصر في العصر الاخشيدي ، ص٢٦.
(٢٠٠) الكندي : المصدر السابق، ص٢٥٧ (ويقول ان زعامة الحملة كانت لحباسة) - الطبري : المصدر السابق : ج١٠ ص١٤٩ - العيون والحدائق : ج٤ قسم أول ص١٧٦ (ويقول بتحرك جيشين تحت قيادة حباسة بن يوسف الكتامي ، وآخر بامرة ابي القاسم).

(٢٠١) نفس المصادر السابقة والصفحات .

(٢٠٢) الطبري : المصدر السابق : ج٣ ص١٥٠ - الطباخ : اعلام النبلاء: ص٢٣٥ .

(٢٠٣) مسكويه : تجارب الامم ج١ ص٣٦ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ص١١٤ (حيث يورد ان اوتيخا (ص٦٠) قد ذكر ان هذا الجيش بلغ مائة الف من الاشداء).

(٢٠٤) مؤرخ مجهول : العيون والحدائق : ص١٧٨ (ورد اسمها بمسوك) - الكندي : الولاة : ص٢٧٠ ومابعدها.

(٢٠٥) الكندي : الولاة ، ص٢٧٣ - ابن الاثير : انظر المصدر السابق : ج٦ ص١٤٩ .

(٢٠٦) النجوم الزاهرة: ج٣ ص١٧٣ . - الكندي : الولاة ص ٢٧٠ (حيث قال وقتل باحدى المعارك فقط عشرة الالف مقاتل).

(٢٠٧) النجوم الزاهرة : ج٣ ص١٨٦ - الكندي : الولاة : ص٢٧٣ .

(٢٠٨) الكندي : الولاة ص٢٧٢ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق: ص١١٤ .

(٢٠٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ج٣ ص١٨٦ - الكندي : الولاة : ص٢٧٤ .

(٢١٠) الكندي : الولاة: ص٢٧٤ .

(٢١١) الكندي : الولاة ، ص٢٧٥ - ابي الفدا : ج٢ ص٧٤ . (حيث يذكر الحملة في حوادث سنة٣٠٦هـ).

(٢١٢) ابن الاثير : المصدر السابق : ص١٦١ - مؤرخ مجهول : العيون والحدائق : ج٤ ق٢ ص٢٠٣ .

(٢١٣) المصادر السابقة والصفحات - ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٢٣١ (حيث يرد اسم قائد بحرية طرسوس ابو اليمن).

(٢١٤) العيون الحدائق ص٢٠٦ .

(٢١٥) العيون والحدائق، ح٤ قسم ١ ص٢٠٥ .

(٢١٦) المصادر السابقة والصفحات .

(٢١٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٣ ص١٨٦ - الكندي : الولاة : ص٢٧٥ .

(٢١٨) اسعد طلس : المرجع السابق : ص٣ ومابعدها .

(٢١٩) ابن الاثير : المصدر السابق : ج٦ ص١٦١ - ابن خلدون : المصدر السابق ج٣ ص٣٧١ .

(٢٢٠) المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٣٤.

(٢٢١) مؤرخ مجهول العيون والحدائق : ج٤ قسم١ ص٢٠٥ - الكندي : الولاة ص٢٦٧/٢٧٦/٢٨٠ .

(٢٢٢) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص٩٨ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ص١١٦ .

(٢٢٣) ابن خلدون : العبر : ج٣ ص٣٧٩/٣٩١ - ابن الاثير : المصدر السابق : ج٦ ص٢٢٠/٢٢١/٢١٨ .

(٢٢٤) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص٦٢.

(٢٢٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص٢٢٧/٢٢٤/٢٣٦ - انظر فيما سبق من هذا الباب.

(٢٢٦) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص١١٧.

(٢٢٧) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص١١٧.

(٢٢٨) جمال سرور : المرجع السابق، ص٦٢ ـ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص١٠٠.

(٢٢٩) الكندي : الولاة ، ص٢٨٦ . ـ جمال سرور : المرجع السابق ص٦٣ ـ حدث خلاف حول هذه الحملة ففي حين يقول الكندي انها استمرت زهاء ثلاثة سنوات (٣٢١ ـ ٣٢٤هـ) يذكر ابن خلدون ج٤ ص٣٩ والمقريزي (اتعاظ ص٤٥) انها وقعت في سنة ٣٢٢هـ بخلاف ماذكره الكندي من انها دامت ثلاث سنوات. والارجح ان هذه الجيوش جاءت في نهاية عام ٣٢١هـ ودخلت مصر سنة ٣٢٢هـ ثم جاءت نجدة ثانية بعهد القائم سنة ٣٢٣هـ ودخلت مصر سنة ٣٢٤هـ وعادت الجيوش كلها اثر تمكن ابن طغج لنفسه في مصر واضطرت القوات المغربية لترك مصر بعد ان كره جيش المغاربة جميعا المقام مع محمد بن طغج فركبوا طريق الشرقية ومعهم بجكم وعلي بن بدر (ونظيف الموسوي) وعلى المغربي).

(٢٣٠) الطبري : المصدر السابق ج١٠ ص١٤٩ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ج٣ ص٣٧١ .

(٢٣١) انظر الفصل الاول من هذا الباب .

(٢٣٢) مؤرخ مجهول : العيون ج٤ قسم١ ص٢٠٥/٢٠٨ ـ ابن سعيد : المغرب : ص١٥٢/١٥٣/١٥٧ ـ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص١٠٠.

(٢٣٣) انظر الفصل الأول من هذا الباب .

(٢٣٤) انظر الفصل الثاني من الباب الأول والرابع من هذا البحث .

(٢٣٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ص ٢١٠ وما قبلها . ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي جـ ٣ ص ١٣٦ . ـ الكندي : المصدر السابق ص ٢٧٦/ ٢٨٠/٢٨٢/٢٨٥ .

(٢٣٦) عادل زعيتر : تاريخ العرب ص ٢٣٦ . ـ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر سنة ١٩٦٨ ص ١٠٠ .

(٢٣٧) أسعد طلس : المرجع السابق ص ٣ وما بعدها . ـ حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٢ .

(٢٣٨) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٢٣٩) انظر ما سبق من هذا الباب .

(٢٤٠) انظر الفصل الأول من هذا الباب .

(٢٤١) حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢٤٢) أسعد طلس : المرجع السابق ـ ص ١٢/١١ . ـ كرد علي : خطط الشام جـ ١ ص ١٦٨ .

(٢٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٩٦/٩٣ وما بعدها . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ص ١٧١ وما بعدها .

(٢٤٤) صلاح الدين الصفدي : امراء الشام في الاسلام ص ٢١/٥٩/٦ . ـ محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ص ٢٣٢ ، وما بعدها .

(٢٤٥) كرد علي : خطط الشام جـ١ ص ١٦٩ . ـ يوسف الدبس : تاريخ سوريه جـ٣ مجلد ٥ ص ٣٠٨ وما بعدها .
(٢٤٦) حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٣٣١ . ـ ابراهيم العدوي : مصر الاسلامية ورسالتها الحضارية ص ٢٦٤ .
(٢٤٧) الطبري : المصدر السابق جـ١٠ ص ١٤٩ . ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ص ١٨٢ .
(٢٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ١ ص ٩٣ . ـ محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء جـ١ ص ٢٣٥ .
(٢٤٩) ابن العديم : زبدة الحلب ـ ج ١ ص ٩٦/٩٣ .
(٢٥٠) الكندي : المصدر السابق ص ٢٧٩ .

(٢٥١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٣ ص ١٧١ . ـ الكندي : الولاة ص ٢٦٧ .
(٢٥٢) صلاح الدين الصفدي : امراء الشام في الاسلام دمشق سنة ١٩٥٥ ص ٢١ (ولى دمشق ثلاث مرات) . ـ حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ص ٤٠٧ .

(٢٥٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص ١٥٣ .
(٢٥٤) انظر ما سيأتي من هذا الباب .
(٢٥٥) ابن كثير : المصدر السابق جـ١١ ص ١٥٤ .
(٢٥٦) ابن كثير : المصدر السابق جـ١١ ص ١٥٤ .
(٢٥٧) ابن سعيد : المصدر السابق ص ١٥٥ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٤ .
(٢٥٨) انظر ما سيأتي من هذا الباب .
(٢٥٩) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٧ .
(٢٦٠) الكندي : المصدر السابق ص ٢٨٦ . ـ ابن سعيد : المصدر السابق ص ١٥٧ وما بعدها .
(٢٦١) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٤١ .
(٢٦٢) جاء اسمهم بالذال المعجمة في بعض المراجع مثل الكندي : الولاة ص ٢٤٤ ـ معجم البلدان جـ٧ ص ٣٥٣ مادة ماذرايا . ـ المقريزي : الخطط جـ١ ص ٦١٦ (ورد اسمهم المادرائيين والماردائيين) .
(٢٦٣) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٠ . ـ البلوي : سيرة ابن طولون ص ١٧٨/١٦١ .
(٢٦٤) البلوي : المصدر السابق ص ١٦٤/١٦١ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤١ .
(٢٦٥) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤١ . ـ جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٤١ .
(٢٦٦) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٢ .
(٢٦٧) الكندي : الولاة ص ٢٥٨ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٨ .
(٢٦٨) المقريزي : المصدر السابق جـ١ ص ٦١٥ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٨ .

(٢٦٩) ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٩ ، ١٥٠ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٢٧٠) عريب بن سعيد : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٣٤ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٤٢/١٤٥ وما بعدها .

(٢٧١) سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي ص ٤٩ .

(٢٧٢) الطبري : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٤٨ (في حين يقول تولى خراج مصر في سنة ٣٠١ هـ) . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٢٧٣) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٣ . ـ جمال سرور : المرجع السابق ص ٤١ .

(٢٧٤) الكندي : المصدر السابق ص ٢٦٩ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢٧٥) ملحق اخبار القضاة في الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٢٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢٧٦) سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي ص ٥٠ .

(٢٧٧) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٢٧٨) سيده كاشف : نفس المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢٧٩) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٥ . ـ عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري ص ٦٥ .

(٢٨٠) ابن الاثير : المصدر السابق ص ١٤٤ .

(٢٨١) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢٨٢) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٢٨٣) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢٨٤) عريب بن سعيد : المصدر السابق ص ٧٤ ، ٧٥ . ـ مسكويه : تجارب الامم جـ ١ ص ٦١ .

(٢٨٥) مسكويه : تجارب الامم جـ ١ ص ١١٤ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥١ .

(٢٨٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٥٣ .

(٢٨٧) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٦ ص ١٤٤ ـ ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ ص ٢١٣ .

(٢٨٨) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥١ .

(٢٨٩) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٤ .

(٢٩٠) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٥ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٢٩١) بلد على نهر الفرات بين مدينة الرقة وهيت .

(٢٩٢) المصادر السابقة والصفحة .

(٢٩٣) الكندي : الولاة ص ٢٨١ . ـ المقريزي : الخطط جـ ١ ص ٦١٨ .

(٢٩٤) الكندي : الولاة ص ٢٨١ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٥ .

(٢٩٥) الكندي : الولاة ص ٢٨٢/٢٨٠ . ـ ابن سعيد : المغرب ص ١٥٦ .

(٢٩٦) الكندي : الولاة ص ٢٨١/٢٨٤ . ـ ابن سعيد : المغرب ص ١٥٦/١٥٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٥/٤٦ .

(٢٩٧) انظر المصادر السابقة والصفحات .

(٢٩٨) الكندي : الولاة ص ٢٨٢/٢٨٥ . ـ المقريزي : الخطط جـ ١ ص ٦١٦ .

(٢٩٩) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٧ .

(٣٠٠) المصادر السابقة والصفحة .

(٣٠١) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٤٧ .

(٣٠٢) جمال سرور : المرجع السابق ص ٤١ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٠ .

(٣٠٣) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٠ .

(٣٠٤) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٤ .

(٣٠٥) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٤ .

(٣٠٦) هلال الصابيء : المصدر السابق ص ٩٣/٩٤ . ـ عريب بن سعيد : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٣٩ .

(٣٠٧) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٥٤/٥٥ . ـ جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٤١ .

☆☆

الباب الرابع

العلاقات بين الشام ومصر في العهد الاخشيدي
(٣٢٣ هـ - ٣٥٨ هـ) (٩٣٤ - ٩٦٨ م)

١ - الاخشيديون يستقلون بالشام ومصر
٢ - أهم القوى في الشام وعلاقتها بالاخشيديين
٣ - نهاية الدولة الاخشيدية ودور الشام في ذلك
٤ - وضع الاقاليم الشامية التي كانت خاضعة لدولة سيف الدولة الحمداني
٥ - غارات البيزنطيين على الثغور
٦ - غارات القرامطة على الشام

١ ـ الاخشيديون يستقلون في الشام ومصر

آ- محمد بن طغج قبل ولايته على مصر ودور الشام في تكوينه

رأينا فيما سبق ما آلت اليه الأحوال السياسية في الشام ومصر وموقف الخلافة الضعيف من جميع هذه الاحداث ، وفي هذه الظروف الشائكة والمعقدة لمع نجم ابن طغج ، وبدا وكأنه الشخصية المطلوبة ليملأ الفراغ ، ويعمل على تجنب هذه الأخطار والخروج من الازمات في الوقت التي عجزت فيه الخلافة العباسية ، ولم يبق لها الا بغداد وضواحيها[١] ، وقد ساعدت هذه الأوضاع محمد بن طغج على الاستقلال بمصر والشام وتأسيس الدولة الاخشيدية التي قامت منذ سنة (٣٢٣ هـ الى ٣٥٨ هـ) - (٩٣٤/٩٦٨ م)[٢]

كان جده (جف) أحد الضباط الأتراك الذين اكثرت منهم الخلافة العباسية ، وقد ظهر والده طغج عندما اتصل بخدمة احمد بن طولون ، وابنه خمارويه ، وحقق نجاحا كبيرا في الشام ولعب دورا هاما في احداثها السياسية والعسكرية قبل هذه الفترة[٣]

وأما محمد بن طغج ، فكانت اول اعماله السياسية ان اسندت اليه بعض المناصب في الشام ، وبها تربى وعلى ارضها نمت مواهبه ، وبفضل قواته التي اوجدها فيها امتد نفوذه واتسع حتى شمل الشام ومصر واليمن ومكة والمدينة وغيرها[٤] .

فعندما كان ابوه واليا للطولونيين على دمشق وطبرية استخلف هذا ابنه محمدا نيابة عنه ليتولى أمر طبرية[٥] ، وفيها اقدم محمد بن طغج على قتل ابي الطبيب العلوي ، لأنه كان مرموقاً بين أهلها ويشكل وجوده ، طغياناً عليه[٦] .

واستمر محمد بعد ذلك فيها الى ان كانت نكبة الطولونيين ، فانتقل مع ابيه الى بغداد ، وهناك ذاق ألم الحياة ، فقد سجنه الوزير العبّاسي العباس بن الحسن

لكبرياء والده على هذا الوزير ، وبقى في السجن الى ان مات والده سنة ٢٩٤ هـ في سجنه ، فأطلقه الوزير العباسي مع اخيه عبيد الله حيث عملا في خدمته الى ان اشتركا مع الحسين بن حمدان على قتل الوزير هذا ، وعلى أثر ذلك هرب عبيد الله ابن طغج الى شيراز ، ومحمد الى بلاد الشام والتحق بخدمة واليها أحمد بن بسطام على الخراج .(٧) وظل معه يخدمه في صيده ، يجمع له الجوارح حتى قيل عنه بازياره(٨) .

وانتقل ابن طغج الى مصر مع سيده ابن بسطام الذي كلف بخراجها واستمر معه فيها الى ان توفى سنة ٢٩٧ هـ ، فالتحق بخدمة ابنه ابي القاسم علي بن احمد بن بسطام(٩)

واثناء وجوده في مصر اشترك مع القوات العباسية في الحروب الكثيرة التي خاضتها ضد الفاطميين ، وحضر مع تكين الخاصة امير مصر وقعه ضد حباسه في غزوته سنة ٣٠٢ هـ ، واظهر بها من الشجاعة والفروسية ما جعلته بمنزلة الولد من تكين ، وعندما عزل تكين عن مصر واسندت اليه امرة دمشق رافقه ابن طغج ، فولاه تكين عمان وجبل الشراة(١٠)سنة ٣٠٦ هـ ، وهكذا سمحت الفرصة ثانية لأن يستلم ابن طغج مناصب سياسية وادارية بهذا الاقليم ، ومهدت له الاقدار القيام بدور مشرف وفعال فأظهر مواهبه العسكرية عند اشتراكه في صد قبائل من لخم وجذام عندما اغارت هذه السنة على قافلة كبيرة من حجاج الشام والعراق وكانت بها جارية لأم الخليفة العباسي المقتدر واشترك بمساعدة اخيه طغج في انقاذ هذه القافلة وقادها آمنة الى دمشق . ومن ثم ازدادت مكانته عند تكين ، واثنى عليه الخليفة وزاد في عطائه ، وتحسنت علاقاته بعد ذلك بشخصيات كبيرة في بغداد من اصحاب النفوذ والسلطة .(١١)

وعندما اعيد تكين الى ولاية مصر في سنة ٣٠٧ هـ صحبه ابن طغج فولاه على الاسكندرية ، وقدر له ان يشهد الحملة الفاطمية الثانية في هذه السنة والتي قدمت بقيادة القائم ، واظهر براعة ولعب دورا في قتالهم ودحرهم الى المغرب .(١٢)

في هذه الفترة تزداد مكانته وتتوثق صلاته بكبار رجال الحكم فينعم بتقدير القائد مؤنس المظفر الذي قدم من الشام والعراق لنجده تكين ، كما يتصل بأفراد العائلة الماذرائية التي كانت تسيطر على الامور المالية ومقاليد السلطة وعمل مع ابي زنبور الحسين بن احمد الماذرائي ، وابي بكر محمد بن علي الماذرائي[١٣] كما حصل منهم على معلومات مفيدة عن احوال مصر الاقتصادية وعن الممتلكات الماذرائية الكثيرة التي اقدم فيها بعد على مصادرة بعضها بعد ان استلم زمام الامور في مصر[١٤] كما قام (تكين) بتقليده حكم الحوفين الشرقي والغربي وعمل اثناء ذلك على جمع الاموال بالاعتماد على مصادرة اموال الناس فأقدم على اغتصاب دار القاضي ابن حربويه والاستيلاء على تركه حاكم الاسكندرية ابي اليمن احمد بن صالح بعد وفاته سنة ٣١٦ هـ ، وهذا ما أوقعه في الخلاف مع سيده تكين ، فأخذت الجفوة تزداد بينهما .[١٥]

كما تتحسن علاقته اثناء وجوده في مصر بمحمد بن جعفر القرطي ، وكان هذا قد عين على خراج مصر ثم صرف عنه وتقررت ملاحقته ، فاستقر عند محمد بن طغج حيث تمكن بواسطته من النجاة والوصول آمنا الى بغداد ، فعمل له فيها على زيادة تدعيمه وتثبيت مركزه وحصل له على ولاية الرملة في سنة ٣١٦هـ/٩٢٧م وقلده امرها الخليفة المقتدر ، ولم يتمكن محمد بن طغج من ترك مصر واستلام عمله الجديد الا بالتخفي والحيلة على تكين خوفا منه[١٦]، وكانت ولايته هذه على الرملة بداية لولايته على الشام كلها ، التي جعل منها قاعدة لوصوله الى ولاية مصر وتثبيت حكمه فيها كما سنرى .

فلما سمع الراشدي امير الرملة تحرك بن طغج هرب وترك داره ورجاله فوضع ابن طغج يده عليها[١٧]. واستمر ابن طغج بالرملة حتى سنة ٣١٨ هـ/٩٣١م حيث وردت اليه كتب الخلافة بتوليته على دمشق[١٨] بفضل مساعي صديقه القرطي ـ وكان له بها اصدقاء كثيرون واعوان ، وحظى بتأييد أهلها وثقتهم فرحبوا بولايته ودخلها بالحفاوة والتكريم وانصرف عنها الراشدي الى الرملة ، ولم تستقر له الامور فيها الا بعد ان تخلص من بشرى الخادم غلام (مؤنس) الذي كان قد حصل هو الآخر على تقليد خلافي بولايتها وذلك حرصا من

الخلافة كعادتها على نشر الفرقة وضرب القوى بعضها بعضا وهذا ما حدث فعلا من تصادم مسلح بين بشرى وابن طغج الذي انهزم على اثره الاول وانتهى امره بالتخلص منه بدس السم له بعد أيام[19]. وقد زادت قوة ابن طغج وعصبيته بعد تغلبه على بشرى هذا حيث صادر امواله ، وضم اليه عساكره الراشدية والبشرائية والحجرية والتكينية[20] .

وفي دمشق انضم اليه اخوته عبيد الله والحسن والحسين وعلي وبنو طغج ، فقوى بوجودهم كما وجد له فيها بعض الغلمان وكان اكبرهم بدر الكبير ، واصغرهم كافور ، حيث صار فيها خادمه الخاص وولد له بها ابنه القاسم انوجور في شهر ذي الحجة سنة ٣١٩ هـ[21] .

وتمكن ابن طغج وهو في الشام في هذه اللحظات ان يؤسس قوة عسكرية انضمت اليها عناصر الراشدي وبشرى الخادم ، وتكين الخاصة ، والتحق بنو طغج به ، وغيرهم وشكلت هذه القوات في مجموعها جيشا استطاع ان يدعم وجوده في الشام ويقوى مركزه في مصر فيما بعد . كما استند ايضا على محبة اهل دمشق وولائهم له وثقتهم به حيث دخل دمشق سنة ٣١٩ هـ «أحسن دخول»[22] ، هذا التأييد الذي سيكون له الاثر الفعال في فرض وجوده وسيطرته على مصر اثر ولايته الثانية ، فقد ادرك بعدها ان امر تقليد الخلافة له وتوليتها له لا قيمة له اذ لم يدعم بالقوة العسكرية ، وذلك لما كانت عليه الاوضاع السياسية من فوضى واضطراب .

ولهذا استمر ابن طغج في تجهيز نفسه واعداد قوته بجميع الاعوان والانصار حتى كثر رجاله وعجز عن تموينهم وتقديم العطاء لهم فأخذ يصادر الأموال للانفاق عليهم ، واتبع مختلف السبل والوسائل لذلك ، فاستطالت يده على اغتصاب التركات واموال الاغنياء[23] ، وثابر على عمله ، وترصد امر تكين الخاصة بمصر بمنتهى الدقة والاهتمام ، فوجه اهتمامه نحو مصر ، مستعدا لانتهاز اول فرصة .

ولم يترك محمد بن طغج فرصة تفوته ، واعتمد اسلوب ابن طولون في اعتماده على الانصار وشراء الناس ، وارسل كاتبه (علي بن محمد بن كلا) الى الخليفة

القاهر العباسي يلتمس ولاية مصر بعد وفاة تكين سنة ٣٢١ هـ ، ولم تجبه الخلافة لذلك مدعيه انها ندبت لذلك محمد بن تكين ، وتابع الاخشيد محاولاته ، وتشير بعض المصادر الى اهتمام ابن طغج بمصر كما تعطى صورة عن الفوضى السياسية في هذه الفترة واسناد امر مصر لأكثر من وال وسلطة[٢٤].

واستطاع ابن طغج وهو في الشام الحصول على تقليد من بغداد بولايته على مصر في شهر رمضان سنة ٣٢١ وضمها الى ولايته في الشام[٢٥]، غير انه لم يتمكن من دخولها وزالت دعوته عنها بعد اثنين وثلاثين يوما بسبب نفوذ الماذرائيين فيها وتقليد احمد بن كيغلغ وعزل عنها في شوال في نفس العام[٢٦]

ولم تستقر الأمور لأحمد بن كيغلغ في مصر ، حيث يظهر محمد بن تكين ثانية مدعيا انه وليها من قبل الخليفة الجديد ، وقدم من فلسطين في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ ودار صراع سياسي على امرة مصر بين ابن كيغلغ وابي بكر الماذرائي ومؤيدي ابن تكين انتهى بهزيمته ونفيه الى الصعيد .[٢٧]

هذا الجو المتوتر والمنازعات السياسية في مصر وانقسامها الى طوائف بين هؤلاء الولاة كل يدعي احقيته فيها ، وخلافة عباسية تغدق الخلع وتقلد البلاد لاكثر من وال ، كل ذلك أدى بمصر والشام لاضطراب احوالها ، فما كان من الخليفة الراضي (٣٢٢ - ٣٣٩ هـ) الا ان ندب الوزير الفضل بن جعفر وكلفه بمهمة كشف احوالها وتدبير امورها[٢٨]، واعطى صلاحيات كبيرة ، فقام هذا وكتب بولاية مصر الى محمد بن طغج[٢٩] للمرة الثانية في سنة ٣٢٣ هـ/٩٣٥م ، وضمت اليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمين[٣٠]، وقد وافق الخليفة العباس على هذا التعيين بعد ان اصبح امرا واقعا بسيطرة محمد بن طغج بقوته المسلحة على مصر .

ويبدو أن الخلافة العباسية كانت مترددة وغير جادة في تقرير الموقف وحسمه في مصر والشام ، لتخوفها من ظهور قوة في القطرين ، وقيام تجربة جديدة على غرار التجربة الطولونية ، ولذلك نرى الخلافة تتخبط في اصدار أوامرها وتعطى القرارات المتناقضة التي تنم عن الضعف الذي حل بالعباسيين ، ففي حين تذكر

بعض المصادر أن الفضل بن جعفر كتب الى محمد بن طغج بولاية مصر(٣١)، تذكر اخرى ان الخليفة الراضي قلد محمد بن طغج اعمال المعاون بمصر بالاضافة الى ما يتقلد من اعمال معاون الشام ، واشهد الراضي بالله القضاء عليه بتقليده وأمرهم بالمكاتبة لئلا ينازعه احمد بن كيغلغ لأنه كان يتولى مصر.(٣٢)

والخلافة العباسية نفسها هي التي كتبت الى محمد بن علي الماذرائي لنفوذه في مصر تقول «أن الأمر يصير اليك ، فتقلد من شئت وتصرف من شئت» وكتب الراضي في نفس الوقت الى محمد بن علي هذا باقرار أحمد بن كيغلغ على أمرة مصر ، وزاد الوضع تعقيداً عندما اوفدت الخلافة وزيرا مفوضا عنها اعطى صكا مفتوحا وصلاحيات مطلقة(٣٣)، هذا الوضع استغله ابن طغج واعتمد في تنفيذ مأربه على الوزير الفضل الذي ارتبط به برباط المصاهرة ، وأدرك أن أمره في مصر لن يكتب له النجاح والاستقرار الا بجهوده الشخصية وبفضل قوته ، ولهذا اكثر من شراء الاتباع وتجميعهم .

ب ـ دخول ابن طغج مصر

كان هذا الوضع المخيم على الشام ومصر ، يستوجب التخطيط السليم ، لذلك ما إن وصل الفضل بن جعفر الى دمشق حتى التقى بابن طغج سراً واتفقا على تنفيذ خطة يتم بموجبها دخول مصر واستلام زمام الأمور(٣٤)، وقد اتخذ هؤلاء جميع الاحتياطات الممكنة كي لا تتسرب أخبار خطتهم لأنصار الماذرائي وجواسيسه الكثيرين في دمشق ، فأحاطوا اجتماعهم هذا بالكتمان والسرية(٣٥).

ولقد عمل ابن طغج كل جهده ليدخل مصر سلماً ولهذا كتب الى محمد بن علي الماذرائي صاحب السلطة الفعلية فيها يطلب منه التخلي عن موقفه العدائي له على أن يظل له الاشراف الاداري والمالي على البلد ، غير أن الماذرائي كان يدرك أن هذا الوالي الجديد يختلف عما قبله ولن يكون له معه من النفوذ كغيره من الولاة ، ولهذا السبب لم يستجب لدعوته ، واجبر محمد بن طغج على استنفار قواته بعد أن أدرك ان دخوله لمصر لن يكون الا بالقوة ، وجمع كافة القادة والجنود الذين وفدوا عليه من أنحاء الشام والعراق والبادية وزاد عددهم حتى عجز عن تموينهم(٣٦).

وقام الماذرائي وأحمد بن كيغلغ باجراءات كثيرة لعرقلة أعمال الوزير الفضل ومنع قوات ابن طغج من دخول مصر ، حيث ارسلوا قواتهم إلى حدود مصر الشمالية والشرقية ، وتمركز بعضها في العريش . ووقفت حائلاً أمام وصول العمال والموظفين الذين عينهم الفضل بن جعفر ، كما ارسلوا وفداً الى ابن طغج يحمل كتب الخلافة وتفويضها للماذرائي بأعمال مصر ، والتقى هذا الوفد في مدينة الفرما مع ابن طغج ، والذي نصحهم بالذهاب الى الوزير العباسي المفوض بالأمر الخلافي وكان بالرملة ، ولما وصل هؤلاء اليه أمر هذا باعتقالهم(٣٧) .

وحشد الطرفان قواتهم كمقدمه للصدام المسلح ، فتقدم ابن طغج بجيوشه وخرج أحمد بن كيغلغ بتوجيه من الماذرائي على رأس قوة كبيرة قدرت بثلاثين ألفاً تساعدها القوة المغربية بقيادة زعيمها الحبشي(٣٨) .

وكان للأسطول الشامي الذي أرسله محمد بن طغج الى مصر دور فعال في تحقيق النصر وقد جمع هذا الأسطول من مدن الشام الساحلية ، وخرجت هذه الحملة البحرية بقيادة (صاعد بن كلملم) وتمكنت هذه الحملة من الاستيلاء على دمياط وتنيس ، وعلى مقربة من سمنود لقيت المراكب المصرية تحت امرة علي بن بدر وكسرتها في شعبان سنة ٣٢٣ هـ ، ووصلت هذه القوات الظافرة الى جزيرة الروضة(٣٩) .

أما القوة البرية التي كانت تحت امرة ابن طغج والتي سار بها باتجاه مصر فقد لاقت مقدمتها جنود ابن كيغلغ والماذرائي ودحرتها(٤٠) .

كما انضم اكثر جنودهما الى ابن طغج ودب الانقسام بين الماذرائي وابن كيغلغ الذي لم يكن له من الأمر شيء في مصر(٤١) ، فابدى رغبته في التسليم اثر مراسلة ابن طغج له ، بل اعتذر ابن كيغلغ قائلاً بأن زمام الأمور كانت قد افلتت من يده وان المقاومة كانت خارجه عن ارادته(٤٢) .

وعلى هذا الأساس تم لابن طغج دخول مصر حيث تقدم له ابن كيغلغ مستسلماً ، وبينما فر محمد بن علي الماذرائي لموقفه العدائي وتوارى عن الأنظار ، قام ابنه الحسين الماذرائي واظهر ميلاً ومشاطرة لابن كيغلغ واستسلما

للأخشيد[٤٣]، وليس هذا الموقف جديد على أفراد هذه العائلة فلقد ضمنوا بمواقفهم الانتهازية والتعاون مع مختلف القوى التي جاءت الى مصر أو ظهرت بها وساعدهم عى ذلك للتحكم بمصير البلد فترة طويلة .

ودخل محمد بن طغج الفسطاط في أواخر شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ ٩٣٥ م وأقدمت عساكره على نهب المدينة لمدة يومين ولم تقف إلا بعد أن أقدم على تهديدهم بالقتل إذا لم يكفوا عن النهب[٤٤].

جـ - محمد بن طغج يتابع المتمردين ويبعد الفاطميين عن مصر

وعلى أثر دخول ابن طغج الفسطاط غادر مصر بعض القادة الذين وقفوا ضده ، واشتركوا في قتاله ، وعلى رأسهم حبشي بن أحمد قائد القوة المغربية ، وعلي بن بدر أمير أسطول ابن كيغلغ ، واتجه هؤلاء جهة الفيوم[٤٥]. فأرسل لهم ابن طغج قوة بقيادة قائده صاعد بن كلملم ، غير أن هؤلاء تمكنوا من أسره وقتله ، واستولوا على مراكبه[٤٦] ، وقصدوا بها دار صناعة السفن بالروضه واحرقوها . وقصدوا بعد ذلك الاسكندرية وانضموا الى القوات المغربية المرابطة هناك ، واتجه الجميع صوب برقه ومنها كتبوا الى المهدي الفاطمي في المغرب يستأذنونه ويدعونه لغزو مصر ووعدوه بأخذها ، فما كان منه إلا أن مدهم بقوة عسكرية كبيرة في سنة ٣٢٣ وأمرهم جميعاً بالتوجه الى مصر[٤٧] .

وشعر محمد بن طغج بخطر الفاطميين الكبير وتخوف من حركتهم ضده فقدر الموقف حق قدره وجهز حملة كبيرة اسند قيادتها لأخيه عبيد الله بن طغج فلاحقت هؤلاء المتمردين واجبرتهم على ترك أرض مصر الى رماده وفيها توفى حبشي بن أحمد قبل وصول نجدات القائم اليهم[٤٨].

وفي منطقة البحيرة (وعلى أرض تروجه وابلوق) في شهر جمادى الأول سنة ٣٢٤ هـ التقت القوتان الفاطمية وفي مقدمتها بجكم ورجل يقال له يعيش من أهل كتامه ، وآخر يسمى ابو تازرت الكتامي والاخشيدية وعلى رأسها الحسن بن طغج ، وصالح بن نافع أحد قادته ، وبعد معركة كبيرة انهزمت القوات المغربية وقتل منهم الكثير وعلى رأسهم اميرهم يعيش . كما أسر جمع كبير من جنودهم

ودخل الحسن بن طغج الاسكندرية حيث طارد المغاربة وقاتلهم فيها فتركتها الجيوش الفاطمية واتجهت صوب برقه فسكن بجكم ومن معه رماده وكانت من ممتلكات الفاطميين في المغرب(٤٩).

وعاد الحسن وصالح ودخلا الجيزة ومعهم الاسرى في جمادى الأول سنة ٣٢٤ هـ ، فطيف بهؤلاء وكانوا مائة وأربعة رجال وبعض الوجوه والقادة ، فأمر ابن طغج بسجنهم جميعاً(٥٠).

وكان لهذا النصر نتائج حققها ابن طغج ، منها أن الفاطميين غيروا سياستهم ولم يقوموا بمحاولة لفتح مصر طيلة حكم القائم المتبقية (٣٢٢ ـ ٣٣٤ هـ) وطوال عهد المنصور (٣٣٤ ـ ٣٤١ هـ) وكانت للأحداث الداخلية في بلاد المغرب هي الاخرى آثار على سير الاحداث فقد استنفدت جهود الفاطميين وتطلبت كل موارد البلاد المالية(٥١)، ودخلت العلاقة الاخشيدية الفاطمية مرحلة جديدة ترتكز على سياسة اللين والمسالمة وذلك رغبة من المهدي في أن يحقق ما اخفقت به سياسة العداء والحرب فأرسل خطاباً موجهاً الى الاخشيد يضمنه سياسته الجديدة(٥٢).

ورغم ان الاخشيد سوف في الرد على القائم الفاطمي وتخوف من التبعية له غير أنه تمكن من مساومته ، وحافظ في نفس الوقت على علاقته الطيبة مع الخلافة العباسية ، التي كانت الاحداث فيها تتغير بسرعة ويطغى عليها الصراع من أجل امرة الأمراء وعلى اثر ذلك حدثت بها تيارات متعارضة ما لبثت ان دفعت بمحمد ابن رائق (امير الامراء بعد ان ضعف مركزه) الى بلاد الشام وكان لظهوره فيها اثر كبير على مجرى الاحداث في القطرين وعلاقة الاخشيديين بالخلافة العباسية كما سنرى(٥٣).

كما كان لهذا النصر الذي تحقق من القوة التي أصبحت تحت تصرف ابن طغج أثر توليه للشام ومصر وتوحيد مقدراتها تحت قيادته ، فاستغل امكانياتها الكبيرة في فرض رأيه على الخلافة العباسية التي باركت امرته على القطرين كما لبت طلبه ولقبته الأخشيد(٥٤). ولعلها تعني ملك الملوك وهو أحد ألقاب ملوك فرغانه التي

ينتمي لها ابن طغج ، ودعى له بذلك على المنبر الجامع في شهر رمضان سنة ٣٢٧ هـ .

د ـ الاخشيد يدعم مركزه في مصر والشام :

سار الأخشيد في الشام ومصر على سياسة معينة تهدف الى تثبيت وجوده وتدعيم مركزه فيها ، فهو على الرغم من موقف الماذرائي المعادي له ، فقد استعمل معه الحنكة والكياسه فلم يتعرض له رغم انه كان يعلم مكان اختفائه وانتظر ريثما وصل الوزير الفضل ابن جعفر عدو الماذرائيين اللدود ، وكان الاخشيد يدرك ما سينالهم على يده ، ولم يكد الفضل يصل مصر ، حتى طلب الماذرائي واخرجه من مخبئه ، وأمر بمحاسبته ، وقام بمصادرة كل ضياعه بالشام ومعظمها بمصر(٥٥)، وكان ايراد الاخيرة نحو اربعماية الف دينار في السنة ، كما لقى اولاده وحاشيته نفس المصير ، واستفاد ابن الفرات من خبرة ابن طغج ومعرفته التامة بممتلكات الماذرائيين وضياعهم فلقد سبق له وعمل معهم كما رأينا .

وعاد بعد ذلك الفضل بن جعفر من مصر الى الشام في جمادى الأول سنة ٣٢٤ هـ واصطحب معه الماذرائي (محمد بن علي) واستمر ينتقل بين الشام ومصر الى أن مات في الرملة في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٧ هـ(٥٦).

وبعد مغادرة الفضل مصر وخروجه منها أصبحت مصر تخضع لسلطة الأخشيد السياسية والمالية حيث أصبح مسئولاً عن تسيير الحرب والصلاة وادارة أمر الخراج وجميع الأمور المالية(٥٧)، ويعتبر هذا التاريخ البداية الفعلية لاستقلال ابن طغج وحكمه في مصر ، ولهذا اعتبرت اكثر المصادر الاسلامية ان ولايته عليها بهذه السنة (٣٢٤ هـ) أثر ما حققه بها من نصر ، فذكرت ان الخليفة الراضي قلده أعمال مصر اضافة الى ما بيده من أعمال الشام وعزل أحمد بن كيغلغ عنها(٥٨)، ولعل ذلك يؤكد أن تقليده على مصر في سنة ٣٢٣ هـ كان من طرف الوزير ابن الفرات فقط ولم يصله أمر الخلافة العباسية إلا بعد أن أصبح أميراً فعلياً على مصر وتمت قبضته التامة عليها ، وهذا ما ينسجم وسياسة العباسيين الرامية للاعتراف بالأمر الواقع وتثبيته . وهكذا حقق ابن طغج حلمه في حكم مصر والشام ومكن

لنفسه فيهما وبدأ ينظم أمورهما ، فقلد بدرا الخرشني مدينة دمشق نائباً عنه كما ولى أحمد بن سعيد الكلابي حلب(٥٩).

والتفت بعد ذلك ابن طغج لتدعيم مركزه الاقتصادي في مصر والشام وتشهد السكة التي قام بضربها بتحسن الأحوال الاقتصادية فقد سك الدينار الاخشيدي على عيار كامل وأمر باصلاح النقود التي فسدت بعد العهد الطولوني . كما أن هذه النقود تقدم لنا صورة عن تطور العلاقة بين الخلافة العباسية والاخشيديين ، فالدنانير التي ضربت بعد عام ٣٢٣ الى ٣٢٩ هـ تظهر مدى العلاقة الوطيدة بينها حيث كان اسم الخليفة وحده ينقش على هذه الدنانير . ومنذ سنة ٣٢٩ هـ فان الاخشيد كان ينقش اسمه مع اسم الخليفة على السكة كما يظهر ذلك في دنانير ضربت سنة ٣٢٩ هـ وبعدها(٦٠).

كما كان من دعامة الاستقلال الاخشيدي في مصر والشام قيام محمد بن طغج وتجهيز قوة برية وبحرية مكنته من دخول مصر وأخذها بالقوة ، واستمر بعد ذلك في تجميع الأنصار والاتباع حتى شكل جيشاً كبيراً اعتبر من اعظم جيوش عصره(٦١)، وبلغت عدته اربعمائة الف(٦٢). وكان يتألف من طوائف مختلفة أتراك وسوادنيين ومغاربة(٦٣)، ومماليك من مختلف الأجناس كلفوا بحراسته . كما اهتم ابن طغج ببناء الاسطول وقام بنقل دار صناعة السفن من الروضه منذ سنة ٣٢٥ هـ الى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون بساحل الفسطاط وذلك بعد أن أحرق الثوار اسطوله على مرأى منه دون أن يتمكن من تحريك ساكن ضدهم ، ولذلك قال «دار صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء»(٦٤) ولم يكن كافور بأقل عناية من الاخشيد بالإهتمام بالاسطول وكان يذهب الى دار صناعة السفن لحضور الاحتفال بانزال المراكب الحربية الى البحر(٦٥)، ويقوم بكل ما في جهده لزيادة النشاط البحري كما أكثر من العناصر السودانية عندما اغتصب السلطة من أبناء الاخشيد وانقسم الجيش الى قوة اخشيدية واخرى كافورية(٦٦).

وكان لهذا الجيش الاخشيدي الدور الهام الذي مكنهم من اقامة حكمهم في الشام ومصر ، وعليه كان اعتمادهم في صد الأخطار التي هددتهم في الشام

وثغورها وبرهنت وحدة البلدين مرة اخرى عن قوتها ونجاحها أثر موقف الاخشيد في الثغور الشامية وعلاقته بالقوى البيزنطية بهذه الفترة .

هـ ـ جهود الاخشيديين في الثغور الشامية :

رأينا ما وصلت إليه الثغور الشامية قبيل الفترة الاخشيدية والرجحان الكبير لكفة البيزنطيين وقصور العباسيين المخزي وقلنا أن هذا الوضع كان يتطلب بالضرورة إجراءات منقذة للمسلمين(٦٧)، ومن ثم كان نهوض محمد بن طغج في الشام وسيطرته على مصر وتوحيد جهود البلدين وتشكيل قوة تراجع أمامها الفاطميون كما كان لها الأثر الكبير في تغيير سياسة البيزنطيين في المنطقة ومحاولتهم التودد من الاخشيديين ، وفتح صفحة جديدة من السلام بين القوى الاسلامية والبيزنطية تماماً كما حدث في العهد الطولوني(٦٨) ، ولم يكن الدافع لهذا السلام ايمان القوى البيزنطية به بقدر ما كان تخوفاً وهيبة من هذه القوة التي أوجدها الاخشيديون في عهد محمد بن طغج الاخشيدي في البلدين مصر والشام .

ويجب أن ندرك أن الاخشيديين نشأوا في الشام وكان لأفراد أسرتهم خبرة كبيرة بالبيزنطيين واشتركوا في قتالهم منذ العهد الطولوني ، واستمرت جهودهم في هذه الفترة ، فلم يغفلوا ما كان يجري في الثغور ولم تكن الصعوبات التي واجهت الاخشيديين تشغلهم عن أداء واجبهم فيها(٦٩).

ونتيجة لذلك فقد أصبح محمد بن طغج مرهوب الجانب عند الروم ، واضطر امبراطورهم رومانوس إلى مخاطبته دون الخلافة العباسية ومدحه والتودد إليه طالباً مهادنته ، وتبادل الأسرى بين الطرفين . فرد عليه الاخشيد بجواب ينم عن ترفعه وكبريائه وقوته الكبيرة في المنطقة ويفتخر به على الامبراطور ويبين فضل الاخشيديين وملكهم الواسع وحمايتهم للمقدسات الاسلامية والمسيحية(٧٠)، كما رد على الامبراطور قاطعاً الطريق عليه وعلى محاولته الرامية لضرب الجبهة الاسلامية بالإيقاع بين الاخشيد والخلافة العباسية وأشار هذا إلى ولائه للعباسيين كما يكشف هذا الجواب عن مدى اتساع ملك الاخشيديين حيث شمل مصر واليمن وأجناد الشام (جند حمص ، وجند دمشق ، والأردن ، وفلسطين) وتقليده لأمر مكة والمدينة(٧١).

ورغم ذلك فقد استجاب الاخشيد لطلب البيزنطيين وجهز في سنة ٣٢٥هـ المراكب الحربية للسير إلى الثغور للفداء ، بعد أن شحنها بنصارى الروم وأنفذ الثياب والطيب والطعام إلى أسرى المسلمين(٧٢).

ولقد كانت الظروف السياسية المحيطة بالأخشيد دافعاً له لقبول هذا الوفاق بينه وبين البيزنطيين ، في وقت كان يتعرض فيه لخطر الفاطميين وأطماعهم في مصر ، كما كان لنشاط دعاتهم الأثر على جبهته الداخلية فحدثت فيها بعض المشاكل وكان بحاجة إلى التفرغ لبعث الأمن في ربوع ولايته(٧٣). كما أن سياسة العباسيين وإرسال العناصر من طرفها نحو الشام وما أثير من مشاكل هناك طيلة الفترة الاخشيدية فرضت عليهم ظروفاً معينة وجعلتهم يتخلون في النهاية للحمدانيين عن التصدي للبيزنطيين . رغم أنهم لم يهملوا واجبهم المقدس وهم كغيرهم من الفئات الاسلامية الأخرى التي لم تنس واجبها في الجهاد ، وكان المتطوعون منهم يتجهون من جميع أنحاء العالم الاسلامي إلى منطقة الثغور(٧٤) .

ولم يكن البيزنطيون في يوم من الأيام صادقين في وعودهم ، فلقد خرجت قواتهم حتى وصلت منطقة حلب وهاجمتها وأنزلت فيها الفساد والخراب ورجعت تجر وراءها خمسة آلاف أسير(٧٥) ، فرد على الفور أمير الثغور نصر الثملي من قبل الاخشيديين في سنة ٣٣٠ هـ بغزوه من نواحي طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسلب وغنم دون أن يحتل أي منطقة وعاد وبين أسراه عدد من البطارقة وعليه القوم والغنائم الكثيرة(٧٦) .

وظهرت جهود محمد بن طغج الأخشيد في سنة ٣٣٤هـ في الثغور إثر رغبة البيزنطيين في تبادل الأسرى ، فقد قدم للأخشيد وهو في دمشق سنة ٣٣٤هـ أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأذني ومعه رسول امبراطور بيزنطة لتنظيم هذا الفداء . وأبو عمير هذا من شيوخ الثغور لعب دوراً في الوساطة بين المسلمين والروم(٧٧) . وقد توفى محمد بن طغج الاخشيد قبل أن يتم هذا الفداء فتحقق في عهد كافور الاخشيدي الذي قام بدفع ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء . وتم على يد أمير الثغور نصر الثملي الذي كاتب سيف الدولة ودعا له على منابر الثغور الشامية بعد أن كانت الثغور حتى تلك الفترة تابعة للاخشيديين(٧٨) .

وفي سنة ٣٤٨هـ هاجم البيزنطيون الثغور واتجهوا صوب بلاد الشام وقاموا بتخريب الحصون والقلاع وأقدموا على قتل الأهالي ، وأسروا بعضهم ، وعلى أثر ذلك انتشرت موجة من السخط على ما فعله البيزنطيون في الشام ، ورغم أن العلاقات الحمدانية الاخشيدية كانت تمر بمرحلة فتور ، وكانوا في منافسة مستمرة لتطاول الحمدانيين على أملاك الاخشيديين ، فرغم ذلك لم يقف هؤلاء مكتوفي الأيدي بل أخذوا يرسلون النجدات العسكرية لمساعدة الحمدانيين .

وفي سنة ٣٤٩هـ تهيأ الشعب في مصر للسير إلى الثغور الشامية لغزو الروم وحدث الهياج وهب الناس يطالبون بالسير تلبية لنداء الواجب وتجمع كثير منهم واتجهوا بعفوية صوب المراكب الراسية في البحر وكان للحماس والفوضى التي سيطرت على تحركهم ان عرضت الكثيرين منهم للغرق اثر تدفقهم الكبير على المراكب التي لم تستوعب جموعهم فغرقت بهم وزاد عدد ضحاياهم إثر هذا الحماس وقدر عدد القتلى بأكثر من خمسماية رجل ، كما غرقت مراكب كثيرة كانت في طريقها لنجدة الحمدانيين في الشام والثغور(٧٩) .

وخلال حوادث سنة ٣٥١هـ وعلى إثر نشاط البيزنطيين الكبير ووصولهم الى حلب حاضره الحمدانيين وفتحها ونهبهم وسلبهم لها ، لم يقف الاخشيديون في الشام موقف اللامبالي بما يجري من أحداث خطيرة ، فقد استجابوا لطلب سيف الدولة الحمداني ، وأرسلوا نجدة كبيرة تحت قيادة ظالم بن السلام العقيلي انطلقت من دمشق الاخشيدية ، وربما كان لموقف الشام هذا وتعاون مصر مع الحمدانيين الدور الخطير الذي أجبر الامبراطور نقفور فوكاس البيزنطي على تغيير خطته ورحيله بشكل مفاجىء عن حلب(٨٠) . بعد أن هدد البيزنطيون الأمن ودخلوا بلاد الاسلام وفتحوا الكثير من الحصون والقلاع وأباحوا حلب التي حملت لواء الجهاد وظلت قلعة صامدة بوجه البيزنطيين لفترة طويلة .

وهكذا لم يتوان الاخشيديون عن أداء واجبهم في الجهاد إلا أنه نتيجة لوضعهم السياسي المتزعزع في البلدين نتيجة لأطماع القوى الكثيرة في البلدين فقد فرضت عليهم هذه الظروف أن يتبعوا سياسة المهادنة مع البيزنطيين أيضاً ، ويستجيبوا لأي مبادرة سلمية ، لكي يعيشوا في جو من الأمن والطمأنينة ويوجهوا

مجهوداتهم لأمور كثيرة تنتظر منهم العمل ، كما استغلوا هذه المهادنة في النهوض باقتصاديات المناطق التابعة لهم واصلاح أمورها وتثبيت قبضتهم عليها ضد الحمدانيين وغيرهم .

و- الملامح العامة للسياسة الاخشيدية في الشام ومصر :

- سياسة الاخشيديين في الشام ومصر :

سارت السياسة الاخشيدية في الشام ومصر على غرار سياسة الطولونيين فقد كان محمد بن طغج الاخشيد يقلد أحمد بن طولون في منهجه وأعماله(٨١)، غير أن الاخشيديين لم يتمكنوا من مجاراة الطولونيين ، ولهذا كانت الدولة الاخشيدية أضعف بكثير من نظيرتها ومرد ذلك ربما للاختلاف في الظروف التاريخية التي أوجدت كلتا الدولتين .

وكما اختلف المؤرخون في حكمهم على ابن طولون كذلك اختلفوا على الاخشيد ، ففي حين تصوره بعض المصادر بالشجاعة والبطش والقوة(٨٢)، تصفه أخرى بأنه كان مثال الجبن والبخل(٨٣).

وكان الاخشيد جشعاً طماعاً دفعه هذا للعدوان على الغير والتطاول على أموال الأغنياء وكبار الموظفين والأثرياء بمصادرتها أو صرفها على الوجوه التي يراها غير أنه اعتمد سياسة الرفق وعدم اللجوء إلى القوة في سلبها ، فقد عرف أنه غلب عليه الحياء واللين ، وكان شديد الحرص على أن لا يؤذي أحداً من هؤلاء الأثرياء وكثيراً ما كان يتودد إليهم بعد مصادرتهم ، ويقربهم إليه(٨٤).

وقد سار الاخشيد منذ بداية حكمه في دمشق على سياسة جمع المال بمختلف الوسائل ، وعلى رأسها المصادرة ، فقد روى أنه كان في رحلة صيد في ضواحي دمشق ، فاصطاد حماماً ووجد معه رسالة من أحد أتباع الراشدي إلى رجل من أهل دمشق يقول أنه بقي له عنده ثمانون ألف دينار ، فعندما رجع الاخشيد استدعى الرجل وطالبه بالمال وأخذه منه(٨٥). وكان يتذرع بأسباب مختلفة وأنه

يقدم على ذلك ليتمكن من الانفاق على الجيش ومشاريعه الكثيرة ، وغير ذلك من الأمور العامة .

وإلى جانب ذلك اهتم الاخشيد بالفئات الأخرى والطبقات المختلفة في المجتمع وسار على سياسة تأليف القلوب والتقرب من الرعية وتوحيدهم تحت سلطته ، وجمعهم على الطاعة ، وإقرار الأمن والدعة في المعيشة[٨٦] .

وقد ذكر أنه كان يسير في أحد شوارع الرملة ، فصاحت به امرأة ، «قف على بوقفك بين يدي الله ، فرجع وجهه ونزل عن دابته واستدعى المرأة وسألها مطلبها ، فاشتكت له بأن ابنها الفتى أخذ منها فأمر على الفور برده لها ، وقدم لها مائة دينار وقال «خذي ابنك وهذه الصرة فعسى الله أن يرحم ذل موقفي بين يديه»[٨٧] كما كان الأخشيد يحب الصالحين ويركب إليهم ، ويتعشم دعاهم ، ويتبرك بحديثهم[٨٨] .

وتبدو سياسته في كتابه الذي وجه إلى أرمانوس امبراطور الروم حيث ورد فيه «وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها ، على عظمتها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا ، وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ويوسعها الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة»[٨٩] .

وهكذا كان الاخشيد يجمع بين المتناقضات فنراه في بعض الأحيان وصولياً يتبع كافة السبل لتحقيق أهدافه فقد أقدم على قتل أبي الطيب العلوي محمد بن حمزة في طبرية رغم ما كان يتمتع به من ثقة الجميع ، لأنه ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيب[٩٠] .

هذه السياسة المتقلبة ، في البخل الشديد للأخشيد ، وحبه للمال ، واضطراب الأحوال الاقتصادية ، كلها أدت لكره الرعية له ولم يحظ بحبها ، فنسجت بعض القصص التي تصور واقع الظلم الاخشيدي وأسلوبهم في

الحكم[٩١] وهذا يبرر قيام الدمشقين بعد موت الاخشيد في دمشق ونهب العامة لخزائن الأمير وأمواله كما سنرى .

وقد سار كافور الذي استبد بالأمر بعد محمد بن طغج على سياسة كسب قلوب الشعب ، وعرف عنه أنه كان يحب أهل البيت ويحترمهم[٩٢]، كما وصف بأنه كان خبيراً بالسياسة فطناً ذكياً جيد العقل داهية ، كان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه . وكان يذعن بالطاعة لبني العباس ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء وتم له الأمر[٩٣] .

وامتاز كافور بالكرم وأفرط فيه حتى مع أعدائه ومن لا يستحق منهم الاحسان والتقدير فكان كرمه هذا وحرصه الشديد على أن يضم بلاطه خيرة العلماء والأدباء وأن يفوق في هذا الميدان قصور الخلفاء وبلاط سيف الدولة الحمداني رغم ازدهاره[٩٤] دافعاً لكثير منهم إلى مجلسه وكان إغداقه الدافع الكبير لجعل مصر مقصداً وهدفاً لاتجاه أهل العلم والأدب وكان على رأس هؤلاء الشاعر الكبير المتنبي الذي كان لوجوده في مصر أثر هام على العلاقات الثقافية والأدبية بين الشام ومصر في هذه الفترة وكان شعره منارة مضيئة لكل الأدباء والشعراء في البلدين دعمت الرابطة الأدبية فيهما .

وقبل أن نختتم حديثنا عن سياسة الاخشيديين في الشام ومصر لا بد أن نشير إلى أن الاخشيد كرر محاولة ابن طولون في نقل مركز الخلافة الى مصر أو الشام مستغلاً بذلك وضع الخليفة المتقي التي ساءت علاقته مع أمير الأمراء في بغداد توزون واستنجاد الخليفة به غير أنه لم ينجح في هذا المشروع الكبير وعاد الخليفة العباسي المتقي بعد لقائه بالأخشيد من الرقة إلى بغداد حيث لقى مصيره المحتوم[٩٥] أما ابن طغج فقد عاد بعد أن اعترف له الخليفة بتبعية بلاد الشام له ولابنه أنوجور لمدة ثلاثين سنة ، وعاد من الرقة إلى حلب فولي عليها أبا الفتح عثمان بن سعيد الكلابي ، كما ولى أخاه أمر أنطاكية واستقرت الأمور نسبياً في الشام فعاد إلى مصر[٩٦] ولم يكن يصلها حتى تصله الأخبار بدخول سيف الدولة الحمداني حلب ، وتطاوله على بلاد الشام كما سنرى .

٢ ـ أهم القوى في الشام وعلاقتها بالاخشيديين

آ ـ النزاع مع ابن رائق في الشام :

ـ ظهور ابن رائق واتجاهه إلى بلاد الشام ومصر :

ظهر ابن رائق على مسرح الأحداث السياسية في بغداد على أثر ضعف هيبة الوزراء وعجزهم في عهد الخليفة الراضي (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ) عن ادارة الدولة بسبب ازدياد نفوذ القادة الأتراك . وكعادة بعض الخلفاء العباسيين في هذه الفترة كانوا دائماً يستنجدون في اثناء ملماتهم بقوى خارجية يعتمدون عليها لحمايتهم وتسيير أمورهم وكانوا دائماً يقعون تحت رحمة هذه القوى التي ما تلبث أن تستأثر بالسلطة في بغداد وتاريخ العباسيين حافل بهذه الأمثلة ، وانطلاقاً من هذا المبدأ ، احضر الخليفة الراضي (محمد بن رائق الخزري) الذي ظهر كأقوى شخصية عسكرية كبيرة في واسط والبصرة ، وعندما وصل هذا بغداد اكرمه الخليفة وعينه اميراً للأمراء في سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٦ م . وأسند اليه كافة الأمور في الدولة (فقلده امارة الجيوش ، والخراج ، وخُطب له على المنابر في انحاء العالم الاسلامي وبطلت الدواوين والوزارة ولم يعد الوزير ينظر في الأمور ، وأصبح الأمر كله ، بعد ذلك ، بيد أمير الأمراء وكاتبه ، فصارت الأموال تُحمل الى خزائنهم في بيوتهم يتصرفون بها كما يريدون ، ويطلقون للخليفة ما يحتاجه فقط ، وما يرتأوه(٩٧) .

ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع ينشب بين القادة للوصول الى هذا المركز الحساس ، ولم يمض الوقت الطويل حتى ضعف مركز ابن رائق في بغداد لظهور منافسين خطيرين له فتعرض لهجوم أبي عبد الله البريدي الذي تمرد في أقليم الأهواز ، كما خرج عليه أحد قادته الأتراك بجكم : وحل محله في أمرة الأمراء بعد أن أوقع به الهزيمة(٩٨) في بغداد سنة ٣٢٦ هـ .

وهذا ما دفع ابن رائق الى التفكير جدياً في البحث عن ولاية تخضع لنفوذه وقد لعب الوزير ابو الفتح بن الفرات دوراً هاماً في توجيه ابن رائق الى بلاد .

الشام ، بعد أن وصلت الأمور الى ما هي عليه من اضطراب في بغداد . وفراغ الخزينة ، وطمع ابن رائق في الحصول عليها وعلى مصر ، فشجعه الوزير هذا وبين له ان ذلك لا يتم ببعده عنها واتفقا على خروج ابن رائق اليها[٩٩].

وعلى الرغم من أن موقف ابن رائق كان ضعيفاً في بغداد فقد استفاد من الظروف السياسية التي حدثت بسبب تمرد الحمدانيين في الموصل وخروج الخليفة وخصمه بجكم اليهم ، فاستغل ابن رائق ذلك ، ودخل بغداد على رأس قوة محدثاً الشغب فيها[١٠٠].

وفي هذه الأثناء دخل ابن رائق مع الخليفة في مفاوضات فارسل اليه أبا جعفر محمد بن يحيى ابن شيراز رسولاً في الصلح طالباً ان يوليه الخليفة (طريق الفرات وديار مضر وحران والرها وما جاورها من جند قنسرين والعواصم ، فأجابه الراضي الى ذلك[١٠١]. رغم اعتراض بجكم الذي رغب في تأديبه ، فقال له الخليفة «هذا رجل قد أمنته وقلدته ناحية من النواحي وما أمكنك منه»[١٠٢].

على حين تذكر بعض المصادر[١٠٣]، ان الراضي أرسل إلى ابن رائق وهو في بغداد يخيره في أحد البلدين واسط أو حلب وأعمالها فاختار حلباً وأراد بذلك البعد عن بجكم فأجابه الخليفة الى ذلك ، فدخلها في سنة ٣٢٧ وقيل سنة ٣٢٨ هـ وسار عنها قاصد قتال الاخشيد بعد أن أناب عنه فيها محمد بن يزداد .

ولا شك في أن الخليفة العباسي كان يرى في هذا التقليد تحقيق مصلحة العباسيين القائمة على زرع بذور الفرقة بين القادة كما كانت رغبة الخلافة ألا تسمح بنفوذ أي قوة في الشام ومصر يمكن ان تستقل بها وتهدد مصالحها ، فرغم الموقف المشرف لابن طغج في الأحداث السياسية الكبيرة في الشام ومصر والتي تخدم في جملتها المصالح العباسية ، فإن الخلافة العباسية لم تكن مطمئنة لوجوده في أهم مناطقها . ولا يستبعد أن تكون الخلافة العباسية بتخطيط منها وجهت ابن رائق الى الشام ليكون منافساً خطيراً لابن طغج وليحد من سلطته ونفوذه في القطرين[١٠٤] أو بالاحرى يكون قوة في المنطقة تلوح الخلافة بخطره أثناء اللزوم ضد

أي نشاط معاد لسياستها يقدم عليه ابن طغج في مصر ، وهذا ما حدث فعلاً عندما فكر الاخشيد في التوجه للخلافة الفاطمية واسقاط الدعوة العباسية ، فخاف أن تعزله الخلافة بخصمه هذا ابن رائق عن مصر والشام(٤١٢) . وكان ذلك من الاسباب التي منعته من الاقدام على هذا المشروع الخطير.

وبعد أن يصل ابن رائق الى ولايته الجديدة ما يلبث أن يطمح في الشام كلها ، وما ان يركز أحواله حتى يبدأ العمل لتهديد الاخشيد ويطالبه بالأموال كجزية على الممتلكات الاخشيدية في بلاد الشام ، ورغم ان الاخشيد اظهر قلقه واستياءه من هذا الطلب غير أنه رأى ان يراسله وأوفد له الحسن بن طاهر ابن يحيى العلوي وكلفه بمهمة استرضائه(١٠٦).

غير أن ابن رائق لم تكن مطالبته بالأموال إلا ذريعة للتدخل في بلاد الشام والتحرش بالاخشيديين فرغم الأموال التي وصلته لم يخف نواياه العدوانية والتوسعية على ممتلكات الاخشيد ، وتقدم في اتجاه بلاد الشام على رأس قوة كبيرة تمكن من الاستيلاء على حمص وملكها وسار منها الى دمشق فهزم واليها بدر بن عبيد الله الاخشيدي واستولى عليها واخرجه منها وولى امرتها محمد بن يزداد الشهرزوري (وبقى عليها الى أن قتل ابن رائق سنة ٣٣٠ هـ واستردها ابن طغج فأستأمن له ابن يزداد فأقره الاخشيد على امرتها نائباً عنه)(١٠٧) وسار ابن رائق من دمشق الى الرملة في أواخر ذي الحجة سنة ٣٢٧ هـ أو في اوائل سنة ٣٢٨ هـ(١٠٨) وقصد عريش مصر يريد الديار المصرية وهناك لقيته القوات الاخشيدية التي أرسلها الاخشيد من مصر بقيادة عمران بن فارس لقتاله(١٠٩).

- الاخشيد يحاول إبطال ذكر الخليفة العباسي بمصر :

كان للنجاح الذي حققه محمد بن رائق في بلاد الشام أثر على مجرى الأحداث الكبرى في مصر ، وكاد العباسيون يخسرون مصر منذ هذا التاريخ بعد أن كانت علاقة الاخشيد مع الخلافة العباسية حسنة وبعد أن أكرمته وأغدقت عليه لقب الاخشيد في سنة ٣٢٦ وقيل سنة ٣٢٧هـ(١١٠).

وقبل أن يقدم ابن طغج على أي اجراء أراد أن يستطلع رأي العباسيين والقائمين على السلطة في بغداد ويتعرف على موقفهم من الأحداث في الشام ومن ابن رائق ، فكتب إلى ممثله في الحضرة (علي بن أحمد العجمي) يطلب منه أن ينقل وجهة نظره حول هذا الموضوع ومطامع ابن رائق في الشام ومصر وتصرفاته وردود الاخشيد عليها ، وطلب إليه أن يشرح لهم حقيقة الموقف ويبين أن ابن طغج سيلتزم برأي الخلافة ، ويسلم الشام لابن رائق إذا كان أمر توليتها له حقيقة ومدعمة برغبة الخلافة ، كما وأنه على استعداد لقتاله إذا فوض بذلك . ولم يكن كلام الاخشيد إلا مناورة سياسية أراد بها استطلاع أصحاب النفوذ في بغداد ، وعندما وصلت رسالته إلى الخليفة وكان بجواره بجكم أمير الأمراء ، أطرق الخليفة برأسه ولم ينطق ببنت شفة ، فما كان من بجكم إلا أن قال «من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له»(١١١).

ولم تكن الخلافة في هذه الفترة قادرة على اتخاذ أي إجراء ، ويعتبر هذا الجواب لسان حالها ، فالأمر متروك للسيف ومن انتصر فما على الخلافة إلا أن تمنح له الألقاب أو تباركه ، ومن ثم تفكر في طريقة الخلاص منه وانتزاع خلعها عنه ، بتجهيز شخص آخر تسند له أمر مناوشته والتحرش به(١١٢)، وكان ما يحققه السيف هو القرار الملزم لكي تتبناه الخلافة .

وما أن وصل إلى مسامع الاخشيد موقف الخلافة العباسية وأمير الأمراء ، حتى ثارت عصبيته وانتابته النوبة التي كانت تحضره بين الحين والآخر ، فاستدعى على الفور الخطيب عمر بن الحسن العباسي وأمره بإقامة الدعوة لأبي القاسم صاحب المغرب وإسقاط الدعوة للراضي العباسي(١١٣).

غير أن أنصاره ومساعديه نصحوه بالابتعاد عن هذا الأمر وبينوا له عاقبة مغبته ، وخوفوه بقولهم أن الخليفة العباسي قد يلجأ إلى تقليد مصر أيضاً لابن رائق ويمده بالقوات أيضاً ويساعده في التصدي للاخشيديين وتكون بذلك نهاية الدولة(١١٤).

ولا بد أن الأخشيد رجع لصوابه ، وأدرك أن موقفه مع الدولة الفاطمية الفتية أضعف بكثير من مكانته حيال الخلافة العباسية المتداعية ، ولعله وازن بين ذلك وفق مصلحته الخاصة ، وشعر أن بقاءه مع العباسيين خير له ، ولهذا أحجم عن عمله ، ومع ذلك لم يعاد الفاطميين واتبع معهم سياسة متوازنة وحاول التقرب منهم بمختلف السبل(١١٥)، وسار على نهجه كافور الاخشيدي ، فنظم علاقته مع العباسيين ورغب أن تكون معهم حسنة من ناحية وبالفاطميين من ناحية أخرى ، واستفاد من هذه السياسة بأن مهد للدولة البقاء والحياة طيلة فترة حياته .

- الصراع العسكري مع ابن رائق في الشام ونتائجه :

بعد أن أدرك الأخشيد أن الحكم بينه وبين خصمه الطامع في الشام ومصر للقوة والسيف ، أعد العدة وجهز الجيوش البرية لقتاله(١١٦)، كما أمر بتحرك الأسطول الى السواحل الشامية(١١٧). وخرج الاخشيد على رأس جيشه في المحرم سنة ٣٢٨هـ بعد أن استخلف أخاه الحسن بن طغج على مصر(١١٨)، وتقدمت طلائع القوتين وفي فلسطين حصلت مناوشة خفيفة بينهما إلى أن قام الحسن بن طاهر العلوي وأصلح بين الأطراف المتنازعة(١١٩) . وأرسل الاخشيد كاتبة محمد بن كلا للرملة مفاوضاً عنه في شروط الصلح التي تم بموجبها اقتسام المنطقة ، وتقرر أن تكون الرملة للأخشيد ومن طبرية وما خلفها لمحمد بن رائق وعاد كل منهما إلى مركزه(١٢٠).

ولم يكن ابن رائق صادقاً في عهده ولم يحافظ على بنود المعاهدة مع الاخشيديين ، وما أن تراجعت القوات المصرية حتى نكث بالاتفاق وسار على رأس قوة عسكرية كبيرة في شهر شعبان سنة ٣٢٨هـ واتجه إلى الرملة قاصداً مصر(١٢١). فكتب إليه الاخشيد محاولاً الوصول معه إلى اتفاق يحقن دماء المسلمين فلم تنجح مساعي الاخشيد السلمية وفشل في مبتغاه ، فقرر التوجه إلى بلاد الشام على رأس جيش ، والتقت القوتان في معركة بالعريش ، وانهزمت الجيوش المصرية ، وتوجهت نية ابن طغج للهرب واللحاق ببلاد الروم عن طريق البحر

والتوجه إلى بلاد المغرب[١٢٢]. ووصلت الأخبار إلى مصر ، فاضطربت العامة وانتشرت الفوضى فيها إلى أن جاءتهم الأخبار بانتصار الأخشيد .

إلا أن قوات ابن رائق استغلت نشوة الانتصار بالانشغال بالنهب والسلب وأطمأنوا ، فما كان من الاخشيد إلا أن جمع قواته وأقبل بكامل عدته وعتاده المتبقية وهاجم محمد بن رائق وقوته وهم بغفلة منه ، فأنزل بهم الهزيمة المنكرة وأسر الرجال وقتل الكثيرين ، وتمكن ابن رائق من الهرب والنجاة بأعجوبة مع سبعين رجلاً من أنصاره[١٢٣] في الوقت الذي استأمن محمد بن تكين على رأس مجموعة كبيرة[١٢٤].

وتابعت الجيوش الاخشيدية بقيادة أبي نصر الحسن بن طغج أخي الاخشيد ، ملاحقتها للقوات المنهزمة التي اتجهت صوب دمشق ، وفي منطقة اللجون فأجأتها قوات ابن رائق بهجوم أدى لمقتل القائد أبي نصر مع جمع كبير من جيشه وأسر بعض مساعديه ، وأخذوا إلى دمشق[١٢٥].

وفي دمشق وبعد نهاية القتال أدرك أبن رائق أن الموقف يقتضي العودة إلى العقل والدخول في الصلح والتفاهم مع الاخشيد فقام وحنط جثة القتيل أبي نصر وأرسلها في تابوت إلى الاخشيد مع ولده ، مزاحم بن محمد بن رائق وانفذ معه طاهر بن الحسين[١٢٦]. لكي يعتذر له عن قتل القائد أبي نصر طالباً أن يفديه بابنه ، وكان لهذا الموقف الأثر الكبير عند محمد بن طغج الذي أكبر هذا الاجراء وامتنع عن قتل ابن غريمه بل على العكس أكرمه ورفع من قدره ومنزلته ورده معززاً إلى أبيه . وكان ذلك من الأسباب التي مهدت للتفاهم بين الاخشيد في مصر وابن رائق في الشام ، حيث جعل الاخشيد مزاحم هذا واسطة للصلح بينه وبين أبيه[١٢٧].

وتكللت مساعي الصلح التي قام بها أيضاً أبو طاهر العلوي بالنجاح وتقرر أن يكون للأخشيد من الرملة إلى مصر ، وما خلفها في بلاد الشام لمحمد ابن رائق ، على أن يقوم الاخشيد بدفع جزية سنوية قدرت بمائة وأربعين ألف دينار إلى ابن رائق عن الرملة[١٢٨].

كما رافق هذا الصلح قيام مصاهرة سياسية بين الطرفين فزوج الاخشيد ابنته فاطمة من مزاحم بن محمد بن رائق[١٢٩]. كما تقرر أن يبقى عبيدالله بن طغج عند ابن رائق ومزاحم عند الأخشيد[١٣٠].

ولا بد من القول بأن الظروف التي كانت تحيط بكلِا الطرفين هي التي عملت على إظهار هذه المعاهدة وفرضت وجودها . فالأخشيد على الرغم مما حققه من انتصارات في دخول قواته في العام التالي بقيادة كافور الاخشيدي إلى حلب قبل توقيع هذه المعاهدة وما حققته من نصر عسكري على واليها من قبل ابن رائق محمد بن يزداد وأسره وأخذ حلب منه ، وعودة كافور القائد المنتصر إلى مصر بعد أن عين على حلب مساور بن محمد الرومي[١٣١]، وإنزال الجيوش الاخشيدية الخراب والدمار في حلب والمناطق المحيطة بها حيث قطعت الأشجار التي كانت بظاهرها وبالغت في إيذاء الأهالي فيها[١٣٢]ـ على الرغم من هذا الانتصار فقد كان الاخشيد يدرك موقفه جيداً ويعلم أنه بين نارين ، كل منهما تحاول التهامه ، القوة الفاطمية ، في الغرب الجادة ، منذ بداية القرن الرابع في فتح مصر والاستيلاء عليها ، والعباسيون الذين كانوا يعملون ـ رغم شعورهم بالخطر المحدق بمصر ـ على أضعاف كل قوة في المنطقة يمكن أن تعمل على الاستقلال واستغلال ظروفها الاقليمية .

وعمل العباسيون ، في سبيل هذا الهدف على تدعيم الفوضى واستمرارها في الشام ومصر . ولم ينعم الاخشيديون والطولونيون من قبلهم بالهدوء أو يركنوا إلى السكينة فيها وكانت الخلافة دائماً مرغمة على تثبيت المنتصرين ولا سيما في مصر[١٣٣].

ورغم أن بعض المؤرخين اعتبروا هذه المعاهدة دليلاً على ضعف محمد ابن طغج الاخشيدي ، وهجوماً على سياسته غير أن الظروف السياسية المحيطة به أجبرته على إقرارها وبالتالي كانت وراء تنازلاته التي ظهرت بهذه المعاهدة مع ابن رائق . فالخلافة العباسية لم تكن لترضى بدحر ابن رائق وإخراجه من بلاد الشام وهي التي قلدته أمرها[١٣٤]، بعد النشاط الكلابي في منطقة حلب وازدياد نفوذهم

هناك مما دفعهم للتمرد وخلع طاعة الخليفة العباسي ، فما كان من الخيفة إلا أن ندب ابن رائق إلى هذه المنطقة وأقطعها له وكلفه باستخلاصها من الاخشيديين ونوابهم الكلابيين وضرب تمردهم ، فاستولى ابن رائق عليها في سنة ٣٢٨هـ وطرد بدرا نائب الاخشيد وولى أمرة دمشق محمد بن يزداد الشهرزوري[١٣٥]

كما أن الأخشيد كان في حاجة ليكون دائماً على أهبة الاستعداد للوقوف في وجه الخطر الفاطمي المتجه صوب مصر[١٣٦].

- الاخشيد يستعيد نفوذه على بلاد الشام ويورثها لأبنائه :

بعد ان تمت المعاهدة الثانية مع ابن رائق وعاد الاخشيد الى مصر وردت الأخبار بعد ذلك في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ بوفاة الخليفة الراضي وبيعة أخيه المتقي لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣هـ) ووصل كتاب الخليفة الجديد في شوال من نفس العام باقرار الاخشيد على مصر دون ان يذكر شيء عن وضع الشام[١٣٧].

وبويع المتقي وكان النفوذ في بغداد لامير الامراء (بجكم) الذي نافسه على السلطة في بغداد البريديون[١٣٨]، ثم يقتل بجكم في بغداد سنة ٣٢٩ هـ ، ويعين كورتكين اميراً للامراء[١٣٩]، ويزداد الصراع بين الترك والديلم ، ويضطر الخليفة لاستدعاء ابن رائق من بلاد الشام التي تركها واستخلف عليها ابنه الحسن بن محمد ابن رائق[١٤٠]، ثم خرج من دمشق في رمضان سنة ٣٢٩ هـ/٩٤١م الى بغداد فحارب كورتكين وهزمه فعينه الخليفة اميراً للامراء للمرة الثانية[١٤١].

واستغل البريدي اضطراب الامور السياسية في بغداد واعلن تمرده وتخلى الترك عن ابن رائق ، ونشبت الفتن بسبب القحط والغلاء الذي نزل فيها[١٤٢] واتجه هذا صوب بغداد فاضطر الخليفة وابن رائق للخروج منها وطلب المساعدة من ناصر الدولة الحمداني[١٤٣]، وفي تكريت انضم سيف الدولة الى قوات الخليفة العباسي وابن رائق ، غير ان هذه القوات جميعاً هزمت امام البريدي واتجهت نحو الموصل[١٤٤].

وفي هذه الاثناء كان ناصر الدولة قد تمكن في الموصل وطمع في منصب امير الامراء واصبح للحمدانيين تطلعات مختلفة في الشام وبغداد ولهذا استغل ابن حمدان وجود ابن رائق مع أبي منصور ابن الخليفة المتقي في الموصل فقام باستقبالهم ، وبالغ في تكريمهم ، ويظهر انه اراد ان يبعد الشبهات عن ابن رائق الذي دعاه للتشاور معه فاعتذر ولم ينفعه تهربه فجذبه ناصر الدولة عندما هم بركوب فرسه وسقط على الارض فأمر ناصر الدولة رجاله على الفور بقتله فقتل ورمي في دجلة(١٤٥)وكتب ناصر الدولة للخليفة كتاباً يتهم فيه ابن رائق بتآمره على الخليفة وانه كان يود قتله ولهذا خلصه منه(١٤٦)، فما كان من الخليفة الضعيف إلا أن كافأ القاتل وطلبه وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله أميراً للأمراء في رمضان سنة ٣٣٠ هـ حيث فر البريدي اثر وصوله اليها ، كما خلع على اخيه ابي الحسين علي ولقب سيف الدولة ، وكان مقتل ابن رائق يوم الاثنين المصادف ٢١ من شهر رجب سنة ٣٣٠ هـ(١٤٧).

ولم يستمر ناصر الدولة طويلاً في بغداد حيث ثار عليه الترك واجبروه على ترك بغداد بعد ثلاثة عشر شهراً ، واستلم زمام الامور بعده في بغداد توزون التركي ولقب بأمير الامراء ، فدخل بغداد في رمضان سنة ٣٣١ هـ(١٤٨).

ولما قتل ابن رائق سار الاخشيد من مصر بعد ان استخلف عليها اخاه ابا المظفر الحسن بن طغج(١٤٩). واتجه الى بلاد الشام ، وعندما وصل دمشق كان عليها محمد بن يزداد الشهرزوري والياً من قبل ابن رائق ، فلما حضر الاخشيد استقبله واستأمنه فما كان منه الا أن سلم اليه أمر دمشق ثم ما لبث ان نقله عنها بعد فترة الى مصر حيث عينه على شرطتها(١٥٠).

ولم يزل الاخشيد في الشام حتى اصلح امورها وعاد منها الى مصر فوصلها في سنة ٣٣١ هـ ، وبعد عودته من الشام جمع ـ في السنة نفسها ـ كبار قواده واعوانه واخذ البيعة لابنه انوجور واستخلفه من بعده(١٥١).

وما لبثت العلاقة بين الخليفة المتقي وتوزون ان ساءت ، واضطر المتقي الى الالتجاء لناصر الدولة بن حمدان في الموصل ، فعجزت قوات الخليفة وقوات ابن

حمدان من تحقيق اي نصر على توزون ، ولما لاحظ المتقي تأفف ناصر الدولة الحمداني وعجزه تجاه توزون التجأ الى الاخشيد(١٥٢)وطلب النجدة منه لثقته به ولاتساع نفوذه وسلطته وكثرة عساكره ، ولقد تهيأ الاخشيد ملبياً لدعوة الخلافة فسار تاركاً مصر مستخلفاً عليها اخاه ابا المظفر الحسن بن طغج ، فوصل دمشق في سنة ٣٣٢ هـ ثم اتجه الاخشيد ومعه اتباعه قاصداً الرقة للقاء الخليفة(١٥٣)، الذي كان قد وصلها في اوائل رمضان سنة ٣٣٢ هـ/٩٤٤ م(١٥٤).

وعندما وصل الاخشيد الى حلب ، فر منها الحسين بن حمدان ثم وصل رسول الخليفة المتقي ابو الحسن احمد بن عبد الله بن اسحاق الخرقي ، فتلقاه الاخشيد وأكرمه واظهر السرور للقائه بالخليفة ، وأرسل على الفور الاموال والهدايا مع أحمد بن سعيد الكلابي الى الخليفة(١٥٥)، وعندما وصل الاخشيد الرقة امتنع عن دخولها وعبر الفرات خوفاً على نفسه من الحمدانيين حيث كان سيف الدولة فيها ، وخشي ان يلقى مصيره كما حل بابن رائق ، فاضطر الخليفة ان يعبر الفرات والتقى بالاخشيد(١٥٦) .

وفي هذا اللقاء اظهر الاخشيد الطاعة والخضوع للخليفة ، وبالغ في اظهار علامات الود والاجلال(١٥٧)، وقدم الاخشيد الهدايا النفيسة الكثيرة التي تجود بها صناعة مصر ، واعجب الخليفة كثيراً بالاخشيد ، وسر لهذا اللقاء ، فما كان من الخليفة الا ان قام وخلع عليه وكناه بأبي القاسم(١٥٨)واستخلفه على اعماله ثلاثين سنة قائلاً «قلدتك اعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك انوجور»(١٥٩)فزاد الاخشيد بهداياه الى الخليفة والوزير ابن مقلة وكافة افراد حاشية الخليفة ومرافقيه(١٦٠).

وعرض الاخشيد على الخليفة المكتفي ان يسير معه الى مصر والشام ليكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك واشار عليه المقام بالرقة فلم يقبل منه ايضاً وامتنع عليه(١٦١)، فنظر اليه الاخشيد وحذره من توزون ،وقال له «يا أمير المؤمنين(١٦٢)أنا عبدك وابن عبدك ، وقد عرفت الاتراك وفجورهم وغدرهم فالله الله في نفسك سر معي الى مصر ، فهي لك وتأمن على نفسك» فأبى الخليفة الدعوة ، كما لم يستجب الوزير ابن مقله لدعوة الاخشيد ، ورحل الخليفة من الرقة قاصداً بغداد

في المحرم سنة ٣٣٣ هـ فخرج توزون للقائه ، ثم ما لبث ان قبض عليه وسمل عينيه ، ولم تنفع الخليفة الوعود والعهود الكثيرة والايمان العظام التي اقسمها وقدمها توزون بالابقاء على الخليفة وحياته(١٦٣).

واحضر توزون ابا القاسم عبد الله بن المكتفي فبايعه الناس ولقب «المستكفي بالله»(١٦٤).

وهكذا خدع الخليفة المتقي بوعود توزون بل ولعله شعر أنه لن يكون بأحسن حال مع الاخشيد وامام تخوفه من النقمة العباسية والقادة الاتراك امتنع عن الذهاب الى مصر او حتى البقاء في الرقة بعد ان تكفل له الاخشيد بتقديم المال والسلاح(١٦٥). وفشل الاخشيد في نقل الخلافة الى مصر او الشام كما فشل ابن طولون قبله ، ولم يتحقق هذا الحلم الذي راود الكثيرين الا على يد الظاهر بيبرس في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي(١٦٦).

ولما ولي المستكفي الخلافة في سنة ٣٣٣ هـ اقر الاخشيد على ولايته في مصر والشام وقام الاخشيد بدوره بالدعاء له على المنابر في انحاء ولايته(١٦٧).

وعاد الاخشيد من الرقة بعد لقاء الخليفة الى مصر بعد ان نظم امور الشام فجعل على دمشق الحسن بن لؤلؤ واستمر عليها سنة وشهراً ونقله الاخشيد الى حمص فولي على دمشق يانس المؤنس(١٦٨)، كما ولي على حلب ابا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابي ، وولى أخاه أنطاكية(١٦٩).

وظلت العلاقة بين الاخشيديين والخلافة العباسية حسنة يسودها الوفاق وأقر المطيع الذي خلف المستكفي سنة ٣٣٤ هـ الاخشيد على ولايته . وكانت سلطة الاخشيد وقتذاك قد اتسعت واستقر له الحكم في مصر والشام وقلده الخليفة ولاية الحرمين واليمن(١٧٠).

☆☆

ب ـ العلاقات الحمدانية الاخشيدية :

ـ أطماع الحمدانيين في الموصل وبلاد الشام :

ينتسب الحمدانيون الى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربية التي عرفت بالشجاعة والفروسية وروح المغامرة بالاضافة الى الكرم والفصاحه والشعر[١٧١].

وكان موطنهم في هذه الفترة ديار ربيعه في الجزيرة بالقرب من سنجار ونصيبين، ورزق حمدان سبعة أولاد[١٧٢]، كلهم أبطال مغاوير لعبوا دورهم على مسرح الأحداث في الدولة العباسية ، وهم أبو الهيجا عبد الله (والد سيف الدولة) وأبو اسحاق ابراهيم ، وابو العلاء سعيد (والد أبي فراس) ، وأبو الوليد سليمان الحرون ، وأبو السرايا نصر ، وعلي وأبو علي الحسين ، وأبو سليمان داوود المزرفن .

وكان للحمدانيين أطماع وأحلام عملوا على تحقيقها واختاروا ديار ربيعه والموصل مركزاً لهم دون غيرها ، معتمدين على ظروف المنطقة السياسية المتاخمة للروم الذين لا يفتؤون يغيرون على ثغورها ، فهي بحاجة الى سلطة قوية تستطيع ان تجابه هذه القوة ، كما ساعدتهم ظروفها الاقتصادية وغناها حيث كانت تقدم لبغداد مواردها وميرتها بالاضافة لكونها تضم أكبر تجمع بشري عربي ، وهي ديار ربيعه وديار بكر وديار مضر[١٧٣].

هؤلاء الحمدانيون يمثلون العنصر العربي الذي انتعش بعد النكسات الكبيرة التي لحقت به على ايدي العباسيين في ظل النفوذ الفارسي ثم التركي وكانوا من القوى العربية التي صادفها الحظ ، وبرزت على مسرح الاحداث من سنة ٢٥٤ هـ حينما قام مساور بن عبد الحميد الشاري واستولى على الموصل ، فتصدى له الحسن بن ايوب التغلبي يشد من ازره حمدان بن حمدون ، والتحما معه في معركة لم يساعدهما الحظ فيها عليه[١٧٤]. ومنذ هذا التاريخ بدأ اسم حمدان وابنائه فيما بعد

يتردد في اخبار الاحداث والحروب حتى لا يكاد شبر من الدولة الاسلامية يخلو من موقعه الا وفيها احدهم ، ومال اكثرهم لانشاء ممالك خاصة بهم(١٧٥).

وظهر نفوذ الحمدانيين في الموصل سنة ٢٩٢ هـ عندما تقلد ولايتها عبد الله بن حمدان من قبل الخليفة المكتفى(١٧٦)، واتجه اكثر الخلفاء العباسيين الى الثقة بالحمدانيين لأنهم رأوا فيهم العنصر العربي القوي الذي يشارك الخلفاء شعورهم واحاسيسهم(١٧٧). وكثيراً ما طلب الخلفاء مساعداتهم ضد الفرس والترك والديلم وغيرهم ففي ٣٣٠ هـ وعندما هاجم البريدي بغداد لجأ الخليفة المتقى اليهم في الموصل وبقي فيها مدة أربعة أشهر ثم عاد الى بغداد في شوال من هذا العام ، ورأينا أنهم قتلوا أمير الأمراء ابن الرائق ، واصبح ناصر الدولة أميراً للأمراء كما اثنى الخليفة على علي بن عبد الله ولقبه سيف الدولة لفروسيته وشجاعته(١٧٨).

- النزاع الحمداني الاخشيدي على بلاد الشام قبل ولاية سيف الدولة :

بعد مقتل ابن رائق في سنة ٣٣٠ هـ على ايدي الحمدانيين في الموصل انتقل النزاع على بلاد الشام بينهم وبين الاخشيديين الذين اعتبروا أن البلاد التي كانت واقعة تحت نفوذه قد عادت اليهم وبالفعل فقد ضموا الشام الى حوزتهم بعد مقتله بدون اراقة دماء تذكر(١٧٩).

ولقد اتجهت أنظار الحمدانيين الى الشام بعد مقتل ابن رائق ولاحت مطامحهم في حلب وضواحيها ، والسيطرة على شمال بلاد الشام ، وكانت المنطقة في هذه الفترة لا تزال تحت نفوذ نواب ابن رائق ، ففي دمشق كان محمد بن يزداد الشهرزوري(١٨٠)، ورأينا انه استأمن للاخشيد فأقره على مدينته هذه . أما في حلب فقد كان بها أحمد بن علي بن مقاتل ومعه مزاحم بن محمد بن رائق يساعده في أمورها(١٨١).

في نفس الوقت الذي اتجه فيه ابن طغج الى بلاد الشام لتثبيت حكمه عليها قام ناصر الدولة فقلد علي بن خلف احد اتباعه ديار مضر والشام وانفذ معه العساكر . وطلب من يانس المؤنس ان يقوم بمؤازرته وكان هذا يلي ديار مضر قبله

من قبل الحمدانيين أيضاً[١٨٢]وعندما وصل هذا الى منبج قام مع يانس المؤنس بمراسلة ابن مقاتل في حلب يدعوه الى الطاعة ، غير ان هذا كان له مطامع اخرى فرغب الاستقلال بحلب ، ورفض الامتثال لدعوة يانس المؤنس ، واتجه لمقابلة القوات الحمدانية حيث التقى معها على شاطئ الفرات وانهزمت قواته أمام الحمدانيين الذين دخلوا حلب واصبحت في عام ٣٣٠ هـ تابعة لدولتهم في الموصل[١٨٣].

ويبدو أن علي بن خلف عندما سمع بتقدم الاخشيد في اتجاه حلب خافه ، فترك الحمدانيين وسار منها الى الاخشيد محمد بن طغج الذي استوزره وعلت مكانته عنده الى ان رأى فيه الرفعة وكثرة الاتباع فأمر بالقبض عليه وأودعه السجن وبقي حتى مات الاخشيد سنة ٣٣٤ هـ[١٨٤]، واستمر يأنس المؤنس في حلب والياً عليها حتى سنة ٣٣١ هـ/٩٤٢ م ، فقال هذا بدوره ايضاً والتجأ الى الاخشيد واستأمنه كما فعل علي بن خلف ودعا له على المناطق الواقعة تحت نفوذه[١٨٥].

ولم ييئس ناصر الدولة الحمداني واستمر في محاولاته وفي سنة ٣٣٢ هـ تمت عملية اتفاق ومقاسمة بين أكبر القوى في بغداد والحمدانيين ، فتعاهد كل من ناصر الدولة امير الموصل ، وتوزون امير الأمراء ، على أن تكون الأعمال في مدينة الموصل الى آخر أعمال الشام لناصر الدولة ، وأعمال السن الى البصرة لتوزون وما يقوم بفتحه من وراء ذلك ؟ وأن لا يتعرض أحد منهما لعمل الآخر[١٨٦]. وبهذا ما فيه من تحد للخليفة وتجاوز لسلطته وصلاحياته .

وعلى هذا الأساس ولى ناصر الدولة حلب وديار مضر والعواصم وحمص أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل ، صاحب ابن رائق . وكان قد استماله اليه ، فاتجه اليها من الموصل .

ويبدو ان هذا لم يتمكن من السيطرة على المنطقة ودخول حلب[١٨٧]. لذلك قرر ناصر الدولة ، استعمال احد افراد اسرته وتوليه على المنطقة فعهد بذلك الى ابن عمه ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان[١٨٨]، بها وما يقوم بفتحه من بلاد

الشام وتوجه في رجب سنة ٣٣٢ هـ وقصد الرقه ومنعه أهلها من دخولها فقاتلهم وفتحها عنوة وأسر أميرها محمد بن حبيب البلزمي ، وأحرق قسماً من البلدة . وقضى على رؤساء أهلها وصادرهم(١٨٩).

وتوجه الحسين بن سعيد بعد الرقة الى حلب ، وكان يرافقه ابو بكر، محمد بن علي بن مقاتل ، وكان على حلب اثناء ذلك يانس المؤنس ، وأحمد بن العباس الكلابي للاخشيد ، ولم يتجرأ هؤلاء من مجابهة ابن حمدان فهربا وتبعهما الى معرة النعمان ثم الى حمص التي هرب اميرها اسحق بن كيغلغ كذلك وملك الحسين بن حمدان حمص وعمل على اخضاع القبائل العربية في المنطقة ودانت له بالولاء والطاعة(١٩٠) وعاد بعد ذلك الى حلب .

واستمر الحسين بحلب فترة قصيرة حيث قصده الاخشيد بقواته في ذي الحجة سنة ٣٣٢ هـ ولم يجرؤ الحسين على مقاومته لضعفه فترك حلب واتجه الى الرقة ولم يتمكن من دخولها لان الخليفة المتقي كان قد وصلها هارباً من توزون ومعه سيف الدولة الحمداني ، الذي فارق اخاه ناصر الدولة لخلاف وقع بينهما ، وحصلت منادمة بين العاهلين الحمدانيين وتوسط بينهما الخليفة فخرج الحسين من الرقة الى حران ومنها الى الموصل(١٩١).

اما ابن مقاتل فقد استتر في مغارة الجامع حتى انصرف ابن حمدان وعندما دخل الاخشيدي حلب اظهر له هذا واستأمن اليه فقلده الاخشيد اعمال الخراج والضياع في مضر(١٩٢).

ومن الرقة قام الخليفة المتقي واستدعى الاخشيد وتم اللقاء بينهما كما مر معنا ولم يسفر هذا الاجتماع عن نتائج كبيرة كما كان يحلم الاخشيد ومحاولته نقل الخلافة الى مصر ، الا أن ابن طغج حقق مكسبا هاما وهو ان الخليفة زادت ثقته به فاعترف له ولابنائه من بعده بولاية الشام ومصر لمدة ثلاثين سنة(١٩٣)، وبهذا ما فيه من قطع الطريق امام الحمدانيين في الشام وابعادهم عنها ، واصبح من القوة بحيث يأمر قواده بالاعتراف بولاية ابنه انوجور ، كما حصل من الخليفة على

موافقته لهذه البيعة ، واصبح يدعى للخليفة والاخشيد وابنه على منابر مصر والشام .

ويتضح من مجرى الاحداث السياسية في هذه الفترة ان العلاقات العسكرية بين الحمدانيين والاخشيديين لم تكن عنيفة ولم يرافقها صدام مسلح ، وتمكن ابن طغج في حملته على بلاد الشام بعد مقتل ابن رائق في ان يعيدها الى سيطرته بالطرق السلمية وبالوسائل الدبلوماسية ، بمراسلة القادة واغداق الهدايا والوعود لهم ولعل هذه السياسة هي التي تمكن بها من استمالة كل من علي بن خلف ويانس المؤنس ، وعلي بن مقاتل دون ان تذكر المصادر اي خلاف واضح مع سادتهم الحمدانيين(١٩٤).

ويبدو ان الاخشيد كان قد صمم عند خروجه بهذه الحملة الى الشام لتأديب الحمدانيين ومهاجمة عاصمتهم في الموصل والاستيلاء عليها ، غير ان الخليفة العباسي تدخل في الامر كوسيط بين الطرفين ، وطلب من الاخشيد التوقف عن قراره وعدم التصدي للحمدانيين وقبل الاخشيد وساطته ، وكان ذلك من اهم الامور التي اثرت على مجرى الاحداث العسكرية بين الطرفين(١٩٥)، فقام ناصر الدولة على اثر ذلك محاولاً ان يخفف من سخط الاخشيد وتوتره فأوفد في سنة ٣٣١ هـ كاتبه النصراني سهلون الى ابن طغج محملاً بالهدايا الكثيرة(١٩٦).

- العلاقات بين الاخشيد وسيف الدولة :

بعد عودة الاخشيد من لقاء الرقة ، مر على حلب ، وعين عليها قبل سفره الى مصر ، ابا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابي ، وولي اخاه انطاكية(١٩٧).

وادرك الحمدانيون بعد ذلك ان بلاد الشام لمن بيده القوة ، فقاموا واستغلوا ظروف المنطقة وتقاسموها مع امير الأمراء توزون كما اسلفنا ، وكان لقاء الخليفة بالاخشيد وما نتج عنه من تقليد لابن طغج واتساع نفوذه بعد ذلك ، ورغم هذا لم يقف الحمدانيون او يتراجعوا عن اطماعهم في بلاد الشام .

وفي اثناء ذلك ، يظهر سيف الدولة الحمداني وطموحاته في المنطقة ، وهو الذي نشأ في كنف اخيه (ناصر الدولة) ولا يقل عنه رؤية وجهدا لايجاد امارة مستقلة له ، كما لعب دورا هاما في الاحداث السياسية والعسكرية ، وتصدى للروم البيزنطيين واوقع بهم وهو لا يزال شابا في ريعان فتوته هزائم متتالية وظفر بهم ، وقام بالدفاع عن الخلافة والزود عنها حتى استحق اعجاب الخليفة وتقديره ولقبه بسيف الدولة[١٩٨].

ويبدو ان ناصر الدولة اظهر تأففه وقلقه من اخيه سيف الدولة ووجوده معه بعد ان بدأت ملامح النجابة والفروسية تظهر عليه منذ شبابه ، وبدأ ناصر الدولة يفكر في الخلاص منه ، وابعاده لمنطقة يكون فيها مجدا له ، ولهذا ما ان يطلب سيف الدولة من اخيه ناصر الدولة مدينة او منطقة يقوم بالأمرة عليها حتى شجعه على دخول الشام وصرح له بذلك بقوله (الشام امامك وما فيه احد يمنعك عنه)[١٩٩]، وكان ناصر الدولة يدرك ما يحيط بها من مخاطر ومصاعب ، وفي دخولها مغامرة كبيرة وكانت هزيمة ابن عمه الحسين بن سعيد امام الاخشيد في حلب لا تزال ماثلة امام عينيه .[٢٠٠]

ولم يأبه سيف الدولة بالمخاطر ، وشجعته ظروف حلب السياسية للاتجاه اليها ، حيث تركها الاخشيد وعين عليها ابا سعيد الكلابي ، الذي حسده أهله وعشيرته وحقدوا عليه ، نظرا لعلو مكانته ، فكاتبوا سيف الدولة بن حمدان ووعدوه بتسليم حلب[٢٠١]، لهذا تشجع ابن حمدان وادرك ان والي حلب عاجز عن مقاومته .

لذلك جهز سيف الدولة جيشا وسار على رأسه قاصدا حلب ، وعلى نهر الفرات تلقاه اخوه ابو الفتح الكلابي مع جمع كبير حيث اعلنوا ولاءهم له ، وقد ادرك ابو الفتح انه مغلوب لا محالة ، ولهذا قام وخرج هو الآخر للقاء سيف الدولة وعبرت الجيوش الحمدانية الفرات وسار الجميع في ركب ابن حمدان ، فقام سيف الدولة واكرم ابا الفتح دون اخوته واركبه معه العمادية[٢٠٢]، ودخل سيف الدولة حلب يوم الاثنين في شهر ربيع الاول سنة ٣٣٣ هـ .

وفي حلب قام سيف الدولة فعزل قاضيها احمد بن محمد بن ماثل وولى ابا الحصين علي بن عبد الملك بن بدر بن الهيثم الرقي ، وكان هذا ظالما فاذا مات احد من الناس كان يأخذ تركته ، ويعطيها لسيف الدولة ويقول «كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك وعلى ابي حصين الدرك»[٢٠٣]، ثم اقام الخطبة فيها للخليفة العباسي المستكفي ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه من بعدهم .[٢٠٤]

وبعد ان سيطر سيف الدولة على حلب سير قواته للقاء الجيوش الاخشيدية التي تحركت في اتجاهه بقيادة كافور الاخشيدي ، ويانس المؤنس ، والتقت القوتان عند بلدة الرستن في منتصف الطريق بين حمص وحماه ، وانهزمت الجيوش الاخشيدية وغرق قسم كبير منها في نهر العاصي ، عند ذلك امر سيف الدولة برفع السيف وطلب من غلمانه الا يقتلوا احد وقال «الدم لي والمال لكم» فأسر منهم نحو أربعة آلاف من الامراء وغيرهم واحتوى على الجيش كله ، ومضى كافور هاربا الى حمص ومنها الى دمشق والقوات الحمدانية تطارده فترك دمشق ودخلها سيف الدولة في رمضان سنة ٣٣٣ هـ[٢٠٥].

وعلى ما يظهر ان اهل دمشق تخوفوا من سيف الدولة فقاوموا دخوله لمدينتهم ، فقام وكتب لهم كتاب قرىء في المسجد الاموي ، طمأنهم فيه ، وتعهد لهم بصيانة ارواحهم واموالهم محاولا التقرب منهم ، مبينا لهم مهمته ودوره في جهاد العدو البيزنطي ، وربما دفع موقفهم هذا الكثرة من المصادر الى القول بأنه لم يدخل دمشق .[٢٠٦]

ومضى كافور الى الرملة وكتب الى سيده الاخشيد في مصر يخبره بالموقف في الشام ، وهزيمته امام سيف الدولة الذي اقدم هذا واطلق كافة الاسرى فمضوا وشكروا صنيعه معهم .[٢٠٧]

وعندما كان سيف الدولة في دمشق كاتبه الاخشيد طالبا منه الموادعة والوفاق وعلى ان يقتصر الحمداني على ما بيده من المدن في بلاد الشام فلم يجبه سيف الدولة

الى هذا السلام(٢٠٨)، بل على العكس اخذ يستعد في السير الى الرملة لينطلق منها لغزو مصر(٢٠٩).

اما محمد بن طغج الاخشيد فقد وصله خلع الخليفة له ولابنه انوجور دليلا على تأييده ، وهذا كل ما يمكن ان تقدمه الخلافة ، كما وصلته أيضا الاخبار من الشام ومطامع سيف الدولة التي اخذت تتعدى الشام وحصل كذلك على نسخة من كتاب سيف الدولة الى اهالي مدينة دمشق ، فقرر الاخشيد التحرك بقواته الى بلاد الشام ومحاربة الحمدانيين فاستخلف على مصر ابنه انوجور وسار قاصدا دمشق(٢١٠).

وفي مدينة دمشق كان احد قواد الاخشيد وهو عيسى كيل قد استأمن لسيف الدولة وانضم اليه ، وكعادة الاخشيد كتب الى هذا القائد يطمئنه ويعده بالمال والمكافآت والمناصب العالية ، وأرسل له خاتمه لينشر الدعوة له بين اهل دمشق ويحضهم على الترحيب به والوقوف ضد سيف الدولة(٢١١). وكان لهذه السياسة اثر في انهزام سيف الدولة حيث اغلق اهل دمشق مدينتهم عندما اراد سيف الدولة دخولها اثر وصول الاخشيد ومنعوه منها وأدى ذلك لسرعة تقهقر سيف الدولة بدون قتال فترك المنطقة متجهاً الى حلب(٢١٢)، واستأمنت معظم قواته للاخشيد .

وطارد الاخشيديون القوات الحمدانية ، والتقت القوتان على أرض قنسرين في شهر شوال سنة ٣٣٣ هـ واشتد القتال بينهما وانتصر في البداية سيف الدولة حيث حمل على مقدمة الجيش الاخشيدي وهزمها ووصل قبة الاخشيد وخيمته ولم يكن هذا بها حيث كان قد تخلف على رأس قوة تقدر بعشرة الاف مقاتل من صناديد رجاله سماهم الصابرية ، فوثب بهم على الجموع الحمدانية وانزل بها الهزيمة ولم يقتل في هذه المعركة غير معاذ بن سعيد والى معرة النعمان من قبل الاخشيد ، عندما انقض على سيف الدولة يريد اسره فضربه بمستوفى(٢١٣)كان يحمله وأرداه قتيلا وهرب سيف الدولة ولم يتبعه احد من جنود الاخشيد ، وقصد سيف الدولة الجزيرة ودخل الرقة ، وقيل انه اراد دخول حلب فمنعه أهلها(٢١٤)

فدخلها الاخشيد وافسد رجاله الحقول والاشجار الكثيفة في جميع نواحيها ، وتدل اشعار الصنوبري التي زاد في وصفها من انها اكثر المدن اشجارا(٢١٥).

وجمع سيف الدولة قواته وأتته العساكر ولم يترك المنطقة منتظرا الفرص وعسكر في مواجهة القوات الاخشيدية(٢١٦)، وشعر الاخشيد ان حروبه مع سيف الدولة لا يمكن ان تحقق حسما قاطعاً وانتصارا نهائيا على سيف الدولة ، ولهذا أخذ يتجه نحو الوفاق مع الحمدانيين ، وتطلع نحو السلام حيث اعتبره الطريق السليم للقوتين في مصر والشام وبه تتحقق مصالحهما المشتركة في البلدين .

- الصلح بين الاخشيد وسيف الدولة :

لم تحقق الحروب السلام في المنطقة بين الحمدانيين والاخشيديين ، مما دعاهم لاتباع طريق التفاهم والوفاق ، فعاد الاخشيد الى دمشق واستقربها وترددت الرسل بينه وبين سيف الدولة(٢١٧)، وقام الحسين بن طاهر ولعب دورا هاما بينهما وتوصل معهما الى عقد اتفاق ومعاهدة تضمنت ، ان يكون لسيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا اعتبارا من خوسيه(٢١٨)، الى حمص بما في ذلك حلب وحمص وحماة وانطاكية(٢١٩)، وأن تكون دمشق وما يتبعها للاخشيد(٢٢٠)، على أن يقوم الاخشيد بدفع جزية سنوية لسيف الدولة(٢٢١).

وكان من نتائج هذا الصلح ان تمت المصاهرة بين البيتين ، فقد تزوج سيف الدولة بابنة اخي الاخشيد عبيد الله بن طغج(٢٢٢)، وقام سيف الدولة ونثر الدراهم في مضربه للحاضرين وقدرت بثلاثين الف دينار كما نثر خارج البيت اربعماية الف درهم ، كما قدم للحسين بن طاهر مالا كثيرا وخلعا لقاء وساطته بينهما وعقد هذا الصلح الذي تم على يديه .

كما رافق هذا الصلح ظروف سياسية معقدة لكلا الطرفين فرضته على كلا البيتين المتصارعين الحمداني والاخشيدي .

فالاخشيديون في مصر كانوا يقعون تحت ضغط خارجي كبير من جهة الفاطميين الذين ما برحوا يتحركون نحو مصر ويستغلون كل الفرص للانقضاض عليها واحتلالها ، هذا بالاضافة الى كثرة دعاتهم ومواليهم وانصارهم فيها الذين اقلقوا الولاة العباسين كافة في هذه الفترة وقبلها (٢٢٣)، كما ان مصر شهدت في هذه الفترة بعض الحركات التي اثارت الاضطراب والصعاب امام الاخشيديين كثورة غلبون في منطقة الاشمونيين وغيرها من الحركات التي نشرت الفوضى وعدم الاستقرار (٢٢٤).

ومن ناحية اخرى فان الخلافة العباسية لم تكن صادقة النية مع الاخشيديين ، فهي رغم الوعود والمواثيق الا انها كانت دائما ترسل لهم بعض القادة والولاة وتشد من ازرهم لكي يقفوا امامهم في الشام وتهددهم بهذه القوى وهي تحرص على عدم اعطائهم الوقت الكافي للراحة والاستقرار(٢٢٥)، ولم يكن الاخشيد ليغفل عن ادراك هذه السياسة .

هذا بالاضافة الى ان الحمدانيين كانوا يشكلون قوة كبيرة في المنطقة تستند على دعم عربي وعصبية قوية متناثرة في الشام والجزيرة والموصل ، فهي ان دعت المحنة لن يكونوا الا مع الحمدانيين ابناء جلدتهم وعمومتهم . وهذا ما حدث فعلا فبعد معركة اكسال في اللجون سنة ٣٣٥هـ . التي تم فيها انكسار سيف الدولة شر هزيمة قصد هذا حمص وجمع جمعا لم يجتمع له قط من قبائل بني عقيل وبني نمير وبني كلب وكلاب وغيرهم ، وشكل منهم قوة كبيرة ساعدوه في معركة مرج عذرا(٢٢٦)، وهذا ما كان يتوقعه ويدركه الاخشيد وعلى هذا الاساس وجد ابن طغج رغم انتصاراته مصلحته في الصلح وهو ربما كان بحاجة اليه اكثر من خصمه سيف الدولة الذي كان يشعر انه لا بد ان يحقق النصر في النهاية على الاخشيديين .

هذا وان نفوذ الحمدانيين في الموصل قد استقر منذ فترة كما ربطوا مصيرهم بالمنطقة والجهاد فيها ، وكانوا يعتبرون ان مجال توسعهم الحيوي في بلاد الشام(٢٢٧)، وخاصة في شمالها ، وثغورها ، ولايمكنهم ان يتخلوا عنه ، ولقد

دفعت هذه الامور الاخشيد الذي أدرك ذلك بفطنته فأشار في رده على معارضيه الذين اخذوا يوجهون له اللوم والانتقاد قائلا للشيخ الذي أوفد للومه «اعلم ان علي بن حمدان (سيف الدولة) كاتبناه من الرملة فبذلنا له فلم يفعل» وكاتبناه ، من طبريه فامتنع ثم سرنا اليه ورزقنا الله تعالى النصر عليه وعلى اصحابه الظفر فلم ينصرف وخيم حذاءنا بوجه صفيق وقله حياء ، فتوقفت عنه ، فقال لي الغلمان : دعنا نمضي تلقاءه ففكرت في قولهم ولم اخل من احد وجهين : اما ان يهزمنا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة ، واما ان نرزق عليه النصر فنأخذه فأيش اعمل به ؟ هلا هو اكثر من ان انزله في مضرب يشبهه وانفق عليه ما يصلح له ثم اجهزه وأرده لأخيه واهله لانهم لا يتركونه ؟ واقل ما كان يكفينا له مائتا الف دينار ، ثم لا اطيق غلماني من اولاهم والتسحب علي بما عملوا ويطلبون مني الأعمال والولايات ، فرأيت ان مسالمته ومصالحته افضل واصلح ، وارسلت اليه الحسن بن طاهر اعده بالأموال والخروج عن اعماله فلما رأوا الحسن بن طاهر قد مضى ازدحموا علي يسبوني ويشتموني ويسألون الله الرحمة مني[٢٢٨]. وكان الحمدانيون يعرفون هذا الموقف حق المعرفة ، وحسبنا دليلا قول شاعرهم أبي فراس الحمداني :[٢٢٩]:

فلما رأى الاخشيد ما قد اظله ... تلافاه يثني غربه ويكاشر
رأى الصهر والرسل الذي هو عاقد ... ينال به ما لاتنال العساكر

ولقد كان الاخشيد بعيد النظر صادق الرؤيا واحس ان وجودهم يشكل خطرا كبيرا ضد العدو المشترك البيزنطي ، فهم قد عقدوا العزم على جهاده وقاموا بدور بارز في صد الروم قبيل هذه الفترة وبعدها ، وسيف الدولة نفسه خاض حروباً مشرفة عندما كان بالموصل وحتى اثناء صراعه مع ابن طغج هذا واشاد بفروسيته شعراء الشام والعراق[٢٣٠]، وادرك الأخشيد ان بقاءهم بالمنطقة يعتبر حصنا منيعا ضد البيزنطة وقوة عاملة لحماية الشام ومصر ، من الضغط البيزنطي الخارجي ، ولهذا كان من مصلحة الاخشيد ان تنمو هذه القوة وتكفيه مؤونه التعرض للهجوم على البيزنطيين ومحاربتهم[٢٣١]ورأى الاخشيد ان لا يحطم سيفا ارتفع لحماية العرب والاسلام والمسلمين متمثلا بابن طولون وموقفه في الثغور عندما خرجت عليه .

اما سيف الدولة فلم يكن الا الفارس العربي الذي قدر هذا الموقف بعين ثاقبه ، ولم يأبه بالحوادث وكان شعاره الصبر والجلد ولم يعرف اليأس طريقه ، ولقد قدم على هذه الهدنه ، منتظرا الظروف على ان ينقض وقت اللزوم ، وهذا ما حدث فعلا فما ان يتوفى الاخشيد سنة ٣٣٤هـ حتى يظهر في دمشق ويضمها الى سلطته ويتابع طريقه الى الرمله ويفتحها ، محاولا ان يمتلك كافة الاقاليم من الاخشيديين ولو ساعدته الظروف لقلم وجودهم من المنطقة فلم تكن احلامه تقف عند حد (٢٣٢)، بل كان يتطلع للمنطقة كلها ويصبو لوحدتها وجعلها دولة موحده تحت نفوذه .

وسيف الدولة لم يلجأ الى الهدنه الا وفق خطه حكيمه وضعها القائد العربي نصب عينيه ، وتستند على ان لا يحارب في اكثر من جبهة اذ ان تعدد الجبهات الحربية مدعاة للهزيمة(٢٣٣).

وهكذا استطاع سيف الدولة تحقيق امارته مستقلا بها بعد هذه المعاهده ، ورغم انه ظل يعترف بسيادة الخلفاء العباسين الاسميه لكنه لم يدفع لهم الجزية لانه اعتبر نفسه حامي العرب والمسلمين من الروم ، واستمرت تطلعاته للسيطرة على دمشق وغيرها في بلاد الشام ، واصبح منذ ذلك الوقت حاكما مستقلا في شمال بلاد الشام(٢٣٤).

اما الاخشيد فقد كان بعيد النظر ، ابعد نفسه عن الوقوع في مغامرات ادرك أنها لن تؤدي الى نتائج ايجابية ، كما آثر أن ينال منه بعض خصومه السياسيين ويعرض نفسه للانتقاص ، وكبرياءه للخدش ، ويفضل المصالح العليا الاسلامية في المنطقة على ان يستمر في صراع لا يمكن ان يحقق في النتيجة الا انهاء احد القوتين الاخشيدية أو الحمدانيه ، وفي ذلك خسارة كبيرة للدولة العربية الاسلامية ، والمصلحة الوطنية للشام ومصر ، المتطلعه والمحتاجة الى توحيد الجهود ضد العدو الخارجي ، ولهذا آثر ان يبقى الحمدانيون قلعة صامده بينه وبين البيزنطيين يوفرون جهوده ويؤمنون له التعرض لهم وهجومهم بين الحين

والاخر(٢٣٥)، وليتنا نتعلم الدروس من التاريخ ، ونأخذ العبر من هؤلاء الغرباء عن المنطقة .

- العلاقات الحمدانية الاخشيدية في عهد كافور الاخشيدي :

بعد ان تمت المعاهدة الاخشيديه الحمدانية في شهر ربيع الاول من عام ٣٣٤هـ ، هدأت الاحوال في بلاد الشام مؤقتا . واستقامت الامور فيها نسبيا وتفرغ سيف الدولة للجهاد ، ورد على غزو الروم الذين استغلوا ظروف الشام اثر الصراع الحمداني الاخشيدي في عام ٣٣٣هـ فقام الدمستق وغزا في جيش عظيم واوقع باهل بغراس ومرعش واكثر من القتل والاسر والتخريب(٢٣٦)، ورد سيف الدولة على الدمستق بغزوة في الثغور واوقع بجيشه ، وخلص أسرى المسلمين ورجع بعد تحقيق هذا النصر ليجد الجيش الاخشيدي على ابواب حلب .

وفي ذي الحجة من عام ٣٣٤هـ (أوفى سنة ٣٣٥هـ) مات الاخشيد بدمشق ، وتولى الأمر بعده ابنه انوجور ، واستولى على الأمر كله كافور فغلب على ابي القاسم واستضعفه ، وتفرد بالولاية(٢٣٧).

وبعد ان يترك كافور دمشق ناقلاً رفات سيده ، فتخلو من قوة تحميها ، فحدثت بها الفتنه حيث قام الاحداث بها ونهبوا خزائن الاخشيديين ، واشتعلت بها النيران واستمرت مشتعله ثلاثة أيام(٢٣٨).

وعلى أثر موت الاخشيد وحدوث الفتنة في دمشق وغياب القوات الاخشيدية ، قام سيف الدولة مستغلا هذا الظرف ، فنقض الاتفاق واتجه على رأس قوة عسكرية الى دمشق فدخلها عنوة ، بعد ان استسلم حاكمها الاخشيدي في صفر سنة ٣٣٥هـ وتوجه منها الى مدينة الرملة وامتلكها ايضا(٢٣٩)، وراودته نفسه بعد ذلك بالتوجه الى مصر(٢٤٠).

وكما قلنا كان سيف الدولة يحلم لتوحيد المنطقة والسيطرة عليها كلها وجعلها أمارة مستقلة خاضعه لنفوذه ولهذا فقد طمع بدمشق عندما شاهدها ، فبينما كان

سيف الدولة يسير مع الشريف العقيلي بنواحي دمشق ، طمع في غوطتها وقال له «ما تصلح هذه الغوطة الا لرجل واحد فقال له العقيلي هي لأقوام كثيرة فقال سيف الدولة لئن اخذتها القوانين السلطانية ليتبرؤون منها»[٢٤١]، وقد نقل الشريف العقيلي لمسامع أهل دمشق هذا الحديث الذي زاد في رهبتهم من سيف الدولة ، وعندما بدأ هذا يلح في مطالبتهم بودائع الاخشيد وتركته ، فما كان منهم الا ان راسلوا كافور وطالبوه بالعودة فجاءهم وبرفقته انوجور[٢٤٢].

وعلى اثر قدوم الاخشيد الى الشام خرج سيف الدولة وعسكر في منطقة اللجون[٢٤٣]، واقام أياما في مواجهة الجيش الاخشيدي ، وفي موقع يعرف «بأكسال»[٢٤٤]، واثناء تفرق عسكر سيف الدولة في القرى بحثا عن العلف والقوت داهمتهم القوات الاخشيدية فتصدى لهم سيف الدولة وقتل من اصحابه وأسر الكثير ، وانهزم الى دمشق واخذ منها والدته وأهله ومتاعه ، دون ان يعلم به أحد من سكانها ، وكان ذلك في جمادى الاخره سنه ٣٣٥هـ[٢٤٥]، فقصد بعد ذلك الى حمص وفيها جمع جموعا لم تجتمع له قط من بني نمير وعقيل وكلاب وغيرهم وسار بها ومن لحقه من قواته نحو دمشق حيث كانت قد وصلتها العساكر الاخشيدية وبالقرب من دمشق في منطقة تدعى عذرا التقت القوتان ورغم ان النصر كان أولا للقوات الحمدانية ، غير أنهم خسروا الجولة الثانية وتفرقت جموعهم فانزلت بهم القوات الاخشيدية وتقهقر سيف الدولة الى حلب وتبعه كافور فاتجه الى الرقة وعسكر فيها[٢٤٦]، وبعد المعركة انحاز يانس المؤنس من الصفوف الحمدانية تاركا سيف الدولة واتجه الى انطاكية[٢٤٧].

لاشك أن الحمدانيين وموقفهم هذا دفع كافور للبحث عن اسلوب يحقق به استقرار الامور ليتفرغ لمشاكله الداخلية في مصر والشام ، وبطريقة تضمن ايقاف المد الحمداني واطماعهم ، فاتفق رأيه مع آراء مساعديه على تعيين وال قوي في حلب يتمكن من السيطرة على المنطقة ، ويعلم بأمورها ، وعلى أن يكون من المعارضين للحمدانيين ، ولذلك قرر استدعاء يانس المؤنس من انطاكية الذي تمرد على سيف الدولة بعد معركة عذرا وتمت توليته على حلب ، فضمن هذا لهم بأن يقوم في وجه سيف الدولة ، وقدم لهم ولده رهينة لذلك واتفقوا على هذا[٢٤٨].

وما ان يتسلم يانس المؤنس حلب حتى يداهمه سيف الدولة بعد شهر واحد في ربيع الاخر سنة ٣٣٦هـ ، ولم يتمكن هذا من مواجهته فيهرب الى سرمين محاولا اللحاق بالقوات الاخشيديه ، غير ان سيف الدولة يقطع عليه طريقه ويرسل له قوة على رأسها ابراهيم بن البارد العقيلي ادركته باحدى قرى حلب وفي ذاديخ غير اتجاهه تاركا عياله وأولاده قاصدا اخاه بميافارقين(٢٤٩).

وفي هذه الفترة ترددت الرسل وظهرت بوادر اللقاء بين الطرفين حتى توصلوا الى عقد معاهدة تقوم على نفس الأسس والشروط السابقة لمعاهدة سنة ٣٣٤هـ غير انها اسقطت منها الجزية فلم يقبل كافور بدفعها(٢٥٠).

وأستقرت بعد ذلك احوال بلاد الشام بعد معاهدة سنة ٣٣٦هـ وعاد كافور وانوجور الى مصر ، اما سيف الدولة فقد استقر في حلب واتجه بعد ذلك لينظم اموره الداخليه ، فقام وقلد ابا فراس الحمداني ابن عمه منبج وأعمالها(٢٥١).

وشرع في بناء قصره العظيم بالحلبه وهي محله من ضواحي حلب من جهة الغرب صحيحة الهواء وحسنه التربة وتغمرها المياه وتكثر بها اشجار الكروم ، كما أقام واشاد ميدانا كبيرا للسباق .

وساد الهدوء المشحون بعدم الثقة بين الحمدانيين والاخشيديين في المنطقة ، ولم نسمع عن تحرك الحمدانيين بقصد التوسع في جنوب بلاد الشام بعد ذلك وساعد هذا التفرغ سيف الدولة في تصديه لتحركات الروم البرية واشتبك معهم في معارك كثيرة ، والتزم معهم في اكثر الاحيان جانب الهجوم ، ويقال انه غزاهم اكثر من اربعين غزوه انتصر في بعضها وهزم في البعض الآخر(٢٥٢). وامر ان يجمع الغبار الذي اصابه في غزواته ويصنع منه لبنه اتت بحجم الكف واوصى ان يوضع خده عليها في لحده .

كما انه دعم الثغور بالمحاربين وانشأ الحصون الجديدة وجدد بناءها القديم وكثيرا ما كان بناء الحصن الواحد يكلفه معركة داميه مع الاعداء الذين كانوا يعتبرون كل لبنه بمثابة خنجر موجه الى قلب امبراطوريتهم(٢٥٣).

وكان وجود سيف الدولة وقيام دولته ضروره من ضرورات العالم الاسلامي جاء قيامها في وقت كانت الدولة العربية الاسلامية بأمس الحاجة الى قوة فتيه تدافع عن حدودها في هذا الثغر الخطير ، في الوقت الذي كانت الدولة العباسية مشغولة باحداثها الداخلية في عصر نفوذ الاتراك ، ثم في عهد امرة الامراء(٢٥٤)، فتميز عهده بحروبه مع البيزنطيين ، وبذل اقصى جهده في حماية الثغور الاسلامية(٢٥٥)، والدفاع عن الارض العربية والتصدي لاطماع اكبر دولة استعماريه في ذلك الوقت .

وفي نهاية أيام سيف الدولة وبعد سنة ٣٥١هـ دب الوهن في جسم الدولة ، وازداد الأمر سوءاً بمرضه ووفاته في سنة ٣٥٦هـ ، فاجتاح البيزنطيون الثغور وشمال الشام وساحله وبعض المدن الوسطى منه ، ولم يتوان الاخشيديون عن اداء واجبهم فلبوا في عام ٣٥١ هـ نداء سيف الدولة وأرسلوا قوة من دمشق على رأسها ظالم بن السلال العقيلي(٢٥٦)، وكان لتعاون الشام ومصر في هذه الفترة من الاسباب التي دفعت نقفور فوكاس الى ترك المنطقة(٢٥٧)، بعد ان دوخها محاولا تحطيم اسطورة سيف الدولة في حلب .

وكان هذا الوضع في الشام وما وصل بالحمدانيين بعد وفاة سيف الدولة وكافور الاخشيدي في مصر ، وعجز الحمدانيين والاخشيديين عن الوقوف امام الخطر الخارجي وما اصاب البلدين من وهن ، كل ذلك كان من الأسباب الهامة التي استوجبت بالضرورة قيام قوة للتصدي لهذه الاخطار وتعمل لانهاء المحنة في البلدين ، فكان ان ظهر الفاطميون وفتحوا مصر والشام ، وهكذا كانت الضرورات الاستراتيجية في المنطقة تفرض قيام قوة توحد جهود الشام ومصر لتعيد لهما اعتبارهما وليأخذا دورهما في مسيرة الجهاد العربي والاسلامي الذي انحسر نتيجة لعوامل كثيرة .

☆☆

٣ - «نهاية الدولة الاخشيدية ودور الشام في ذلك»

١ - الوضع العام في مصر بعد الاخشيد :

بعد وفاة محمد بن طغج الاخشيد اشتد التنافس على تولي الحكم في مصر الى ان توصلوا بجهود ابي بكر محمد بن علي الماذرائي ودبلوماسيته للاتفاق اخيرا على تنصيب انوجور والالتزام بعهدهم لأبيه[٢٥٨].

ولقد كان الاخشيد يخشى ان يسيطر اخوه أبو المظفر الحسن بن طغج ويستأثر بالأمر لمكانته ودوره في تثبيت الحكم الاخشيدي ، ولهذا آثر الاخشيد ان يكون غلامه كافور قائما ووصيا على اولاده دون عمهما الحسن[٢٥٩]، وهذا ما جعلنا نقول ان الاخشيد وضع بنفسه أسس الانقسام في البيت الاخشيدي واعطى كافور الفرصة لكي يسير زمام الامور ، ويستطعم لذة السلطة ، وينفرد بها بعد أن اصبح وصيا على وال صغير لم يتجاوز بعد الرابعة عشرة من عمره .

وفي الوقت الذي بقي الاسم والدست فقط لأبي القاسم انوجور استبد كافور بكل شيء ، وحدد لانوجور مبلغا من المال قدر بأربعة الاف دينار[٢٦٠]. واحتوى كافور على الاموال وانفرد بتدبير الجيوش واخذ الاملاك ، ولم يتمكن انوجور واعوانه رغم تمردهم من الوصول الى نتيجة تذكر الا تضييق الخناق عليهم حتى كانت سنة ٣٤٩ هـ وافت انوجور منيته واتهم كافور بدس السم له[٢٦١].

وقام كافور باتفاق مع اعوانه بتنصيب علي بن الاخشيد على مصر ولم يكن هذا باكثر حظا من أخيه رغم انه كان عند ولايته الحكم في الثالثة والعشرين من عمره ، وزادت علاقته سوءا بكافور الذي شدد عليه واصبح اسيره ومنع الناس من الاجتماع به ، ولم يتخلص من استبداد كافور الا بموته في سنة ٣٥٥ هـ واتهم كافور بذلك أيضا[٢٦٢].

وبعد موت علي بن الاخشيد في المحرم سنة ٣٥٥ هـ وصلت الفوضى لمرحلة بقيت فيها مصر بغير وال ولا أمير ولم يذكر في الخطبة الا اسم الخليفة العباسي المطيع ، ويعود ذلك لموقف كافور الذي لم يسمح بتنصيب أحمد بن علي بن الاخشيد متذرعا بصغر سنه وقام واستأثر بالسلطة وتحققت رغبته في حكم البلاد واحتفظ لنفسه بلقب الاستاذ(٢٦٣)،ورغم انه لم يكن صاحب الحق الشرعي ، فهو ليس من أسرة الاخشيد ، الا ان الخليفة العباسي لم يعترض على انفراده بالحكم . وساءت الاوضاع الداخلية في مصر بسبب الضغط الفاطمي وانصارهم وخروج بعض الخارجين على كافور كفاتك الرومي (ابو شجاع) في الفيوم وهو الذي مدحه الشاعر المتنبي(٢٦٤) وهجوم ملك النوبة على أسوان وأخميم وما أثاره من رعب وقتل(٢٦٥)، ووقوع مصر في شدة عظمى بدأت منذ عام ٣٥٣ هـ واستمرت تسع سنوات ، وتزايد الغلاء وقلت مياه النيل فارتفعت الاسعار وعز (وجود القمح) ورافق ذلك وباء عظيم ، وزادت الشدة في سنة ٣٥٧ هـ وهلك الكثيرون من الناس وأكلوا الميتة والجيف(٢٦٦).

ورغم هذه الخطوب فقد حافظ كافور على وجود الدولة وعمل على تأخير الفتح الفاطمي ، ويشهد بذلك ان دعاة المعز في مصر كانوا يكتبون له قائلين «اذا زال الحجر الاسود ـ يعنون كافور ـ ملك مولانا المعز لدين الله الارض كلها وبيننا وبينكم الحجر الأسود(٢٦٧).

وبعد وفاة كافور في سنة ٣٥٧ هـ(٢٦٨)اجتمع الرأي على تولية أحمد بن علي الاخشيد في جمادى الاول من هذا العام وعمره لم يناهز الاحد عشرة سنة .

وأصبح الحسن بن عبيد الله بن طغج وصيا عليه وعين أبا الفضل جعفر بن الفرات وزيرا له لتسيير الامور المالية ، واسند لشمول الاخشيدي أمر تدبير العساكر(٢٦٩).

وهكذا تعددت المراكز في الدولة وزادت سلطة الوزير واساء التصرف والسيرة ، وقبض على جماعة من أعيان الدولة والبلد وصادرهم فهرب منهم الكثير وعلى

رأسهم يعقوب بن كلس الى المغرب ، وكانوا من اهم الاسباب التي عجلت بحركة المعز وارسال قائده جوهر الى مصر(٢٧٠) كما اضطربت البلد اثر قيام الجند مطالبين بارزاقهم ، وعجز الوزير عن ذلك وهرب منهم فقاموا ونهبوا داره ودار حاشيته ، ولم يرض الاخشيديون ان يكون شمول مدبرا لهم وأصبح كل منهم يسمي نفسه أميرا ، وكثر حسد بعضهم لبعض ، وأقدم جماعة منهم على مخاطبة المعز الفاطمي ، يستدعونـه ليتسلم مصر ، وضمنوا له المعونة والمساعدة على ان يملك البلد بغير حرب(٢٧١) ولا قتال .

وأصاب الناس اليأس والخوف ، ولاقت القوات الاخشيدية الهزيمة بقيادة الحسن بن عبيد الله بن طغج في الشام على يد القرامطة في سنة ٣٥٧ هـ(٢٧٢) فقدم هذا الى مصر ، وقبض على الوزير أبي الفضل لسوء سلوكه وشكوى الجند منه وقام بتعذيبه وأخذ يصرف الامور بنفسه لفترة الى ان اعاده الوزير ثانية . وسار الحسن بن عبيد الله بن طغج من مصر الى الشام وما ان يترك مصر حتى تدخلها الطلائع الفاطمية(٢٧٣)، وتنهي السيادة الاخشيدية عليها وتلاحقه الى بلاد الشام وتوقع به الهزيمة كما سنرى .

٢ ـ أهم الأحداث السياسية في الشام وأثرها على الحكم الاخشيدي :

يعتبر تاريخ محمد بن طغج تاريخ الدولة الاخشيدية فلقد كان قيام الدولة واستمرارها يعود لجهوده الشخصية ، وللقوة الكبيرة التي اوجدها بسيطرته على مصر والشام ، غير أن السيادة الاخشيدية تعرضت لاخطار كثيرة أثارتها القوى المتعددة والطامحة فيها التي تستند لعطف العباسيين وتأييدهم ، فأدى هذا الى اضعاف النفوذ الاخشيدي وبالتالي اجهاض الحركة التي قام بها الاخشيديون في البلدين . ولقد بدأ التمرد على الحكم الاخشيدي في الشام عشية وفاة ابن طغج رغم ان سياسته كان فيها الكثير من الايجابية واتسمت في بعض جوانبها بالمعاملة الحسنة للعامة من الرعايا(٢٧٤).

ويبدو ان سياسة الاخشيد التي اتبعها حيال الاغنياء واصحاب الثروة وملاحقتهم بمصادرتهم بين الحين والاخر ، متذرعا بأسباب كثيرة اوقعته في نقمة الطبقة الغنية واصحاب رؤوس الاموال ، كما كان لموقف القوى الكثيرة التي شاركت الاخشيدية أطماعها في الشام أمثال ابن رائق والحمدانيين والقرامطة وبعض رؤساء القبائل العربية وشيوخها اثر كبير في عدم استقرار الامور للاخشيديين في الشام فقامت بالكثير من الحركات التي اضعفت من حكمهم في الشام . وأهم هذه الحركات(٢٧٥):

(آ) حركة قبائل بني كلاب في المعرة :

ففي سنة ٣٢٥ هـ وعندما كان الاخشيد يقوم بتثبيت دعائمه في مصر والشام قام باسناد أمر حلب الى أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي ، وفي ولاية أبي العباس هذا وردت قبائل بني كلاب الى الشام من أرض نجد وداهمت معرة النعمان وأثارت الفوضى والشغب فخرج لهم والي المعرة معاذ بن سعيد وتبعهم الى البراغيش فعطفوا عليه وأسروه وقاموا بتعذيبه ، فخرج اليهم أبو العباس أحمد الكلابي والي حلب وهاجمهم وخلصه منهم(٢٧٦).

(ب) الفتنة في دمشق بعد وفاة الاخشيد :

وفي سنة ٣٣٤ هـ وعندما مات الاخشيد(٢٧٧)، قامت الفتنة بدمشق وأقدم العامة والاحداث على نهب خزائنه ، لكن ايديهم لم تصل لجميع الاموال لان الاخشيد كان يأمر بوضعها في أكياس من الامتعة لا تلفت الانتباه وأثناء الفتنة قام كافور ورمى هذه الاكياس ، فظلت الاموال فيها بعيدة عن السلب حتى استقرت الامور وهدأت الحركة(٢٧٨)، التي أشعل الثوار فيها النار في دمشق واستمرت زهاء ثلاثة أيام . وكانت هذه الفتنة سببا في تأخير اجراءات نقل الاخشيد ودفنه في بيت المقدس ، كما أنها كانت من العوامل الهامة التي ساهمت في الاسراع لانهاء الأزمة التي نشأت في مصر للصراع على ولاية العهد فانتهزها الماذرائي وتمكن بسلوكه ان يثبت انوجور على امره البلاد ويحقق له بيعة أبيه التي أقرتها الخلافة العباسية(٢٧٩).

(جـ) حركة المهلهل العقيلي :

وفي سنة ٣٣٤ هـ قام المهلهل العقيلي في جنوب بلاد الشام وفي منطقة طبريا ، فتصدى له واليها الاخشيدي شعلة بن بدر الامير أبو العباس الاخشيدي ، الذي كان قد ولي أمرة دمشق من قبل ابي القاسم انوجور بن الاخشيد واشتهر هذا بالبطولة والشجاعة حتى قتل في حروبه هذه مع هذا الثائر في طبرية في هذه السنة(٢٨٠).

(د) حركة شبيب بن جرير في عمان :

وفي سنة ٣٤٨ هـ ثار شبيب العقيلي على كافور ، وكان هذا واليا على امارة منطقة عمان والبلقاء وما بينهما من قبل كافور الاخشيدي وأخذ هذا يعمل لنفسه مستفيدا من الاحوال السياسية العامة وتشجيعها لتمرده ، ولما علت منزلته ، وكثر اتباعه واشتدت شوكته أقام وجمع الاعراب من حوله واعلن عصيانه على الكافورية في مصر ، ولم يكتف بذلك بل حرك قواته متجها الى دمشق على رأس قوة تقدر بعشرة الاف مقاتل طامعا في الاستيلاء عليها ، وعندما وصلها استأمن له الكثير وانضموا لجموعه ، الا أن سكان المدينة قاتلوه وتصدوا له مع القوات الاخشيدية وأوصدوا أبوابها دونه ولم يمكنوه من تحقيق مطامعه وامتلاكها حيث قتل على أبوابها وانهزم أصحابه(٢٨١).

(هـ) خروج السلمي في الشراة :

وفي سنة ٣٥٢ هـ خرج في برية الشراة خارجي من بني سليم يدعى محمد بن أحمد السلمي ، وانضم تحت لوائه العديد من العرب ومن غيرهم ممن طمعوا في السلطة وغيرها ، ولما قوي أمره وكثرت جموعه ، أبلغ كافور بحقيقة أمره وكان اذ ذاك في دمشق وحرصا منه على انهاء الفتنة خشية انتشارها ، فقام وجهز له العساكر وأصدر لهم أوامره بأن لا يبتدئوه القتال ، حتى طال انتظارهم ، فقام رجل من الاعراب وهو ثمال الخفاجي من افراد بني عقيل وحسم الموقف وفاجأ

السلمي وأسره وقاده الى مصر ، وهناك شهر به واعتقل لفترة حيث أخلي سبيله فيما بعد[٢٨٢].

(و) ثورة أهل عمان :

وفي سنة ٣٥٤ هـ اضطربت الاحوال في عمان وحدثت الفتنة بها وقتلوا أميرهم يوسف بن وجيه ، ونصبوا عليها أحد مواليه (نافع) فملك البلد ، وأعلن هذا دخوله في طاعة معز الدولة البويهي وخطب له وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، ولم يلبث ان تركه الجند فقام أهل عمان وأخرجوه من مدينتهم وأدخلوا القرامطة الهجريين اليها الى ان قدمت قوات معز الدولة ودخلتها وقتلت من أهلها مقتلة كبيرة[٢٨٣] في ذي الحجة من السنة التالية .

(ز) خروج بني سليم على طريق الحج :

وفي سنة ٣٥٥ خرجت بنو سليم وقطعت الطريق على القوافل الحاجة من مصر والشام وغيرها وكانت هذه القافلة تضم الاعداد الهائلة والجموع الكبيرة والكثيرين من الذين فروا امام الغزو البيزنطي[٢٨٤]، قاصدين مكة حاملين أموالهم وأمتعتهم ليتجهوا منها الى العراق ، فداهمتهم أعراب بني سليم فأخذوا وسلبوا ما كان معهم وقتلوا الكثيرين منهم ولم يسلم منهم الا القليل ، وهلك البعض في البرية والصحراء[٢٨٥]، وبهذا ما فيه من فوضى وخوف الناس وعدم ثقتهم بالبقاء في الثغور الشامية او الالتجاء الى الشام ومصر ، والتوجه الى العراق ليبتعدوا عن الفوضى والوطن الذي أصبح غير قادر على حمايتهم وتأمينهم .

(ح) تمرد أهالي طرابلس على الوالي الاخشيدي :

كما شهدت طرابلس الشام في سنة ٣٥٨ هـ خروجا على الحكم الاخشيدي وهذه المدينة كانت تتبع في اكثر الاحيان لوالي مدينة دمشق حيث يقوم بتعيين أحد أتباعه حاكما عليها ، وفي هذه السنة كان يتولى أمرها من قبل عامل دمشق

الاخشيدي ، وال اسمه ابو الحسن أحمد بن تحرير الارغلي ، ويظهر ان هذا الوالي كان حاكما مستبدا وظالما عامل الاهالي بالقسوة والبطش فاقدم اهلها على طرده واخراجه من مدينتهم لجوره ، وانهزم الارغلي وتحصن باحدى قلاعها في عرقه ، وأقام بها وأصبح أهل طرابلس بلا أمير أو وال في هذه السنة(٢٨٦). في هذه اللحظات كان نقفور ملك الروم قد وصل الى طرابلس ولهذا لا نستغرب ان يحقق هذا انتصاراته نظرا للوضع الشائن لهذه المنطقة فحاصر عرقه معقل الامير المخلوع وبعد تسعة أيام فتح حصنها وأسر الأرغلي واستولى على جميع أمواله(٢٨٧).

(ط) تمرد والي بيت المقدس على سلطة كافور وتعرض كنيسة القيامة للنهب :

في سنة ٣٥٥ هـ كان على بيت المقدس وال من قبل الاخشيديين هو محمد بن اسماعيل الصناجي وقد وصف هذا بالطمع حيث اخذ يتطاول على بطريق القدس ويطالبه بالاموال حتى شعر هذا بالغبن الشديد ، فاضطر أخيرا للتوجه الى مصر وقصد كافور الاخشيدي الذي تفهم القضية وكتب الى والي دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج يأمره بتسوية الموضوع وانصاف البطريق ومنع الصناجي عن مضايقته وغل يده عنه وعن غيره ، فقام الحسن بدوره وخاطب أمير بيت المقدس وأرسل قوة عسكرية تحت قيادة أحد عناصره يعرف بتكين كانت مهمته حماية البطريق والنصارى والوقوف بوجه الصناجى ومنعه من اضطهادهم(٢٨٨).

غير ان هذا الاجراء لم يمنع من حدوث الفتنة فقد تضايق الصناجي لهذه الشكوى وعندما طلب البطريق اليه وأمنه امتنع هذا من الامتثال لاستيائه منه وعدم تنفيذه لأوامر كافور والحسن في دمشق والتجأ إلى تكين محتمياً به ، فما كان من الصناجي الا ان قام بجمع الاتباع من عشيرته وانصاره ، وقبض على تكين وجنوده ، وهاجم كنيسة القيامة أثر اعتصام البطريق فيها وهاجت العامة وأحرق بعض أبوابها وسقطت قبة القيامة ، ودخلت الجموع الكنيسة ونهبوها وقتل البطريق(٢٨٩)، واستغل اليهود الفتنة فاقدموا على القتل والتخريب وزادوا الطين بلة ، وقتلوا اكثر مما قتله المسلمون(٢٩٠).

وعين بعد ذلك بطريرك آخر من أهل قيسارية اسمه حبيب ويدعى خريصطودلس فقام بترميم ما خرب من كنيسة القيامة[٢٩١].

ويجب الا نستغرب مثل هذه الحوادث اذا تذكرنا بما كان يقوم به الروم ضد المسلمين في الثغور وبما كانوا يرتكبونه من جرائم وأعمال شنيعة تعدت امكانية الوصف ولهذا لا يستبعد ان تقوم مثل هذه الحوادث في هذا الوضع المتدهور سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

٤ ـ وضع الاقاليم الشامية التي كانت خاضعة لدولة سيف الدولة الحمداني :

أما المناطق الشامية التي كانت واقعة تحت النفوذ الحمداني ، فلم تخل ايضا من المشاكل والاضرابات ، فشهدت تحركات بعض القبائل العربية ، وعصيان الموالي الحمدانيين على أسيادهم ، وثورات بعض أفراد أسرة الحمدانيين على عميد الاسرة سيف الدولة وابنائه من بعده ، وأخيرا ونتيجة لما سبق فقد تعرضت ممتلكات سيف الدولة لغزو الروم البيزنطيين المركز في نهاية حكمه واستمرت عملياتهم الارهابية العسكرية حتى أصبحت الشام كلها تقريبا في حكم التبعية لهم كما سنرى .

ولن ندخل في تفاصيل هذه الاحداث وانما سنحاول اعطاء صورة عامة لما آل اليه الوضع في هذه الاقاليم الشمالية قبيل نهاية الاخشيديين والفتح الفاطمي لمصر والشام . ومن هذه الاحداث العامة :

(آ) حركات القبائل العربية :

كانت على رأس القبائل التي خالفت سيف الدولة ونصبته العداء قبائل بني كلاب ، وكان سيف الدولة قد اصطنعهم وقربهم منه وأمن اكثرهم ، فتمادى هؤلاء وزادت سلطاتهم وأخذوا يبطشون ويضطهدون بعض القبائل العربية حتى علت

مكانتهم وتمردوا على سيف الدولة بنواحي بالس سنة ٣٤٣ هـ فتوجه اليهم وأوقع بهم وملك حريمهم وأموالهم(٢٩٢). ثم ما لبث ان صفح عنهم وكرم الحريم وأوكل لهن من يقوم بخدمتهن .

كما اوقع سيف الدولة ببني عقيل ، وقشير وبني العجلان وبني كلاب وأولاد كعب وعلى رأسهم جميعا قبائل عامر بن صعصعه حيث قاموا ونشروا الفوضى في ممتلكاته وخالفوا(٢٩٣)أمره. وقابل سيف الدولة تجمعهم في الشام الذين اتفقوا عليه وهاجموا قنسرين في سنة ٣٤٤ هـ وقتلوا الصباح بن عمارة واليه عليها(٢٩٤)، مستغلين انشغاله مع الروم ، وما أن ينهي سيف الدولة مشاكله حتى يقوم ويوجه لهم قوة كبيرة بهذه السنة حتى أجبر أكثرهم للرضوخ لطاعته ، وهاجم تجمعات من تبقى منهم وتبعهم الى تدمر حتى تفرقت جموعهم وقضى على تحالفاتهم وهلك منهم الكثير .

(ب) حركة المبرقع القرمطي :

وقد ظهر في عهد سيف الدولة وفي سنة ٣٣٦ هـ رجل من القرامطة يعرف بالمبرقع(٢٩٥)، حيث دعا الناس الى نفسه في بادية السماوه والتفت عليه القبائل العربية منها طيء ، وكلب ، وافتتح مدائن أطراف الشام وأسر تغلب بني داوود ابن عم سيف الدولة وخليفته على حمص ، فسار اليه سيف الدولة من حلب ولحقه بنواحي دمشق وقتله كما وضع السيف في اصحابه وعاد سيف الدولة ومعه ابو وائل ورأس الخارجي هذا على رمح(٢٩٦).

(جـ) الجبهة الداخلية الحمدانية :

كما شهدت الجبهة الداخلية خروجا على السلطة ، فخرج بعض موالي الحمدانيين على أسيادهم ونشر هؤلاء الفوضى ، فاضطروهم لخوض القتال ضدهم ، ففي سنة ٣٥٣ هـ عصا نجا (غلام سيف الدولة) ونشر الفوضى في

حران وفرض على أهلها الضرائب والاتاوات وتركها عرضة لنهب العيارين بغير أمير وتوجه منها الى أرمينيه واستولى على قلاع ابن الورد[٢٩٧] والمناطق التابعة له كخلاط وملاذكرد وموشي ، وقتله وحصل له منها ومن حران على اموال كثيرة جرأته على التمادي في عصيانه ، فقرر سيف الدولة الخلاص منه ولاحقه واستعاد كافة المناطق منه ، فاستأمن أكثر عناصره لابن حمدان ، ولاطفه سيف الدولة الى ان رجع اليه فأكرمه وأعاده الى مركزه ، غير ان خدم سيف الدولة وثبوا عليه وقتلوه في ميافارقين في داره سنة ٣٥٣ هـ[٢٩٨] .

وفي سنة ٣٥٤ خالف سيف الدولة أحد اتباعه في انطاكية وهو رشيق النسيمي[٢٩٩]، الذي كان يتولى امرة طرسوس ، وعلى اثر تزعزع الثقة في الحمدانيين نتيجة للانتصارات البيزنطية التجأ هذا الى انطاكية ، وهناك التقى بابن الاهوازي وكان هذا يقوم بالتزام الاموال فيها فاغواه هذا وأعطاه ما عنده من المال ، وقطعا الخطبة لسيف الدولة فيها ، كما قام ابن الاهوازي واظهر كتابا كتبه له ، مدعيا ان الخليفة العباسي قلده أعمال سيف الدولة[٣٠٠].

واستغل (رشيق) وجود سيف الدولة بميافارقين فهاجم حلب وجرت بينه وبين حاكمها قرعويه حروب كثيرة الى أن قدمت نجدات سيف الدولة وانهزم رشيق عنها ، وأثناء ذلك سقط عن فرسه فتصدى له فارس عربي وقتله وحمل رأسه الى قرعويه ، ولاحقت قوات سيف الدولة الاهوازي الذي نصب رجلا آخر يعرف بدزبر حتى تمكنت من أسرهم فقتلت دزبر ، وسجن الاهوازي[٣٠١] .

وفي سنة ٣٥٦ هـ تنتهي حياة الامير العربي سيف الدولة ، وبموته يحل الضعف في الدولة الحمدانية ، ويقوم بالأمر الحجاب والخدم أمثال قرعويه غلام سيف الدولة[٣٠٢]. وتعم الفوضى ، وفي اثناء الغزو البيزنطي وحصارهم لحلب وفي الوقت الذي يقتضي فيه جمع الجهود لتناسي الاحقاد ونبذ المصالح الخاصة يتآمر قرعويه على سعد الدولة ويخرجه من حلب ويسقط له الدعاء مستبدا بالامر فيها[٣٠٣]، كما يقوم سعد الدولة ويأمر بقتل قريبه الفارس العربي أبي فراس عندما

أراد التحصن في حمص بعد ما آلت اليه الأمور من فوضى الموالي وتسلطهم ، وهكذا اصبحت حلب منذ اللحظات الأولى لوفاة سيف الدولة يخيم عليها الاضطراب وأخذت بعد عام ٣٥٧ هـ تتأرجح في ولائها بين البيزنطيين والعباسيين والفاطميين ، وعجز الحمدانيون من التصدي للبيزنطيين وابعادهم عنها وعن غيرها من المناطق الاخرى في الثغور .

٥ ـ غارات البيزنطيين على الثغور :

كان لموقف سيف الدولة الحمداني العسكري ضد الروم وخططه الحربية وابتكاره نظام الفدائيين(٣٠٤)، وتصديه الجريء لتحركاتهم والتزامه معهم في أكثر الأوقات جانب الهجوم أكبر الأثر في وقف تيارهم بعد ان جددوا نشاطهم محاولين الاستفادة من الاوضاع السياسية السيئة للدولة العباسية والجبهة الاسلامية المتداعية فقاموا بدفع خيرة قادتهم الى المنطقة العربية . ولولا مجهودات سيف الدولة لاستولوا على بلاد الشام بأسرها في غفلة من العباسيين(٣٠٥).

والحقيقة الثانية هي ان الشام ومصر لم تكونا فعلاً موحدتين في هذه الفترة ، انما تتقاسم السلطة على القطرين دولتان متنافستان الاخشيدية والحمدانية ، وبعد حروب طاحنة بينهما تمّ اقتسام الشام بينهما بموجب معاهدتي سنة ٣٣٤ هـ/٣٣٦ هـ ، كما لم يكن التعاون بينهما وثيقا في مدافعة الروم ، ولو قدر لهذه القوى ان توحد امكانياتها وتستفيد من قدرات مصر والشام مجتمعة ، لما حل بالشام وثغورها ما حدث ولوقفت بيزنطة عاجزة عن تحقيق نصر يذكر ، ففي سنة ٣٥١ هـ ما ان علم نقفور ببوادر اتفاق القوتين وقيام نجدة اخشيدية من دمشق في اتجاه حلب حتى قرر تغيير خطته العسكرية ، وتراجع عن المنطقة بعد أن أنزل بها الدمار(٣٠٦).

ولم يعطهم المجال للقتال المشترك ضده ، ورحل على أمل العودة بعد فترة بقوة تفوق حملته هذه بالعدد والعدة وكان له ذلك(٣٠٧).

أما الحقيقة الثالثة ، فهي ان المنطقة لم تتعرض لهذه النكسات الا نتيجة لتضعضع الجبهات الداخلية في مصر والشام وبسبب الضعف العام الذي نزل بالاخشيديين والذي اوضح في جلاء ان دولتهم في طريقها القريب الى الزوال ، وبعد أن كان الامبراطور البيزنطي يخطب ودها ويطلب رضا ابن طغج ومهادنته[٣٠٨] ، ويكاتبه طالباً الفداء منه دون الخليفة العباسي اعترافا منه بقوته . وشارك الحمدانيون الاخشيديون في محنتهم فاصابهم الوهن والضعف وسيطر عليهم التمزق وبعد مرض سيف الدولة في سنة ٣٥٠[٣٠٩]، ووفاته شهدت دولتهم أسوأ ظروف الانقسام ، وكانت هذه الاوضاع الداخلية من العوامل الهامة التي ساعدت البيزنطيين على تحقيق هذه الانتصارات .

فقد تضايق الروم كثيرا وحل بهم الخوف من الهزائم المتوالية التي اوقعها بهم سيف الدولة في الفترات الأولى من حكمه ، وأثار حقدهم وحفيظتهم أن اميرا لاحد الاقاليم الاسلامية ينزل تلك الهزائم الكثيرة بأكبر امبراطورية ، ولهذا أخذوا يستعدون ويكيدون له محاولين هزيمته بأي طريقة ، ولو كان ذلك غدرا[٣١٠]، واستغلوا ما آلت اليه الأوضاع العامة في نهاية حكمه وشددوا هجماتهم على الجبهة الشرقية أثر النجاح الذي صادفهم في الغرب ، بعد أن آل زمام الامور الداخلية في بيزنطة لاقوى وأشجع أبناء الاسرة المقدونية نقفور فوكاس ، ومن بعده يوحنا تزيمكن[٣١١].

بدأ نقفور بالاغارة على جزيرة كريت ، ونجح في الاستيلاء عليها من المسلمين في سنة ٣٥٠ هـ/٩٦١ م رغم التضحيات الكبيرة التي بذلت للدفاع عنها واعتبر استردادها حدثا هاما أبعد عن بيزنطة شبح الخوف من الاساطيل العربية التي لاقت منها البحرية البيزنطية العذاب والمضايقة[٣١٢]، وعلى أثر ورود الاخبار الى مصر هاج العامة بها وثاروا والحقوا الضرر في بعض الكنائس[٣١٣].

وفي نفس الوقت كانت القوات البيزنطية تحقق بعض الانتصار ضد الحمدانيين واستمرت في حملاتها السنوية على آسيا الصغرى وكان الحظ حليف البيزنطيين فاستولت قواتهم على مرعش وغيرها من الثغور الهامة[٣١٤].

واستمرت الحرب سجالا حتى انضم نقفور بعد انتصاره في كريت الى أخيه ليون في الشرق ، فقويت جبهتهم فيها ، ودفعوا الحمدانيين الى الوراء حتى انتهى الامر بهم بحصار حلب وتركها سيف الدولة لتلقى مصيرها الأسود في سنة ٣٥١ هـ[٣١٥]، وكانت هذه الانتصارات من الاسباب التي رفعت نقفور فوكاس الى العرش الامبراطوري بعد رومانوس الثاني سنة ٣٥٢ هـ ، ٩٦٣ م .

ورسم نقفور فوكاس خططه الحربية على القيام بعمليات عسكرية ضد المسلمين في الثغور وتحطيم قوتهم هناك في المدن الهامة كالمصيصة وطرسوس وغيرها قاصدا بذلك فتح الطريق البري امام بلاد الشام وحماية ظهره من الخلف حيال اي هجوم اسلامي[٣١٦].

بدأ نقفور أعماله العسكرية بهجومه على عين زربه في عام ٣٥٠ هـ ، وتصدى له أهل طرسوس مع واليها رشيق النسيمي ، واظهروا منتهى البطولة ولم يفتحها الا بعد ان قدمت زهاء خمسة الاف شهيد[٣١٧]، وبعد ان اعطى الامان لأهلها ولم يحفظ العهد فأقدم على قتل كل من وجد فيها وهدم سورها[٣١٨]، وتابع نقفور سيره وفتح حولها أكثر من اربعة وخمسين حصنا ، وعندما رحل عنها تابع سيف الدولة اصلاح ما خربه نقفور ووصل عين زربة وأعاد بناء سورها واسترد حصونا كثيرة كدلوك ورعبان ومرعش وهزم البيزنطيين في حصن زياد واستأمن منهم الكثرة من المقاتلين[٣١٩].

وفي سنة ٣٥١ هـ عاد نقفور على رأس قوة كبيرة قدرت بمائتي ألف مقاتل[٣٢٠]، ومجهزة بأتم تجهيز ، وفتح عين زربة التي كانت تعتبر مفتاح الشام ، وتدفقت قواته باتجاه منبج ، وقاتلهم أبو فراس حتى وقع أسيرا فنقل الى القسطنطينية وبقي فيها حتى سنة ٣٥٥ هـ[٣٢١]، وزحفت الجموع الكبيرة الى حلب ، وجرت معارك حربية بينها وبين القوات الحمدانية خارج المدينة ، ولم تكن القوى متكافئة ، ففي الوقت الذي كان قد وصل أرض المعركة أعداد هائلة من الروم يزيد عددهم عن ثلاثين الفا ، وما لبث ان اضطر نقفور امام الضغط الحمداني الى زج قوة ثانية قوامها أربعون الفاً ولم تتجاوز قوات سيف الدولة أربعة

الاف مقاتل ، فاضطر سيف الدولة الى التقهقر الى بالس[٣٢٢]، وبدأ يستعد للقتال ويقوم بتنظيم صفوفه . اما حلب فقد صمد اهلها مدافعين عن مدينتهم بجرأة وعزيمة ولم تفتح الا نتيجة لجهود كثيرة ، وتفشي اللصوص فيها فترك أهلها الدفاع عن حماية سورها والدفاع عنها الى حراسة بيوتهم كما لعبت حيل نقفور ووعوده لوفودها المفاوضة دورا هاما في فتح المدينة وسقوطها[٣٢٣]، ولم تفتح المدينة ابوابها إلا بأسلوب الغدر والخيانة وبالاساليب المعروفة التي استعملت في معظم الحروب الاستعمارية ضد الامة العربية وهكذا دخلت القوات البيزنطية حلب في شهر ذي القعدة سنة ٣٥١ هـ فأباحوا المدينة ، وقاموا على السبي والحريق تسعة ايام ، ولم يرفعوا سيوفهم حتى تعبوا ، وسبوا من الصغار بضعة عشرة الف صبي وصبية ، وحاولوا اقتحام القلعة فقتل منهم على بابها أكثر منماية وخمسين مقاتلا من ضمنهم ابن الشمشقيق وكان قريب نقفور فاستبد به الغيظ وأمر جنوده بقتل الاسرى فقتل منهم اثني عشر الفا من المسلمين[٣٢٤].

كانت خسائر الحمدانيين كثيرة في حلب فقد امر نقفور بهدم قصر سيف الدولة ونهبت الممتلكات والاموال والامتعة والذهب ، وكثر قتل الرجال ، كما خربت معالم المدينة ودمرت واحرقت[٣٢٥]. فأدى ذلك الى ضعف الحمدانيين وفقر سيف الدولة نفسه ، وتضعضعت قواتهم العسكرية ونزل الرعب في نفوس الرعية[٣٢٦]، وظهر في هذه المعركة الحقد الدفين لهؤلاء الغزاة الروم البيزنطيين البرابرة على العرب وتجلى ذلك بدهشتهم لما شاهدوه في حلب وبقصور سيف الدولة من مظاهر حضارية راقية جعلتهم يزدادون حقداً ، ويدمروا كل شيء بيِّن يظهر حضارة الحمدانيين ومدنيتهم .

وعاد نقفور الى بلاده على أمل العودة مرة أخرى الى بلاد الشام ، فقد كان يطلب من الفلاحين في اثناء رحيله ان يزرعوا اراضيهم ليستفيد من محاصيلها اثناء عودته اليهم[٣٢٧].

كان لهذا الحدث الوقع الكبير على عامة المسلمين في كافة ارجاء الدولة العباسية واعلنوا الاضراب العام في الموصل وبغداد ، ووصلت أصداء هذه المعركة الى خراسان فخرج منها نحو خمسة الاف رجل قاصدين الجهاد[٣٢٨].

كما لبت دمشق وواليها الاخشيدي الواجب/فارسلوا نجدة كبيرة الى حلب تحت امرة ظالم بن السلال العقيلي ولم تتمكن من المشاركة بسبب انسحاب نقفور المفاجىء حتى قيل ان انسحابه يعود لاستنجاد سيف الدولة بالاخشيديين وتحرك العقيلي(٣٢٩).

وتمكن نقفور بفترة وجيزة من انتزاع الكثير من القلاع والحصون الاسلامية الهامة كالمارونية وعين زربة ودلوك وأذنة وغيرها(٣٣٠)، وزاد طمعه في بلاد الشام دون أن يجد رادعاً قوياً يقف أمامه ، فانتشرت الفوضى في هذه المناطق ، وقلت الغلات في الثغور ، وعظم الغلاء فهاجر من الثغور في سنة ٣٥٣هـ إلى مدينة الرملة ودمشق حوالي خمسين ألف شخص وانتشر الوباء في المصيصة وطرسوس وأكل الناس الميتة(٣٣١) .

ففي سنة ٣٥٤ هـ ، وكان نقفور قد أصبح امبراطورا ، وعاد الى بلاد الشام اقوى مما كان عليه وهاجم المصيصة ، مستغلا الوضع الاقتصادي المتدهور ولم يستجب لنداء الاهالي الذين طلبوا الصلح بل قصدها وفتحها عنوة ، ووضع السيف في اهلها واخذ من تبقى اسرى الى بيزنطة(٣٣٢)، وتقدم الى طرسوس ورغم انه أمن أهلها فيا أن وصلها حتى أمر اهلها بترك مدينتهم على أن يحمل كل منهم من ماله ومتاعه ما يقدر على حمله ، فخرج قسم كبير منهم الى انطاكية ، كما ركب بعضهم البحر متجها حيث أراد(٣٣٣)، ودخل نقفور المسجد الجامع بطرسوس وجعله اصطبلا لدوابه واحرق المنبر ، ودخل كثير من اهلها في طاعته حتى انه تنصر بعضهم(٣٣٤).

وفي طرسوس خطب نقفور على منبرها وقال «أين انا ؟ فقيل له على منبر طرسوس ، فقال : لا ولكن على منبر بيت المقدس ، وهذه كانت تمنعكم عن ذلك(٣٣٥). وهكذا أفصح نقفور عن نوايا البيزنطيين وأطماعهم التوسعية في المنطقة وأهدافهم التي ترمي لاعادتها الى سيطرتهم ونفوذهم . فقام وأخذ يحصن هذه المناطق لكي يتخذها قواعد انطلاق الى بلاد الشام(٣٣٦).

وفي سنة ٣٥٥ اتجهت أطماع نقفور الى اكتساح بلاد الشام بعد أن تمكن من فتح أهم ثغورها ، فأغار على مدينة آمد ولم يتمكن من فتحها واتجه صوب (دارا) ، وجاور بذلك نصيبين وقصد انطاكية وخرب قراها لعجزه عن فتحها وعاد الى طرسوس(٣٣٧)، ثم عاد وقصد منبج ونزل على بالس وتابع طريقه الى وادي بطنان واسر العديد من اهله ، واتجه الى قنسرين وفتح هناك بعض الحصون ، وأصبح بهذا يهدد انطاكية وحلب ، وعلى هذا الأساس لم يستجب لطلب سيف الدولة الذي رغب في الصلح نظير دفع جزية سنوية لكنه رفض مصرا على اخذ نصف الشام(٣٣٨).

وفي سنة ٣٥٧ هـ كان سيف الدولة قد توفى وانطلق البيزنطيون بحرية في بلاد الشام ، فقام نقفور واجتاح قسما كبيرا من مدن الشام الشمالية والوسطى والساحلية ، فخرج في ذي القعدة في دربند (باب الابواب) وتجاوز انطاكية بأمل العودة اليها . وقصد معرة مصرين من نواحي حلب ، وغدر بأهلها وأسر منهم أربعة الاف وستماية نسمة ، ونزل معرة النعمان وأحرق جامعها ، وهرب الناس امامه الى الحصون ، وقصد كفر طاب وشيزر ودخل بعدها حماه وحمص ، وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق جامعها(٣٣٩)، واتجه بعد ذلك لساحل الشام ودخل طرابلس وفتح حصن عرقه واتجه الى جبلة واللاذقية وضرب من القرى ما لا يحصى وبقي اكثر من شهرين في بلاد الشام(٣٤٠)وعاد بعدها الى انطاكية فصالحه اهلها على دفع مبالغ مالية باهظة(٣٤١).

وزادت الفوضى والاضطراب في هذه السنة فلم يحج احد من الشام ومصر وتعرضت القوافل الاخرى للنهب والسلب(٣٤٢)، كما كان من نتائج هذه الحملة ان استولى نقفور على ثمانية عشر منبرا اسلاميا وعلى عدد كبير من القرى كما أسر الافاً من الاسرى(٣٤٣).

وهذه الحملة على حلب وشمال الشام وغربها والتي استمرت حتى عام ٣٥٨ هـ رسمت بداية النهاية للحمدانيين ودخولهم مرحلة جديدة من التبعية للبيزنطيين .

ولم يهمل الامبراطور نقفور سياسته ازاء الشام وخاصة احلامه تجاه انطاكية فتابع حملاته البرية والبحرية وحالفه الحظ وتوج جهوده بالاستيلاء على انطاكية سنة ٣٥٩ هـ[٣٤٤] التي ضارعت القسطنطينية في شهرتها .

كان لاحتلال انطاكية نتائج هامة على الشام فأصبحت المعقل الامامي والرئيس للبيزنطيين تحاك منها الخطط ضد بلاد الشام لفترة طويلة حتى تمكن المسلمون من فتحها ، كما واتجهت اطماع نقفور اثر سيطرته على انطاكية صوب حلب وهاجمها ، ولم يكن قرعويه الذي اغتصب الحكم في وضع يسمح له بالمقاومة فعقد مع البيزنطيين في صفر سنة ٣٥٩ هـ/ ٩٦٩ م اتفاقية اهدرت بها الكرامة الحمدانية واصبح الحمدانيون في حكم التابعين للبيزنطيين[٣٤٥].

وهكذا آلت الامور في شمال بلاد الشام في الفترة الاخيرة من حياة الدولة الاخشيدية ، وفي الوقت الذي دخلت فيه القوات الفاطمية مصر والشام ، وأصبح من الواضح أن السياسة البيزنطية كانت تعمل على أن تكون الشام كلها تحت نفوذهم ، وذلك بفرض وجودهم بواسطة حكام مسلمين موالين لهم وراغبين في الحكم تحت اشرافهم ، وهكذا ضمنوا نفوذهم على هذه المناطق التي خضعت لهم دون الحاجة الى احتلالها بواسطة عساكرهم[٣٤٦].

وفي هذه الاثناء يبرز دور الفاطميين ويتبنى هؤلاء سياسة الدفاع ضد بيزنطة وفق أسس وقواعد مدروسة ، هدفت الى استعادة ما ضاع من بلاد الشام ، وتفرض وجودها كقوة اسلامية قوية تقوم بدورها في جهاد العدو لتظهر بأنها حامية الاسلام والمدافعة عن مصالح المسلمين من دون الخلافة العباسية المنهارة[٣٤٧] مستندة في تحقيق ذلك الى قوة القطرين الشام ومصر وامكانياتها الكبيرة .

٦ ـ غارات القرامطة على الشام :

عندما توفى سليمان بن الحسن الجنابي (ابو طاهر) في سنة ٣٣١ هـ كان أولاده صغارا فتحرك أخوه سعيد يريد الزعامة وهو الذي عزله الامام عبيد الله

المهدي في سنة ٣٠٥ هـ عن زعامة الدعوة القرمطية وعهد بها لأبي طاهر[٣٤٨]، غير ان الخليفة الفاطمي القائم لم يكن يطمئن اليه فأوصى بضرورة ابعاده عن الحكم ، وأدى ذلك الى انقسام القرامطة الى فريقين ، ابناء سليمان وعلى رأسهم سابور وعمه احمد ومعهم أكثرية زعماء القرامطة وسموا أنفسهم العقدانية (أي أصحاب العقيدة) وكانوا خاضعين للفاطميين واحتفظوا بالولاء لهم وتلقوا التعليمات منهم . والفريق الثاني وعلى رأسه سعد بن الحسن الجنابي الذين انفصلوا عن الفاطميين وكانوا يهدفون للاستقلال التام عنهم وعن غيرهم[٣٤٩].

وعلى هذا الاساس وجد الانقسام بالحركة القرمطية والذي باركته الخلافة العباسية ، وغذته مع القوى الاخرى المسيطرة في بغداد والشام كالبويهيين والحمدانيين ، وقد استمر هذا الصراع الداخلي بين القرامطة طويلا وكان من العوامل التي اجهضت هذه الحركة .

ويبدو انه للجهود التي بذلها محمد بن طغج الاخشيد في الشام ولقوته التي وجدت بفضل القوة التي نشأت من توحيد جهود البلدين في عهده ونتيجة للاحوال الداخلية القرمطية ونزاعهم على السلطة ، كل ذلك قد أدى الى ضعفهم وبالتالي الى توقف حملاتهم العسكرية طيلة عهد ابن طغج الاخشيدي ، حيث لم تزودنا المصادر بشيء من هذا القبيل .

غير ان السيادة الاخشيدية على بلاد الشام تعرضت لخطر هؤلاء القرامطة بعد ان دب الضعف في جسم الدولة الاخشيدية اثر وفاة مؤسسها فقاموا ببعض الحملات العسكرية والغارات المختلفة وأسهموا في زعزعة الثقة بالسلطة الاخشيدية ، والتي عجزت عن الوقوف في وجه تقدمهم في الشام[٣٥٠].

ومن المؤكد ان القرامطة كانوا على علاقة وثيقة بالحمدانيين او بالاحرى فان سيف الدولة الحمداني لعب دورا في التقرب لاحد الفرقاء من القرامطة المتنازعة على السلطة[٣٥١]، وكان يصانعهم في أكثر الاحيان ، كما قام بتقديم بعض الامدادات الكثيرة لهم ووقف بجانبهم وشجعهم على غزو بلاد الشام ضد الاخشيديين[٣٥٢].

ومما يؤكد العلاقات الطيبة بين الحمدانيين والقرامطة ان هؤلاء عندما هاجموا بعض اقاليم الشام لم يتعرضوا لامـلاك الحمدانيين[٣٥٣]، كما أنه في سنة ٣٥٠ هـ كتب القرامطة الى سيف الدولة يطلبون منه أن يمدهم بالحديد اللازم لصنع المعدات العسكرية فقام هذا بحملة كبيرة لجمع الحديد في أنحاء دولته وجمع لهم كل ما يمكنه من الرقة وديار مضر واستمر في ارسال الحديد لهم هدية حتى كتبوا له معلنين اكتفاءهم[٣٥٤].

وبدأ تحرك القرامطة في هذه الفترة يظهر في شكل حملات عسكرية على الشام تظهر بين الحين والآخر وكان أهمها :

في سنة ٣٣٨ هـ أن خرج هؤلاء وانزلوا الرعب في بلاد الشام ، وعلى أثر ذلك توقف ركب الحجاج عن أداء الحج في هذه السنة[٣٥٥]، كما أقدم القرامطة في سنة ٣٣٩ هـ على رد الحجر الاسود الى موضعه في الكعبة وقالوا أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئته بعد أن اعلنوا سابقا «انهم أخذوه بأمر وما نرده الا بأمر»[٣٥٦].

وفي سنة ٣٥٢ هـ اتجه القرامطة في حملة كبيرة الى بلاد الشام وانزلوا بها امورا عظيمة ، وعجزت القوات الاخشيدية عن دفعهم عنها وكانت مصر تعاني من الغلاء والضيق الاقتصادي ومقاومة الفاطميين وقواهم المتطلعة الى مصر[٣٥٧]، في حين تذكر بعض المراجع أن الحملة حدثت في سنة ٣٥٣ هـ وهي الحملة التي عرفت بحملة طبرية وتمكنت بمساعدة الحمدانيين من تحقيق النصر على الحسن بن عبيد الله بن طغج الاخشيدي الذي كان يلي أمرها من قبل الاخشيديين[٣٥٨]».

وفي سنة ٣٥٤ دخل القرامطة مدينة عمان بمساعدة اهلها فتسلموا البلد وكانوا يقومون بها نهارا ويخرجون ليلا الى معسكرهم وكتبوا الى صاحبهم في هجر يعلمونه منتظرين تعليماته ، ورغم انه أنفذ اليهم سرية غير انهم اضطروا لاخلاء البلد لما نزل بهم من قتل واحداث[٣٥٩]» .

وفي هذا العام ايضا تحرك رجل من القرامطة يدعى مروان في منطقة الساحل الشامي وكان هذا من الذين استأمنوا لسيف الدولة وقلده السواحل ، ولما تمكن

فيها سار منها الى حمص وملكها ، وتصدى له «بدر» (أحد غلمان قرعويه) وأوقع بالقرمطي أكثر من مرة وفي احداها رماه بدر بسهم مسموم ثم أسر أصحاب مروان بدرا فقام هذا وقتل أسيره ثم ما لبث ان توفى مروان متأثرا من اصابته بالسهم المسموم بعد أيام[٣٦٠].

وفي سنة ٣٥٧ هـ هاجمت القرامطة بلاد الشام فدخلوا دمشق[٣٦١]وفتحوها وساروا بعدها الى مدينة الرملة وحاربهم الحسن بن عبيد الله بن طغج الاخشيدي ولم يتمكن من صدهم فسقطت الرملة كذلك في أيديهم رغم مقاومة أهلها ، وعندما سقطت استباحها هؤلاء لمدة يومين وسبوا منها عشرة الاف نسمة واتفقوا أخيرا مع أهلها الذين اشتروا حريتهم بدفع مائة وعشرين ألف دينار للقرامطة[٣٦٢] . أما الحسن بن عبيد الله بن طغج فقد اتفق على مصالحتهم بأن يدفع لهم ثلاثمائة ألف دينار سنويا[٣٦٣]، اعترافا بسلطتهم ونفوذهم ، وبذلك أصبحت بلاد الشام التي كانت خاضعة للاخشيديين في نهاية الحكم الاخشيدي وقبيل الفتح الفاطمي تحت النفوذ القرمطي .

وفي الوقت الذي وصل الفاطميون فيه الى مصر وفتحوها كان القرامطة قد ازداد نفوذهم في بلاد الشام ، والمناطق المجاورة لها وفرضوا وجودهم بالمنطقة . ففي سنة ٣٥٨ هـ أرسل القرامطة رسلهم الى بني نمير وغيرهم من القبائل العربية يدعونهم الى طاعتهم فأجابوهم الى ذلك فأخذوا عليهم الايمان والعهود[٣٦٤]، كما أرسل أبو تغلب بن حمدان الى القرامطة بهجر هدايا كثيرة وجميلة قيمتها خمسون الف دينار[٣٦٥].

وهكذا اصبح النفوذ الاخشيدي في حكم الزائل قبيل الفتح الفاطمي ، واقتضت الضرورة وجود قوة تملأ الفراغ الذي تعرضت له المنطقة وتعيدها الى الوضع الطبيعي اللائق بها ، ومن ثم كان فتح الفاطميين للشام بعد ان انتهوا من فتح مصر .

☆☆

حواشي الباب الرابع

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج١١ ص ١٨٤ .
(٢) اتربي ابو العز : المصدر السابق : ص ١٤٩
(٣) أنظر الباب الثالث
(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية ح١ ص ٤١ . - ابن سعيد : المغرب ص ١٩٧ (وخطب له بالحجاز واليمن) .
(٥) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥١
(٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٥١ (هو محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب : كان وجه طبرية ، فكتب الاخشيد الى ابيه طغج يذكر له انه ليس له امر ولا نهى معه فكتب اليه ابوه : أعز نفسك ، فقتله) .
(٧) المصدر السابق : ص ١٥٢ .
(٨) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٢ (بازيار او بازدار ، وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد) - آدم متز : الحضارة : ح ١ ص ٤١
(٩) نفس المصدر السابق والصفحة .
(١٠) ابن سعيد : ص ١٥٢ عمان : بلد في طرف بلاد الشام الجنوبي . جبل الشراة : صقع من اصقاع بلاد الشام (يقع بين دمشق ومكة) . انظر ياقوت : معجم البلدان مادة الشراه ج ٥ ص ٦١/٥٩ . -حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي : ج ٣ ص ١٣٦
(١١) ابن سعيد : المغرب : ص١٥٣ - سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٦٦ وما بعدها
(١٢) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٦٧ - علي ابراهيم جسن : مصر في العصور الوسطى : ص ٩٠ .
(١٣) ابن سعيد : المصدر السابق : ص ١٥٢ .
(١٤) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٦٧ .
(١٥) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٣ . - سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٦٧ .
(١٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٣ .
(١٧) ابو الفداء : المصدر السابق : ج٢ ص ٨٩/٨٨ - ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٣
(١٨) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٦٩ . - امينة بيطار : المرجع السابق : ص ٢٣١ .
(١٩) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٣ .
(٢٠) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٣ .
(٢١) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٣ - علي ابراهيم حسن : المرجع السابق ص ٩٠ .
(٢٢) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٦٩/٦٨
(٢٣) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٥ . - حسين مؤنس : آثار الحضارة المصرية : ٤٠٩ .

(٢٤) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٣/١٥٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٧٠ وما بعدها .
(٢٥) حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية : ص ٤٠٩
(٢٦) الكندي : الولاة : ص ٢٨١ . ـ ابن سعيد : المغرب ص ١٥٦/١٥٧ (يورد أن تعين ابن طغج كان مزورا حدث اثر رشوة علي بن محمد بن كلا لبعض كتاب الخليفة القاهر واشترى تقليدا مزورا ، راجع ما كتبته سيده كاشف عن هذا الموضوع ص ٧٥) .
(٢٧) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٧ . ـ الكندي : الولاة : ص ٢٨٥ .
(٢٨) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٧ . ـ ابن خلدون : المصدر السابق ج٣ : ص ٣٩٧ (ولي الفضل نائبا عنه عن اعمال الموصل وقردى وباريدى وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشامية واجناد الشام وديار مضر يعزل ويولى من يراه في الخرج والمعادن والنفقات والبريد)
(٢٩) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٧٦/٧٧ . ـ امينة بيطار : المرجع السابق : ص ٢٣٣ .
(٣٠) محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ص ٢٥ .
(٣١) ابن سعيد : المغرب ص : ١٥٧ .
(٣٢) مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ، ح٣ ق١ ص ٢٨٧ .
(٣٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٦/١٥٧ .
(٣٤) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٨ .
(٣٥) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٧٨ .
(٣٦) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٣٧) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٨ . ـ سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٧٩ .
(٣٨) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٧٩ .
(٣٩) الكندي : الولاه : ص ٢٨٥ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٨ .
(٤٠) ابو المحاسن : النجوم ج ٣ ص ٢٤٢ . ـ المقريزي : الخطط ج ١ ص ٦٢٠ .
(٤١) د/ كاشف : المرجع السابق : ص ٨٠ .
(٤٢) أبو المحاسن : النجوم : ج ٣ ص ٢٤٢ .
(٤٣) كاشف : المرجع السابق ص ٨٠ .
(٤٤) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٩ .
(٤٥) الكندي : الولاة : ص ٢٨٧ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٥٩/١٦٠ .
(٤٦) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٨١ .
(٤٧) الكندي : الولاة : ص ٢٨٧ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٦١ .
(٤٨) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٨٢ .
(٤٩) الكندي : الولاه : ص ٢٨٨ .

(٥٠) نفس المصدر السابق والصفحة .
(٥١) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص ١١٧ .
(٥٢) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ج ٣ ص ١٣٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٩/٣٧٨ .
(٥٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في مصر : ص ١٢١/١٢٠ . ـ سيده كاشف ؛ المرجع السابق : ص ٣٨٠/٣٧٩ .
(٥٤) الكندي : الولاه : ص ٢٨٨ . ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي: ج ٣ ص ١٣٦ .
(٥٥) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٧٦/٨٥ .
(٥٦) الكندي : الولاه : ص ٢٨٨ .
(٥٧) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٨٦ .
(٥٨) ابن الأثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٥٦ . ـ أبو الفدا : تاريخه : ج ٢ ص ٨٩ . ـ مؤرخ مجهول : العيون والحدائق ج ٤ قسم ١ ص ٢٨٧ .
(٥٩) ابن سعيد : المغرب : ص ١٥١ . ـ كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ١٨٤ .
(٦٠) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩٨ .
(٦١) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٤١ .
(٦٢) ابو المحاسن : المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٥٢ .
(٦٣) سيدة كاشف : المرجع السابق ص ٢٥٧ .
(٦٤) ابن سعيد : المغرب : ص ١٦٠ . ـ المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ١٩٧ .
(٦٥) مصطفى طه بدر : مصر الاسلامية ج ١ ص ٢٣٢ .
(٦٦) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٢٥٨ . ـ مصطفى طه بدر : المرجع السابق : ص ٢٣٢ .
(٦٧) الباب الثالث من هذا البحث .
(٦٨) الباب الثاني من هذا البحث .
(٦٩) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٣ .
(٧٠) ابن سعيد : المغرب : ص ١٦٧ .
(٧١) ابن سعيد : المغرب : ص ١٦٩ .
(٧٢) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي . ج٣ ص ٢٣٥ . ـ حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي ، ص ٤٤١ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٣ .
(٧٣) أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٣٨٥ . ـ أنظر الباب الثاني من هذا البحث .
(٧٤) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ .
(٧٥) ابن خلدون : العبر : ج٣ ص ٤١٧ .
(٧٦) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ . ـ أمينة بيطار : المرجع السابق : ص ٣٨٦ .
(٧٧) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ .

(٧٨) أمينة بيطار : المرجع السابق : ص ٣٨٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ .
(٧٩) الأنطاكي : المصدر السابق : ص ١١٧/١١٦ .
(٨٠) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ .
(٨١) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ١٢٧ وما بعدها .
(٨٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢٥٦ . ـ ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ، ص ٢٨ .
(٨٣) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ١٢٠ .
(٨٤) ابن سعيد : المغرب : ص ١٨٨ .
(٨٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٥٥/ ١٦٥/ ١٣٥/ ١٨٥/ ١٨٧ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق ص ٧٠/ ١٢١/ ١٢٢/ ١٢٣/ (عن طرق مصادرة الأخشيد للأموال . ـ آدم متز : الحضارة الاسلامية ;ج١ ص ١٦٧/١٠٥ .
(٨٦) حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي : ص ٤٤ .
(٨٧) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ١٢٤/١٢٣ .
(٨٨) ابن سعيد : المغرب : ص ١٨٥ .
(٨٩) القلقشندي : صبح الأعشى : ج٧ ص ١٤ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٥٣ .
(٩٠) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ١٢٥ . ـ انظر الباب الثاني من هذا البحث .
(٩١) سيده كاشف : المرجع السابق ص ١٢٧ (حيث تنقل أسطورة نقلها أبو الفداء في مختصر أخبار البشر ج٢ ص ١٠٠) . ـ يوسف الدبس : تاريخ سورية ج٣ مجلد ٥ ص ٣٨٦ .
(٩٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٤ ص ٣ ـ ٤ . ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٣٢٦ .
(٩٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٤ ص ٦ .
(٩٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٤ ص ١ . ـ محمود مصطفى : الأدب العربي في مصر ص ١٦٤ .
(٩٥) الذهبي : دول الاسلام ج١ ص ٢٠٤ . ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء : ص ٣٩٥ . ـ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق بعهد نفوذ الأتراك ص ٤٥ .
(٩٦) ابن العديم : زبدة الحلب : ج١ ص ١١١ .
(٩٧) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٥٤ . ـ ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤٠١ . ـ مسكويه : تجارب الأمم : ج ١ ص ٣٣٨ .
(٩٨) جمال سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق : ص ٤٣ .
(٩٩) الحدائق والعيون : ج ٤ ق ١ ص ٣٠٢/٣٠٣ .
(١٠٠) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٦٩ .
(١٠١) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤٠٧ .

(١٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ٩٩ .
(١٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ٩٩ . ـ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ٣٢٩ .
(١٠٤) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص ١٠٠ . ـ كرد علي : خطط الشام : ج ١ ص ١٨٤/١٨٥ .
(١٠٥) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٨٩ .
(١٠٦) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٨٨ .
(١٠٧) الكندي : الولاة : ص ٢٨٨/٢٨٩ . ـ ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٧٣ . ـ محمد الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٤١ .
(١٠٨) كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ١٨٥ .
(١٠٩) الكندي : الولاه : ص ٢٨٨ .
(١١٠) ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٣ . ـ ابن خلكان : وفيات : ج ٢ ص ٥٤ .
(١١١) ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٦ .
(١١٢) سيده كاشف : ص ٨٩ .
(١١٣) ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٦ .
(١١٤) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٢٥ . ـ سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي ص ٨٩ .
(١١٥) سيده كاشف : المرجع السابق/ ص ٣٨٠ .
(١١٦) الكندي : الولاة : ص ٢٨٩ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٤ .
(١١٧) النجوم الزاهرة : ج٣ ص ٢٥٢ .
(١١٨) ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٤ .
(١١٩) المصدر السابق والصفحة .
(١٢٠) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٩٠ . ـ جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١١١ .
(١٢١) محمد راغب الطباخ : أعلام النبلاء ص ٢٤١ .
(١٢٢) ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٨ .
(١٢٣) الأنطاكي : المصدر السابق : ص ٩٦ . ـ الطباخ : أعلام النبلاء : ص ٢٤١ .
(١٢٤) الكندي : الولاة : ص ٢٩٠ ـ الانطاكي : المصدر السابق والصفحة .
(١٢٥) الأنطاكي : المصدر السابق ص ٩٦ .
(١٢٦) ابن الأثير : الكامل : ج٦ ص ٢٧٣ . ـ أعلام النبلاء : ص ٢٤١ .
(١٢٧) الأنطاكي : المصدر السابق : ص ٩٧ .
(١٢٨) الكندي : الولاة : ص ٢٩٠ . ـ ابن خلدون : العبر : ج٣ ص ٤٠٩ .

(١٢٩) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩١ .
(١٣٠) ابن سعيد : المغرب : ص ١٨٨ .
(١٣١) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٠٠/١٠١ .
(١٣٢) كرد علي : خطط الشام ج١ ص ١٨٥ .
(١٣٣) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩١ .
(١٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ـ ص ٩٩ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٦١ ـ كرد علي خطط الشام ص ١٨٤ .
(١٣٥) كرد علي : خطط الشام ج١ ص ١٨٥ . ـ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص ١٠٠ .
(١٣٦) جمال مسرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١١٢ .
(١٣٧) الكندي : الولاة : ص ٢٩١ .
(١٣٨) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٣٩٩ .
(١٣٩) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤١١ .
(١٤٠) ابن سعيد : المغرب : ص ١٧٩ . ـ يوسف الدبس : تاريخ سورية ج ٣ مجلد ٥ ص ٣٨٥ .
(١٤١) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤١١ .
(١٤٢) الانطاكي : المصدر السابق : ص ٩٧ .
(١٤٣) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩٣ .
(١٤٤) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤١٢ . ـ ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٨٤ .
(١٤٥) ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة نفسها .
(١٤٦) مسكويه : تجارب الامم : ج ٢ ص ٢٧/٢٨ .
(١٤٧) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٨٤ . ـ ابن كثير : البداية : ج ١١ ص ٢٠٢ .
(١٤٨) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩٣ .
(١٤٩) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٣ ص ٢٥٤ .
(١٥٠) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤١٢/٤١٣ . ـ ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٢٨٤ . ـ يوسف الدبس : تاريخ سورية : ج ٣ مجلد ٥ ص ٣٨٥ .
(١٥١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤ . ـ المقريزي : الخطط ج ١ ص ٦١٨ .
(١٥٢) الذهبي : دول الاسلام : ج ١ ص ٢٠٤ . ـ السيوطي : الخلفاء : ص ٣٩٥ .
(١٥٣) جمال سرور : الحضارة الاسلامية بعهد نفوذ الاتراك ص ٤٥ . ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩٣ .
(١٥٤) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٣٦ .
(١٥٥) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٠٦ .
(١٥٦) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة (يذكر ان الاخشيد عبر اليه) . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٩١ .

(١٥٧) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٠٠ . ــ ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٠٦ (حيث يقول في تجارب الامم وتاريخ يحيى وابن الاثير وقف الاخشيد بين يديه وقوف الغلمان وفي وسطه سلاح ثم ركب المتقي فمشى الاخشيد بين يديه) .

(١٥٨) ابن سعيد : المغرب : ص ١٩٢ . - ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٠٨ «كناه بقوله يا أبا بكر» .

(١٥٩) ابن سعيد : المغرب : ص ١٩٢ . ــ الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٠٠ «حيث قال فجدد المتقي ولايته على مصر واعمالها والشامات واكنانها والثغور وما والاها وجعل ذلك له ولولده بعده ثلاثين سنة» .

(١٦٠) ابن كثير : البداية ج ١١ ص ٣٣٣ .

(١٦١) مسكويه : تجارب الامم ص ٦٧ . ــ ابن العديم : زبدة الحلب. ج ١ ص ١٠٦ .

(١٦٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية : ص ٤٥ .

(١٦٣) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٠٠ .

(١٦٤) ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٤١٨ .

(١٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب : ص ١٠٧ .

(١٦٦) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٩٥ .

(١٦٧) الكندي : الولاة : ص ٢٩٢ . ــ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ : ص ٢٥٥ .

(١٦٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٣ ص ٢٥٥ .

(١٦٩) محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ص ٢٤٩ .

(١٧٠) محمد جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٥٦ .

(١٧١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٩ .

(١٧٢) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١١٢ . - مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٢٠ حيث يقول انهم ثمانية .

(١٧٣) المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ١٣٧ . - مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٣٠ .

(١٧٤) ابن الاثير : الكامل : ح ٥ ص ٣٣٩ .

(١٧٥) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٣٠

(١٧٦) جمال سرور : المرجع السابق ص ١١٢ . - مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٣٣ (ويذكر انه تقلدها ابو الهيجا سنة ٢٩٣ وهي البداية الحقيقية لدولتهم) .

(١٧٧) أمينة بيطار : المرجع السابق : ص ٢٤٣ . - الشكعة : المرجع السابق : ص ٣١ .

(١٧٨) الشكعة : المرجع السابق : ص ٣٧ . - جمال سرور : المرجع السابق : ص ١١٣ .

(١٧٩) محمد جمال سرور : المرجع السابق : ص ١١٢ . - سيدة كاشف : الرجع السابق : ص ٩٣ .

(١٨٠) الطباخ : أعلام النبلاء : ص ٢٤١ . - كرد علي : خطط الشام : ص ١٨٥ .

(١٨١) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٠٢ .

(١٨٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٠٣ .
(١٨٣) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٠٣ .
(١٨٤) المصدر السابق والصفحة نفسها .
(١٨٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ١٠٤
(١٨٦) ابن العديم : المصدر السابق ص ١٠٤ . ـ الطباخ : أعلام النبلاء : ص ٢٤٦ .
(١٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٠٤/١٠٥ . ـ ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٣٠٠ .
(١٨٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٨٠ . ـ ابن الاثير : الكامل : ح ٦ ص ٣٠٠ .
(١٨٩) ابن العديم : زبدة الحلب : ح ١ ص ١٠٤/١٠٥ . ـ الطباخ : أعلام النبلاء ص ٢٤٦/٢٤٧ .
(١٩٠) المصادر السابقة والصفحة .
(١٩١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٤٩ ـ الطباخ أعلام النبلاء ص ٢٤٧/٢٤٨ .
(١٩٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٠٥ .
(١٩٣) الانطاكي : المصدر السابق ص ١٠٠ .
(١٩٤) انظر فيما سبق في هذا الباب .
(١٩٥) أمينة بيطار : المرجع السابق : ص ٢٤٩/٢٥٠ .
(١٩٦) المرجع السابق والصفحة .
(١٩٧) ابن العديم : زبدة الحلب ـ ج ١ ص ١١١ . ـ الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٤٩ .
(١٩٨) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٣٧/٤٢/٤٥/٤٨ .
(١٩٩) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ٥٦/٥٧ ـ أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٥١
(٢٠٠) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٥٧/٥٨
(٢٠١) ابن العديم : زبدة الحلب ـ ج ١ ص ١١١ ـ جمال سرور : المرجع السابق : ص ١١٣ .
(٢٠٢) الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٥٢ (العمادية هو دج يجلس فيه) ـ ابن الاثير : الكامل : ح ٦ ص ٣١٢ (يذكر كل من ابن الاثير واتربي ابو العز ، ص ١٥١ وفي النجوم الزاهرة ص ٢٨٣ ، انه كان عليها يانس المؤنس من قبل الاخشيد وفارقها هذا دون مقاومة) .
(٢٠٣) الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٥٢ .
(٢٠٤) ابن سعيد : المغرب : ص ١٩٣ .
(٢٠٥) ابن العديم : زبدة الحلب ص ١١٣ ج ١ ـ الذهبي : دول الاسلام ج ١ ص ٢٠٤ (حيث يقول انه اسر منهم بالرستن نحو الف رجل) .
(٢٠٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٩٣ (حيث يورد نص كتاب سيف الدولة) . ـ ابن الاثير : الكامل : ح ٦ ص ٣١٢ . ـ اتربي ابو العز : الدر المنتخب ص ١٥١ .
(٢٠٧) الطباخ : اعلام النبلاء ص ٢٥٣ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١١٣ .
(٢٠٩) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ج ٣ ص ١٣٩ .
(٢١٠) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٣٦٩ .
(٢١١) المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٢١٢) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٤ (حيث يقول ان سيف الدولة كان خارج دمشق يقاتل بعض الاعراب وعند عودته منعه أهل دمشق من دخولها) . ـ الطباخ : اعلام النبلاء ، ص ٢٥٣ .
(٢١٣) المستوفي عمود حديد طوله ذراعان مربع الشكل له مقبض مدور في وسطه .
(٢١٤) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١١٤ .
(٢١٥) الطباخ : اعلام النبلاء ص ٢٥٣/٢٥٤ .
(٢١٦) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٣٦٩ .
(٢١٧) الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٥٤ .
(٢١٨) بلدة تبعد عن حمص ٣٥ كيلومترا الى الجنوب الغربي/ياقوت ح ٣ ص ١٧١ .
(٢١٩) الذهبي : دول الاسلام ، ح ١ ص ٢٠٧ .
(٢٢٠) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٥ . ـ ابن سعيد : المغرب : ص ١٩٤ .
(٢٢١) جمال سرور : المرجع السابق : ص ١١٤ .
(٢٢٢) ابن سعيد : المصدر السابق والصفحة ، حيث يقول ان الاخشيد زوج سيف الدولة ابنته فاطمة . ـ ابن العديم : زبدة الحلب : ح ١ ص ١١٥ . ـ مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٦٤ .
(٢٢٣) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٨٠/ وما بعدها .
(٢٢٤) الكندي : الولاة : ص ٢٩٦
(٢٢٥) كرد علي : خطط الشام ح١ ص ١٧٨ . ـ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق : ص١٠٠/ ١٠١ .
(٢٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١١٨ .
(٢٢٧) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية : ص ١١٥ . وتاريخ الحضارة الاسلامية ص ٧٥ .
(٢٢٨) سيده كاشف : مصر في العصر الاخشيدي : ص٣٧٠ .
(٢٢٩) المرجع السابق والصفحة نفسها . ـ مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٦٤ .
(٢٣٠) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ٤٧/ ١١٩ . ـ جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية : ص٧٥ .
(٢٣١) الانطاكي : المصدر السابق ص ١١١
(٢٣٢) الشكعة : المرجع السابق : ص ١٤٤ وما بعدها
(٢٣٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ١٠٣

(٢٣٤) جمال سرور : الحضارة الاسلامية : ص ٧٥ .
(٢٣٥) سيده كاشف : المرجع السابق ص ٣٧١ . و- محمد جمال سرور : المرجع السابق ص ٧٥
(٢٣٦) ابن الاثير : الكامل : ح ٦ ص ٣١٣
(٢٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٦ - ابن الاثير : الكامل : ح ٦ ص ٣١٨ .
(٢٣٨) ابن سعيد : المغرب : ج ١ ص ١٩٦ . - كرد علي : خطط الشام ح ١ ص ١٨٨ .
(٢٣٩) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١١١ . - سيده كاشف : المرجع السابق /ص ٣٧١
(٢٤٠) محمد كرد علي : خطط الشام ح ١ ص ١٨٨
(٢٤١) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ٣١٨ . - ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٦ . - ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ٢١٣ (ويقول فرح سيف الدولة جدا بدمشق) .
(٢٤٢) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٢ .
(٢٤٣) بلد في الاردن بينها وبين طبريه عشرون ميلا والى الرمله باربعين ميلا (انظر معجم البلدان ، ياقوت ، ح ٢ ص ٣٥١) .
(٢٤٤) قرية من قرى الاردن بينها وبين طبريه خمسة فراسخ من جهة الرملة - أنظر ياقوت ح ١ص ٣٤٢ .
(٢٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٦ .
(٢٤٦) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٨ . - الكندي : الولاه : ص ٢٩٣ .
(٢٤٧) الطباخ : اعلام النبلاء ص ٢٥٥ .
(٢٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٦ .
(٢٤٩) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١١٨ . - الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٥٥/ ٢٥٦ .
(٢٥٠) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية : ص ٧٦ . - سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٢ .
(٢٥١) الطباخ : اعلام النبلاء : ص ٢٥٦ .
(٢٥٢) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي : ح ٣ ص ٢٣٥ . - جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٧٦/ ٧٧ .
(٢٥٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ١١٥ .
(٢٥٤) حسن احمد محمود : العالم الاسلامي ص ٤٤٣/ ٤٤٩ .
(٢٥٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٧٦ .
(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٢٠ .
(٢٥٧) سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ .
(٢٥٨) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ١٠٢
(٢٥٩) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ١٠٢/١٠٤ - مصطفى طه بدر : المرجع السابق : ص ١٩١ .

(٢٦٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٩٢/٢٩١ .
(٢٦١) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ١٣٥ .
(٢٦٢) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ١٣٦/١٣٥
(٢٦٣) المقريزي : الخطط ح ١ : ص ٦١٩ . ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٣٥٠ . ـ الكندي : الولاة : ص ٢٩٧ .
(٢٦٤) ابن الحنبلي : شذرات الذهب مجلد ٣ ص ٥ . ـ محمود مصطفى : الادب العربي في مصر ص ١٧١ .
(٢٦٥) المقريزي : الخطط ح ١ ص ٦١٨ .
(٢٦٦) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٢٩ ـ المقريزي : الخطط ح ١ ص ٦١٨ (ويقول انها بدأت بعام ٣٥١ هـ .)
(٢٦٧) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٣٨٣ .
(٢٦٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٤ ص ١٠
(٢٦٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٤ ص ١٠ ـ الكندي : الولاة ص ٢٩٧ (حيث يقول بأن عبيد الله بن طغج خالف في الرملة وأخذ البيعة لنفسه وقبض على أموال كافور بالرملة) .
(٢٧٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٤ ص ٢١ .
(٢٧١) الانطاكي : المصدر السابق ص ١٢٩
(٢٧٢) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١١٩ .
(٢٧٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٤ ص ٢٣ .
(٢٧٤) سيدة كاشف : المرجع السابق : انظر ص ١٢٠ وما بعدها .
(٢٧٥) ابن سعيد : المغرب : ص ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٨٧ . ـ انظر فيما سبق من هذا الباب .
(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ٩٨ .
(٢٧٧) أبو المحاسن : النجوم ح ٣ ص ٢٩١ . ـ ابن الاثير : الكامل ح ٦ ص ٣١٨ (حيث يذكر انه قيل مات سنة ٣٣٥ هـ)
(٢٧٨) ابن سعيد : المغرب : ص ١٩٦ .
(٢٧٩) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ١٠٢
(٢٨٠) طه بدر : مصر الاسلامية : ص ١٧٦ . ـ امينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٢٦١ .
(٢٨١) كرد علي : خطط الشام : ح ١ ص ١٨٩ . ـ طه بدر : المرجع السابق : ح ١ ص ٢٠١ .
(٢٨٢) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٢١ ـ كرد علي : خطط الشام : ح ١ ص ١٨٦ .
(٢٨٣) ابن الاثير : الكامل : ج ٧ ص ١٧/١٥ .
(٢٨٤) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٢٠ . ـ ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ٢٦٠ .
(٢٨٥) الذهبي : دول الاسلام : ص ٢٢٠ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٤ ص ١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢٨٦) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٣١ . ـ عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ص ٤٥/٤٦ .

(٢٨٧) الانطاكي : المصدر السابق والصفحة .

(٢٨٨) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٢٤ .

(٢٨٩) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢٩٠) أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٢٦٥ .

(٢٩١) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٢٥ .

(٢٩٢) درويش الجندي : الشعر في ظل سيف الدولة : ص ٦٢ .

(٢٩٣) كرد علي : خطط الشام : ح ١ ص ١٩٢ . ـ مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٤٦ .

(٢٩٤) أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٢٩٠/٢٩٢ .

(٢٩٥) درويش الجندي : الشعر في ظل سيف الدولة ص ٦٢ . ـ أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٢٨٧ (حيث ورد اسمه المترفع) .

(٢٩٦) المراجع السابقة والصفحات .

(٢٩٧) رجل من العرب استولى على كثير من مدن أرمينيه انظر ـ أمينة بيطار : رسالة دكتوراه لم تطبع ص ٢٨٢ .

(٢٩٨) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٩ . ـ ابن كثير : البداية والنهاية : ح ١١ ص ٢٥٣ .

(٢٩٩) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ١٤ . ـ ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ٢٥٥ . ـ ابن العديم : بغية الطلب مجلد ٦ ورقة ٨٧/٨٨

(٣٠٠) أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٣٨٣ .

(٣٠١) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ١٤ . ـ ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ٢٥٥ .

(٣٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ، ص ١٢٠ وما بعدها .

(٣٠٣) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٣٤ . ـ الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٣٣/١٣٤ .

(٣٠٤) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ١١٢

(٣٠٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٧٦ . ـ حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي : ص ٤٤٦ .

(٣٠٦) انظر فيما سيأتي من هذا الباب .

(٣٠٧) ابن الاثير : الكامل ح ٧ ص ٩/١١ .

(٣٠٨) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ح ٣ ص ٢٣٥ .

(٣٠٩) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٧ .

(٣١٠) د . الشكعة : المرجع السابق : ص ١٣٢ .

(٣١١) عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١١١ . ـ ابراهيم أحمد العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ١٠٤
(٣١٢) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١١٨/١١٧ . ـ العدوي : المرجع السابق : ص ١٠٤ . ـ عمر كمال توفيق : المرجع السابق : ص ١١٢/١١١ .
(٣١٣) الانطاكي : المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٣١٤) العدوي : المرجع السابق : ص ١٠٥/١٠٤ .
(٣١٥) العدوي : المرجع السابق : ص ١٠٥ .
(٣١٦) عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١١٤/١١٣ ـ أمينة بيطار : رسالة دكتوراة : ص ٤٠٨/٤٠٧ .
(٣١٧) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١١٨ .
(٣١٨) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(٣١٩) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٥
(٣٢٠) النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٣٣١
(٣٢١) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١١٨ . ـ ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٢ .
(٣٢٢) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ : ص ٣/٢ . ـ الشكعة : المرجع السابق : ص ١٣٤ .
(٣٢٣) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١١٩ .
(٣٢٤) ابن الشحنة : تاريخ مملكة حلب : ص ٤٩ .
(٣٢٥) ابن العديم : زبدة الحلب : ح ١ ص ١٣٣ . ـ مسكويه : تجارب الامم : ح ٦ ص ١٩٢ . ـ الشكعة : المرجع السابق : ص ١٣٩ .
(٣٢٦) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٤١٠ .
(٣٢٧) ابن الشحنة : تاريخ مملكة حلب : ص ٤٩ . ـ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٣٣١ .
(٣٢٨) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٩ . ـ ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٤٠ .
(٣٢٩) سيدة كاشف : المرجع السابق : ص ٣٧٤ .
(٣٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٤١ .
(٣٣١) أمينة بيطار : المرجع السابق : ص ٤١٤ .
(٣٣٢) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ١٣ .
(٣٣٣) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٢٣ .
(٣٣٤) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ١٣ . ـ ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ٢٥٥ .
(٣٣٥) ابن العديم : زبدة الحلب : ج ١ ص ١٤٣ .
(٣٣٦) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٢٣
(٣٣٧) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ١٩ . ـ ابن خلدون : العبر : ح ٤ ص ٢٤٢ .

(٣٣٨) أمينة بيطار : المرجع السابق : ص ٤١٨/٤١٩ .
(٣٣٩) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٣١ . - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٤ ص ١٨/١٩ .
(٣٤٠) مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٥٣ . - ابن الشحنة : تاريخ مملكة حلب : ص ١٨٣ .
(٣٤١) مسكويه : المرجع السابق والصفحة نفسها . - النجوم الزاهرة : ص ١١٩ .
(٣٤٢) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٣٠ - ابن كثير : البداية : ح ١١ ص ٢٦٥ .
(٣٤٣) أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٤٣١ .
(٣٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٦٣ . - ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٣٦/٣٧ .
(٣٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٣/١٦٦ . - ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٣٧ .
(٣٤٦) عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية : ص ١٤٩ .
(٣٤٧) ابراهيم العدوي : المرجع السابق ص ١٠٥ .
(٣٤٨) عارف تامر : المرجع السابق : ص ١١٣ .
(٣٤٩) عارف تامر : المرجع السابق ص ١١٤
(٣٥٠) الانطاكي : المصدر السابق : ص ١٣٢ .
(٣٥١) مصطفى الشكعة : المرجع السابق : ص ١٤٨ . - عارف تامر : المرجع السابق : ص ١١٤ .
(٣٥٢) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية : ص ١١٩ . - أمينة بيطار : رسالة دكتوراه : ص ٢٧٥
(٣٥٣) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٧٥ .
(٣٥٤) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٣٣٦ .
(٣٥٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٢٩٨ .
(٣٥٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٣٠١ .
(٣٥٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ح ٣ ص ٣٢٦ . - حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٢٨ .
(٣٥٨) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية : ص ١١٦ .
(٣٥٩) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ١٥ .
(٣٦٠) ابن الاثير : ح ٧ الكامل : ص ١٦ .
(٣٦١) النجوم الزاهرة : ح ٤ ص ٢٣ .
(٣٦٢) مسكويه : تجارب الامم ح ٢ ص ٢٥٥
(٣٦٣) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١١٦
(٣٦٤) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٣٥ .
(٣٦٥) ابن الاثير : الكامل : ح ٧ ص ٣٥ .

خاتمة

كان من نتائج سياسة العباسيين التي اعتمدت منذ قيام دولتهم على العناصر الاجنبية من فارسية وتركية وعلى ابعاد العناصر العربية من مركز القيادة والجيش والسياسة ، ومن ثم احكام سيطرة الاتراك على الخلفاء ، أن تفتقت كل الجروح وأخذ جميع الطامحين يعملون ليحققوا بعض الانتصارات ، وكل اقليم ليعلن رفضه للعباسيين وسياستهم ، فكانت هذه من العوامل التي عملت على تهديم الكيان السياسي للعباسيين وخاصة في مصر والشام .

وقد أدى الاضطراب السياسي ، والتدهور الاقتصادي ، نتيجة لفقدان الأمن ، وسوء الادارة المالية للولاة العباسيين في الأطراف والاقاليم التي ضعفت فيها السلطة المركزية ، وكثرة الثورات في هذه الاقاليم ، ادى ذلك كله الى بروز ظاهرة التمرد والاستقلال واستغلال الأوضاع الخاصة لكل اقليم ، وقاد ذلك الى ظهور الدول المستقله عن الدولة العباسية وازداد ذلك في عهد النفوذ التركي ، ولم يقتصر قيام هذه الدول على منطقة دون اخرى ، انما كان قيامها في مختلف ارجاء الاقاليم في مشرق العالم الاسلامي ومغربه .

ثم اخذت بعد ذلك ظاهرة الدول الاقلمية تأخذ طابعا جديدا يقوم على اساس محاولاتها السيطرة المباشرة على الخلافة العباسية ، وقد ظهر بوضوح عندما اقدم كل من الطولونيين والاخشيديين في هذه الفترة على القيام بمحاولات من هذا القبيل ونقل الخلافة الى مصر والشام ، الا ان ذلك لم يكلل بالنجاح .

وهذه التطورات لم تكن مجرد قيام مغامرين حاولوا الاستقلال فيها وانشؤوا دولا مستقلة بقدر ما كانت توحى بامور كبيرة اعمق تفوق كثيرا روح المغامرة والطموح ، فلقد وجد هؤلاء امامهم عوامل كثيرة مهدت لهم الطريق الى عملهم

الاستقلالي ، كما كان لمبدأ المساواة والعداله الاجتماعية والقيم الاسلامية التي نادت بها الدعوة العباسية وانتصار هذه المبادىء على أيدي العباسيين انفسهم اكبر الاثر في قيام هذه الدول ونشأتها .

ومما لاشك فيه ان قيام هذه الدول يعود للجهود الكبيرة التي بذلها هؤلاء المؤسسون وكانت اعمالهم الاساس الذي ساعد هذه الدول على البقاء والاستمرار ، ولكن الوهن ما لبث ان دب فيها ، فانفرط عقدها بعد زوال مؤسسيها وكان ذلك نذيرا بسقوطها ، اما اهم النتائج التي رافقت قيام الدولة الطولونية والاخشيدية في الشام فهي ما يلي :

١ ـ عودة الصلات القديمة وتدعيمها بين البلدين وزيادة الارتباط الوثيق باعتبارهما مصدر قوة الدولة وأمنها ، واصبح القطران قوة كبيرة هابها الاعداء والاصدقاء على السواء .

٢ ـ كانت كل دولة تقوم في احد القطرين تحاول ان تبسط سلطانها على القطر الآخر ، وكان القائمون في مصر من طولونيين واخشيديين ، وممن جاء بعدهم ، يرون ان حدودهم الآمنة تنتهي في الحدود الشمالية باقصى بلاد الشام المتاخمة للبيزنطيين ، وعند جبال طرسوس ، ويحاولون فرض سيطرتهم على هذه المناطق كافة .

٣ ـ وظهر واضحا ان قوة الدولة بوحدة البلدين وتشكيل جيش قوي يقوم بالذود عن الدولة وحمايتها . ولهذا عملت كل من هذه الدول على ايجاد قوة عسكرية كبيرة في القطرين ، فأنشات قوة عسكرية ، برية وبحرية ، وحرصت جهدها على ان تدعم هذه القوة بكل وسائل النجاح وتعتنى باعدادها وتأهيلها وتنوع في مصادر رجالها ، وتشكل من خيرة هذه القوى مجموعات مختارة وفدائية حتى تمكنت بواسطتها جميعا من حماية جبهتها الداخلية ونشر الأمن فيها . وضرب المتمردين .

كما اسهمت بنصيب كبير في جهاد العدو البيزنطي ، في البر والبحر ، وانزلت به الهزائم واضطرته الى الاعتراف بها قوة يحسب لها الحساب ويتجه

اليها ويخاطبها من دون الخلافة طالبا ودها وكسب الصلح والتعاون معها . وظهر ذلك جليا واضحا في العهدين الطولوني والاخشيدي ، وبخاصة ايام احمد بن طولون ومحمد بن طغج الاخشيدي .

كما اسهم الحمدانيون بحلقة مشرفة من حلقات الجهاد ستبقى أبدا مصدر اعتزاز وفخر لحلب الشهباء على مجرى الايام والعصور .

٤ ـ وكان قيام هذه الدول في الشام ومصر في العهدين الطولوني والاخشيدي ذا آثار خطيرة على المنطقة اذا أدخلها في حلبة الصراع مع القوى العباسية المسيطرة في بغداد ، التي كانت تسعى دائما للوقوف في وجه اية قوة تظهر في القطرين ، وتحاول أن تنفرد بالسلطة وتنفصل عن العاصمة بغداد لما يشكله هذا الانفصال من خطر على الخلافة العباسية واضعافها .

ولذلك سيطر على تاريخ الدولتين ، الطولونية والاخشيدية ، الصراعات السياسية والعسكرية بين العباسيين من جهة ، وهاتين الدولتين من جهة أخرى ، وجرى هذا الصراع في بلاد الشام ، التي شهدت نزاعا استمر طيلة حكم الدولتين ، وظهر على اشده في ظل النفوذ الطولوني ، ولم يركن العباسيون الى الهدوء مع هذه الدول الا شعورا منهم بالعجز والضعف واصبح بعد ذلك الاهتمام بالشام والدفاع عنها عنصرا هاما من عناصر قوة هذه الدول في مصر ، وسبيلا لاقصاء المؤامرات المعادية لها سواء من الداخل أو الخارج . ولقد حقق احمد بن طولون وابنه خمارويه نجاحا كبيرا في هذا الشأن ، وكان لسياستهم هذه ونجاحهم الاثر الهام في اعلاء شأن الطولونيين واستقلالهم في الشام ومصر ، وكان نهجهم هذا هو الاساس لكل الدول التي ستأتي بعدهم وتستقل في البلدين من الاخشيديين والفاطميين والايوبيين وغيرهم .

فتاريخ هذه الدول هو تاريخ لجهود اصحابها ومؤسسيها وكفاحهم من اجل دعم سلطانهم في بلاد الشام وتأمين هذا السلطان هناك حماية لاستقلالهم في مصر .

٥ ـ الاهتمام بمظاهر الحياة المختلفه في الدول من حيث الاحتفال بالمناسبات

الاجتماعيه والدينيه والوطنيه وما يتطلب ذلك من مبالغة ، والاهتمام ايضا بمصالح ابناء البلدين (مصر الشام) وتبني قيمهم واهدافهم والدفاع عنهم ، وذلك لاسترضائهم وتقربا منهم ، والاعتماد عليهم في الادارة والحكم ، وزجهم في القوات المسلحة أيضا لكي تحصل هذه السلطة على ثقتهم وتتخذ منهم ، بالتالي دعما قويا لها يمدونها بقوتهم وتأييدهم .

٦ ـ العناية التامة بمقومات الحضارة ومعالمها الفكرية ولاسيما في حاضرة الدولة ، فقد قام حاكم كل دولة محاولا توطيد الامن في ربوع امارته بعد ان تفشت فيها الفوضى مستفيدا من مواردها محاولا استغلالها لصالح قطره بعد ان كانت تذهب الى بغداد وتوضع تحت تصرف الحكام فيها ينفقونها في سبيل مصالحهم الخاصة ونزواتهم الأنية ، وشهدت هذه الاقاليم نهضة اقتصادية وحضارية ، قلما رأتها في عصر من العصور فزادت موارد ثروتها وتوفرت اسباب الحياة والمعيشة فيها واصبح بلاط امرائها مقصدا للادباء والشعراء والعلماء من كل حدب وصوب . ودليلنا على ذلك ما وصلت اليه مصر والشام في عهد احمد بن طولون وابنه خمارويه ، ونهضة حلب الكبرى في ظل اميرها سيف الدولة الحمداني .

وما كان من انتشار الثقافة العربية الاسلامية ، في ظل هذه الدول ، انتشارا يدعو الى التفاؤل ، بفضل الترجمة من اللغات الاجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية والهندية الى العربية .

كما ساعد على سرعة انتشار هذه الثقافات حرية هؤلاء العلماء في ظل عالم عربي اسلامي تجمعه وحدة الخضوع الاسمي للخلافة ووحدة الولاء للاسلام . وكان المسلم يتمتع بحق الولاء اينما اتجه وبامكانه ان ينتقل بحرية تامة الى جميع المناطق والاقاليم دون ان يمس بسوء .

وهكذا شهد قيام الدولة الطولونية والاخشيدية نهضة حضارية كبرى زاد فيها تنافس الدول فيما بينها ومحاولة كل منها اظهار حضارتها وتفوقها في ميادين البناء الفكري والعلمي . وتبارى امراء هذه الدول في استقدام العلماء

وتقريبهم ، وخاصة الشعراء منهم ، حيث وجدوا في شعرهم أداة اعلامية ضخمة تشيد بهم وتظهر هيبتهم وعظمتهم . هذا وقد تجلت في شعر هؤلاء التغني بامجاد هذه الدول وانتصاراتها العسكرية والسياسية والتباكي على تراثها وحضارتها بعد دثورها ، وخاصة على ماضي الدولة الطولونية اثر اقدام العباسيين على تدميرها .

كما كان لحركة التأريخ دور هام في هذا النشاط الحضاري وظهر مؤرخون اختصوا بالكتابة والتاريخ لمؤسسي هذه الدول والاشادة بمواقفهم وبطولاتهم العسكرية والسياسية ونسج الاساطير حول تاريخهم .

٧ ـ الا انه يجب ان نتذكر دائما ان قيام الطولونيين ، ومن جاء بعدهم في الشام ومصر ، ازعج العباسيين وهدد استراتيجيتهم القائمة على وحدة العالم الاسلامي وبالتالي تدمير كل قوة قد تظهر في البلدين لخطرها عليهم فهي تقف في وجه سياستهم وتعمل على الحد من سيطرتهم في اتجاه الغرب وسد الطريق امامهم باتجاه البحرين المتوسط والاحمر لما لهذين البحرين من اهمية تجارية وسياسية في الصراعات الدولية في المنطقة منذ القديم . وبالاضافة لذلك ما للشام ومصر من اهمية حضارية ، وتاريخ عريق ، وغني اقتصادي على مر العصور . واستنادا لما سبق عمل العباسيون دون تحقيق الشام ومصر لمطامحهما الذاتيه ووحدتهم السياسيه في ظل نفوذ الدولة الطولونية والاخشيدية ، بعد ان شعر هؤلاء بعزتهم وكرامتهم وبقدرتهم في ظل هذا الاتحاد ، وادركوا انهم لو حافظوا على هذه القوة واستمروا على تعاون وارتباط وثيق فيما بينهم لتمكنوا من ايجاد دولة قوية تحقق مطامحهم ويكون لهم بها شأن عظيم يمكنهم من القيام بأعمال باهرة ، ويخلصهم من التبعية ، ويساعدهم على ان يؤسسوا دولة ذات سيادة وطابع خاص في الحضارة والعمران مستقلة عن الدولة العباسية المتداعية التي هتك سترها القاده العسكريون الأتراك المتسلطين وغيرهم ، واصبحت التجربة الطولونية رائدا لكل من اتى بعدهم ، وقدر له ان يشكل قوة في البلدين . كما اعاد هذه التجربة وسار على نهجها الاخشيديون وغيرهم . هذا وقد شعر الشاميون والمصريون في ظل هذه الدول وتحت سلطة هؤلاء الغرباء

انهم في وضع احسن بكثير مما كانوا عليه في ظل بني العباس ، ولو قدر لهذه الدول ان تعمر طويلا وتستمر في اصلاحاتها السياسية والاقتصادية لتمكنت من ان تلعب دورا هاما ولكان لها الصدارة في اعلاء شأن العرب والمسلمين . كما يجب ان لا ننسى ان الشام ومصر لم تكونا موحدتين في ظل النفوذ الاخشيدي ، فقد انقسمتا الى مناطق نفوذ كثيرة بين الحمدانيين والاخشيديين وبينهم وبين ابن رائق قبل ذلك وقد ادى ذلك الى ضعف الاخشيديين سياسيا فظهرت دولتهم دون مثيلتها الدولة الطولونية ، وربما كان ذلك لأن سيطرتها على الشام ، كانت جزئية ومبتورة ، في حين كانت قبضة احمد بن طولون وابنه خمارويه على الشام قوية فزاد ذلك في علو شأن دولتهم وقدراتها السياسية والعسكرية .

☆☆

الملاحق

* *

*

رقم (١)

«كتاب أحمد بن طولون الى الموفق أحمد أثر الخلاف بينهما»

أما بعد أطال الله بقاء الأمير، وأدام عزه، فقد وصل كتاب الأمير أيده الله، وفهمته وقد كان الأمير أسعده الله حقيقا بحسن التخير لنفسه، وأعمال الفكر فيما تنتظم به أسباب الصلاح يدركه، وأن تؤديه رويته، وتسهل به معرفته الى امالة مثلي وأطبائه، ويصيره عدته التي يعتمد عليها، وفيئته التي يرجع اليها، اذ كنت باب السلطان وسيفه الذي يصول به، وسنانه الذي يتقي الاعداء بحده، وكان كيدي فيما انصب في طلبه، واحتمل المؤن والكلف بسببه، وأجعل الفكر منصرفا اليه، والعناية بأجمعها موفورةن عليه، من اجتلاب كل موصوف بشجاعة، وغناء وكفاية، والتوسعة عليهم في أرزاقهم، وتعهدهم بالمعاون والصلات وجميع الأسلحة والكراع، والاستكثار من العدد والعمال انما هو لصيانة هذه الدولة وحياطتها، والذب عنها، والقصد لمن قدح فيها، وغض منها.

ومن كان من هذه المولاة بسبيلي، والمناصحة بمحلي، كان حريا بأن يعرف له حقه، ويوفي من الاعظام والاكرام نصيبه، ويعطي من التقديم والايثار قسطه، ولا يجعل حظه فيما يثاب به الأولياء ويجازي به النصحاء، من أموال تحمل اليهم، وصلات واقطاعات تخرج لهم، مما جعله الامير أعزه الله حظي من مؤنته، ونصيبي من بره وتكرمته، مما لا يزال الأمير أيده الله يقصدني به من المكروه، ويوثبه، علي وعلى عملي من التدبير، ويلتمسه مني من حمل المال والمعاون حتى كأني أكلف على

الطاعة جعلاً ، والزم للمناصحة ثمنا . وانما عهدي بالمحاول لذلك ، والمستدعى وقوع ما جاز الا أن يقصد بمكروه ثم يكلف من الطاعة مؤونة ونائبة .

على أني لا أعرف السبب الذي يتيح الوحشة ويوقعها ، ولا الأمر الذي يدعو اليها ويوجبها اذ لم يكن بيني وبينه معاملة توقع مشاجرة ، أو تحدث منافرة ، وكأن العمل الذي أنا بسبيله ليس له ، والمكاتبة في أموره ليست اليه ، وتقليدي ليس من قبله ولا ولاته ، والأمير جعفر قد قسم الأعمال والعمال ، وصار لكل واحد قسم تفرد له دون صاحبه وعمل تجري عليه أموره دون غيره ، وشرط لكل منهما وعليه في وقت أخذ البيعة له : من نقض عهده ، وخفر ذمته ، ولم يف بما أكده على نفسه ، فالأمة بريئة من بيعته ، وفي حل وسعة من خلعه . وكان ما عاملني به الأمير أيده الله ـ على ما أنا بسبيله من قبل غيره ـ من تجهيز الجيوش نحوي ، واعمال الحيل في افساد عملي ، ناقضا لشرطه ، ومفسدا لعهده .

وحقا أقول : لقد التمس أوليائي ، وأكثروا الطلب في إزالة اسمه ، واسقاط رسمه عند مصير الخارجين من العراق الى حيث صاروا اليه من نواحي عملي ، ومحاولتهم العبث والافساد فيه ، فآثرت الابقاء ، اذ لم تبق علي ، واستعملت الأناة اذ لم تستعملها في ، ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوي المعرفة والفهم ، وأدنى الى الظفر ، فصبرت نفسي على أحر من الجمر ، وأمر من الصبر ، مما لا يتسع له الصدر .

والأمير أيده الله أولى من أعانني على ما أوثره من لزوم عهده ، وأتوخى من توكيد عقده ، بحسن العشرة ، والانصاف في المعاملة وكف الأذى والمعرفة ، ولم يضطرني بهذه الافعال التي لا أعرف دركا في استعمالها ، وحظا في ارتيادها ، والذي قدمت في صدر كتابي ذكر التعجب من وقوعها الى ركوب خطة في أمره قد علم الله كراهيتي في ركوبها والى أن اجعل ما عددته لحياطة هذه الدولة المتكاثفة ، والعساكر المتضاعفة ، التي قد ضرست رحاها الحروب ، وجرت عليهم محن الخطوب على الاختيار والابتلاء ، وجروا من الله على عادة الظهور والاعتلاء (مصروفا الى نقضها) .

وان قبلنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر من الأمير أيده الله وأولى بتقليده ، ولو أمنوني على أنفسهم فضلا ان يرجعوا مني الى ميل اليهم وقيام بنصرتهم ، لاشتدت شوكتهم ، واستفحل أمرهم ، وصعبت على السلطان مقارعتهم . وقد علم الامير أكرمه الله ان ما بإزائه منهم قد فض كل جيش أنهضه اليهم على انه لا ناصر له غير من يجتمع اليه من لفيف البصرة ، وأدناس العامة ، فكيف من يجد من يظن أنه ركن وثيق ، وناصر منيع ، وعددا من الأبطال والاجناد كثيرا ، وليس مثل الامير أيده الله في أصالة رأيه وحزم تدبيره ونظره في عواقب أموره قصد لمائة ألف عنان هي عدة له فجعلها عليه من غير ان يتجشم لها ثقلا ويحتمل بسببها مؤونة وغرما فان يكن من الامير أيده الله اعتاب الى رجوع عما استعفيته منه الى ما هو اشبه بفضله ، والأولى بنبله ، والا رجوت ان يكـون لله من وراء كفاية أمره ، وحسم مادة شره ، وأجرى بنا من الحياطة على أجمل عادته ، والسلام» .

رقم (٢)

«وصية أحمد بن طولون لابنه وقواده»

«قال نسيم : فلما كان من غد خطاب مولاي للواسطي وما وصاه به ، أحضره وأحضر محمد بن أبا وطبارجي وجماعة من وجوه خاصته وقواده ووجوه دولته وكتابه فأحضر أبا الجيش فقال له : يا بني اني لم أدفع الحنث في يمين البيعة الا بما كنت أحمله الى امير المؤمنين المعتمد خاصة ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة . ذكر لي فيها كاتبي به انها تكفيه . فكان حملي هذا المال يقينا الحنث في يمين البيعة بيعته ، فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ، ولو اعيتك الحروب وواصلتك ، فلا تغفل حملها وما يقاومها ، فانك تدفع بها حنث هذا الجيش بأسره في يمين البيعة ، وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ، ممن قهر الخليفة ومنعه أمره وتصرفه في انفاذ حكمه ، وجميع أمره . والله بكرمه يكفيه .

(قال ابو جعفر) محمد بن عبد كان : ان أبا الجيش لم يزل يحمل هذا المال الى المعتمد حتى تقلد اسماعيل بن بلبل الوزارة فأوقع الصلح بينه وبين الموفق .

قال : فلما فرغ أحمد بن طولون من وصية ابنه في حمل المال الى المعتمد أقبل على وجوه قواده وغلمانه فقال لهم : قد وطأت لكم المهاد بهذه الدولة ، وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم ، فاطرحوا الأحقاد بينكم ، واسقطوا التحاسد ، واتركوا الاستئثار ، ولتكن كلمتكم واحدة ، وجماعتكم كرجل واحد ، ولا تغتروا بمخاريق أهل العراق ، ومواعيد من يطلب سيئاتكم ، فليس يرأسكم أبدا مثلي ، ولا احنى مني ومن ولدي عليكم ، فلا تخفروا ذمتي ، واحفظوا صحبتي وتربيتي لأكثركم ، وايثاري واحساني وتفضيلي لجماعتكم ، وهم يحلفون له ويبكون بأجمعهم .

ثم عطف على ابي الجيش فقال له : يا بني لا تعدلن عن مشورتي عليك ، فلن تجد ابداً أنصح لك مني . فقد خلفت دخل بلدك يزيد على ما ينوبك بجيشك وسائر مؤونتك ، فلا تطلقن فيه يدا بجور ، فيختل أمرك بخرابه ، ولا تقبل بنصيحة من ينتصح لك بما يؤول الى خراب بلدك ، والاجحاف بمعامليك فيه ، فانه عدو مبين . من حيث لا تعلم ، فانبذه عنك ، ولا تقربه منك ، وقد خلفت لك رعيتك لا يطلبون منك الا لين الجانب ، والا من المخاوف ، ولم اكن امنعهم لين جانبي بخلابه عليهم ، ولكني آثرتك على نفسي بمنعي لهم لين جانبي ، والا من مخافتي ، فاستعمل أنت ذلك معهم فتملك قلوبهم ، ويبادروا الى طاعتك ، ويهشوا الى التصرف بين أمرك ونهيك ، في صغير أمرك وكبيره ، ولم أترك لك عدوا أخافه عليك ، وأعلم يا بني ان كل سرف يؤول الى اختلال وتلف ، فاقصد في مهماتك ، ولا تمد يدك الى المال المخزون عند خير خادم (واجعله) ذخيرة لمملكتك وأقمه مقام جارحة من جوارحك ولا تبذلها الا في شدة تخاف معها فساد سائر جسدك او عندما تقدر باخراجها صلاح سائر جسدك ، وكان خير الخادم هذا خادم المتوكل .

ثم قال له : واسلك يا بني سبيلي واقتف آثاري في سائر من خلفت يأنسوا بناحيتك ، ويحسنوا طاتك ، ولا يميلوا الى عدو يخالفك ، ولا تقبلن مقال السعاة فيما تقوى به سوقهم عندك ، فكل شر وسوء يؤول الى اضمحلال وزوال ، ويهلك في ذلك من سلكه .

رقم (٣)

«النص التاريخي لزيارة علي بن عيسى لكشف أموال مصر وما يستدل منها عن الشؤون الادارية والمالية في مصر والشام في هذه الفترة» .

وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو الحسن بن ظفر الكرخي بمصر قال : كنت أكتب لأبي علي الحسين بن أحمد الماذرائي ووافى أبو الحسن علي بن عيسى من مكة في أيام وزارة أبي القسم عبد الله بن خاقان للاشراف على مصر والشام فدخل الى مصر وتحته حمار وعليه طيلسان وكان المتولي للمعونة تكين فتلقاه وترجل له وعظمت هيبته في النفوس جدا وجلس ونظر ، ثم ركب في بعض الأيام متفرجا وعاد فحين دخل من باب الدهليز ونحن مجتمعون في داره لانتظاره صاح : اللصوص . . ففزعنا كلنا خوفا من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استقر في مجلسه قال : يا معاشر الناس اجتزت الساعة على جسر قارون (وهو يزند من البزندات وتسمى البزندات بمصر جسورا) فقدرت النفقة عليه عشرة دنانير ووجدت العمال يحتسبون عنه على السلطان ستين ألف دينار في كل سنة . وكرر ذلك وأكثر التعجب منه والقول فيه . وكان أبو علي (الماذرائي) حاضرا فلم يجبه عن كلامه . فقال الشأن انني اقول ما أقوله فلا تجيبني عنه يا أبا علي ؟ فنهض وانصرف . واغتاظ أبو الحسن علي بن عيسى من ذلك وأطبق دواته وقال لعن الله امر السلطان اذا انتهى الى هذا الحد . وقام ودخل ، وانصرف الناس ومضيت الى أبي علي قلقا بما شاهدته وسمعته . ووجدته قد انفذ خادما الى علي بن عيسى يستأذنه في حضوره عند علي خلوة . فأذن له ومضى وأطال فجلست انتظره . فلما عاد سألته عما جرى فقال : دخلت اليه وقلت له : لم أترك جوابك سوء أدب عليك ولا استهانة بقولك وانما كرهت أن اعترف بحضرة الناس فألزم نفسي ما لا يلزمها أو اجيبك بما حضرت الان لذكره فيكون ما عليك فيه اكثر مما علي فيه فامتنعت اكراما لك وصيانة . ثم قلت له : كم جاري فقال : ثلاثة آلاف دينار في الشهر ، فقلت : يمكنني وأنا عامل مصر ان أكون بغير كتاب ولا عمال

ولا كراع ولا جمال ولا اعطاء ولا افضال ؟ قال : لا ، قلت افلا تعلم ان لي حرما واولاداً وأقارب وأهلاً احتاج لهم الى مؤونة ؟ قال : بلى ، قلت فأخلو من أن يرد علي زوار بكتبـك وكتب أمثالك من الرؤساء فتقضي المروءة ان ابرهم وأصلهم ؟ قال ، بلى لعمري ، قلت فهذا الجبار الذي أجاوره وفائق خادمه له ثمانون مرقدا وهو متسلط على الامر كله يمكنني ان اقيمه على الطاعة وأمنعه ادخال اليد في الضياع الا بمؤونة اتكلفها له وأولاده وخدمه وكتابه حتى يستقيم ما بيني وبينه ؟ قال : هذا ما لا بد منه . قلت : فالخليفة والسيدة والخالة والقهرمانه ومؤنس ونصر الحاجب وكتابهم وأسبابهم يجوز أن لا أحاديهم في كل سنة ؟ قال : هذا رسم لا يمكن الاخلال به . قلت : فالوزارة اذا تقلد الواحد منهم هل يدخل داره شيء قبل ما يحمله خليفتي اليه ؟ واذا نكب فهل يؤدي من مال مصادرته شيئا قبل ما يستدعيه مني ؟ وهذا أنت ايدك الله (وأنت اعف الوزراء ومن لا يعرف له نظير) ألم أحمل اليك في وقت كذا وكذا وفي وقت كذا وكذا وأجر على عيالك في مدة كذا وكذا ؟ فقال أنا والله شاكر لذاك : فقلت : ما ذكرت هذا اعتدادا عليك وانما ذكرته لتعلم انه يلزمني لغيرك مثله وأكثر منه . وهذا حق بيت المال في ضياعك بمصر والشام وهو بضعة عشر ألف دينار في السنة أديت منها درهما واحدا ؟ فقال : ما أدري : فقلت : هذا مال عظيم ولست أبرح أو أعلم أنه قد قد حصل لك او كان أصحابك خانوك فيه حتى ارتجعه منهم للسلطان ؟ فأعاد الشكر ، فقلت : يا سيدي فمصادرتي في كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل من الثلاثة الآلاف الدينار الجاري تكون ؟ فقال : دع هذا يا أبا علي فان كبار الرجال يغضى لهم السلطان عن كثير من الأموال ، وما سمعناه بعد ذلك أعاد في شيء من أمور اعمالنا قولا» .

رقم (٤)

«كتاب سيف الدولة لأهل دمشق»

«بسم الله الرحمن الرحيم من سيف الدولة أبي الحسن الى جماعة الاشراف والعلماء والأعيان والمستورين بمدينة دمشق أطال الله بقاكم وأدام عزكم وسعادتكم

وكفايتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم من المعسكر المنصور بظاهر عين الجر عن سلامة وجميل كفاية لمولاها خالص الدعاء والشكر» وقد علمتم ـ أسعدكم الله ـ تشاغلي بجهاد أعدائي وأعداء الله الكفرة وسبيلهم ، وقتلي فيهم وأخذي أموالهم وتخريبي ديارهم وقد بلغكم خبر القوانين في هذه السنة وما أولانا الله وخولناه ، وأظفرنا به واستعملت فيهم السنة في قتال أهل الله فما اتبعت مدبرا ولا دفعت الى جريح حتى سلم من قد رأيتم . وقد تقدمنا الى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم وحوط أموالكم وفتح الدكاكين واقامة الأسواق والتصرف في المعاش الى حين موافاتنا ان شاء الله» .

☆☆

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر المخطوطة

١ ـ ابن الأثير الجزري : أبو المحاسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) : تحفة العجائب وطرفة الغرائب» مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٤ .

٢ ـ ابن الامام : «تحفة الأنام في فضائل الشام» دار الكتب المصرية رقم ١٦٤٣ .

٣ ـ ابن تغري بردي : أبو المحاسن (٨٧٤هـ/١٤٦٥م) «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» نسخة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المخطوط باستانبول ، مخطوطة برقم ٢٣٩٧ تاريخ .

٤ ـ ابن شداد : (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» مخطوطة مصورة بجامعة الدول العربية عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤٣ تاريخ . ـ والجزء الخاص بالجزيرة مكتبة الدكتور سهيل زكار .

٥ ـ ابن ظافر الأزدي : (ت ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م) : «الدول المنقطعة أو أخبار الزمان في تاريخ بني العباس» مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

٦ ـ ابن العديم : عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) : «بغية الطلب في تاريخ حلب» ، مخطوطة مصورة عن نسخة أحمد الثالث ـ جامعة الدول العربية معهد المخطوطات رقم «٩٠» تاريخ . ـ والجزء الخاص بالمقدمة مكتبة الدكتور سهيل زكار عن مخطوطة أحمد الثالث .

٧ ـ ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الملقب بغية الدين بابن عساكر ـ «تاريخ دمشق أو التاريخ الكبير» مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تسعة عشر جزءاً تبدأ من رقم ٣٣٦٦ حتى ٣٣٨٤ .

٨ ـ الغساني الحلبي : «معادن الذهب في تاريخ حلب» متحف حلب رقم ١١٥ .

٩ ـ العيني : بدر الدين أبو محمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥٢م) . «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

١٠ ـ ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد (ت ٧٤٢ هـ أو ٧٤٩هـ ـ ١٣٤١م ـ ١٣٤٨م) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» نسخة مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ و٥٥٩ معارف عامة .

١١ ـ المقريزي : (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م) . «المقفى» مخطوطة مصورة بجامعة الدول العربية عن مخطوطة ليدن رقم ١٢٤٦ تاريخ .

١٢ ـ النويري : أحمد بن عبد الوهاب النويري الشهابي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) «نهاية الأرب في فنون الأدب» نسخة مصورة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ثانياً ـ المصادر المطبوعة :

١٣ ـ ابن الأثير : علي بن محمد الجزري الملقب بعز الدين (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ـ الكامل في التاريخ «١٢» جزءاً تحقيق النجار دار الطباعة المنيرية ١٣٥٧هـ وطبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ وطبعة ١٩٦٥ وطبعة دار صادر بيروت ١٩٧٩ «وطبعة ليدن» . ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية «تحقيق عبد القادر الطليمات ١٩٦٣م ـ القاهرة» .

١٤ ـ الادريسي : محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس (٦٤٩هـ / ١٢٥١م) ـ كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان وهو مختصر لكتاب الادريسي نزهة المشتاق رومة سنة ١٥٩٢م ونسخة لبسالا السويد ١٨٢٨م . ـ وصف فلسطين والشام في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق نشره جوان جيلدمانيستر «بون ١٨٨٥» ـ كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأمصار ، والأقطار والبلدان والجزر والمدين ، والآفاق ـ نسخة مصورة «المكتبة الظاهرية» رقم ١٣٠٩ .

١٥ ـ الأزدي : أبو زكريا (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . ـ تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيب ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية نخبة إحياء التراث الإسلامي ١٩٦٧م .

١٦ ـ الأصبهاني : أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦هـ / ٩٦٦م) علي بن الحسين بن محمد القرشي ـ الأغاني ٢٦ جزءاً باشراف وتحقيق ابراهيم الأبياري طبعة دار الشعب ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ م .

١٧ ـ الأصطخري : أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) . ـ المسالك والمهالك : تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني ـ ومحمد شفيق غربال ـ القاهرة ١٩٦١ .

١٨ ـ ابن أبي اصيبعة : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) ـ عيون الأبناء في طبقات الأطباء بيروت ١٩٥٦ ـ والقاهرة ١٨٨٤م .

١٩ ـ الأندلسي : علي بن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) ـ جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ١٩٦٢م القاهرة .

٢٠ ـ الأندلسي : (٦٧٣هـ / ١٢٧٥م) علي بن موسى بن سعيد «المغرب في حلى المغرب» ج١ القسم الخاص بمصر نشر زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف القاهرة ١٩٥٣ .

٢١ ـ الأنطاكي : يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م) ـ تاريخ أوصلة كتاب «أوتيخا» المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : تحقيق شيخو جزئين بيروت ١٩٠٩م .

٢٢ ـ ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد (٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) ـ كتاب تاريخ مصر المعروف باسم «بدائع الزهور في وقائع الدهور» ٣ أجزاء (بولاق ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ) وطبعة جميعة المستشرقين الألمانية استانبول ١٩٣١م .

٢٣ ـ البحتري : (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) ـ ديوان البحتري ، القسطنطينية «١٣٠٠هـ»

٢٤ ـ ابن تغري بردي : أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (٧٨٤هـ / ١٤٦٥م) ـ النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة . نشر دار الكتب المصرية .

٢٥ ـ ابن بطريق : البطريق افتيشيوس المكنى بسعيد بن بطريق (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق / مطبعة الأباء اليسوعيين ـ بيروت سنة ١٩٠٩م . ـ تكملة كتاب سعيد بن بطريق ليحيى بن سعيد الأنطاكي .

٢٦ ـ ابن بطلان : المختار بن الحسن بن عبدون (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) . ـ رسائل ابن بطلان تحقيق يوسف شخت وماكس مايرهوف «مطبعة بول باربيه القاهرة ١٩٣٧» .

٢٧ ـ ابن بطوطة : أبو عبدالله محمد (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار «جزءان» بيروت ١٩٦٤ وطبعة المطبعة الخيرية ط١ ١٣٢٢هـ .

٢٨ ـ البغدادي : الخطيب البغدادي : (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت بن أحمد . ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ١٤ جزءاً ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٩هـ وطبعة مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٣١م ـ وطبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٣١م .

٢٩ ـ البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) . ـ الفرق بين الفرق تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩١٠م .

٣٠ ـ البكري : (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) . ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع «٤» أجزاء تحقيق السقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣١ ـ البلاذري : (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م) . ـ انساب الاشراف . طبعة بيت المقدس ١٩٣٦م . ـ فتوح البلدان طبعة ابريل ١٨٦٦م وطبعة دار النشر للجامعيين .

٣٢ ـ البلوى : (أبو محمد عبدالله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني) (ت بعد نيف، وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة ـ القرن العاشر الميلادي) . ـ سيرة أحمد ابن طولون : تحقيق محمد كرد علي ـ دمشق ١٣٥٨هـ .

٣٣ ـ التنوخي (القاضي أبي علي المحسن بن علي بن أبي القاسم التنوخي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) ـ الفرج بعد الشدة «جزءان» القاهرة ١٣٥٧ هـ/١٩٥٥ م وطبعة ١٩٠٤ م . ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ «٥» أجزاء : تحقيق عبود الشالجي (بيروت ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م و ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م) . والجزء الثامن نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٠ م . ـ المستجاد في فعل الأجواد : نشر وتحقيق محمد كرد علي (دمشق ١٩٧٠ م) وطبعة المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٦ .

٣٤ ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ج١ وج٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٥٤ هـ/ وطبعة ٢ ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م . ـ لطائف المعارف : تحقيق ابراهيم الأبياري دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٠ . ـ خاص الخاص : تحقيق محمود السمكري مطبعة السعادة القاهرة ١٩٠٩م . ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : مطبعة الظافر القاهرة ١٩٠٨ و١٩٦٥م . ـ

٣٥ ـ ثابت بن ثنان وابن العديم : ـ تاريخ أخبار القرامطة وترجمة الحسن الأعصم القرمطي تحقيق سهيل زكار ـ طبعة دار الأمانة بيروت ١٩٧١ .

٣٦ ـ الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م) ـ المحاسن والأضداد : تحقيق فوزي عطوي بيروت ١٩٦٩ . ـ البلدان : نشره صالح أحمد العلي ـ مجلة كلية الآداب مطبعة الحكومة بغداد ١٩٧٠ . ـ كتاب التبصر بالتجارة : تحقيق حسن حسني عبد الوهاب دار الكتاب الجديد ١٩٦٦ . ـ البخلاء .

٣٧ ـ ابن جبير : محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ـ رحلة ابن جبير : دار صادر بيروت ١٩٤٩ ونسخة دار مصر للطباعة ١٩٥٥م .

٣٨ ـ الجندي : محمد سليم الجندي . ـ تاريخ معرة النعمان : «٣» أجزاء تحقيق عمر رضا كحالة دمشق ١٩٦٣/١٣٨٣م .

٣٩ ـ الجهشياري : أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) ـ الوزراء والكتاب : تحقيق مصطفى السقا والأبياري القاهرة ١٣٥٧هـ و١٩٣٨م .

٤٠ ـ الجواليقي : (أبو منصور موهوب بن أحمد) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم «تحقيق أحمد محمد شاكر» ١٣٦١هـ .

٤١ ـ ابن الجوزي : (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن . ـ أخبار الحمقى والمغفلين ـ طبعة دمشق ١٣٤٥ هـ . ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم «١٢ جزء» طبعة حيدر آباد . ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م وطبعة ٢ القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٤٠م . ـ الأذكياء : طبعة القاهرة ١٣٠٤هـ . ـ أخبار الظراف والمتماجنين : نشر القدسي مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ . ـ نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس : نشر محمد أمين الخانجي مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٠هـ .

٤٢ ـ ابن الحاج : أبو عبدالله محمد (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م) ـ المدخل إلى تنمية الأعمال بحسن النيات «٤» أجزاء ١٣٢٠هـ .

٤٣ ـ أبو فراس الحمداني : الحارس بن سعيد بن حمدان (ت ٣٥٧هـ / ٩٦٨م) ـ ديوان أبي فراس الحمداني عني بنشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان بيروت ١٣٦٣هـ ١٩٤٤م وطبعة المعهد الفرنسي دمشق ١٩٤٤ .

٤٤ ـ الحموي : شهاب الدين ياقوت أبو عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) ـ معجم البلدان «٨» أجزاء بيروت ١٩٧٧ ومطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٤م . ـ ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) القاهرة ١٩٢٧/١٩٠٧ .

٤٥ ـ ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل (ت في أواخر القرن الرابع الهجري) (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) . ـ المسالك والممالك طبعة ليدن وطبعة ١٨٧٣ . ـ صورة الأرض دار الحياة بيروت .

٤٦ ـ ابن خرداذبة : أبي القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بان خرداذبة (ت بحدود سنة ٣٠٠هـ) ـ المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وطبعة الكتابة ، ليدن ١٨٨٩م .

٤٧ ـ خسرو : ناصر (٤٨١هـ / ١٠٨٨م) سفرنامة : ترجمة يحيى الخشاب بيروت ١٩٧٢ طبعة القاهرة ١٩٤٥ .

٤٨ ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر «٧» أجزاء . طبعة بولاق ، وطبعة القاهرة ١٢٧٤هـ وطبعة بيروت ١٨٨٦م . ـ مقدمة ابن خلدون : طبع دار الشعب المصرية القاهرة ، وطبعة منشورات الأعلمي بيروت ، ١٩٧١ .

٤٩ ـ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ـ وفيات الأعيان «١٣» ج القاهرة ١٢٩٩هـ و٦ أجزاء القاهرة ١٩٥٠م و«٢» أجزاء القاهرة ١٣١٠هـ .

٥٠ ـ الخوارزمي : ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي ـ كتاب مفاتيح العلوم (صنفه سنة ٣٦٦هـ) القاهرة ١٣٤٤هـ ليدن ١٨٩٥ .

٥١ ـ الخولاني : عبد الجبار المعروف بالقاضي الخولاني ـ تاريخ داريا ، بعناية سعيد الافغاني طباعة المجمع العلمي العربي بدمشق .

٥٢ ـ ابن خياط : (خليفة) ـ تاريخ خليفة بن خياط «تحقيق سهيل زكار دمشق ١٩٦٧/ ١٩٦٨» .

٥٣ ـ ابن الداية : ابو جعفر احمد بن يوسف (ت ٣٣٠هـ او ٣٤٠هـ ٩٤١ و ٩٥١ م) ـ سيرة احمد بن طولون : نشر فولرز في ميا ١٨٩٥ «برلين ١٨٩٤» ـ «المكافأة» القاهرة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م وطبعة ١٩٤٠ القاهرة .

٥٤ ـ ابن دقماق : ابراهيم بن محمد المصري (ت ٨٠٩هـ ١٤٠٦م ـ ١٤٠٧م) ـ الانتصار لواسطة عقد الامصار الجزء الرابع والخامس بولاق ١٣٠٩ نشر المستشرق فولرز» .

٥٥ ـ الدمشقي : شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي شيخ الربوة ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . طبع في مدينة بطربورغ مطبعة الاكاديمية الامبراطورية سنة ١٢٨١ هـ/١٨٦٥ م .

٥٦ ـ الدواداري : ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥ ـ ١٣٣٦م) ـ كنز الدرر وجامع الغرر . ـ الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت ريمر ـ القاهرة ١٩٦٠م ـ الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق المنجد وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر طبعة القاهرة ١٩٦١م .

٥٧ ـ الدينوري : ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ /٨٩٥م) ـ الاخبار الطوال : تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٠م .

٥٨ ـ الدينوري : ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ /٨٨٩م) ـ المعارف ـ المطبعة الاسلامية الازهرية ط١ ١٩٣٤م ـ عيون الاخبار . نسخة مصورة عن دار الكتب طبعة ١٩٦٣ ـ الامامة والسياسة . مطبعة النيل ١٩٠٤م .

٥٩ ـ الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (٧٤٨هـ /١٢٤٧م) ـ العبر في خبر من غبر «٤» اجزاء تحقيق المنجد ابو فؤاد السيد الكويت ١٩٦١/ ١٩٦٣ . ـ دول الاسلام : طبعة حيدر آباد ١٣٦٥هـ . ـ تاريخ الاسلام : المتحف البريطاني «OR490R50» .

٦٠ ـ الربعي : ابي الحسن علي بن محمد الربعي المالكي (٤٤٤هـ /١٠٥٢م) ـ فضائل الشام : تحقيق صلاح الدين المنجد طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠م

٦١ ـ ابن رسته : ابي علي احمد بن عمر بن رسته (ت حوالي ٢٩٠هـ /٩٠٢م) . ـ الاعلاق النفيسة : ليدن ١٨٩١ ويليه كتاب البلدان تأليف احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤هـ .

٦٢ ـ ابن زولاق : ابو محمد الحسن بن ابراهيم (ت ٣٨٧هـ /٩٩٧م) ـ اخبار سيبويه المصرية : نشر محمد ابراهيم سعد وحسني الديب ط١ ـ كتاب فضائل مصر واخبارها وخواصها «مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ٢٠٦٩» . ـ العيون الدعج في حلى دولة بني طغج نقله ابن سعيد في كتاب المغرب في حلى المغرب ١٣٥٢هـ /١٩٣٣م .

٦٣ ـ ابن الساعي البغدادي : (ت ٦٧٤هـ /١٢٧٥) . اخبار الخلفاء او مختصر اخبار الخلفاء ط١ المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٩ هـ

٦٤ ـ سبط بن الجوزي : (ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي) ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ـ المتحف البريطاني «OR464» مكتبة احمد الثالث ٢٩٠٧ س ـ المكتبة الوطنية بباريس ١٥٠٦ . ـ الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة بين السنوات ٥٥٦ ـ ١٠٨٦ تحقيق علي سويم انقره ١٩٦٨م.

٦٥ ـ السبكي : تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ /١٣٦٩م) ـ طبقات الشافعية الكبرى «٦» اجزاء المطبعة الحسينية ١٣٢٤هـ .

٦٦ ـ ابن سعد : محمد (ت ٢٢٠هـ /٨٣٥م) . ـ الطبقات الكبرى «٨» اجزاء «ليدن سنة ١٣٢٢هـ وطبعة بيروت ١٩٥٨» .

٦٧ ـ ابن سنان : ثابت بن سنان الحراني (٣٣٥هـ /٩٤٦م) تاريخ اخبار القرامطة تحقيق سهيل زكار بيروت ١٩٧١ .

٦٨ ـ السيوطي : جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ /١٥٠٥م) ـ تاريخ الخلفاء : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٧٨هـ /١٩٥٩م ـ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة «جزءان» القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٦٩ ـ الشابستي : (ت ٣٨٨هـ /٩٩٨م) . ـ الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥١ م .

٧٠ ـ ابو شامة : (عبد الرحمن بن اسماعيل) ـ الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية «تحقيق محمد حلمي احمد ـ القاهرة ١٩٥٦» .

٧١ ـ أبو شجاع : (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) . محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم ـ ذيل تجارب الامم نشره امدروز ١٩١٦ م .

٧٢ ـ ابن الشحنة : ابو الفضل محب الدين ابو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي (ت ٨٩٠هـ /١٤٨٥م) ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب بيروت ١٩٠٨ /١٩٠٩ .

٧٣ ـ ابن شداد : عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي (٦٨٤هـ /١٢٨٥م) . ـ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عبارة وسامي الدهان ج٢ ج٣ ـ دمشق ١٩٥٦/ ١٩٦٢م ١٩٧٨ و ج١ ق١ دمشق ١٩٥٣ تحقيق وتعليق دومينيك سورديل ـ الاعلاق الخطيرة ج١ عن لبنان والاردن وفلسطين وجزء عن دمشق . تحقيق سامي الدهان دمشق ١٩٦٢ و ١٩٦٥ .

٧٤ ـ الشيرازي : المؤيد في الدين هبة الله (٤٨٠هـ /١٠٧٧م) ـ سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ـ تحقيق محمد كامل حسني القاهرة ١٩٤٥ .

٧٥ ـ الصابي : (٤٤٨هـ /١٠٥٦م) ابو الحسن هلال بن المحسن بن ابي اسحق ـ تحفة الامراء في تاريخ الوزراء «تحقيق عبد الله مخلص القاهرة ١٩٥٨ . ـ رسوم دار الخلافة : تحقيق ميخائيل عواد بغداد ١٩٦٤ ـ اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء : جمع وتعليق ميخائيل عواد بغداد ١٩٤٨ .

٧٦ ـ الصفدي : (ت ٧٦٤هـ /١٣٦٢م) صلاح الدين خليل بن ايبك ـ امراء دمشق في الاسلام ، تحقيق المنجد ـ طبعة دمشق ١٩٥٥ .

٧٧ ـ الصولي : (ت ٣٣٥هـ /٩٤٦م) . ـ اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، من كتاب الاوراق ـ طبعة الصاوي ١٩٣٥ .

٧٨ ـ الصيرفي : (علي بن منجب) ـ الاشارة إلى من نال الوزارة القاهرة ١٩٢٣

٧٩ ـ الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ /٩٢٢م) ـ تاريخ الرسل والملوك «١٠» اجزاء تحقيق محمد ابو الفضل القاهرة ١٩٦٨ /١٩٧١ م .

٨٠ ـ ابن الطقطقي : فخر الدين محمد بن علي طباطبا (ت ٧٠٩هـ /١٣٠٩م) . ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية مطبعة الموسوعات بباب الشعرية ١٣١٧هـ القاهرة .

٨١ ـ الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٢هـ /١٤٦٧م) ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحة كابولس راديس (باريس ١٨٩٢م /١٨٩٤م)

٨٢ ـ ابن عبد ربه : احمد بن عمر (ت ٣٤٩هـ /٩٦٠م) . ـ العقد الفريد «٤» اجزاء ط٢ القاهرة ١٩٢٨م «مطبعة ١٩٣٥ المكتبة التجارية القاهرة» .

٨٣ ـ ابن العبري : ابي الفرج هارون الطيب الملطي (ت ٦٨٥هـ /١٢٨٦م) ـ تاريخ مختصر الدول . «بيروت ١٩٥٨م ، وطبعة المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠م .

٨٤ ـ ابن العديم : كمال الدين ابي القاسم (ت ٦٦٠هـ /١٢٦٢م) ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب «٣» اجزاء ـ تحقيق سامي الدهان ـ دمشق المعهد الفرنسي ١٩٥١ م/١٩٥٤ .

٨٥ ـ ابن عساكر : الحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي (ت ٥٧١هـ /١١٧٥م) ـ تاريخ مدينة دمشق «٣» مجلدات ١ ، ٢ ، ١٠ تحقيق المنجد ودهان ـ دمشق ١٩٥٤ . ـ تهذيب ابن عساكر «٧» اجزاء . ـ مطبعة روضة الشام دمشق من «١» الى «٥» : ١٣٣٢هـ ومطبعة الترقي دمشق ج٦ و ٧ سنة ١٣٥٠هـ .

٨٦ ـ العسقلاني : الحافظ بن حجر العسقلاني ـ انباء الغمر بأبناء العمر ـ تحقيق الدكتور حسن حبش دار الكتاب ـ القاهرة ١٩٧١ /١٩٧٢ .

٨٧ ـ ابن العماد الحنبلي : ابو الفرج عبد الحي بن احمد بن محمد الصالحي (ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٩م) ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب «٨» اجزاء القاهرة ١٣٥٠هـ .

٨٨ ـ العمري : ابي الفضل الله العمري (ت ٧٤٢هـ /١٣٤١م) ـ مسالك الابصار في ممالك الامصار : تحقيق احمد زكي باشا ج١ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٢هـ /١٩٢٤م .

٨٩ ـ ابن العميد : الشيخ المكين جرجس ىن العميد بن الياس (ت ٦٧٢هـ /١٢٧٣م) . ـ تاريخ المسلمين . «ليدن ١٦٢٥م»

٩٠ ـ ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء (صاحب حماه) «الملك المؤيد (ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م) ـ تقويم البلدان ـ باريس ١٨٥٠ م و ط ١٨٤٠ ـ المختصر في اخبار البشر : القسطنطينة ١٢٨٦هـ

٩١ ـ ابن الفراء : الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء ـ رسل الملوك ـ القاهرة ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م.

٩٢ ـ ابن الفقية : ابي بكر احمد بن محمد الحمداني (ت . ٢٩٠هـ /٩٠٢م) . ـ مختصر كتاب البلدان . (ط ليدن ١٣٠٢) ١٨٨٥ م وطبعة ١٩٦٧م .

٩٣ ـ القرطبي ـ عريب : عريب بن سعيد (ت ٣٦٦هـ /٩٧٦م) ـ صلة تاريخ الطبري (ليدن ١٨٩٧م)

٩٤ ـ القزويني : زكريا بن محمد بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ ١٢٨٣م) ـ آثار البلاد وأخبار العباد دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

٩٥ ـ القشيري : ابي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني الحافظ المتوفى (٣٣٤هـ /٩٤٥م) ـ تاريخ الرَّقة : تحقيق طاهر النعساني مطابع الاصلاح بحماه ١٣٧٨هـ /١٩٥٩م .

٩٦ ـ القفطي : جمال الدين ابي الحسّن علي بن يوسف القفطي ـ تاريخ الحكماء : وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ط ١٩٠٣ القاهرة) والطبعة الاولى مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٦ هـ .

٩٧ ـ القلقشندي : ابي العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٣١هـ /١٤١٨م) ـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء : نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ، المؤسسة المصرية العامة . ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان : طبع القاهرة ١٩٦٣م .

٩٨ ـ ابن قيم الجوزية : شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٧٥١هـ /١٣٥٠م) . ـ احكام اهل الذمة ـ تحقيق صبحي الصالح ـ مطبعة جامعة دمشق ط١ ١٩٦١ .

٩٩ ـ الكتبي : محمد بن شاكر بن احمد . ـ فوات الوفيات ـ مطبعة السعادة مصر ١٩٥١ «جزءان» بولاق ١٢٨٣هـ .

١٠٠ ـ ابن كثير : عماد الدين اسماعيل (ت ٧٧٢هـ /١٣٧٢م) ـ البداية والنهاية «٤» اجزاء القاهرة ١٣٥٨هـ .

١٠١ ـ الكندي : ابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري (ت ٣٥٠هـ /٩٦١م) . ـ الولاة والقضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٨م .

١٠٢ ـ الماوردي : ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت ٤٥٠هـ /١٠٥٨م) . ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ط٣ القاهرة ١٩٧٣/ ١٩٦٠ .

١٠٣ ـ المتنبي : ابو الطيب (٣٥٤هـ /٩٦٥م) ـ ديوانه : مطبعة مصطفى محمد ١٩٣٠م وطبعة بيروت ١٩٠٠م .

١٠٤ ـ المراكشي : ابن عذارى (ت ٦٩٥هـ /١٢٩٥ م) ـ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب «٤» اجزاء تحقيق ج . س كولات وليفي بروفنسال (بيروت ١٩٦٧) .

١٠٥ ـ المسعودي : ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م) ـ مروج الذهب : بيروت ١٩٠٨ وطبعة القاهرة ١٩٥٨ م التنبيه والاشراف : دار التراث بيروت ١٩٠٨ وطبعة القاهرة ١٩٣٨م وطبعة ١٩٥٨م . ـ اخبار الزمان .

١٠٦ ـ مسكويه : ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ /١٠٣٠م) ـ تجارب الامم «٢» جزء القاهرة ١٩١٤ و ١٩١٥ .

١٠٧ ـ المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي المعروف بالبشاري (من علماء النصف الثاني من القرن الرابع أو النصف الاخير من القرن العاشر الميلادي (ت ٣٨٧هـ /٩٩٧م)ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ليدن ١٩٠٦ .

١٠٨ ـ المقريزي : (تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١ /١٤٤٢م) ـ اغاثة الامة بكشف الغمة ـ نشر مصطفى زيادة والشيال ١٩٤٠ م . ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار القاهرة ١٩١١ ـ ١٩٢٤م . ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا «نشر الشيال القاهرة ١٩٤٨م . ـ النقود القديمة الاسلامية (نشر الاب انستاس ماري الكرملي في كتابه النقود العربية وعلم النميات . ـ النقود الاسلامية تحقيق واضافات محمد السيد علي بحر العلوم ـ النجف المكتبة الحيدرية ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

١٠٩ ـ ابن مماتي : الاسعد (٦٠٦هـ /١٢٠٩م) ـ قوانين الدواوين : نشر الدكتور عزيز سوريال سنة ١٩٤٣م .

١١٠ ـ ابن منظور : جمال الدين محمد بن كرم (ت ٧١١هـ ، ١٣١١م) ـ لسان العرب «٤» مجلدات اعداد يوسف خياط ، نديم مرعشلي دار لسان العرب بيروت . و «١٥ مجلد بيروت ١٩٥٥ /١٩٥٦» .

١١١ ـ النديم : الوراق (٣٨٣هـ /٩٩٣م) ـ الفهرست «مكتبة خياطة بيروت ، والمطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨» .

١١٢ ـ النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٢هـ /١٣٢٢م) : نهاية الارب في فنون الادب «١٨» جزءاً دار المكتبة المصرية ١٩٢٣م .

١١٣ ـ ابن الوردي : سراج الدين ابو حفص عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م) . ـ تاريخ ابن الوردي «٢» جزء /١٣٨٥ هـ او «تتمة المختصر في اخبار البشر ، القاهرة ١٣٨٥هـ وط ١٨٦٨م . ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب . طبع ونشر البابي الحلبي ط٢ القاهرة ١٩٣٩ .

١١٤ ـ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٧٨هـ / ٨٩١ م) . ـ البلدان «مطبوع مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ليدن ١٨٩١» . ـ تاريخ اليعقوبي «جزءان» دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

١١٥ ـ ابو يوسف : القاضي يعقوب بن ابراهيم (١١٢هـ /٧٣٠م) . ـ كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ط٤ سنة ١٣٩٢هـ .

ثالثاً ـ المراجع العربية الحديثة

١ ـ امير (علي) : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي : ترجمة رياض رافت القاهرة ١٩٣٨م .

٢ ـ الامير (علي الحسني) : تاريخ سورية الاقتصادي : مطبعة بدائع الفنون ، دمشق ١٣٤٢هـ» .

٣ ـ أمين (أحمد) : ظهر الاسلام : ط٣ القاهرة ١٩٦٢ وطبعة ١٩٤٥م ـ ضحى الاسلام : «٣» اجزاء ط٧ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٦ ـ فجر الاسلام : الطبعة العاشرة ١٩٦٥ القاهرة .

٤ ـ بدر (مصطفى طه) : مصر الاسلامية «القاهرة ١٩٥٤» .

٥ ـ بدوي (عبد الرحمن) : شخصيات قلقة في الاسلام «ط٢ القاهرة ١٩٦٤» .

٦ ـ البراوي (راشد) : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين . مطبعة النهضة المصرية ١٣٦٨هـ /١٩٤٨م .

٧ ـ البعلبكي : (ميخائيل موسى الوف البعلبكي) ـ تاريخ بعلبك ، المطبعة الأدبية بيروت ١٩٢٦ .

٨ ـ بيطار (امينة) : موقف امراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين . رسالة ماجستير جامعة القاهرة . ـ الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام . رسالة دكتوراة جامعة القاهرة .

٩ ـ تامر (عارف) : القرامطة ، اصلهم ، نشأتهم ، تاريخهم ، حروبهم طبعة دار الكتاب العربي بيروت .

١٠ ـ التدمري (عمر عبد السلام) : تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور «مطابع دار البلاد ـ طرابلس لبنان ج١ سنة ١٩٧٨م» .

١١ ـ توفيق (اسكندر) : بحوث في التاريخ الاقتصادي ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ـ القاهرة ١٩٦١ .

١٢ ـ توفيق (عمر كمال) : مقدمات العدوان الصليبي «القاهرة ١٩٦٦» . ـ الامبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الاراضي المقدسة . الاسكندره ١٩٥٩ ـ تاريخ الامبراطورية البيزنطية القاهرة ١٩٦٧م

١٣ ـ الجرماني (بتيشوف) : تحفة الابناء في تاريخ حلب الشهباء . طبعة بيروت ١٩٨٠م .

١٤ ـ الجندي (درويش) : الشعر في ظل سيف الدولة الحمداني القاهرة .

١٥ ـ الجنزوري (علية عبد السميع) : الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى «القاهرة ١٩٧٩» .

١٦ ـ حسن (حسن ابراهيم) : تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ط٧ القاهرة ١٩٦٥م ـ تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر والشام وبلاد العرب . القاهرة ١٩٥٨ . ـ النظم الاسلامية ـ مكتبة النهضة المصرية ط٤ ١٩٧٠ . ـ المعز لدين الله الفاطمي ـ القاهرة ١٩٦٤م وطبعة الازهر ١٩٤٧ . ـ الفاطميون في مصر ، القاهرة ١٩٣٢م ـ عبيد الله المهدي ، طبعة الشيشكي بالازهر ١٩٤٧ .

١٧ ـ حسن (زكي) : مصر والحضارة الاسلامية . القاهرة ١٩٤٢م ـ فنون الاسلام . القاهرة ١٩٤٨ «مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر» . ـ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى . القاهرة ١٩٤٥م ـ كنوز الفاطميين . القاهرة ١٣٥٦هـ /١٩٣٧م ـ الفن الاسلامي في مصر ج١ . القاهرة ١٩٣٥م .

١٨ ـ حسن (علي ابراهيم) : مصر في العصور الوسطى . مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٧» . ـ تاريخ جوهر الصقلي . مكتبة النهضة العربية .

١٩ ـ حمادة (سعيد) : النظام الاقتصادي في سورية ـ بيروت ١٩٣٦م .

٢٠ ـ حورية (عبد السلام) : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية . رسالة ماجستير جامعة القاهرة .

٢١ ـ الخربوطلي (علي حسني) : ـ الاسلام واهل الذمة «مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٩٦٩م» ـ التاريخ الموحد للأمة العربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ ـ الاسلام في حوض البحر المتوسط . «بيروت» .

٢٢ ـ الخشن (علي علي) : زراعة المحاصيل الزراعية «دار المعارف مصر ١٩٦٦» .

٢٣ ـ الخطيب (عبد الكريم) : السياسة المالية في الاسلام «دار المعارف بيروت ط ١٩٧٥» .

٢٤ ـ خليفة (سعيد) : تاريخ المنسوجات القاهرة ١٩٦١م .

٢٥ ـ خليل (محسن) : من الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي . «سلسلة دراسات بغداد ١٩٨٢» .

٢٦ ـ داؤود (اسكندر) : الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر . مطبعة الترقي دمشق ط١ ١٩٥٩م .

٢٧ ـ الدباغ (مصطفى مراد) : بلادنا فلسطين «ج٤ ، ق٢ دار الطليعة بيروت ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م» .

٢٨ ـ الدبس (يوسف الياس) : تاريخ سورية «مطبعة بيروت العمومية ١٩٠٠» .

٢٩ ـ درويش وعثمان (سهيل ، ومحمود) : من مقدمة ابن خلدون «وزارة الثقافة السورية ١٩٧٨م» .

٣٠ ـ الدوري (عبد العزيز) : النظم الاسلامية . «بغداد ١٩٥٠» . ـ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي «بيروت ١٩٦٩» . ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري . «مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٨» . ـ دراسات في العصور العباسة المتأخرة «مطبعة السريان بغداد ١٩٤٥» .

٣١ ـ الديوه جي (سعيد) : تاريخ الموصل ـ بغداد ١٩٨٢ .

٣٢ ـ ربيع (حسنين) : النظم المالية في مصر زمن الايوبيين القاهرة ١٩٦٤م .

٣٣ ـ رستم (اسد) : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب . ـ جزءان بيروت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م (وطبعة ١٩٥٦ بيروت) .

٣٤ ـ الريس (محمد ضياء الدين) : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية «ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٩ وطبعة القاهرة ١٩٥٧» .

٣٥ ـ الزبيدي (محمد حسين) : ـ العراق في العصر البويهي «التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية بين ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ ـ ١٠٥٩ م ـ القاهرة ١٩٦٩ م» .

٣٦ ـ الزحيلي (وهبة) : آثار الحرب في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة «دار الفكر ط ٣ دمشق ١٩٨١» .

٣٧ ـ زركلي (خير الدين) : الاعلام ١٠ اجزاء القاهرة ١٩٥٩ .

٣٨ ـ زكريا (احمد وصفي) : ـ زراعة المحاصيل الحقلية في بلاد الشام وامثالها جزءان دمشق . دار الطباعة ١٩٥١ م . ـ الريف السوري . جزءان . دار البيان دمشق ج ١ ١٩٥٥ والمطبعة العمومية دمشق سنة ١٩٥٧ . ـ المفكرة الزراعية ، مطبعة الترقي . دمشق ١٩٣٠ . ـ جولة اثرية . دار الفكر دمشق ط ٢ ١٩٨٤ . ـ عشائر الشام ، طبعة دمشق ١٩٤٥ .

٣٩ ـ زيادة (نقولا) : ـ الحسبة والمحتسب في الاسلام «المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٣» . ـ دمشق في عصر المماليك «بيروت ١٩٦٦» . ـ رواد الشرق العربي في العصور الوسطى «القاهرة ١٩٤٣ وطبعة بيروت ١٩٦٢» . ـ الجغرافيا والرحلات عند العرب «دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦٢» .

٤٠ ـ زيدان (جرجي) : ـ تاريخ التمدن الاسلامي ٥ اجزاء : مراجعة حسين مؤنس دار الهلال القاهرة ١٩٦٨ وطبعة ١٩٢٦ م . ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ دار الهلال . ـ احمد بن طولون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت .

٤١ ـ سالم (عبد العزيز) : ـ تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام . مع الدكتور العبادي «بيروت ١٩٧٢» . ـ طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٧ . ـ دراسة في تاريخ صيدا في العصر الاسلامي . «بيروت ١٩٧٠» . ـ تاريخ الاسكندرية في العصر الاسلامي . «١٩٦٨» .

٤٢ ـ السامر (فيصل) : ـ ثورة الزنج . «ط ٢ بيروت ١٩٧١» . ـ الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى» . ـ الدولة الحمدانية في الموصل وحلب «بغداد ١٩٧٠» .

٤٣ ـ سرور (محمد جمال الدين) : ـ سياسة الفاطميين الخارجية «القاهرة ١٩٧٥ م وطبعة دار الفكر ١٩٦٧» . ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق . «ط ٢ ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . ـ الدولة

الفاطمية في مصر وسياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها . «طبعة دار الفكر ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦» .
ـ النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة «ط ٢ القاهرة ١٩٥٩» .
٤٤ ـ سعادة (جبرائيل) : ـ محافظة اللاذقية . وزارة الثقافة دمشق .
٤٥ ـ سليمان (نبيل محمد عبد العزيز) : ـ دمشق منذ عام ١٩٧١ ـ ١١٥٤ . «رسالة ماجستير جامعة القاهرة» .
٤٦ ـ سليمان (نعيم زكي فهمي) : ـ طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى «الهيئة المصرية العامة القاهرة ١٩٧٣ م» .
٤٧ ـ الشريف (احمد ابراهيم) : ـ مكة والمدينة وتكوين الدولة الاسلامية .
٤٨ ـ الشريف (منير) : ـ قصة الأرض في سورية «وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٦١» .
٤٩ ـ الشكعة (مصطفى) : ـ سيف الدولة الحمداني «بيروت ١٩٥٩ الدار المصرية للطباعة والنشر» .
٥٠ ـ شلبي (احمد) : ـ تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي . مطبعة وهبة ١٩٦٤ م .
ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية . القاهرة ١٩٦٠ م . ـ السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ـ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م .
٥١ ـ الشيال (جمال الدين) : ـ الاسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصور الى الوقت الحاضر . القاهرة ١٩٥١ . ـ تاريخ مدينة الاسكندرية ـ دار المعارف ـ ١٩٦٧ .
٥٢ ـ الصابوني (الشيخ احمد) : ـ تاريخ حماه . المطبعة الأهلية بحماة .
٥٣ ـ الصالح (صبحي) : ـ النظم الاسلامية نشأتها وتطورها . «بيروت ١٩٦٥ / و ط ٢ ١٩٦٨» .
٥٤ ـ صالح (محمد امين) : ـ النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الاسلام . «القاهرة ١٩٧١» .
٥٥ ـ الصفدي (صلاح الدين) : ـ امراء الشام في الاسلام ، تحقيق المنجد ، دمشق ١٩٥٥ .
٥٦ ـ شوقي (ضيف) : ـ تاريخ الادب العربي . دار المعارف «مصر ط ٣ ١٩٧٣ .
٥٧ ـ الطاهر (علي نصوح) : ـ شجرة الزيتون تاريخها زراعتها صناعاتها «الاردن ١٩٤٧» .
٥٨ ـ الطباخ (محمد راغب) : ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء «٧ اجزاء ٢٣ وطبعة حلب ١٣٤٣ هـ .
٥٩ ـ طلس (اسعد) : ـ مصر والشام في الغابر والحاضر . دار المعارف بمصر ١٩٤٥ م .
٦٠ ـ طوخان (ابراهيم علي) : ـ المسلمون في اوربا في العصور الوسطى . (الالف كتاب رقم ٥٩٦) القاهرة ١٩٦٦ .
٦١ ـ العارف (عارف) : ـ تاريخ عسقلان «القدس ١٩٤٣» . ـ تاريخ غزة «القدس ١٩٤٣» .
ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها «مطبعة بيت المقدس ١٩٣٤» .
٦٢ ـ عاشور (سعيد عبد الفتاح) : ـ الحركة الصليبية جزءان القاهرة ١٩٧١ وطبعة الانجلو المصرية . ـ مصر في عصر دولة المماليك البحرية . ـ العصر المماليكي في مصر والشام . القاهرة ١٩٦٥ .

ـ مدينة السويس منذ الفتح حتى بداية العصر الحديث (سلسلة بلادنا) . ـ اوربا العصور الوسطى في النظم والحضارة ج ٢ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ م . ـ مصر في العصور الوسطى الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٧٠ م دار النهضة العربية .

٦٣ ـ العاقل (نبيه) : ـ خلافة بني أمية «جامعة دمشق . دمشق طبعة دمشق ١٩٧٢» .

٦٤ ـ العبادي (احمد مختار) : ـ في التاريخ العباسي والاندلسي . دار النهضة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٢ م .

٦٥ ـ عبد السلام (عادل) : ـ جغرافية سورية طبيعية وبشرية واقتصادية «دمشق ١٩٧٣» .

٦٦ ـ عثمان (فتحي) : ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري «٣ اجزاء دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧» .

٦٧ ـ العدوى (ابراهيم احمد) : ـ مصر الاسلامية . ـ الاساطيل العربية في حوض البحر المتوسط «مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٧» . ـ الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ط ٢ الانجلو القاهرة ١٩٥٨ . ـ الامويون والبيزنطيون ط ٢ القاهرة ١٩٦٣ الدار القومية للطباعة والنشر . ـ التاريخ الاسلامي آفاقه السياسية وابعاده الحضارية .

٦٨ ـ العريني (الباز) : ـ الشرق الاوسط والحروب الصليبية . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م . ـ الدولة البيزنطية ٣٢٣ هـ ـ ١٠٨١م . (الناشر دار النهضة المصرية) القاهرة ١٩٦٥ م . وطبعة ١٩٦٠ ـ الحضارة والنظم الاوروبية في العصور الوسطى ط ٢ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٨ م ـ اجناد الروم . طبعة القاهرة ١٩٥٦ .

٦٩ ـ العسكري (سليمان ابراهيم) : ـ التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي «القاهرة ١٩٧٢ م» .

٧٠ ـ العش (يوسف) : ـ تاريخ عصر الخلافة العباسية دمشق .

٧١ ـ العلي (صالح احمد) : ـ التنظيمات الاقتصادية والادارية في البصرة «دار الطليعة بيروت ط ١ ١٩٥٣ وط ٢ ١٩٦٩» . ـ محاضرات في تاريخ العرب . «ط ٢ مكتبة المثنى بغداد» .

٧٢ ـ عليان (محمد عبد الفتاح) : ـ قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م» .

٧٣ ـ عمر (فاروق) : ـ طبيعة الدعوة العباسية «ط ١ طبعة دار الارشاد بيروت ١٩٧٠» .

٧٤ ـ الغزى (كامل) : ـ نهر الذهب في تاريخ حلب «٣ اجزاء حلب المطبعة المارونية .

٧٥ ـ فروخ (عمر) : ـ العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط . «بيروت ١٩٥٨» .

٧٦ ـ القوصي (عطية) : ـ تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ / . رسالة دكتوراه .

٧٧ ـ كاشف (سيدة اسماعيل) : ـ مصر في العصر الاخشيدي «ط ٢ القاهرة ١٩٧٠» . ـ حضارة مصر في العصر الطولوني «القاهرة ١٩٦٠» . ـ احمد بن طولون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة والنشر ١٩٦٥ م . ـ مصر في فجر الاسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ م ، دار النهضة العربية .

٧٨ ـ كحالة (عمر رضا) : الفنون الجميلة في العصور الاسلامية «المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م . ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٣ اجزاء «طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨» . ـ التاريخ والجغرافيا في العصور الاسلامية «المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

٧٩ ـ كردعلي (محمد) : ـ خطط الشام «٦ اجزاء دمشق ١٩٣٨ وطبعة ١٩٢٥» . ـ غوطة دمشق «مطبوعات المجمع العلمي دمشق ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ـ الاسلام والحضارة العربية «القاهرة ط ٢ ١٩٦٨» . ـ الادارة الاسلامية في عز العرب «القاهرة ١٩٣٤» . ـ دمشق مدينة السحر .

٨٠ ـ الكعاك (عثمان) : ـ الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط . «معهد الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ١٩٦٥ م» .

٨١ ـ الكيالي (سامي) : ـ سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، دار المعارف بمصر .

٨٢ ـ الكيلاني (مؤيد) : ـ محافظة حماه . «وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٦٤» .

٨٣ ـ ماجد (عبد المنعم) : ـ نظم الفاطميين ورسومهم . «ط ١ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٣» . ـ ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها . «القاهرة ١٩٥٨ م دار المعارف» . ـ العلاقات بين الغرب والشرق في العصور الوسطى «بيروت ١٩٦٦» . ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى . «مطبعة الانجلو القاهرة ١٩٧٣» .

٨٤ ـ ماهر (سعاد) : ـ البحرية في مصر وآثارها الباقية القاهرة ١٩٦٧ م .

٨٥ ـ محمود (حسن احمد) : ـ العالم الاسلامي في العصر العباسي . ـ حضارة مصر في العصر الطولوني . مكتبة الانجلو المصرية . ـ الاسلام والثقافة العربية في افريقيا (مكتبة النهضة المصرية) القاهرة ١٩٥٨ م . ـ محاضرات في التاريخ العام (التراث الاسلامي) جامعة القاهرة .

٨٦ ـ مزهر (يوسف) : ـ تاريخ لبنان العام ج ١ بيروت» .

٨٧ ـ مشرفة (عطية مصطفى) : ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين . «دار الفكر العربي ط ٢» .

٨٨ ـ المطوى (محمد العروسي) : ـ الحروب الصليبية في المشرق والمغرب . «دار الكتب الشرقية ـ تونس ١٩٥٤» .

٨٩ ـ مظهر (جلال) : ـ الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث مركز كتب الشرق الاوسط القاهرة . ـ اثر العرب في الحضارة الاوربية . ـ حضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي . مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٤ .

٩٠ ـ مليسان (مرعي) : ـ دير عطية دراسة جغرافية اقليمية «دمشق ١٩٥٨» .

٩١ ـ المنجد (صلاح الدين) : ـ خطط دمشق . «بيروت ١٩٤٦م» . ـ مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين . «طبعة دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧» .

٩٢ ـ مؤنس (حسين) ، ومجموعة من الاساتذة المصريين . ـ تاريخ الحضارة المصرية القاهرة مكتبة مصر .

٩٣ ـ النقاش (زكي) : ـ العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب اللبناني ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

٩٤ ـ النقشبندي (ناصر) : ـ الدينار الاسلامي . «مجلة سومر م ٣ ج ٢» .

٩٥ ـ اليسوعي (مرتين) : ـ تاريخ لبنان .

٩٦ ـ يني (جرجي افندي) : ـ تاريخ سورية . طبعة بيروت ١٨٨١ م . المطبعة الادبية .

٩٧ ـ اليوسف (عبد القادر احمد) : علاقات بين الغرب والشرق بين القرنين الحادي والخامس عشر «بيروت ١٩٦٩ م» . ـ الامبراطورية البيزنطية ـ «المكتبة المصرية . صيدا بيروت ١٩٦٦ م» .

رابعاً ـ المصادر والمراجع الاجنبية المترجمة الى العربية

٩٨ ـ بارتولد (ف . ت) : ـ تاريخ الحضارة الاسلامية «نقله حمزة طاهر ، مطبعة المعارف بمصر ١٩٤٢» . ـ دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى «ترجمة عزيز حداد جامعة بغداد ج ٤ مركز الدراسات» .

٩٩ ـ برنارد (لويس) : ـ اصول الاسماعيلية ، ترجمة خليل احمد جلو وجاسم محمد الرجب «دار الكتاب العربي القاهرة» . ـ الدعوة الاسماعيلية (الحشيشية) ترجمة سهيل زكار ، «ط ١ دار الفكر العربي» . ـ العرب في التاريخ ، ترجمة نبيه فارس ويوسف زيدان «بيروت ١٩٥٤» .

١٠٠ ـ بروكلمان (كارل) : ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي «بيروت ١٩٦٥» .

١٠١ ـ بروي (ادوار) : ـ تاريخ الحضارات العام ، اشراف موريس كروزيه ترجمة اسعد داغر «بيروت ١٩٦٥» .

١٠٢ ـ بيتر (نورمان) : ـ الامبراطورية البيزنطية ، تاريخها وحضارتها وعلاقاتها بالاسلام ترجمة حسين مؤنس ومحمود زايد «ط ١ القاهرة ١٩٥٠» .

١٠٣ ـ ترتون : ـ اهل الذمة في الاسلام ، ترجمة حسن حبشي ، طبع ونشر دار الفكر العربي ١٩٤٩ .

١٠٤ ـ توماس (ارنولد) : ـ الدعوة الى الاسلام ، نقله الى العربية حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي . ـ تراث الاسلام ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م .

١٠٥ ـ جاكوب (ح كرامب) : ـ تراث العصور الوسطى ج ٢ مجموعة من الاساتذة بالاشتراك مع مصطفى زيادة .

١٠٦ ـ جب (هاملتون) : ـ دارسات في الحضارة الاسلامية : «ترجمة احسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمد زيدان ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٤» .

١٠٧ ـ جروهمان (أدولف) : ـ أوراق البردى العربية . الاسفار الاول «دار الكتب المصرية ١٩٣٤ م» .

١٠٨ ـ جلوب (جون باجوت) : امبراطورية العرب ، تعريب وتعليق خيري حماد ، دار الكتاب العربي بيروت «ط ١ ١٩٦٦» .

١٠٩ ـ جوستاب (جودنباوم) : ـ حضارة الاسلام : ترجمة عبد العزيز جاويد (القاهرة ١٩٥٦) .

١١٠ ـ جيبون (ادوار) : ـ اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ٣ اجزاء . ـ الجزء الاول ترجمة محمد علي ابو درة القاهرة ١٩٦١ . ـ الجزء الثاني ترجمة لويس اسكندر القاهرة ١٩٦٥ . ـ الجزء الثالث ترجمة محمد سليم سالم القاهرة ١٩٦٩ .

١١١ ـ حتي (فيليب) : ـ تاريخ العرب مطول ، ترجمة محمد مبوك «القاهرة ط ٣ ١٩٥٣» . ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة جورج حداد عبد الكريم رافق «بيروت ١٩٥٨» . ـ لبنان في التاريخ منذ اقدم العصور حتى ايامنا «ترجمة انيس فريحة» «بيروت ١٩٥٩» . ـ مختصر تاريخ لبنان ، دار الثقافة بيروت .

١١٢ ـ حوراني (جورج فاضلو) : ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة «يعقوب بكر» «القاهرة ١٩٥٨ م ـ ونسخة ١٩٦٨ م» .

١١٣ ـ خويه (ميكال يان دي) : ـ القرامطة نشأتهم دولهم وعلاقاتهم بالفاطميين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة «ط ١ بيروت ١٩٧٨» .

١١٤ ـ داوني (جلانفيل) : انطاكية القديمة «ترجمة ابراهيم نصحي القاهرة ١٩٦٧ م» .

١١٥ ـ ديورانت (ويل) : ـ قصة الحضارة «جامعة الدول العربية ١٩٦٥» .

١١٦ ـ ريسلر (جاك س) : الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون «الدار المصرية للتأليف والنشر» .

١١٧ ـ رينسمان (ستيفن) : ـ الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد «القاهرة ١٩٦١ م» . ـ الحروب الصليبية . ترجمة : الباز العريني .

١١٨ ـ سوفاجييه (جان) : ـ دمشق الشام : «نقلها الى العربية فؤاد افرام البستاني» «بيروت ١٩٣٦» .

١١٩ ـ سيديو (ل . أ) : ـ تاريخ العرب العام ترجمة عادل زعيتر دار احياء الكتب العربية «القاهرة ١٩٤٨» .

١٢٠ ـ غوستاف (لوبون) : ـ حضارة العرب ، ترجمة محمد عادل زعيتر . «دار احياء الكتاب العربية القاهرة ١٩٤٥» .

١٢١ ـ فازيليف : ـ العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة «دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٣٤ .

١٢٢ ـ فييت (جاستوف) : المواصلات في مصر في العصور الوسطى «ترجمة الاستاذ وهبي» .

١٢٣ ـ كاهن (كلود) : ـ تاريخ الشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ، المجلد الاول نقله الى العربية بدر الدين القاسم «بيروت ط ١ ١٩٧٢» .

١٢٤ ـ كولتون (ج . ج) : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ، ترجمة /جوزيف نسيم يوسف/ «دار المعارف القاهرة ١٩٦٤» .

١٢٥ ـ كونتنو . ج : ـ الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة «القاهرة ١٩٤٨» .

١٢٦ ـ كونل (أرنست) : الفن الاسلامي ، ترجمة احمد موسى «بيروت ١٩٦٦» .

١٢٧ ـ لاندو (روم) : الاسلام والعرب ، نقله الى العربية منير البعلبكي «بيروت ١٩٦٢» .

١٢٨ ـ لومبارد (موريس) : ـ الاسلام في فجر عظمته ، ترجمة حسين عودات ومراجعة علي الخشن «دمشق ١٩٧٩ م» .

١٢٩ ـ لويس (آرشيبالد . ر) : ـ القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠ م) . ترجمة احمد محمد عيسى ومراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦٠» .

١٣٠ ـ ليسترانج (جي) : ـ بلدان الخلافة الشرقية «بغداد ١٩٥٤» ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

١٣١ ـ متز (آدم) : ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري «نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو ريدة ط ٢ القاهرة ١٩٤٧ م» .

١٣٢ ـ موس (هـ) : ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة الباز العريني «القاهرة ١٩٦٧ عالم الكتاب» .

١٣٣ ـ هل (س) : ـ الحضارة العربية ، ترجمة ، العدوى ومؤنس .

١٣٤ ـ يوليوس (فلهاوزن) : ـ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة .

المراجع الاجنبية

1 - Canard: Histoire de la Daynastie des Hamdanides de Jazira et de syrie. Aleger 1951.
- Sayf Al Dawla Recueil de Textes relatifs á Iémir sayfal Dawla le Hamdanide, Alger 1934.

2 - le strange: Palestine ander the Moslems, Landon 1890. - Bagdad during the Abbassid Calip hate. London 1924.

3 - Lane Poole : Catalogue of the collection of Arabic coins presrved in the khedival library at Cairo. (London 1897). - The History of Eqypt in the Middle Ages: (London 1905). - The story of Cairo. London 1924.

4 - Zaky Hassan: Les tulunides, Etude de L'Egypte. Musulmane a la fin du IXe Siec le (Paris 1933).

5 - Wiet: L'Egypte Arabe «paris».

6 - W. HEYED: Histoire du eommereedu leontou Voyen Age (1923 - Leipxig).

الدوريات العربية والاوروبية

- دائرة المعارف الاسلامية .
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- مجلة كلية الأداب - جامعة القاهرة .

- Combridge Mediaenal History.
- Encyclopedia of Islam.

فهرس الاعلام

«الفهرست»

هــذا الكتاب

يضع بين يديك دراسة علمية موثقة ترصد طبيعة العلاقات بين مصر وبلاد الشام في القرنين الثالث والرابع للهجرة .. ويؤرخ للوشائج العميقة بينهما من الأوجــه السياسية والاقتصادية والحضارية جميعا..وفي الوقت نفسه يدلل على أن اية محاولة مستقبلية للتقارب العربي المصري لن يكتب لها النجاح المنشود ما لم تضــع في حسبانها الوئام الشامي ـ المصري كنواة للقوة العربيــة والتكامل العربي وذلك اعتمادا على المعطيات الموضوعية والاستقراء التاريخي في الماضي والحاضر ..

وهذا الكتاب يكتسب قيمة علمية خاصة بتسليطه الضوء على جوانب مغفلة مــن تاريخنا العربي في تلــك الفترة الغنية بكل مظاهر الرقي الاجتماعي والازدهــار العلمي ، والحضارة العربيــة المتميزة ..